

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ظِلُّ الشَّيْخِ ابْنِ رَسْتِ
إمام أئمة السلفية

وقعت

الطبعة الأولى من كتابها

ببيت

الحرم الشريف

الطبعة الأولى

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ظلال السيرة النبوية

أمام أضواء السيرة المحمدية

تأليف

محمد عبد الرزاق حمزة

مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة

والدرس بالمعالم السنية الشريفة

القاهرة

١٣٧٨

المطبعة السلفية - ومكتبتها

٢١ شارع الفخ بالروضة تليفون ٨٩٨٣٦٤

رقم الايداع
٢٠١٠/٢٧٨٣

رَفَعُ

عبد الرحمن النخعي أسكنه الله الفردوس بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، وهاذى الانسانية ، وعلى آله وصحبه الذين
حفظوا لنا سنته ، بعد أن حفظ بهم كتابه ، وعلى من تبهم باحسان إلى يوم الدين

وبعد فقد وصلت إلى نسخة من كتاب ألفه الشيخ محمود أبو رية ، وتعرض فيه
لمحمود أربعة عشر قرناً بذله أعلام المسلمين ، لتحرى سنة سيد المرسلين ، وصياتها من
عبث العابثين ، وأهواء الغرضين . فررت بفصوله وأبوابه وأنا على فراش المرض في
مستشفى الطائف بعيداً عن المراجع ، وكنتُ كلما وقمت فيه على ظم للحق ، وهضم
لأعظم مجهود على في الاسلام ، وانحراف عن جادة الصواب ، ازددت يقيناً بوجوب
التنبية على ذلك ، الى أن خار الله لي كتابة هذا الكتاب ليكون قربى لي عنده سبحانه ،
ودفاعاً مني عن سنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه

أعطانا الأستاذ نموذجاً في (التعريف بكتابه) بما سينطوى عليه من الشك والتشكيك
في علم الحديث وتحقير جهود أهله فيه ، فقال عنه في ص ٤ :

إن العلماء والأدباء لم يولوه ما يستحق من العناية والدرس ، وتركوا أمره لمن يسمون
رجال الحديث . يتداولونه فيما بينهم ، ويدرسونه على طريقتهم . وطريقة هذه الفئة التي
اتخذتها لنفسها قامت على قواعد جامدة لا تتغير ولا تتبدل الخ

ولنا أن نسأل الأستاذ عن هؤلاء العلماء الذين لم يولوا الحديث ما يستحق من العناية ،
هل يريد بهم الجعد بن درهم والجهنم بن صفوان وواصل بن عطاء والنظام والقاضي عبد
الجبار والزنجشري والرازي وأضرابهم ؟

ونسأله أيضاً عن الذين يسمون رجال الحديث - على حد تعبير الأستاذ - والذين ترك
العلماء والأدباء أمر الحديث لهم يدرسونه على طريقتهم التي قامت على قواعد جامدة لا تتغير

ولا تبدل ، هل منهم في نظر الأستاذ أكبر التابعين كالحسن البصري وابن سيرين وسعيد
ابن المسيب وابن جبير والشمسي ، ومن بعدهم كالأزهري وشيوخه وعروة بن الزبير وتلاميذه
كالك وسفيان بن عيينة والثوري والليث بن سعد ، وتلاميذهم كالشافعي وأحمد بن
حنبل ، ومن بعدهم كالبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي فمن بعدهم

هل هؤلاء الأعلام أيها الأستاذ غير علماء ، وطريقهم جامدة ولا تنغير ولا تبدل ؟
وإذا كان هؤلاء وأمثالهم ليسوا من العلماء عند الأستاذ وجامدون لا يعرفون التجديد
ولا مسيرة الزمن ومراعاة مقتضى الحال ، فليدلتنا الأستاذ مشكوراً عن المجددين الذين
يرضاهم ، ويأسف على مجانبتهم لدراسة الحديث وتجديده وتهذيبه

أما مجانبية الأدباء لدراسة الحديث فقد تنفق مع الأستاذ في ذلك إذا كانت يريد
بالأدباء أمثال ابن المقفع وبشار بن برد وحمام بن عمار والجاحظ وعبد الحميد الكاتب وجريز
والفرزدق والبحري وأبي تمام والزمخشري والحريزي

هؤلاء الذين اجتمع جماعة من أئمتهم فقال أحدهم : علام اجتمعتم ؟ فقال ثلث منهم :
لتقذف الحصنات ! وقال ثالث : وهل في الدنيا حصنة ؟

فأمثال هؤلاء صان الله حديث نبيه عنهم وعن دراستهم له ، وماذا يعجبهم في
الحديث مما يخف على قلوبهم ؟ !

ثم ألم يشتغل بالحديث من الأدباء من هم خير من أولئك وأقوم سبيلاً وأزكى ديناً ،
ألم يكن ابن جرير محدثاً وأديباً ، بئله ابن قتبية وابن الأعرابي وأبا عبيد وأمثالهم

لقد لخص ابن الأثير كتابه غريب الحديث من خمسة وعشرين كتاباً في غريب
الحديث لأعلام من المؤلفين كلهم أئمة في الأدب واللغة والحديث والفقه ، وقد أبلوا في
ذلك بلاء حسناً

فضلاً عن شراح الحديث كالبلغوي والخطابي والحافظ العسقلاني ، بل الأئمة الفقهاء
المحدثين كالك والشافعي وأحمد وخيار أصحابهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه الأئمة

شمس الدين بن القيم وشمس الدين الذهبي وابن عبد الهادي وابن مفلح . وقبلهم ابن قدامة صاحب للنفي وساطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وعبد الغنى القدسي ، وقبلهم إمام الأئمة ابن خزيمة وتلميذه الامام الفيلسوف المحدث ابن حبان وغيرهم كثير من نجوم الهدى وشموس الرشاد وبدور العلم

فهل لم يكن هؤلاء علماء ولا أدباء لأنهم اشتغلوا بالحديث ، وإنما العلماء والأدباء عند أبي رية هم الجهمية والتكلمون وأمثال عبد الحسين الرافضي والطاعنون على أهل الحديث والصحابة كابى هريرة ومعاوية والفرق بين الصحابة إلى بكرية وعمرية وعثمانية وعولوية ، كأنما دين الإسلام ثوب مهلهل خيط من رقع متباينة ، وفرق متناجزة متعادلة

والذين عرفوا حقيقته هم أمثال جولدزيهر اليهودى المستشرق الطاعن على نبي الاسلام بأنه مصروع مهتر بوق الحكاية سخافات العهد للتقديم الخ ما قاده في كتابه العقائد الاسلامية ، وكتابه الآخر مذاهب المسلمين في التفسير .

وقد تمجّل أبو رية شيئاً من شكوكه (في ص ٥) حيث تسأل « هل أمر النبي ﷺ بكتابة هذا النص بلفظه عند إلقائه ، أو تركه ونهى عن كتابته ؟ وهل دونه الصحابة ومن بعدهم أو انصرفوا عن تدوينه » وتساءل : « هل ماروى منه قد جاء مطابقاً لحقيقة ما نطق به النبي - لفظاً ومعنى - أو كان مخالفاً له ؟ وما هي العوامل التي تدست اليه من نزعات أعدائه ، والمؤثرات التي أصابته من أغراض أوليائه ، حتى شيب بما ليس منه ، وتسرب اليه ما هو غريب عنه » ؟ « وماذا كان موقف علماء الأمة منه ؟ وما مبلغ ثقتهم به ومدى اختلافهم فيه ، بعد أن عراه ما عراه وتأثر به ! وما إلى ذلك من الأمور المهمة التي يجب أن يعرفها كل مسلم أو باحث في الدين الاسلامي قبل النظر فيه »

وسأؤخر مناقشة هذه الشكوك ، وترياق هذه السموم ، حتى يحىء موضع يطها ، وحينئذ سنقول له : إن الاسلام والباحث فيه في غنى عن آراء اليهودى المستشرق جولدزيهر وما قاله عن نبي الاسلام ، فضلاً عن قوله في حديث نبي الاسلام وحلته . ونسجل

له مقدما بأن عدالة أهل الحديث بتعديل النبي ﷺ لهم بقوله « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه كيد الكائدين واتصال المبطلين » ، ونذكر له مثل من أعرض عن سنة النبي ﷺ أو كاد لها من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعا الى النبي قال « مثل ما بمنى الله به كمثل غيث أصاب أرضا ، فكان منها طيبة أبيت العشب والكلأ ، وكان منها أجاب أمسكت الماء فشرب الناس والأنعام وسقوا منها زروعهم ، وكان منها قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت به زرا ، فذلك مثل من نفعه الله بما جئت به ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا » اهـ

وهؤلاء القيعان التي لا تمسك ماء ولا تنبت زرا الذين لم يرفعوا بما جاء به النبي ﷺ رأسا هم الذين ألهمهم بطونهم وفروجهم عن التوجه لما جاء به النبي ﷺ ، أو صدقتهم الأهواء والبدع عن الاشتغال بما جاء به النبي صلوات الله عليه واتبعوا أهواءهم التي سموها « مقولات » ، وقالوا عن أحاديث النبي ﷺ إنها أحاديث آحاد ظنية لا تفيد اليقين كما تفيده أهواؤهم ، ومنهم من انتصب لعداوة السنن والتشكيك فيها كالخوارج والروافض والجهمية وعلماء الكلام المبتدع المحدث الذين قال الشافعي فيهم : رأيت في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في الأسواق ويقال : هذا جزء من ترك ما جاء عن الله ورسوله الى الهوى والبدع

جاء رجل من الخوارج الى عمران بن حصين الصحابي الجليل يشككه في العمل بالحديث النبوي ، فقال له عمران بن حصين : أرني في القرآن كيفية الصلاة وآدابها وشروطها وأوقاتها . أرني فيه كيفية الزكاة وأنواعها ومقاديرها . أرني فيه مناسك الحج والعمرة وأحكامها

فأجابه وكان منصفاً ، ولم يكن جهله جهلا مرگبا : شغيتني شغاك الله

إن هذا الخارجى أعتل وأورع من كثير ممن يشكون ويشككون في سنة النبي ﷺ ولزومها لمن يريد أن يعمل بالقرآن كما عمل به النبي ﷺ وأصحابه وخيار سلف

هذه الأمة ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة

أما هؤلاء المرتابون في دينهم ، التاركون للسنة والجماعة ، فقد سمعنا عنهم غرائب وأوابد كقول بعضهم : أخذ صلاتي من القرآن فأسجد مرة واحدة وأركع بعد السجود ، ولا أنشهد ، ولا أتقيد بمدد من الركعات ، ولا بأوقات للصلاة الى آخر ما سمع عنهم من هز ، وسخف

يقول أبو رية (ص ٦) في أسباب تأليفه لكتابه إنه عندما درس الحديث وجد في معاني كثير من الأحاديث ما لا يقبله عقل صريح ولا يثبت علم صحيح ، وأنه وجد مثل ذلك في كثير من الأحاديث التي شُحنت بها كتب التفسير والتاريخ وغيرها

والحمد لله الذي جعله يصب غضبه وحقده على كثير من الأحاديث التي شُحنت بها كتب التفسير والتاريخ ، فليست كتب التفسير والتاريخ هي كتب الأحاديث ، بل الأحاديث حيث هي في دواوين السنة المشهورة كأمهات الكتب التي تخصصت لتدوين أحاديثه صلوات الله عليه

وإذا كان في غرائب الأحاديث وشواذها وموضوعها ما لا يوافق العقل ولا يثبت العلم - كما في كثير من كتب التفسير - فلا يضر ذلك صحيح الأحاديث ، وما ثبت منها عند أهل الذين وقفوا حياتهم عليه

يقول : إن مما يثير عجبهم أنه كان إذا قرأ كلمة لأحد أجلاف العرب يهتز لبلاغتها . . . وإذا قرأ بعض ما ينسب إلى النبي ﷺ لا يجد هذه الأريحية ولا ذلك الاهتزاز

ونحمد الله أن بعض الأحاديث هو الذي لم يهز أريحية الاستاذ ولم ير فيه ما يعجبه من البلاغة والفصاحة ، وليكن ذلك في الغرائب والضعاف والمناكير

أما الصحيح فإن عليه والله الحمد أنوار النبوة وبلاغة سيد من نطق بالضاد ، والحكم المدل في ذلك ذوق العلماء الراسخين من الأئمة الفضلاء والأدباء المتكئين ، لا ذوق أبي رية وأمثاله

وليعلم الأستاذ أبو رية أن في المستمعين لأغاني أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وليلي مراد
وعبد الحليم حافظ من يأخذهم الطرب عند سماع الأغاني ، ولكنهم يضيقون صدرا بسماع
القرآن والحديث ، وربما ضرب النوم على آذانهم عند سماع القرآن والحديث

وليس ذلك بعيب في القرآن والحديث أو لأنه لا بلاغة أو فصاحة فيها ، ولكن
لأناس فيها يمشقون مذاهب ، والجعل كما قيل تؤذيه أو تقتله الرائحة الزكية ، وتلذ له الروائح
السكرية ويميش فيها

ونقول للأستاذ : ان الرسول بعثه الله معلما ومرييا ومزكيا للأبيض والأحمر والأسود
فلا خير إذا تنزل في كلامه الى بعض طبقات من يعيش معلما لهم ولم يتكاف ما يتكلف
الشعراء والمتصرون من أنواع الخيالات والاستعارات ومحسنات البديع . بل إنه كان
يتحرى في بعض الأحوال أن يخاطب أبناء القبائل بالألفاظ الشاذة من لهجاتهم

ويقول الأستاذ (في ص ٧) : إنه بعد طول البحث وطول السير والسكد انتهى
إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة ! إذ وجد أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما
سموه صحيحا أو ما جعلوه حسنا ، حديث قد جاء على حقيقة لفظه وبحكم تركيبه كما نطق
الرسول به . قال : وجدت أن الصحيح - على اصطلاحهم - إن هو إلا معان مما فهمه بعض
الرواة . وتبين له أن ما يسمى في اصطلاحهم حديثا صحيحا إنما كانت صحته في نظر رواه ،
لا أنه صحيح في ذاته . قال : ومن أجل ذلك جاءت أكثر الأحاديث وليس عليها من
ضياء بلاغته ﷺ إلا شعاع ضئيل الخ . فيقال للأستاذ : « ما أنت بالحكم الترضى حكومته »
ويقال له : لكل علم وفن علماؤه وفرسانه ونقاده

نفص الطرف إنك من غير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

إن أئمة الدين والفقهاء ونجوم الهداية والتقوى من الصحابة والتابعين ومن تبعهم قد
تلقوا ما صح عن النبي ﷺ بالقبول ، وبنوا عليه دينهم وأحكامهم وفقهم .
وقد بما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وأقبحه من الفهم السقيم
وقيل : ومن بكّ ذاق مرة مريض يجد مرّاً به الماء الزلّالا
و : قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
والذي يمارى في علوم ليست من اختصاصه

كناطح صخرة يوماً ليوهبها ولم يهبها وأوهى قرنه الوعلُ
نظر أبو رية إلى الحديث بمنظار أسود ، منظار الجهمية والخوارج والرافضة ، فقال :
إنه لا يرى في أكثره شمع النبوة ، وأنه مغسول من البلاغة والفصاحة ، إلى آخر ما رمى
به الحديث . وقولنا له : إن كل إناء ينضج بما فيه ، وعين السخط تبدى المساويا
وقد نظر سلف الأمة وأتمتها في خير القرون إلى الحديث بعين البصيرة والإنصاف
فأروه ناصعاً وعلى الصحيح منه أنوار النبوة وأضواء الهداية

وقوله (في ص ٧) إنه وجد الصحيح من الحديث على اصطلاحهم إن هو إلا
معان مما فهمه بعض الرواة الخ ، وأن الصحيح إنما كانت صحته في نظر رواة لا أنه
صحيح في نفسه . .

هذا الحكم الجائر على الحديث الصحيح ، وأنه معان مما فهمه بعض الرواة ، حكم متهور
جاهل بطرق الحديث ومتونه ، وخلاف ما أجمعت عليه الأمة من تلقى أحاديث
الصحيحين بالقبول ، وعلماء الحديث الذين تلقوا حديثه عليه السلام بالقبول والعمل أصح
قولا وأهدى سبيلاً

وقوله (ص ٧) : إنه قد بان له أن النبي عليه السلام لم يجعل حديثه كتاباً يكتبونه عندما
كان ينطق به كما جعل للقرآن الحكيم ، وتركه يذهب بغير قيد إلى أذهان السامعين ، مخضمه
الذاكرة لحكمها القاهر ، الذي لا يستطيع إنسان مهما كان أن ينكره أو ينازع فيه من سهو
أو غلط أو نسيان . ثم علق على ذلك بالحاشية أن الأنبياء والرسل بعثهم من النسيان

والخطأ ما يعترى كل انسان لأنهم بشر ، إلا فيما يبلغونه عن الله ، وفي هذه الحالة فقط يبين الله لهم الحق ، فما بالك بغيرهم !

ثم قال : وبذلك تفكك نظم الفاظه ، وتمزق سياق معانيه . ثم ذكر حديث مسلم « لا تكتبوا عني سوى القرآن ، فن كتب عني غير القرآن فليسعه »

ونقول : إذا كان الرسول أمر بالتبليغ عنه فقال في حجة الوداع « هل بلغت ؟ قالوا نعم . قال : ليبلغ الشاهد الغائب » وقال « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » وقال الله تعالى لزوجات نبيه ﷺ « واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » وحدث عنه الصحابة بعضهم بمضا وحدثوا عنه من بعدهم من التابعين هم وزوجاته الطاهرات ، كل حدث بما سمع من النبي ﷺ من غير تخرج من خطأ أو نسيان ، وصحابة النبي ﷺ هم الذين اختارهم الله لصحبة النبي ﷺ وتحمل دين الله تعالى عنه من القرآن والحديث وتبليغهما لساير الناس عامة ، ولو رأى النبي ﷺ أو لو علم الله تعالى ضرورة كتابة الحديث وتدوينه في زمنه ﷺ كالقرآن لما سكت النبي ﷺ عن ذلك ولا أهمله الله تعالى الذي بعث رسوله في الاميين يتلو عليهم آيات الله تعالى ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال

وللتشكك في الحديث لأنه لم يكتب في زمانه ، وتجويز الخطأ والنسيان وتبديل اللفظ النبوي بما أنى فهمها الرواة ورووها بالمعنى مردود هذا الشك والتشكيك بما أنى الله تعالى على هذه الأمة بقوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

وأى منكر أنكر من تحريف دين الله بتبديل أحاديث النبي ﷺ بالمعنى والنسيان والخطأ وغسلها من الفصاحة والبلاغة كما زعم هذا الأستاذ أبو رية

ولقد انتصب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بأحسان لحفظ دين الله

في كتابه وسنة نبيه ﷺ تحقيقاً لوعده الله تعالى بحفظ كتابه وما ينته سنة نبيه ﷺ ، قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ والذكر هو القرآن وما ينته من حديث . وقد بما قال زنادقة الرافضة وغلاتهم : إن القرآن لم يحفظ كما أنزل . لأنه لم ينص على خلافة على رضى الله عنه ، واتهموا الصحابة بكتان ما هو نص في على مدهانة لأبي بكر وعمر وعثمان ، فضاعت نصوص القرآن بزعمهم

واليوم يحى أبو رية فيزعم للسليين أن أقوال النبي ﷺ وأحاديثه بسبب عدم كتابة الصحابة لها وما بدله الرواة بمانيه التي فهموها أو لم يفهموها من الأحاديث ، مع ما يعترهم من الخطأ والنسيان وما لم يسلم منها أحد حتى الأنبياء والمرسلون

فإذا انضم الى مزاعم غلاة الرافضة في القرآن رأى أبو رية في الحديث انفتح باب التحلل من الدين ، والاحاد فيه على مصراعيه ، أمام الفجار والفساق والملاحدة ، ولم يبق لله حجة على خلقه في زعم هؤلاء

بل لم يبق لقول الله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً ﴾ أى طعم أو معنى أو مغزى

وكذلك قول الله تعالى ﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ ، فأين هى الحجة على الناس إذا ضاع القرآن بزعم غلاة الرافضة ، وضاعت السنة بخطأ الرواة ونسيانهم وتصرفهم في الحديث برواية معناه وتضييعهم لنصوص كلامه ﷺ بزعم أبي رية

فاهتوا أيها الملاحدة والفجار والفساق بما آتاكم به غلاة الرافضة وأبو رية

حديث

« من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »

يذكر أبو رية (في ص ٩) أنه عني بالبحث عن هذا الحديث حتى وصل بعدد

حلول السعي إلى أن كلمة (متعمدا) لم تأت في روايات كبار الصحابة، قال: ويبدو أن هذه الكلمة قد نالت إلى هذا الحديث من سبيل (الإدراج) لكي يتكبر الرواة فيما يروونه عن غيرهم من جهة الخطأ والوهم أو الغلط أو سوء الفهم، ليدروا عن أنفسهم أنهم الكذب، ولا يكون عليهم في الرواية أي حرج. أو أن هذه الكلمة قد وضعت ليسوغ بها الذين يضمنون الأحاديث عن غير عمد علمهم، ليسندوا بها أقوالهم، وليثق الناس فيهم (كالتقصاص وغيرهم). اه كلامه.

فكلمة «متعمدا» على تحقيق الأستاذ أبي رية إما مدرجة في الحديث أو موضوعة مكذوبة، وليست من كلام النبي ﷺ، كما انتهت إليه عناية هذا الأستاذ وطول بحثه.

فيقال له: من هم كبار الصحابة الذين خلت رواياتهم لهذا الحديث من كلمة متعمدا حتى يرد بروايتهم رواية من روى «متعمدا». والحديث قد ذكر العلماء تناوله بهذه اللفظة، والحديث لا يكون حديثا نبويا إلا إذا رواه عنه صحابي، فلا يكون ترك من ترك هذه الرواية حجة على من حفظها ورواها.

والتعمد شرط لعقوبة من ارتكب محظورا أي محظورا، ألم يقل الله فيما علم المؤمنين أن يدعوا به ﴿ربنا لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وفي الحديث نص على رفع المؤاخذه عن الناسى والخطي.

ألم يقل الله سبحانه ﴿ومن قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا أليما﴾ فجعل هذا الوعيد الشديد الذي تقشقر له الجلود والأبدان على قاتل المؤمن «متعمدا»

الأستاذ أبو رية بأبي رحمة الله للناسى والخطي، ويريد أن يسوى بينهما وبين المتعمد في الوعيد وتبوء مقعد النار.

ولعل الخواارج الذين يكفرون بالذنوب لا يسوون بين الناسى والخطي وبين المتعمد

عبد الرحمن النجدي أسكنه الله الفردوس رواية الحديث بالمعنى

وقال أبو رية (في ص ٨) : « ولما رأى بعض الصحابة أن يرووا للناس من أحاديث النبي ﷺ ووجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق النبي به استباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى ، ثم مبار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم فينتقل المتأخر عن المتقدم ما يرويه عن الرسول بالمعنى ثم يؤديه إلى غيره بما استطاع أن يمسكه ذهنه منه » . . ثم استشهد على ذلك بقول وكيع : إذا لم يكن للمعنى واسعا فقد هلك الناس . ويقول الثوري : إن قلت إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني ، فإنما هو المعنى

قال هذا الأستاذ : وقد ظلت الألفاظ تختلف والمعاني تتغير بتغير الرواة ، وفيهم كما قال السيوطي الأعاجم واللولدون وغيرهم ممن ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست خالصة . ورمى البخاري بأنه كان يروى على المعنى . ثم ذكر أن رواية الحديث بالمعنى ضرر كبير في الدين واللغة والأدب . وذكر أنهم أباحوا لأنفسهم أخذ الحديث إذا أصابه اللحن أو اعتراه الخطأ أو اختل نظمه بالتقديم والتأخير ، أن يأخذوا ببعض الحديث ويدعون بعضا

أقول : أى عداء للإسلام أكثر من هذه العداوة ؟ الصحابة وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا بالحديث على أصل لفظه كما نطق به النبي ﷺ واستباحوا لأنفسهم أن يرووا على المعنى ، وسار على سبيلهم كل من جاء من الرواة بعدهم ، وعلى رأيه . الألفاظ تختلف ، والمعاني تتغير بتغير الرواة ، وفيهم على رأيه الأعاجم واللولدون ممن ليسوا بعرب ولهجتهم العربية ليست بخالصة ، والبخاري على جلالة قدره يروى بالمعنى ، ورواية الحديث بالمعنى عنده ضرر كبير في الدين واللغة والأدب لما يصيبه من اللحن والخطأ واختلال نظامه بالتقديم والتأخير ، فأى تحلل من الإسلام الذى بينه رسول الله ﷺ والدين الله وكتابه فوق هذا التحلل ؟ !

أحسن الله عزاء المسلمين في سنة نبيهم ﷺ التي هي بيان لكتاب الله بحد شكوك
أبي رية في أمانة الصحابة والتابعين وسائر الرواة واختلافهم في ألفاظ الحديث وتغيير
المعاني بتغيير الألفاظ وما عراه من اللحن والخطأ والتقديم والتأخير والاختصار في نظر
التشكيك. وأي إساءة ظن وسوء رأى بسائر الأمة من الصحابة والتابعين الذين أنشأ الله
عليهم في كتابه بقوله ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أكبر من هذا الظن السيء الذي ظنه هذا المتشكك بل المتشكك في
سنة النبي ﷺ بهذه السموم التي نقشتها من صدره على الصحابة وخيار الأمة من رواة
سنة نبيهم صلوات الله وسلامه عليه

صحابه النبي ﷺ الذين قال الله سبحانه فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء
على الكفار رُحما بينهم تراهم رُكَّعاً سُجَّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في
وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج
شطأه فأزره فاستوى على سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزَّاعِقَ لِيُبْلِيَ بِهِمُ السُّفَهَاءَ ﴾

من هم العجم من الرواة الذين أفسدت مجتهداتهم حديث رسول الله ﷺ باللحن والخطأ
والاختصار والتقديم والتأخير ، أم نافع مولى ابن عمر ؟ أم عكرمة مولى ابن عباس ؟ أم ابن
سيرين والحسن البصري وأمثالهم ممن لا تقل عريبتهم عن قرنائهم من العرب ؟ فهذا
نافع مولى ابن عمر كان فرس رهان مع سالم وبلال وغيرهما من أبناء عبد الله بن عمر .
وهذا عكرمة مولى ابن عباس وناشر علم مولاه أكثر من أبناء ابن عباس أنفسهم
العرب الهاشميين

والبخاري الإمام الجليل لم يسلم من لز أبي رية بأنه يروى بالمعنى ، فيكون على رأيه
عرضة للحن والخطأ والتقديم والتأخير عند أبي رية لأنه أعجمي ولا يقدر أن يقيم اللفظ
النبوي بزعمه ، وأين البخاري من الصحابة الذين رماهم أبو رية بأنهم عجزوا عن أداء
اللفظ النبوي على وجه فرووه بالمعنى المعرض للحن والخطأ والحذف والاختصار ؟

وإذا كان هذا رأى أبي رية في خير القرون بشهادة النبي ﷺ فمن الناس من يذهب
عنده ؟ سبحانه هذا بهتان عظيم في سلف خير أمة أخرجت للناس ، وضياح ما تسكفل
الله بحفظه من دينه وكتابه وبيانه الذي أرسل به رسوله

ماذا يقول أبو رية في قوله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾
فهل ضاع هذا البيان وعصفت به العجمة والاحن والخطأ ورواية المعنى ؟ ويقول الله سبحانه
﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا وبعلمكم الكتاب والحكمة ﴾ فأتين الحكمة
للمطوفة على الكتاب ؟ هل نسقتها رواية المعنى والعجمة والاحن والخطأ التي ساطها أبو
رية للشك في الحديث النبوي ؟

جمع القرآن وتدوينه

ذكر أبو رية جمع القرآن وتدوينه (في ص ١٠) حتى جاء متواترا ، ثم قال : ولو
أن الحديث قد دون في عصر النبي كما دون القرآن ، واتخذ له من وسائل التحرى والمدة
ما اتخذ لقرآن جاء كله متواترا كذلك ولما اختلف المسلمون فيه هذا الاختلاف الشديد
الذي لم يستطع أحد - على مر العصور - تلافيه

ثم ذكر أن تدوين الحديث لم يقع إلا في القرن الثاني بعد وفاة النبي ﷺ بأكثر
من مائة سنة . قال : ولم يكن ذلك بدافع من الرواة وإنما كان بوازع من الولاة ، وأنه
قد بدأ أول ما بدأ غير كامل ، ثم تقلب في أطوار مختلفة ، حتى خرج في صورته الأخيرة
حوالى منتصف القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى

ثم قال (في ص ١١) : فالتكلمون وعلماء الأصول لما كان الخبر عندهم ينقسم الى
متواتر وآحاد . . . قال : والآحاد لا يعطى إلا الظن ، والظن لا يفي من الحق شيئا
ورأوا - يعنى المتكلمين والأصوليين - أن ما يأتى من طريق الآحاد الذى هو ظنى الدلالة
ولا يجوز البناء فى المقائد على الظن ، فقد ردوا كل حديث لا يتفق مع ما ذهبوا اليه
من أصول ، وما وضعوه من قواعد . وما اتفق عليه جميع النظار أن أحاديث الآحاد

لا يؤخذ بها في العقائد مهما قوت أسانيدها وتعددت طرقها

ويقال لهذا التهجيم على الحديث بهذه المهجمات الجاهلة :

إن نواتر القرآن لفظه ومعناه حتى حركات ألفاظه وإعجازه للانس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أمر اختص به القرآن دون سائر الوحي الإلهي من التوراة والانجيل والزبور والحديث النبوي ، ليجعله الله حجة على خلقه الى يوم القيامة

أما الوحي الآخر من الكتب السماوية السابقة والحديث النبوي فقد راعت فيها الحكمة الربانية النازل عن الجلال الالهي والإعجاز الذي اختص به القرآن الى مدارك البشر مختلفي المراتب في الفهم والإدراك ، فالعيب على الحديث النبوي والتشكيك فيه - بأنه لم يتواتر أو روى بعضه بالمعنى - جهل بالحكمة الربانية في تنوع وحيه حسب حاجة الناس اليه ، فمرة بالتواتر والإعجاز الإلهي ومرة بالنزول الى أفهام الناس على اختلاف طبقاتهم في الفهم ، فلو كان الحديث في درجة القرآن تواترا وإعجازا وعلوا لما انتفع به إلا القليل الأقل من الناس ، ولاحتاج الى بيان آخر أنزل منه حتى يخالف عقول الأسود والأحر والأبيض من الناس

وذهب أبو رية وراء المتكلمين والأصوليين الى أن الأحاديث آحاد لا تفيد إلا الظن وإن الظن لا يبنى من الحق شيئا ، وأن المتكلمين يردون من الأحاديث ما يخالف الذي ذهبوا اليه من الأصول والقواعد

ونسأله : من هم المتكلمون بأن الأحاديث لا تفيد إلا الظن الذي لا يبنى من الحق شيئا ، والذين يردون الأحاديث المخالفة لأصولهم وقواعدهم ؟ أم الجهمية والخوارج والمعتزلة الذين وضعوا لأنفسهم أهواءا وبدعوا سموها أصولا وقواعد ردوا بها الأحاديث الصحيحة وحرفوا القرآن لأجلها ؟

خذ مثلا حديث جرير بن عبد الله البجلي مرفوعا « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون البدر ليس دونه سحاب لا تضامون - أو لا تضارون - في رؤيته »

رده الجهمية والموارج والمعتزلة بأهوائهم وبدعهم التي سموها أصولا عقلية وقواعد منطقية بزعمهم أنه يقتضى التشبيه والتجسيم والجهة والمواجهة

ولما أيد السلف هذا الحديث بقول الله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة ﴾ حرقوا الآية بتأويل أنها منتظرة نواب ربها !

مثل آخر : حديث أبي هريرة وغيره مرفوعا « ينزل الله الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من داع فاستجب له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ حتى يطلع الفجر » رواه أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد

ورده الجهمية والمعتزلة وأمثالهم بشبهات جهمية سموها أصولا عقلية بأنه يستلزم الحركة والانتقال وهما من صفات الاجسام

فاذا أورد عليهم من القرآن قوله تعالى ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر ﴾ ، وقوله ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أو تأتيهم الملائكة أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ الخ حرفوها بما يوافق أهواءهم وبدعهم التي وصفوا الله فيها بأوصاف المدوم والمستحيل وأنه لا فوق العالم ولا داخله ولا ولا ولا التي لا تنطبق الا على المدم والمستحيل

نعم يقال لأبي رية : من هم المتكلمون الذين ردوا الأحاديث الخالفة لأصولهم وقواعدهم ؟ أم الصحابة وخيار التابعين وأجله الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة والثوري وابن عينة وابن المبارك وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وأمثالهم من أئمة الهدى وشموس الهداية ؟ وأنزل قليلا الى من بعدهم : فهل ردّها أبو الحسن الاشعري في كتابه الإبانة في أصول الديانة وهو آخر كتبه ، والاشعري علم شهير من أعلام علماء الكلام ويقتدى به ويعظمه جماعة الاشاعرة . وخذ من مشاهيرهم القاضي أبا بكر الباقلاني ، فهل ردّ هذه الأحاديث في كتابه التمهيد وقد طبع حديثا كاملا ؟

يا أبا رية ، إن المتكلمين الذين ردوا الحديث الصحيح الخالف لقواعدهم وأصولهم م — ٢ * ظلمات أبي رية

بزعم أنه حديث آحاد وظنى هم الجهمية والمعتزلة والذين قال قائلهم فى خاتمة مظانه :

لمرى لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك العالم
فلم أرى إلا واضعا كف حائر على ذقن أو قارعا سن نادم

وقال الآخر : لقد تأملت الطرق الكلامية فلم أرها نشقى غليلا ، أو زوى غليلا .
ورأيت أحسن الطرق طريق القرآن ، اقرأ فى الإنبات ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾
وأقرأ فى التنزيه ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ ، ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ ، ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾
وأما الأصول التى يرد أهلها الحديث الصحيح بدعى أنه حديث آحاد وظنى فهى
مثل محصل الرازى الذى قال فيه شيخ الاسلام ابن تيمية :

محصل فى أصول الدين حاصله من بعد تحصيله علم بلا دين
وقال فيه « كأنما هو من وحى الشياطين »

أما أمثال الرسالة للامام الشافعى والمواقفات للامام الشاطبى ونحوهما فلا ترد الحديث
الصحيح فضلا عما جرى عليه خيار السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ياحسان إلى يوم القيامة ، فالحديث الصحيح حجة عندهم فى الأصول والفروع على حد
سواء فى الإيمان والعقائد والأعمال الصالحة

ولم توجد التفرقة بين الأصول والفروع فى الاحتجاج بالحديث الصحيح بدعى
أنه حديث آحاد وظنى إلا عندما نبت فى المسلمين أهل البدع والأهواء والكلام المبتدع
الذى قال الشافعى فى أهله « رأى فى أهل الكلام أن يضربوا بالحديد والنعال ويطاف
بهم فى الأسواق ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة إلى البدع ، واتخذ غير
سبيل المؤمنين »

ان الاحتجاج بالحديث الصحيح وتصديق رواية العدل الثقة أنبته الكتاب
الكريم والسنة النبوية المتواترة وافقت عليه فطر الخلائق وعقولهم فى كل زمان ومكان
فقد قال الله تعالى ﴿ وأشهدوا شاهدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل

واسرائيلان ممن ترضون من الشهداء أن تفضل إحداها فتذكر إحداها الاخرى ﴿ قبل شهادة رجلين مرضيين من الشهداء أو رجل واسرائيلين ولم يردّ شهادتهم بدعوى أنها شهادة آحاد ظنية ولا بد من التواتر

وقال تعالى في شهادة الرجمة والطلاق ﴿ وأشهدوا ذرى عدل منكم ﴾ ولم يقل شهادة تواتر - وقال تعالى ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ أو ﴿ فتبينوا ﴾ فأمر بالتبين والتثبت في خبر الفاسق فيفيد قبول خبر العدل الرضى بلا شرط تواتر

وفي السنة النبوية الكثير الطيب من قبول خبر العدل الثقة ، فهذه كتب رسول الله ﷺ الى الملوك في سائر الاقطار ، الى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وأمرأ نجد وقطر وغيرها ، ما كان يقوم بها إلا أفراد من الرسل . ولم يقل لهم أحد من الملوك : أتم آحاد لا يستفاد من خبركم اليقين

هاجم أهل قباء في العصر النبوي أنائم آت وهم يصلون الى بيت المقدس فقال : أشهد لقد صليت مع رسول الله ﷺ الى السكعبة ، فتحولوا وهم ركوع من التوجه الى بيت المقدس الى التوجه الى السكعبة المشرفة ، ولم يقولوا لهذا الآتي إن خبرك خبر آحاد لا يفيد اليقين ، وإنما يفيد الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً

انقد كذب وأخطأ خطأ فاحشاً من قال : إن خبر الآحاد لا يفيد إلا الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً . نخبر الآحاد قد يقترن به من الفران ما يجعله كالشمس الطالعة صدقاً وبقينا

إذا سمعت طارقاً يبأبك وجامك الخادم يقول : إن الامير أو رسوله بالباب يريد مقابلتك ، وكان النائر بادياً في كلامه وعلى وجهه ، أليس من الحجة أن تقول له : إن خبرك خبر آحاد وهو لا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يغني عن الحق شيئاً ؟

إن معاملات الناس في دينهم ودنياهم ومعابشهم قائمة كلها على قبول خبر العدل الرضا ، فهذا المؤذن يقبل الناس دلالة أذانه على دخول الوقت ، فيصلون ويمسكون

ويفترون بأذانه إذا كان معروفاً عندهم بالعدالة والرضا ، ولا يقولون له : إن نداءك نداء
آحاد لا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يفنى من الحق شيئاً

يجب خدمتك فيقول : إن ثمن الشئ أو السكر أو اللحم أو الخضر قد زاد عما أخذت
له من تقود وأحتاج الى زيادة قدرها كذا وكذا ، وهو عدل رضا عندك ، فهل تعطيه
ما أخبرك به أم تقول له : إن خبرك خبر آحاد ولا يفيد اليقين ، وإنما هو ظن لا يفنى من
الحق شيئاً ؟

إن أمارات الصدق وسمات الصادقين وعلامات الكذب والكاذبين أمرٌ بين في
فطر الناس وعقولهم وتميزهم ، وهو سبيل الانتفاع بصدق الصادقين وتجنب الكذب
والكاذبين

وهؤلاء أنبياء الله ورسله في أدوار بشهم ، وبجانهم للتبشرون والكهنة والسحرة ،
والناس تميز سبيل الأنبياء والصادقين والرسل والناصحين ، وتحذر طرق الكذبة من
التبشير والكهان والسحرة ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ﴾ ، ﴿ قال موسى
ما جئتم به السحر إن الله سيطلع به السحرة ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ ، ﴿ ولا يفلح الساحر
حيث أتى ﴾ ، ﴿ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن
ذكرى فإن له معيشة ضنكا . ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد
كنت فى الدنيا بصيراً ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك
نجزي من أمرف ولم يؤمن بآياتنا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ﴾

وقوله (آخر ص ١٠) : « إن تدوين الحديث لم يكن بدافع من الرواة ، وإنما كان
بوازع من الولاة » فأى عيب على الحديث فى ذلك ؟ وأبورية بنى بالولاة أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز ، وهو نفسه كان من كبار العلماء والرواة ، ولحديثه مسند مطبوع فى
الهند ، ولو تفرغ لذلك لكان هو المباشر لتدوين الحديث قبل الذين تدبهم لهذا
الخير العظيم

والقرآن نفسه جمع في صحف بمشورة من زيد بن ثابت على أبي بكر لما استعرج القتل بالقرآن في قتال أهل الردة بالجماعة ، وكتبت مصاحف الأمصار في خلافة عثمان عندما اختلف الناس في غزوة أذربيجان وصار كل واحد يصصح قراءته التي تلقاها عن بعض الصحابة ويتكرر قراءة الآخرين ، فذهب بعضهم إلى عثمان رضي الله عنه فقال له : أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا في كتاب ربهم كما اختلف من قبلهم ، فكتب مصاحف الأمصار على العرصة الأخيرة ، وأمر بحرق سواها . فإذا أشار عمر بن عبد العزيز رحمه الله - وهو الملحق بالخلفاء الراشدين علما ودينا وورعا ونصحا للأمة - على قاضي المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بتدوين ما بلغه من أحاديث النبي ﷺ فامتثل ، فأى عيب يلحق الحديث أو رجال السلف من ذلك ؟ وهل يرى أبو رية في عمل عثمان بالمصاحف ما يؤاخذ به كما يحاول أن يؤاخذ عمر بن عبد العزيز على عمله في تدوين السنة ؟

وقوله (في ص ١٢) : وان هؤلاء الأئمة الكبار قد كانوا لقربهم من الصحابة وكبار التابعين أوسع علما وأعمق فقها من أصحاب كتب السنة الذين لم تشتهر كتبهم إلا بعد انقضاء القرون الأولى التي هي خير القرون بنص الحديث

ويقال له : هؤلاء الأئمة الكبار ألم يكونوا من أئمة الحديث ؟ أليس مالك والشافعي وأحمد والثوري وابن عينة وابن المبارك وأضرابهم أئمة في الحديث كما هم أئمة في الفقه ؟ أليست أحاديثهم هي المروية في كتب السنة الشهيرة التي عابها أبو رية بأنها لم تشتهر إلا بعد القرون الفاضلة ، مع أن ما فيها من أحاديث هي بعينها أحاديث خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم : لم يحتجها أصحاب هذه الكتب ، وإنما تلقوها عن الطبقة التي قبلهم ، ودونوها بعد الجهد المشكور في الرحلة والرواية . وتتميز الرواة بصدقهم من كاذبهم

فهذه لهم ولمزه بأن كتبهم لم تشتهر إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة كذب وظلم وهتان ، فليس في كتبهم إلا رواية خير القرون

وقد أعجب أبو رية بكتابه - إعجاب بعض الطائر بابه - إذ قال (ص ١٣) : ولما كان هذا البحث لم يُعْنَ به أحد ، وكانت دراسته واجبة قبل النظر في كتب الحديث والتفسير والتاريخ والفقه والأصول والنحو وكل ما يتصل بالدين الاسلامي ، وكان يجب أن يفرّد بالتأليف منذ ألف سنة عندما ظهرت كتب الحديث المعروفة . . . حتى توضع هذه الكتب في مكانها الصحيح من الدين ، ويعرف الناس حقيقة ما روى فيها من أحاديث ليكونوا منها في أمرهم على يقين ، من أجل ذلك رأيت من الخير أن أسوّى منه كتاباً مهوَّبا جامعا أذيعه في الناس حتى يكونوا على بينة من الحديث النبوي يدرسونه على نور العلم ويفهمونه بمنطق العقل

ثم قال (ص ١٤) : وأرجو . وقد حسرت النقباب عن وجه الحق في أمر الحديث الحمدي - الذي جعله الأصل الثاني من الأدلة الشرعية بعد السنة العملية ، واتخذوا منه أسانيد لتأييد الفرق الاسلامية ودلائل على الخرافات والأوهام ، وقالوا بزعمهم إنها دينية - وكشفت القناع عما خفي على الناس من أمره ، وعرضت صورة صادقة من تاريخه ، أرجو أن أكون قد وقتت الى اصابة الغرض الأول - الدفاع عن السنة القولية وحياتها مما يشوبها

الى أن قال (ص ١٥) : وإذا كان هذا الكتاب سيقير ولا ريب آراء كثير من المسلمين فيما ورثوه من عقائد وما درسوه من أحكام ، فانه سيقفهم إن شاء الله على حقائق كثيرة تزيدهم تبصرة وعلماً بدينهم ، ويحل لهم مشاكل متعددة مما تضيق به صدورهم ، ويدفع عنهم شبهات مما يتكى عليها المخالفون والصادون عن دينهم ، وبذلك يستقيم النظر إلى معرفة أصول الدين ، ويعتدل الرأي في أغراضه من المسلمين وغير المسلمين ، وذكر (ص ١٥) أنه يتوجه بعمله هذا - بعد الله - إلى الملتزمين من المسلمين خاصة ، وإلى المهتمين بالدراسات الدينية عامة ، لأنهم الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره

أقول : سأصبر على هذا الضرر والتهويل ، حتى أرى نور العلم ومنطق العقل الذى
سيفدمه أوبرية فى كتابه الذى عجز المسلمون من ألف سنة مضت عن الإتيان بمثله ! والذى
سيقلب العقائد والآراء والأفكار - كما زعم - رأساً على عقب ، والذى توجه به إلى الله
والى المثقفين من المسلمين وغير المسلمين الذين يعرفون قيمته ويدركون قدره .

سأصبر على هذا كله ، وأيس الخبر كالعيان ، وعند الامتحان يكرم المرء أو يهان
ولو أنه قد تيسر له ما كتبه المسلمون فى خدمة الدين والحديث من كتب الجرح
والتعديل ومن كتب علل الحديث وشواذه وبيان المنكر من السليم لما ادعى أن كتابه
لم يكتب مثله من ألف سنة مضت ! وظنى أنه نظر فى شئ من كتب الحديث نظر العوام
الذين لا يفقهون منه إلا أمانى ، فساءت نظرته الى ما نظر منه

النهي عن كتابة الحديث

نهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه - حمل الصحابة بذلك

قال (ص ٢٣) : « كان رسول الله صلوات الله عليه - كما قلنا - مبينا ومفسرا للقرآن بفعله وقوله ، ولكن أقواله في هذا البيان أو في غيره لم تحفظ بالتدوين كما حفظ القرآن »

هذا البيان لكتاب الله والتفسير له من فعل النبي ﷺ وقوله قد حفظت أحاديثه عن النبي ﷺ كما حفظ القرآن ، ولا يضيرها أنها لم تدون في زمنه ﷺ شأن سائر العلوم - الفقه والأصول والنحو والصرف والبلاغة ومفردات اللغة - ويظهر أن أبارية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، فأخذ من عدم التدوين النهي عن كتابة الحديث

وكتابة الحديث وجوازها بل واستحبها والترغيب فيها دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وخيارها إلى يوم القيامة

فن الكتاب قوله تعالى ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقال ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فبين للناس بيانه للذي يبقى لم ما بقي الكتاب الذي تمهد الله بحفظه . وقال لنساء نبيه ﷺ ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فأيات الله كتابه ، والحكمة بيان النبي ﷺ للكتاب بأقواله وأفعاله ، فهل بين النبي ﷺ كتابه بالحكمة التي بعث بهامع الكتاب لتحفظ وتبقى ما بقي الكتاب حفظا وكتابة ؟ أم بينها ونهى عنها لتنسى وتترك ويستبدل بها الناس أهواءهم وبدعهم وما يشتهون ؟

وسنة النبي ﷺ للتواترة من الكتابة للملوك : قيصر وكسرى والنجاشي والقوقس وأمرهم نجد وقطر وغيرهم ، فكتب إليهم رسائلهم من الكتاب والحكمة ، فهل كتب هؤلاء ونهى عن كتابة حديثه لمن يأتي بعده إلى يوم القيامة ؟ لماذا ينهى عن ذلك ؟

أليس هو مبعوثا لهم كما هو مبعوث الى من كتب لهم ؟ أم يريد لهم أن لا يعرفوا هديته وحكمته ويستعصوا عنها بأهوائهم وبدعهم ومحدثاتهم ؟

وفي حديث حجة الوداع بمرقات الذى حضره ما ينيف على مائة ألف حينما سأله عليه السلام : هل بلغت ؟ قالوا نعم ، قال : اللهم اشهد . ورفع اصبعه إلى السماء وحطها اليهم ليبلغ الشاهد الغائب . أليس التبليغ يكون باللفظ وبالكتابة ، أم يباح لفظا ويحظر كتابة ؟ وفي الحديث « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » يحظر هذا التبليغ بالكتابة ، أم يؤمر به بما يستطیع السامع المبلغ لفظا وكتابة ؟

وحديث أبى شاه اليماني لما طلب من النبي عليه السلام كتابة خطبته يوم فتح مكة فقال « اكتبوا لأبى شاه » أكان خاصا بأبى شاه ومن أمرهم بالكتابة فلا يجوز لتبرهم أن يكتبوا أو يكتب له ؟ !

ثم عمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من خيار الأمة إلى يوم القيامة في كتابة حديث رسول الله عليه السلام أكان هدى أو ضلالة حتى يأتى أبورية وأمثاله في القرن الرابع عشر بيدغة النهى عن كتابة الحديث النبوى بشواذ ظنوها أدلة على ذلك ، وما هم إلا شبهات لا تحدش وجه الكتاب والسنة والإجماع والعمل للتوارث من خير القرون إلى يوم القيامة وسبيل المؤمنين وصراطه المستقيم

شبهات من ظن النهى عن كتابة الحديث

(١) حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً « لا تكتبوا عني شيئا سوى القرآن ، فمن كتب عني غير القرآن فليمحاه » رواه مسلم وأحمد والدارى والترمذى والنسائى عنه فيقال (أولا) لمن احتج به : كيف تحتج بحديث نهى النبي عليه السلام عن كتابته وأمر بمحوه ؟ فالحديث النهى عن كتابته الأمور بمحوه كيف يكون حجة ودليلا ؟ ألا يقال فيه

ما قيل في حجج التكلمين قديما :

حجج كالزجاج تهافتن فكلهن كاسر مكسور

والحديث له وجه صحيح سنذكره قريبا إن شاء الله تعالى

(ثانيا) الذين رووه أحمد ومسلم والدارمي والترمذي والنسائي لماذا كتبوه هو وغيره؟ هل هم لم يفهموه ، أم فهموه وخالفوه فينطبق عليهم قوله تعالى ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وحاشاكم من ذلك : من عدم فهمه ، أو من مخالفته

(ثالثا) الإجماع منعقد على جواز كتابة حديث النبي ﷺ من عهد خير القرون إلى يوم القيامة ، فإي مخالفته إما غير صحيح ، أو منسوخ ، أو معارض بما هو أقوى منه ، والعمل للأقوى

الحديث صحيح ، ووجهه - كما قال العلماء - خوفه ﷺ في بداية الأمر أن يختلط القرآن بغيره ، إلى أن يترنوا بأسلوب القرآن ويتبرسوا ببلاغته وتوجد لهم ملكة تميز نظم القرآن وإعجازه من نظم كلام البشر ، وهي حكمة صحيحة ووجه مقول ، يدركها من نظر في أسباب ورود القراءات الشاذة وتدوين ما سمع من الصحابة على وجه التفسير على أنه قرآن قرؤه على هذا الوجه كما قرؤا القرآن للتواتر ، وفيه كتبت كتب الشواذ من القراءات كالأربع فوق العشر والقراءات الشاذة لابن خالوية ، ولقد أحسن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الراشدين حينما كتب للمصاحف الأئمة وبعث بها إلى الأمصار : الكوفة والبصرة والشام وأمر بحرق ما عداها ، ومع هذا بقيت شواذ القراءات في روايات الناس وفي كتب الشواذ والتفاسير

وقوله (ص ٢٧) : إنه سبب لا يقتنع به عاقل عالم ولا يقبله محقق دارس اللهم إذا جملنا الأحاديث من جنس القرآن في البلاغة وأن أسلوبها في الإعجاز من أسلوبه الخ

ونقول له : هو سبب معقول عقله الأئمة والعلماء ، ولا يضيرنا أنك لا تعقله ،
وليس كل الناس يعقل إعجاز القرآن ويفرق بين بلاغته وبلاغة سائر الكلام ، والناس
طبقات في الدارك ، وفيهم الأعجمي والمولد ومن فسدت لغتهم بالاختلاط بالأعاجم
رأت امرأة زوجها من الصحابة خارجاً من عند أمته المملوكة له ، فظنت أنه واقعها ،
فأنكر ذلك ، فقالت لا أصدق حتى تقرأ قرآناً إن كنت لست جنباً منها ، فقال :

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرين
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمين

فقالت : صدق الله وآمنت بأنك لم تمس الجارية . وأمثال هذه المرأة التي لم تفرق
بين الشعر والقرآن كثير وكثير جداً

هؤلاء الذين رووا عن ابن عباس قول الله ﷻ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من
ربكم في موسم الحج ، فرووا قوله « في موسم الحج » على أنه قراءة لابن عباس ،
وظاهر أنها تفسير منه فهؤلاء لم يكونوا مفرقين بين القرآن المعجز للتواتر وبين ما قاله ابن
عباس على وجه التفسير فرووه على أنه قراءة له . والذين سمعوا من ابن مسعود ﷻ وأمراته
قائمة ﷻ وهو قاعد ، فرووها عنه قراءة له . والذين سمعوا منه أو من غيره ﷻ فن لم يجد
فصيام ثلاثة أيام ﷻ متواليات ، فرووها قراءة . والذين سمعوا من حفصة وغيرها ﷻ حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى ﷻ وصلاة العصر ، فرووها قراءة . هذا وأمثاله كثير
في كتب القراءات الشاذة والتفسير وغيرها لم تمنع بلاغة القرآن وإعجازه أمثال هؤلاء أن
يغلطوا فيما سمعوا من الصحابة على وجه التفسير أن يرووه قراءة ، ولولا مصاحف عثمان
واتشار أئمة القراء ومشاهير الحفظة لاختلط على كثير من الناس بل على أكثرهم ما هل
تفسيراً وروى غلطاً أنه قراءة

فإذا خاف النبي ﷺ على هؤلاء وأمثالهم في بداية العهد أن يختلط عليهم القرآن بما

كتبوه من حديثه فنهام عن كتابة الحديث مؤثقا حتى يترسوا بأساليب القرآن ويتذوقوا بلاغته وإعجازه ألا يكون ذلك من نصحه ﷺ لأمته ؟

وقول أبي رية (ص ٢٥) إن أحاديث النهي عن كتابة الحديث أصح وأقوى ، جهالة منه وتهور ، فكيف يجعل ما انفرد به مسلم أصح وأقوى عما اتفق عليه في الصحيحين البخاري ومسلم وما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى

وقوله (ص ٢٥) : لنا أن نستدل على كون النهي هو للتأخر بأمرين : أحدهما استدلال من روى عنهم من الصحابة الامتناع عن الكتابة ومنعها بالنهي عنها وذلك بعد وفاة النبي ﷺ ، وثانيهما عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره ، ولو دونوه ونشروه لتواتر ما دونوه

والجواب عن الأول أن الأحاديث للنسوخة رواها رواةها وعملوا بها بعد النبي ﷺ حينما لم يعملوا بالنسخ ولم العذر في ذلك ، فهذا تطبيق ابن مسعود يديه بين ركبته وقت الركوع ، ووقوفه بين اثنين هو إمامها في الصلاة بلا تقدم عليها ، وعمله بذلك بعد وفاة النبي ﷺ لعدم علمه بنسخ ذلك ، ومتعة النساء - أى الزواج المؤقت - يقول بها ابن عباس بعد موت النبي ﷺ وقد أخبره ابن عمه علي بن أبي طالب رضى الله عنه بتحريم النبي ﷺ لها في غزوة خيبر ، وكذلك قوله بجعل الحر الانسية للأكل مع رواية غيره كعلي بن أبي طالب نهى النبي ﷺ عنها ، وتحريم كثير من أهل العلم من الصحابة وغيرهم للاتباع في آنية الجر والدياء ، ولزفت للنهي عن ذلك أولا ثم نسخ ذلك بقوله ﷺ « انتبذوا في كل شيء ولا تشربوا مسكرا » ، والامثلة في ذلك كثيرة جدا . فرواية بعض الصحابة لأحاديث النهي عن كتابة الحديث بعد وفاته ليس دليلا على عدم نسخها ، فالمنسوخات كلها رويت بعد وفاته لعدم علم رواةها بنسخها

وقوله « ثانيها عدم تدوين الصحابة الحديث ونشره الخ » دليل على أن أبا رية لا يفرق بين الكتابة والتدوين ، وإن بلغ به إعجابه بكتابه إلى حد الدعوى بأنه لم يؤلف

مثله من ألف سنة ، فالصحابة لم يدونوا الحديث ، ولا الفقه ، ولا الأصول ، ولا النحو ، ولا البلاغة ، ولا مفردات اللغة ، ولا التاريخ ، فهل يدل عدم تدوينهم لهذه العلوم الإسلامية على النهي من كتابتها ، وبالتالي تحريم تدوينها ؟!

الصحابة رضی الله عنهم من الأميين الذين بث فيهم رسول الله ليذكهم وبملهم الكتاب والحكمة ، وقد تحملوا دين الله عن رسوله ﷺ في الكتاب والسنة بقلوب واعية وحفظ عديم النظير ، حتى القرآن لو لم يبايعوه حفظاً لما حفظته كتابة بعضهم الخالية من النقط والشكل وألفات المد مثل ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فسوا ﴾ قرئت فتنبتوا بالياء من الثبات ، وقرئت فتبينوا بالياء من البيات ، ولولا الحفظ كيف كنا نميز قراءة ﴿ فازلها الشيطان ﴾ أى من الزلل ، من قراءة « فازلها » من الإزالة ، كيف تميز القراءتان من رسم (فازلها) ؟ وهكذا قراءة ﴿ إلا الله يقص الحق ﴾ من القصص وقراءتها « إلا الله يقضى الحق » من القضاء وقد رسمت « نص » وقراءة ﴿ وكأين من نبي قتل ﴾ قرئت « قتل » بالبناء للمجهول و « قاتل » بالبناء للفاعل

وهكذا حفظ الله القرآن والحديث النبوي بحفظ الصحابة لها لا بالكتابة ، والقرآن لو لم يكتب قط لكان تسلسل تلقيه وتلقيته من حفظ الحفاظ من العهد النبوي إلى الآن هو المظهر الأعلى لما تولاه الله من حفظه إلى يوم القيامة . وهذه ميزة امتازت بها شريعة الاسلام على جميع الشرائع ، ومن يحمل ذلك فهو أجمل الجهلاء

ولما زالت الأمية عن هذه الأمة المصومة عن الخطأ دونوا القرآن لفظه وقراءاته ، ودونوا الحديث والفقه الخ

فالشك في الحديث أنه لم يدونه الصحابة شك عدو في الدين وفي حفظ الله له حجة على خلقه إلى يوم القيامة : كتاب الله المجيد ، وسنة نبيه ﷺ وعمل السلف الصالح في خير القرون بذلك

بقية أدلة النهي عن كتابة الحديث

(٢) قصة عائشة (ص ٢٣) في جمع أبي بكر لخمسة عشر حديث ثم حرقها الخ رواها الحاكم وجمع الجوامع للسيوطي وتفيد العلم للخطيب البغدادي وتذكرة الحفاظ للذهبي

والجواب : عجبا لمحقق القرن الرابع عشر أن يتشكك في أحاديث الصحيحين والسنن والسند لأنها دونت على خلاف نهي النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، ويخرق إجماع الأمة على قبولها ، ثم يجيء إلى أثر يرويه الحاكم والخطيب البغدادي والسيوطي في جمع جوامعه وهي علوة بالموضوعات والضعاف والمناكير . حسبك أن الحاكم قال فيه الذهبي : إن ربع مستدركه موضوعات ومكذوبات ، وربعه صحيح على شرطيهما ، وربعه صحيح ليس على شرطيهما ، وربعه حسن أو ضعيف . وقد ألف الذهبي المستدرک على المستدرک ناقض فيه الحاكم في الكثير الأكثر مما زعم صحته ، ولذلك دأب العلماء بعد الذهبي على تصحيح أغلاط الحاكم وأوهامه بما قاله الذهبي على مستدركه . وأما السيوطي فلم يتميذ بالصحيح في كتبه ، فهو حاطب ليل جمع الأفاعي والحطب ، على أنه حطب قد ينفع

ثم هؤلاء الذين رَووا هذا الأثر الصديق كيف ساغ لهم خلافه فكتبوا الكتب الطوال والقصار والبساط والمختصرات في علم الحديث ، خصوصا الخطيب البغدادي والسيوطي . فلو صح عندهم هذا الأثر ما ساغ لهم مخالفته

وهذا محققنا أبو ربة كيف ساغ له الاستدلال بشيء وضع كتابه للتشكيك فيه وصحح نهى النبي ﷺ وعمل أصحابه بنهيه عن كتابته في أنؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة تردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون في الآية في وعيد اليهود ، ولكن من عمل بمثل عمل اليهود عما ناه الله عليهم فله نصيب من وعيدهم

وقد قال سفيان بن عيينة أو الثوري : من فسد من علمائنا فقيه شبه من اليهود ، ومن

فسد من عباً ناقية شبه من النصارى

ثم أليس في قصة أبي بكر - إن صحت - احترام الحديث والعمل به ؟ فقد حرق ما جمع منه خوفاً من أن يكون وثق بغير ثقة ، إذن فالثقة هو موضع القبول بخلاف غير الثقة . ألم تقل القصة عنه إنه حرق ما جمع حتى لا يشك الناس فيما لم يجمع مما لم يبلغه ؟ فقد احترق ما لم يجمع مما لم يبلغه لحرق ما جمع حفظاً لما لم يجمع ، فهو قد احترق الحديث ما جمع منه وما لم يجمع ، وعلم أن دين الله محفوظ في الصدور ، وستدونه الأمة متى تيسر لها التدوين . فأبو بكر لم يقل أحرقت ما جمعت لأنه لا فائدة فيه ، ولا لأن النبي ﷺ قد نهى عن كتابته ، ولكنه أحرق ما جمع - إن صحت الرواية بذلك - لأنه خاف من إغراض الناس عما لم يجمع بسبب ما جمع ، وخاف من دخیل فيما جمع ، فهو على كل حال يحترم حديث رسول الله ويرى لزومه للدين ، ما جمع منه وما لم يجمع

وليس يرى ما يراه محقق القرن الرابع عشر أبو ربة في ظلماته أن الحديث ليس من الدين ولا حاجة للدين به وأنه منهي عن كتابته الخ

(٣) قصة عمر (ص ٢٤) التي رواها ابن عبد البر والبيهقي في المدخل عن عروة - يعني ابن الزبير - أن عمر أراد أن يكتب السنن ، فاستفتى أصحاب رسول الله أو استشارهم فأشاروا عليه أن يكتبها ، فطلق يستخير الله شهراً ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت أريد أن أكتب السنن ، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكتبوا عليها وتركوها كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبداً ، أو لا ألبس كتاب الله بشئ أبداً . وعن يحيى بن جعدة أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة ثم بدا له أن لا يكتبها ، ثم كتب إلى الأمصار : من كان عنده شيء فليجمعه . ١٥

والجواب أن هذه القصة لو كانت صحيحة لما ساغ لراويها ابن عبد البر والبيهقي وهما من علماء الحديث ومن دَوَّن فيه الدواوين النافعة الممتعة كالتهيد شرح الموطأ لابن عبد البر والاستيعاب في أسماء الأصحاب له والعلم وفضله له كالسنن الكبرى للحافظ البيهقي ومعرفة

للسنن له والمدخل إليها

بَلَّةُ سَائِرِ أُمَّةِ الْحَدِيثِ مِنْ عَهْدِ مَالِكٍ فِي مَوْطِئِهِ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ تَابِعِيِ التَّابِعِينَ فَمَنْ يَمْدُمُ إِلَى زَمَنِ ابْنِ حَزْمٍ وَابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَقِيلِهِمُ الْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُمْ ، كُلُّ هَؤُلَاءِ كَتَبُوا الْحَدِيثَ وَدَوَّنُوهُ وَانْتَفَعُوا بِدَوَائِنِهِمْ خِيَارَ الْأُمَّةِ وَأَهْلَ السُّنَنِ وَالْجَمَاعَةِ ، عَدَا مَنْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ وَشَرَارِ أَهْلِ الْكَلَامِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ وَأَشْبَاهِهِمْ وَمَنْ غَرِقَ فِي أَهْوَائِهِمْ وَبَدْعِهِمْ وَمُخْدَنَاتِهِمْ

(ثَانِيًا) رَأَى الْقِصَّةَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ أَوْسَاطِ التَّابِعِينَ ، وَإِنِّي لَهُ فِي إِدْرَاكِ عَمْرٍ ، وَهُوَ لَمْ يَدْرِكِ الرَّوَايَةَ عَنْ أَبِيهِ الَّذِي بَعْدَ عَمْرِ بْنِ يَظْعَنَ عَشْرَةَ سَنَةً

وَيَحْيَى بْنُ جَعْدَةَ كَذَلِكَ لَمْ يَدْرِكْ عَمْرٌ

(ثَالِثًا) إِنْ صَحَّتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ عَنْ عَمْرِ كَانَتْ مِنْ اجْتِهَادَاتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي قَدْ نَخَّلَفَهُ فِيهَا مَعَ احْتِرَامِنَا لْجَلَالَةِ قَدْرِهِ وَسَابِقَتِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَعِزِّ الْإِسْلَامِ عَلَى يَدَيْهِ بَعْدَ إِسْلَامِهِ وَفِي خِلَافَتِهِ وَنَصَحَتِهِ لَصَحْبَةِ الرَّسُولِ وَوِزَارَتِهِ لِأَبِي بَكْرٍ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِ الْإِسْلَامِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ خَيْرَ قِيَامٍ ، وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ بِسُوءِ لَنَا أَنْ نَخَالَفَ بَعْضَ اجْتِهَادَاتِهِ إِلَى مَا هُوَ أَقْوَى مِنْهَا فِي السُّنَنِ الصَّحِيحَةِ أَوْ النَّصِّ الْمَصْرُوحِ ، مِنْ ذَلِكَ : (١) فِي مَرَضِ الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ طَلَبَ ﷺ كِتَابًا يَكْتُبُهُ لِأُمَّتِهِ لَا يَضِلُّونَ بَعْدَهُ ، فَقَالَ عَمْرٌ : حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ ، وَجُوزَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَثَرِ الْحَيِّ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : الرِّزْيَةُ كُلُّ الرِّزْيَةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابَةِ الْكِتَابِ . وَنَحْنُ نُوَافِقُ عَمْرًا أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالْكَفَايَةُ ، وَلَيْسَ فِي تَرْكِ الْكِتَابِ رِزْيَةٌ وَلَا كُلُّ الرِّزْيَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَإِنَّمَا قَاتَ مِنْ ذَلِكَ وَصِيَّةُ كَانَ ﷺ يَرِيدُ تَأْكِيدَهَا ، فَلَمْ يَضَعْ بِتَرْكِ كِتَابَتِهِ ﷺ الْكِتَابَ شَيْءًا مِنَ الدِّينِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَأْنِي تَأْكِيدًا لِمَا سَبَقَ لَهُ بَيَانُهُ وَتَأْكِيدًا . (٢) نَهَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ لِمُعْتَمِدِ الْحِجَجِ وَقِرَانِهِ بِالْعِمْرَةِ اجْتِهَادًا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا كَثَارَ زَوَارِ بَيْتِ اللَّهِ بِحِجَجٍ مَفْرُودَةٍ وَعِمْرَةٍ مَفْرُودَةٍ بِسَفَرٍ آخَرَ ، وَقَدْ صَحَّتْ السُّنَةُ الصَّحِيحَةُ الْمَصْرُوحَةُ مَعَ نَصِّ الْقُرْآنِ

بمشروعية التمتع والقرآن ، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ في حجة الوداع منهم المتمتع ومنهم القارن ومنهم المفرد ، كل هذا بعلمه وإقراره ، بل أوجب على من لم يسق الهدى أن يفسخ الحج إلى العمرة . وقال عمران بن حصين : تمتعنا مع رسول الله ﷺ وجاء القرآن بالتمتع ولم يجيء بنسخ لذلك ، فقال رجل برأيه ما شاء ، يعني عمر أو معاوية ، وانفقد الاجماع بعد عمر ومعاوية بمشروعية التمتع والقرآن وخالفوا عمر لاتباع النص من القرآن والسنة الصريحة وعذروا عمر في اجتهاده ، وعرفوا أن فضله الكثير يغمر هذه الاجتهادات ويغطيها ، مع خلافهم لكثير من اجتهاده متى صح النص بخلاف اجتهاده ، ولستنا في حاجة إلى تعديد ما خالف اجتهاده لنص من النصوص واتباع الناس للنص وخلافهم لاجتهاده مع الاحترام له والتبجيل

(رابعا) نحن نوافق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه - ان صحت عنه هذه النعمة - في أن نعرض عما يشغل عن كتاب الله ، فضلا عما يستبدل بكتاب الله ويستعاض به عن كتاب الله

أما ما بين كتاب الله ويبحث عليه ويفسره فهو الركن الثاني من دين الاسلام ، وفي الحديث « تركت فيكم ما إن تمسكتم به بعدى لن تضلوا : كتاب الله ، وسنتي » (٤) قصة القاسم بن محمد (ص ٢٤) ومنعه عبد الله بن العلاء أن يكتب عنه حديثا ، وقول القاسم : إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها ، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ، مشاة كشاة أهل الكتاب اه ، رواها ابن سعد

والجواب كما تقدم أنها لو صحت لما خالفها الناس جميعا من عهد عمر إلى يوم القيامة ، وكيف جاز لرواها ابن سعد أن يخالفها ، وقد كتب طبقاته في عدة مجلدات ، وكان يقرأها الامام أحمد كرامة كرامة . ومن قبله كان سائر الناس من الصحابة والتابعين وتابعهم يروونها إلى يوم القيامة

وأيضا للقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق أن يدرك عمر بن الخطاب ، وقد كان

طفلاً صغيراً في خلافة علي بن أبي طالب حينما حرق للصريون أباه لانهامه بقتل عثمان مع قاتليه ، فضمت عائشة القاسم الى كفالتها حينئذ ، ولعله لم يكن وُلد ولا كان موجوداً أيام عمر

والمعجب من محقق القرن الرابع عشر الذي زعم أنه وضع كتابه الذي لم يوضع مثله وكان يجب أن يوضع من ألف سنة ، المعجب منه أن يشكك في صحيح الأحاديث وعمل خير القرون فمن بعدهم ممن اتقوا آثارهم بهذه المنقطعات والليثات المنكرة الشاذة التي هي كالدسم ، ولحم الخنزير ، وللخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وأكلة السبع ، بجانب الكثير الطيب من مؤلفات أئمة الاسلام في المساند والصحاح والسنن

(٥) وذكر (في ص ٢٤) قصة دخول زيد بن ثابت على معاوية وقول زيد : إن رسول الله أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه ، فمعاوية ما كتبه عن زيد بن ثابت

ذكر أبو رية هذه القصة بلا زمام ولا خطام ، بل سييها كالسوايب التي سييها المشركون لأصنامهم ، فبالله عليك هل يبطل عمل خيار الناس من الصحابة والتابعين وتلاميذهم باحسان إلى يوم القيامة بأمثال هذه السوايب التي لا زمام لها ولا خطام ؟ أما كان يجب على المستدل بشيء أن يذكر من رواه ومن صححه ومن احتج به ومن عمل به ؟

فاذا كان أبو رية لم يعز قصة زيد مع معاوية الى شيء من كتب الرواية ، ولو التي تروى الغرائب والمنكرات والشواذ ، فنحن في حل من الإعراض عنها وإطراحها ، وقد ذكرها ابن عبد البر ، وفي سندها طعن وانقطاع

(٦) وذكر (في ص ٢٤) خطبة علي - يعني ابن أبي طالب - وقوله : أعزم على كل من عنده كتاب إلا رجع فمجاه ، فأنما هلك الناس حيث تتبعوا أحاديث عثمانهم وتركوا كتاب ربهم . اهـ

ذكرها بلا زمام ولا خطام ، بحيرة من البحائر وسائبة من السوايب ، لم يعزها حتى ولو لرواة الأكاذيب والموضوعات ، فكيف نترك لأجلها - وهذا حالها - كتاب الله

بوسنة نبيه وعمل السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى يوم القيامة ؟ أمثل هذه الموقوفة تترك عمل مالك والثوري وابن عيينة ، ومن بعدهم الشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأصحاب السنن والصحاح والمساند وغيرها ؟

ورأى القصة عن علي - علي ما ذكره للشكك في السنة - هو جابر بن عبد الله بن يسار ، ولا يحضرني الآن من هو جابر بن عبد الله بن يسار هذا ، ولعل اسمه محرف عن جابر بن عبد الله بن جابر العقيلي روى عن بشر بن معاذ أنه صلى مع النبي ﷺ ، قال الحافظ الذهبي في الميزان : وهذا كذب ، وبشر لا وجود له فيما أحسب . ويحتمل أن يكون جابرا آخر وهو جابر الجعفي ذلك المؤلف المالك المزمع رجعة على وأنه فوق السحاب ، فان يكن هو الجعفي فلا غرابة فيمن يقبل في أبي هريرة طعن عبد الحسين النجفي الرافضي أن يقبل في هدم سنة رسول الله ﷺ رواية هذا المالك الساطع جابر الجعفي المزمع بالرجعة ، فلمل هذا العمل مما لم يهتد اليه المسلمون في ١٤ قرنا واهتدى اليه محققنا في القرن الرابع عشر . وإن يكن غير جابر بن عبد الله العقيلي وغير جابر الجعفي فنكرة من النكرات لا يؤبه له

(٧) قصة ابن مسعود (ص ٢٤) أنه أتى بصحيفة فيها حديث ، فدعا بناء فحياها ثم غسها ثم أسرها فأحرقت ثم قال : أذكر الله رجلا يعلم عند أحد إلا أعلمني به ، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها ، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم نذوا كتاب الله وراه ظهورهم كأنهم لا يعلمون

وهذه كسوابقها منلوتة بلا رباط ، لا تستحق مجهود الجري ورأيتها

ثم في لفظ القصة « صحيفة فيها حديث » ولم يذكر في القصة حديث من ؟ أهو حديث رسول الله ﷺ فيستحق هذا الغضب عليه من ابن مسعود ، كلا ثم ألف كلا . ابن مسعود الذي يؤلم وليمة عندما أفنى يقتوى فذكر له حديث يؤيد فتراه تفرح فرحا عظيما ، والفتوى في امرأة مات عنها زوجها قبل الدخول بها ولم يسم لها صداقا فقال : لها

صدق مثلها ولها الميراث وعليها المدة ، فذكر له أن رسول الله ﷺ حكم لبروع بنت واشق بمثل ذلك ، ففرح ابن مسعود بذلك فرحاً شديداً ، وأولم وليمة لذلك . هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ مع حديثه حبا وفرحاً واحتراماً . وأما إذا كان في هذه الصحيفة خرافة من خرافات أهل الكتاب فحق لابن مسعود أن يفضب هذا الفضب وإن يتبعها إلى دير هند ليحرقها . ويشهد لهذا اعتباره بما أهلك أهل الكتاب من قبلنا من نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون . يعني واتباعهم ما تلو الشياطين على ملك سليمان ، وكذلك ما قال الله فيهم ﴿ وإن منهم لفرقة يلون المستهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً ﴾

وحاشا للمسلمين خصوصاً أئمة الحديث والكتاب والسنة أن يكونوا كذلك عند ابن مسعود أو غيره من الصحابة

وقوله (ص ٢٥) : وهناك غير ذلك أخبار كثيرة يرجع إليها في كتابي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر وتقييد العلم للبخدادي وغيرها

وجوابه أنه لو وجد في الكتابين أمثل مما ذكره من الأمثال للنخعة والموقودة والتردية والنطيحة وأكيدة السبع التي مرت عليك مبات غير مذكاة ، لما تأخر عن شحن كتابه بحشها ورعها ، ولما ضن بحيفها على قارئ كتابه . وقد ناقشنا في جميعها وبيننا أنه لا يستدل بها إلا عدو لدين الإسلام مجتهد في هدم ثاني أصوله أو من اتبع غير سبيل المؤمنين في العمل بحديث نبيه ﷺ وحفظه وتدوينه

وقوله (ص ٢٥) : ولئن كان هناك بعض أحاديث رويت في الرخصة بكتابة الحديث فإن أحاديث النهي أصح وأقوى منها إلخ ، فقد أجنبناه على ذلك وبيننا كذبه وجهله في ذلك وأن جواز كتابة الحديث للنبوي والترغيب في ذلك جاء به الكتاب والسنة الصحيحة وعمل المسلمين من لدن الصحابة إلى قيام الساعة . فأرجع إلى ذلك إن شئت

وقوله (ص ٢٧) في تهوين أمر الحديث والعمل به : ثم ما جرى عليه علماء الأمصار

في القرن الأول والثاني من اكتفاء الواحد منهم كإبي حنيفة بما بلغه ووثق به من الحديث وإن قل ، وعدم تعنيه في جمع غيره إليه ليفهم دينه ويبين أحكامه - قوى عندك ذلك الترجيح (يعني النهي عن كتابة الحديث على جواز كتابته)

ونقول لذلك الشاك المشكك في الحديث النبوي : إن الواجب على كل مسلم أن يعمل بما بلغه من دين الله - كتابه وسنة نبيه ﷺ - نقول الله تعالى ﴿ لا نذكركم به ومن بلغ ﴾ فتي لم يبلغه شيء من كتاب الله أو سنة نبيه فهو معذور في عدم العمل بما لم يبلغه من ذلك

وأما اتهام علماء الأمصار بعدم تعنيهم في جمع غير ما بلغهم فتهمه باطلة لهؤلاء العلماء ، وكيف ساغ له أن يرميهم بما هم برآء منه من عدم الجدة والاجتهاد في تحصيل دينهم وهم لم يبلغوا درجة الإمامة في الدين إلا بالجد والاجتهاد والإخلاص للدين ، أصوله وفروعه ، كتابه وسنة نبيه

والتثيل بأبي حنيفة لقلة الرواية وعدم التعني في تحصيلها له محل آخر ناقشه فيه ، وليس إقلال أبي حنيفة من الحديث بحجة على إكثار أفرانه من جمع الحديث والاجتهاد في تحصيله ، فليس أبو حنيفة بحجة على الزهري وتلاميذه مالك وابن عيينة والأوزاعي والثوري وأضرابهم ، ولا من بعدهم كابن المبارك والشافعي وعبد الرحمن بن مهدي . ومن بعدهم أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وهلم جرا

وقوله ص ٢٧ « بل تجدد الفقهاء ... لم يجتمعوا على تحرير الصحيح والانفاق على العمل به . فهذه كتب الفقه في المذاهب المتبعة ولا سيما كتب الحنفية فالملكية فالشافعية فيها مئات المسائل الخالفة للأحاديث المتفق على صحتها ، ولا بعد أحد منهم مخالفا لأصول الدين »

وجوابه : أن الفقهاء ليس من وظيفتهم تحرير الصحيح ، وإنما ذلك عمل أهل الحديث . وأما عدم الاجتماع على العمل به ووجود مئات من المسائل الخالفة للأحاديث المتفق

على صحتها ولم يعد أحد منهم مخافاً لأصول الدين ، فجوابه أن هؤلاء المخالفين للأحاديث المتفق على صحتها من الفقهاء إن كانوا مقلدين فلا حساب لهم ، وقد تقدم عن ابن عبد البر إجماع العلماء على أن المقلد ليس بعالم

وإن كانوا من الأئمة فلا يظن بامام من أئمة المسلمين له قدم صدق في الأمة أن يخالف حديثاً صحيحاً بغير عذر من الأعذار التي ذكرها شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته القيمة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) فذكر عشرة أعذار لما وجد من بعض الأئمة من مخالفة الحديث صحيح ، منها عدم بلوغه إياه والله يقول في القرآن ﴿لأنذرکم به ومن بلغ﴾

ومنها أن يتعارض بما هو أصح عنده منه كظاهر آية أو حديث يبلغه يراه أصح من الآخر أو يظنه منسوخاً ، وإن كان غيره لا يرى رأيه . وفي الحديث « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » - والمؤاخذه مرفوعة عن الناس والمخطئ بدلالة القرآن والحديث ، قال الله تعالى تعليماً لرسوله وللمؤمنين ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وفي حديث مسلم « قال الله : قد فعلت » يعني أنه سبحانه رفع المؤاخذه عن الناس والمخطئ . وأفاد حديث عبد الله بن عمرو أجر المخطئ المجتهد في طلب الحق على قدر وسعه ، فقط قوله : ولم يعد أحد منهم - أي بعد مخالفته للأحاديث - مخالفاً لأصول الدين . لأن الأئمة الذين وجد منهم مخالفة ما للحديث لهم من الأعذار ما بينه شيخ الاسلام في كتابه (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)

وقوله (ص ٢٧) : « وقد أورد ابن القيم في اعلام الموقعين شواهد كثيرة جداً من رد الفقهاء للأحاديث الصحيحة عملاً بالقياس أو لغير ذلك »

وجوابه أن ما أورده ابن القيم في ذلك إنما هو شكوى من تعصب المقلدين الذين هم بشهادة ابن عبد البر ليسوا من أهل العلم ، فلا يكون عملهم حجة على الاسلام وعلمائه ولا على الحديث وأهله ، ومتى كان عمل التعصب والجهل والتقليد حجة في الدين ؟

روى الشافعي حديثاً ، فقيل له : أناخذ بهذا ؟ فامتقع له وقال : أتراني خارجاً من

كنيسة؟ ترى في وسطى زنار؟ - أمارة الكفار - أروى حديثاً عن رسول الله ﷺ ولا تأخذ به ؟ ! وحكى الاجماع على أنه من تبينت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه فاسق ، حكاه عنه البيهقي في (المدخل الى معرفة السنن)

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث ابن عمر « أمرت . أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » في باب قوله تعالى ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ نَفَخْنَا فِي سَبِيلِهِمْ ﴾ من كتاب الإيمان في أول صحيحه ، قال الحافظ : وفيه - أى في حديث ابن عمر - دليل على أن السنة قد تخفى على أكبر الصحابة ، أى كما خفى حديث ابن عمر هذا على أبي بكر وعمر الذى فيه أن مانع الزكاة يقاتل كما يقاتل تارك شهادة الاسلام . قال : ويطلع عليها آحادهم - أى كابن عمر - قال ابن حجر : فلا عبرة بالأراء ولو قويت مع وجود سنة تخالفها

الصحابة ورواية الحديث

قال (ص ٢٩) : رغبتهم عن روايته ، نهيم عنها ، تشديدهم في قبول الأخبار ، نهى عمر لأبي هريرة وكعب عن رواية الحديث

ثم قال (ص ٢٩) : « إذا كانت الآثار الصحيحة قد جاءت في نهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، والأخبار الوثيقة قد ترادفت بأن صحابته قد استمعوا الى نهيه ، ولم يكتبوا حديثه بعد موته - كما علت مما مر بك »

قلت : لم يمر حديث صحيح في النهى عن كتابة حديثه ﷺ إلا حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم وأحمد وغيرهما ، وتقدم الجواب عنه وأنه كان في حالة خاصة هي خوف اختلاط الحديث بالقرآن في أول الأمر ، فلما تبين الأمر واتضح الطريق أباح ﷺ لهم الكتابة وصحت الأحاديث بذلك وتواترت السنة به فضلاً عن أمر القرآن بذكر ما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة التي هي سنته ﷺ ، وكتابة الرسول إلى الملوك والأقوال

والأمراء يبلغهم دينه ، وأما الآثار عن الصحابة باستماع نهيه فليست وثيقة ولا مترادفة كما زعم ، بل هي ميثاق منخفضة وموقوذة ومتردية ونطيحة وأكيلة السباع والذئاب ومن البعائر والسواثب التي لا زمام ولا خطام لها ولا ظهر يركب ولا لبن يشرب ، كما مر عليك ذلك فيما مضى والعهد بذلك قريب ، وحسبك أنها عن أمثال جابر الجعفي المؤمن برجمة على إلى الدنيا وارتفاعه فوق السحاب إن لم تكن عن موهوم ، ثم عن عروة بن الزبير الذي لم يلق عمر ، وعن الأسود بن هلال عن ابن مسعود ، ومن هو الأسود بن هلال ؟

قال (ص ٢٩) : فإننا نجد هؤلاء الصحابة لم يقف بهم الأمر عند ذلك ، وإنما كانوا يرغبون عن رواية الحديث وينهون عنها ، وأنهم كانوا يتشدّدون في قبول الأخبار تشديداً قوياً

وسترى أن ما استدلل به من ضوال الآثار الشاردة التي ضاعت عن أربابها في فيافي القفار ومهالك الصحارى

وقال (ص ٢٩) : « روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ قال : ومن مراسيل ابن أبي مليكة أن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيه فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بمدكم أشد اختلافًا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه »

والجواب : (١) إن راوى هذا الأثر قد بين انقصاص ظهره بأنه من مراسيل ابن أبي مليكة الذي لم يدرك أبا بكر ولا رآه بعينه ، ومثل هذا الأثر الساقط كيف تقوم به حجة على إبطال عمل خير القرون من الصحابة والتابعين وتابعيهم ثم إلى يوم القيامة في رواية حديث رسول الله ﷺ والتحدث به ، وكيف تردّ به الأجاديث الصحيحة بل المتواترة في أمره ﷺ بالتبليغ عنه ، قال ذلك في حجة الوداع في ملا يزيد على مائة ألف ، وقاله في مناسبات كثيرة ، ولا زال الصحابة يحدثون عن رسول الله ﷺ في حياته وبعد موته حتى دوّنت دواوين السنة من عهد التابعين وتابعيهم

ويظهر أن محقق القرن الرابع عشر أبورية لا يميز المرسل والمنقطع من للتصل والسند ،
أو لا مانع عنده في تفكيكه ومنطقه أن ينسف الجبل بهبأة يحملها الريح

(٢) وهل لم يهده عقله المعجب به إلى أن هذا الأمر لو صح لما خالفه راويه الذهبي ،
بل الأمة كلها من عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ، فهل ضل جميع
للمسلمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى القرن الرابع عشر حتى اهتدى أبورية إلى
هذا الاكتشاف ، أم هي الدسيسة الرافضية التي حكمت بضلال الصحابة والتابعين وتابعيهم
إلا نفرًا من الروافض والزنادقة والملاحدة !

وقال (ص ٢٩) : « وروى ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف قال : والله
ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث إلى أصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق ، عبد الله بن
جذيمة وأبا الدرداء وأبا ذر وعتبة بن عامر فقال : ما هذه الأحاديث التي أنشيتم (!!)
عن رسول الله في الآفاق ؟ قالوا : تنهانا ؟ قال : أقيموا عندي ، لا والله لا تفارقوني
ما عشت ، فنحن أعلم ، نأخذ ونرد عليكم . فما فارقه حتى مات »

قال : « وفي رواية ابن حزم في (الأحكام) أنه حبس ابن مسعود وأبا موسى وأبا
الدرداء في المدينة على الإكثار من الحديث »

وهذه عجيبية أخرى من تفكير محقق القرن الرابع عشر أن ينسف عمل سلف الأمة
وخيارها من صدر الاسلام إلى الآن بمنكر من منكرات تاريخ ابن عساكر في القرن
السادس أو السابع . إن بين ابن عساكر وبين عبد الرحمن بن عوف مفاوز تنقطع فيها
أعناق للمطى وتهلك فيها نغائات الطائرات ، فإين سند ابن عساكر إلى عبد الرحمن بن
عوف الذي تريد أن تهدم به دواوين السنة من مساند وصحاح وصنن ، وتهدم به عمل
الأمة الاسلامية من عهد نبينا إلى قيام الساعة ؟

لقد كان السيوطي حاطب ليل في جانب أئمة الحديث وأعلامه ، لكنه أعقل
وأعرف بهذا الشأن من محقق القرن الرابع عشر ، فذكر في أول جامعه أن علامة

الضعف تشمل ما ينقله من تاريخ ابن عساكر وتاريخ بغداد للخطيب وكامل ابن عدى
وضمنا العقيلي الخ ، فلم يعول كل ما في هذه الكتب وأمثالها اذ هي كتب الترائب
والناكير ، وأين هي من كتب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأين الثرى من الثريا ، وأين
البر من اللآلى ، والجواهر ؟

لو كان لأبي ربة علم أو عقل لما استدل على إبطال السنة بهذه الجيف التي وقع عليها ،
بل لو كان له فهم لم بطلان القصة من متنها فضلا عن سندها ، اذ كيف ينضب عمر
على أربعة من الصحابة فقط هم عبد الله بن حذيفة وأبو الدرداء وأبو ذر وعقبة بن عامر ،
ويترك سواهم مئات ومئات من الصحابة فيهم عبد الله ابنه ، وعبد الله بن عمرو ، وأبو
هريرة ، وأنس بن مالك وغيرهم ، فلم يضق عمر ذرا إلا بهؤلاء الأربعة وبرضى عن
مئات من الصحابة سواهم

ولو كان أبو ربة يفهم صناعة القول لأدرك بطلان القصة من قولها « فجهمهم من
الآفاق » فأى أفق كان فيه أبى ذر وأبو الدرداء وعقبة بن عامر وعبد الله بن حذيفة ؟
إنهم لم يكونوا إلا بالمدينة . ولو صدقنا القصة ونشككنا فيما رواه هؤلاء الأربعة وأهلنا
روايتهم لبقى لنا من السنة الحمدية وحديث رسول الله ﷺ الكثير الطيب الذى يرين
منه فؤاد أبى ربة !

وكيف ساغ لابن عساكر أن يكتب تاريخه الكبير فى ثمانين جزءاً ، ولابن حزم أن
يكتب كتبه المتعة فى السنة وفقهها كالأبصال الذى قيل فيه إنه ٥٠ مجلداً والحلى المطبوع
والفصل وغيرها من نفائس مؤلفاته ، كيف ساغ لهؤلاء وغيرهم أن يكتبوا كتبهم ويدونوا
دواوينهم لو صح هذا الأمر ؟

لعل أبا ربة لا يتورع عن تفسيقهم لمخالفهم فى نظره هذه الجيف التى وقع عليها .
وظنها بجهله أنها تهدم عمل الأمة فى حفظ سنة نبينا !

قال (فى أول ص ٣٠) : « وروى ابن عساكر عن السائب بن يزيد قال : سمعت

عمر بن الخطاب يقول لأبي هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس (أى بلاده) . وقال لسكعب الأحبار : لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة . وكذلك فعل معهما عثمان بن عفان »

والجواب أنها كسابقتها مما لا يحتاج به إلا جاهل بكتب الحديث ، ولا يميز بين ما هو حجة وما ليس منها بحجة . واقد صدق ولي الله الدهلوى إذ قال ما معناه : إن الحجة في الحديث الصحيحان وكتب السنن المشهورة ، وما وراء ذلك فشيء مبتدع من الروافض والجهمية والخوارج . وظاهر القصة يدل على أنها من وضع الروافض الذين يريدون رسم عمر بكر اهتة حديث رسول الله ﷺ ثم شهادة الأثر نفسه على تناقضه ، فتهديد عمر لأبي هريرة بنفيه إلى أرض دوس بلاده ، لأنها لا تستحق نصح عمر وحمايته لها من أحاديث أبي هريرة إن كانت غير صحيحة ، وغير الصحيح تحمى منه أرض دوس كما تحمى منه غيرها . ولو كانت أحاديث أبي هريرة غير صحيحة عند عمر لنكل به بقطع لسانه لا بنفيه إلى أرض قومه أو غيرها

أما كعب فما كانت له أحاديث إلا عن إسرائيلياته ، وهو ليس من حملة الحديث النبوى ولا هو أهل ذلك ، والقصة تدل على غيظ راويها من أبي هريرة حتى قرنه بكعب الأحبار في رواية الحديث

(٤) قال (ص ٣٠) : « وروى ابن سعد عن محمود بن عبيد (صوابه ابن ليبيد^(١)) قال : سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول : لا يحمل لأحد يروى حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر ، فإني لم يمنعني أن أحدث عن رسول الله أن لا أكون أوعى أصحابه ، إلا أني سمعته يقول « من قال على ما أفل فقد تبيأ مقعده من النار »

والكلام على هذه الكالكلام على سابقاتها من جهة ستم سندها وإعراض أصحاب الدواوين الشهيرة عنها ، وطبقات ابن سعد ليست من دواوين السنة ، وإنما هي تاريخ

(١) وقد صحح أبو رية خطأ تلك الصفحة ولم يصحح هذا الخطأ فيها لأنه لا يعرفه

لطبقات الرواة ، ولا حجة لما فيها من الأحاديث .

ومن جهة التثنية فانا نوافق أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه على شكه فيما لم يعرف في عهد الشيخين أبى بكر وعمر حتى يتثبت من صحته ، فقد نجمت في زمنه بدع التشيع والخوارج

قال ابن سيرين : كانوا قبل الفتن لا يسألون عن الاستناد ، فلما وقعت الفتن قالوا : هاتوا سندهم ، والمراد بالفتنة البغى على عثمان رضى الله عنه لظهور التشيع والخروج حينئذ .

(٥) قال (ص ٣٠) : « وفي جامع بيان العلم وفضله لحافظ المغرب ابن عبد البر عن الشعبي عن قرظة بن كعب (فذكر قصة خروجهم إلى العراق ووداع عمر لم وقوله لهم : إنكم لتأتون بلدة لأهلها دوى كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم) . وفي رواية أخرى : إنكم تأتون أهل قرية لها دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصدوهم بالأحاديث لتشتلوهم ، جوّدوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله »

والجواب أن الفصة كسوابقها من الميثاق التي لم يذكها سند صحيح ولا عمل مقبول ، ولو صحت لما خالفها ناقلها حافظ المغرب ابن عبد البر ، وحافظ المغرب ابن عبد البر استحق هذا اللقب - الذي اعترف به محققنا - بحفظه لما استحق به أن يسمى حافظ المغرب ، فكيف مدّح له أن يحفظ ما نهى عنه عمر ، بل كيف ساغ له أن يروى نهى عمر ثم يخالفه ؟

لعل أبا رية لا يعرف أن سبب ضلال الخوارج والزافضة والجهمية هو اعراضهم عن سنة رسول الله ﷺ بدعواهم الاكتفاء بالقرآن وحده

لما خرجت الخوارج على علي بن أبي طالب رضى الله وأرسل إليهم ابن عمه الحبر عبد الله بن عباس قال له علي رضى الله عنه : لا تناظرهم بالقرآن - يعني لأنهم يؤولونه على غير وجهه - ما لم يبين سنة رسول الله ﷺ ، ولكن ناظرهم بسنة أبى بكر وعمر .
يعنى التي يعترفون بها . فناظرهم فرجع منهم الى الحق من هداه الله تعالى إليه

(٦) قال (ص ٣٠ - ٣١) : « ولا غرابة أن يفعل عمر ذلك لأنه كان لا يعتمد إلا على القرآن والسنة العلية » ثم ذكر حديث ابن عباس عند البخاري « هل أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده . فقال عمر : إن النبي غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله »

وجوابه أن السنة العلية التي يقبلها الأستاذ تصير قولية عندما يرويها راويها ، فلا فرق بينها وبين ما يشكك به من أقوال رسول الله ﷺ

والعجب من هذا الذي عاب على الفقهاء علمهم ببعض الحديث وترك بعضه أن يترك من حديث ابن عباس قوله : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب

(٧) قال (ص ٣١) : « وروى ابن سعد في الطبقات عن السائب بن يزيد أنه صحب سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة ، قال : فاسمته محدثنا عن النبي حديثا حتى رجع ، وسئل عن شيء فاستعجم وقال : إني أخاف أن أحدثكم واحدا فتزبدوا عليه للمائة . قال : وسعد هذا من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة »

والجواب : أين السند ، ومن صححه ، ومن احتج به ؟ وليس كتاب الطبقات لابن سعد سوى كتاب تاريخ في طبقات الزواة ، وليس بديوان من دواوين السنة التي نعمل بما صح فيها بدون بحث وتمحيص

ومع التسليم بفرض صحة هذا الأثر فإن من يحمل علما إنما يحمله ليفيد به الناس ، وقد حدث غيره ممن هم أكبر منه صحبة ومن سادات المبشرين بالجنة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسواهم كثير ، فحدثوا بما رأوا وما سمعوا ، ولم يخافوا ماخافه سعد لو صح هذا عنه ، رضى الله عنهم أجمعين

(٨) قال (ص ٣١) : « وعن عمرو بن ميمون قال : اختلفت إلى ابن مسعود سنة ، فاسمته يحدث عن رسول الله ، ولا يقول قال رسول الله ، إلا أنه حدث ذات

يوم بحديث نجري على لسانه قال رسول الله فعلاه الكرب حتى رأيت العرق ينحدر على جبينه ثم قال : إن شاء الله ، إما فوق ذلك أو قريب في ذلك أو دون ذلك »

والجواب : صحح ثقلك وإلا فارمه . وعلى فرض الصحة فأى بأس أن لا يسمع عمرو بن ميمون من ابن مسعود ويسمع غيره ؟ وأحاديث ابن مسعود في الصحاح والسنن وللسانيد شهيرة أثبتتها من هم مثل عمرو بن ميمون أو أجل ، والمثبت مقدم على النافي ، ومن سمع حجة على من لم يسمع

(٩) ونقل (في ص ٣١) قصة علقمة بن قيس وارتعاده عندما حدث حديثاً رواه ابن سعد . والجواب تقدم عن أمثال هذه القصص مراراً وتكراراً فلا حاجة للإملال به

وعلقمة يرتعد لتحديثه ، فله ورعه ورقة قلبه ، وغيره قام بما أوجب الله ورسوله من تبليغ دين الله حتى لا يضيع كما ضاع دين أهل الكتاب الذين نوا حظاً مما ذكروا به (١٠) ومثله (في ص ٣١) عدم تحديث والد ميمون الكردي مخافة أن يزيد أو ينقص ، ومخافة أبي قتادة أن يزل لسانه بشيء لم يقله رسول الله

وجوابه سبق مثله مراراً ، ومن هو والد ميمون الكردي ؟ وأحاديث أبي قتادة تفيض بها الصحاح والسنن واللسانيد ، فإذا لم يسمع عبد الرحمن بن كعب منها شيئاً فقد سمعها الجهم النفي من خيار الرواة وثقاتهم

(١١) ذكر (في ص ٣١ - ٣٢) عن كتاب دفع شبهة التشبيه لابن الجوزي قصة سماع الزبير لحديث رجل سمعه يحدث عن رسول الله ، وتغليط الزبير لهذا الرجل أن الحديث كان عن أهل الكتاب فغلط الرجل وجعله عن رسول الله ﷺ وأن هذا وأشباهه مما منعا الزبير من التحديث عن رسول الله

والجواب : ما سقطت السماء على الأرض اذا غلط غلط في حديث حكاها النبي ﷺ عن بني اسرائيل فحدث به الغالط عن النبي ﷺ ، فهل معنى هذا أن كل الرواة

غالطون ، وليس فيهم من حدث حقاً ، ومن صدق ولم يغلط ؟ وهل من لوازم ذلك أن كل دواوين السنة وصحاحها وستنها تكون عند الأستاذ محل شك وتشكيك ؟

في كتب الملل كالملل لابن الدينى شيخ البخارى ، والعلل لابن أبى حاتم عن أبيه وأبى زرعة ، والعلل للدارقطنى وأمثالهما يقولون عن حديث إن رفعه خطأ والصواب موقوف ، أو إن نسبته للنبي ﷺ غلط وهو أشبه بالإسرائيليات ، ومع هذا فهناك الصحاح المشهورة التى لا يتطرق اليها احتمال الوهم أو الغلط . فآفة الحديث صححوا الصحيح ، ونهبوا على الخطأ والضعيف والمحلول ، ومن له ممارسة بكتب القوم يعرف ذلك ولا يشكك في الصحيح لوجود غلط غالى ، أو وهم واهم ، لا سيما وأن الصحيح والغلط والوهم قد دخل كل منه في المكان اللائق به من قبل أن يخلق الله أباً ربه ، ومن قبل أن يشغل أبو ربه حياته فيما لا طائل تحته ولا قيمة له

٢ و (في ص ٣٢) قصة صحبة السائب بن يزيد لعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبد الله (ضوايه عبيد) وسعد بن أبى وقاص والمقداد بن الأسود ، فلم يسمع الواحد منهم يحدث عن رسول الله ، رواها البخارى والدارقطنى

وجوابه كدوابقه : لم يسمع السائب ، وسمع من هو خير منه . وأحاديث هؤلاء وأمثالهم مملوءة بما كتب الاسلام ودواوين السنة ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ

(١٣) وقصة دجين (في ص ٣٢) عن أسلم مولى عمر أنه لم يحدث عن عمر لخوفه أن يزيد أو ينقص ، لأن رسول الله قال « من كذب على فهو فى النار » رواه أحمد وأبو يعلى . ١١

وجوابه : من هو دجين هذا ؟ وأحاديث أسلم عن عمر وغيره تملأ اللوطا والصحاح والسنن ، فإذا جاء دجين عن أسلم بما يخالف الإجماع والمعروف كان أسلم ما يقال فيه إنه غلط عليه إن لم يكن كذب

(١٤) وقصة عمران بن حصين (ص ٣٢) في امتناعه عن الحديث خوفاً أن يغلط كما

غلط غيره من الصحابة أو يخطئ كما يخطئون ، لا أنهم كانوا يعتمدون . ١٠
لا زمام ولا خطام ، سائبة لا تقوم بها حجة . وأحاديث عمران بن حصين الثابتة تملأ
دواوين السنة ، وحاشا لمران بن حصين أن يسيء الظن بإخوانه من الصحابة ، وقد
تكفل الله بحفظ دينه بوجود من يبين غلط الغالطين وأروهم الواهمين
(١٥) وحديث ابن ماجه (ص ٣٢) عن عبد الرحمن بن أبي اللي عن زيد بن أرقم
قوله : كبرنا ونسيتنا ، والحديث عن رسول الله شديد

والجواب : إن زيد بن أرقم إذا أبي أن يتحدث عن رسول الله لكبره ونسيانه فذلك
من تقواء واحتياطه كاحتياط أمثاله ، وقد حدث هو نفسه في شبابه وإبان حفظه كما حدث
عنه غيره ما حفظوه ، فجزاهم الله عن السنة المحمدية أفضل الجزاء

(١٦) وقول ابن قتيبة (ص ٣٢) : كان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول
الله ﷺ كآبي بكر والزيبر وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقولون الرواية عنه ، بل
كان بعضهم لا يكاد يروى شيئا كعبيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وهو أحد العشرة
للسهود لهم بالجنة . ١١

وجوابه : إن ابن قتيبة يعلم كما يعلم غيره من أهل العلم أن هؤلاء المقلين من رواية
الحديث النبوى بجانبهم الكثير الأكثر من للكثيرين من الرواية ، وفيهم الخلفاء
الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، ومنهم العبادة عبد الله بن عمرو وعبد الله ابن
عباس وأنس وأبو هريرة وسواهم كثير وكثير جدا رضى الله عن هؤلاء وهؤلاء
وإتلال هؤلاء ليس بحجة على إكثار غيرهم ، ﴿ والله أنزل من السماء ماء فصالت
أودية بقدرها ﴾

وإذا لم يوجد في البخارى ومسلم حديث واحد لأبى عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه
الامة لأنه اشغل بقيادة الجيوش الإسلامية في فتح الشام ومات قديما في خلافة أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب قبل سنة عشرين من الهجرة فأى عيب على الصحيحين ، وأى

عيب على خلوة الصحيحين من حديث أبي عبيدة ، وفيها من حديث الأكاير أبي بكر
ومر وعثمان وعلى وأنس وابن عباس وابن عمر وابن عمرو وأبي هريرة رضوان الله
عليهم وجزاهم الله عن شريعة الاسلام خيراً

إن للشككين في سنة رسول الله ﷺ كآبي رية مثلهم كمثل الفريق الذي يتعلق
بما لا ينبغي ، كالذي يريد اطفاء الشمس بنفخة من شذقيه . و :

كناطع صخرة يوما ليونها فلم يَصِرْها وأوهى قرنه الوعل

تشديد الصحابة في قبول الأخبار

قال (ص ٣٣) : « كان الخلفاء الراشدون وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم - كما
علت - يتقون كثرة الأحاديث عن النبي ، بل كانوا يرغبون عن روايته ، إذ كانوا
يُعلمون أن النبي قد نهى عن كتابة حديثه ، وأنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أن
يؤدوا كل ما سمعوه عن النبي ﷺ على وجهه الصحيح ، لأن الذاكرة لا يمكن أن
تضبط كل ما نسمع » الخ

وجوابه أن ذلك كذب على الراشدين وكبار الصحابة وأهل الفتيا منهم ، ودعوى
لم يدعمها دليل ، فهي ساقطة على رأس مدعيها . ودعوى رغبتهم عن رواية حديثه
ﷺ مثاها في السقوط والتهور الذي يكذبه الواقع ، فأحاديث الخلفاء الراشدين وكبار
الصحابة وأهل الفتيا منهم تعقب بأريجها كتب السنة والحديث ، لا ينكرها إلا مباهت .
وكذلك دعواه عليهم بنهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، وما كان النهى إلا مؤقتاً لعله
زال حكمها بزوالها كما تقدم

واتهامهم أنهم إذا حدثوا عنه قد لا يستطيعون أداء ما سمعوه منه على وجهه الصحيح
سوء ظن بخيار خلق الله الذين اختارهم الله لتحمل دينه عن نبيه ﷺ . فوالله لولا حفظهم
للمنتفع النظر لما وصل إلينا دين الله في كتابه وسنة نبيه ﷺ على هذا الوجه المعجز
م — ؛ ، ظلمات أبي رية

انطرق الذي لا نظيره ولا مثيل ، والدعوى عليهم بعدم ائتمان من سمع منهم أو حدث أن يزيد أو ينقص أو يبدل أو يحرف أو يغلط دعوى خبيثة نبتت في رءوس الرافضة الذين اضطنوا المداوة والبغضاء للجاهل الصحابة وصفوتهم واتهموهم بتبديل الدين والقرآن بحابة لأبي بكر وعمر وعثمان

ورواية المعنى التي يشكك هذا الشكك بسببها في سنة رسول الله ﷺ التي حفظها الله لحفظ القرآن وبيانه إن كانت جاءت نادراً لبعضهم فقد تكفل الله بحفظ دينه ، وهياً من حفظ لفظ رسول الله ﷺ على وجهه كما قاله ، ولم نسمع من هذا المشكك إلا تشكيكا مبها لا قيمة له ، وإذا لم يحفظ الله بيان نبيه لكتابته فما فائدة حفظ كتابه إذا لم يحفظ بيانه ؟

وسوء الظن بأصحاب رسول الله ﷺ أنهم أفسدوا سنته وحديثه بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ورواية المعنى دسيسة خبيثة من أعداء الاسلام ، رافضة وجهمية وخوارج ، ومثلها ملأ من أعداء الاسلام في القرآن بسبب نزوله على سبعة أحرف وتنوع قراءاته المتواترة ، ودعوى الروافض على الصحابة تواطؤهم مع أبي بكر وعمر وعثمان على حذف نصوص الخلافة وحصرها بزعمهم في علي

فإذا اجتمعت هذه الشكوك في قلب إنسان مع شكوك أبي رية في أمانة الصحابة في حفظ حديث رسول الله ﷺ وتغييره بالزيادة والنقصان والتقديم والتأخير ورواية المعنى فماذا يبقى بعد ذلك من الإسلام اللهم إلا الأهواء والبدع ودين الصابئة والمجوس وفلسفة اليونان والفرس والمهند

ودعواه (ص ٣٣) أن أبا بكر كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة من غيره على أنه سمعه من الرسول ﷺ دعوى كاذبة لم يُتم عليها دليلاً ، فإن احتج بقصة الجدة فهي حادثة جزئية لا تدل على هذا الحصر الذي ادعاء في عمل أبي بكر أنه كان لا يقبل من أحد حديثاً إلا بشهادة غيره معه

وقوله : قال الذهبي في ترجمته - يعني أبا بكر - إنه أول من احتاط في قبول الأخبار

هي حسنة كريمة لأبي بكر رضوان الله تعالى عليه ، والاحتياط في قبول الأخبار غير رفضها والتشكك فيها كما فعل محقق القرن الرابع عشر

قال (ص ٣٣ - ٣٤) : « روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت أبا بكر تلتمس أن تورث ، فقال ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً . ثم سأل الناس ، فقام المنيرة فقال : كان رسول الله يعطيها السدس . فقال : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأنفذه لها أبو بكر » . اهـ

والقصة فيها قبول أبي ر لحديث عن رسول الله ﷺ ليس في القرآن ، بل فيه حكم زائد على ما في القرآن . وتأكيده بشهادة محمد بن مسلمة مع المنيرة بن شعبة احتياط مقبول في حكم زائد على ما في القرآن ، ولعل ذلك منه لأنه حكم مالي بتوريث من ليس له نصيب من الميراث في كتاب الله ، فأشبهه ما أوجب من شهادة رجلين أو رجل وامرأتين ممن نرضى من الشهداء في المعاملات المالية

وما ذكر (ص ٣٤) أن عمر كان أشد احتياطاً وثبتاً - يعني من أبي بكر - ونقله عن ابن قتيبة أن عمر كان شديداً على من أكثر الرواية أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه ، ونقله عن الذهبي في الطبقات أنه ربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب ، وذكر قصة أبي موسى في استئذانه على عمر ثلاثاً ورجوعه لما لم يؤذن له ، واحتجاج أبي موسى بالحديث في ذلك وطلب عمر منه من يشهد معه وسؤال أبي موسى من الصحابة من يشهد معه وقول أبي بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصفر القوم ، وقول أبي سعيد فكنت أصفر القوم فقامت معه فأخبرت عمر أن النبي ﷺ قال ذلك

والعجب العجيب أن يستدل هذا الشكيك بهذا على أن الشك والتشكيك في الصحيح من سنة رسول الله وأحاديثه ، وكيف لم يفهم هذا الشكيك قول الذهبي « ربما كان يتوقف في خبر الواحد إذا ارتاب » ، فهل هذا الأستاذ أعجمي اللسان أو للزعة حتى لم يفهم لفظة « ربما » التي يعبر بها عن القليل النادر ولفظة « إذا ارتاب »

(ثانيا) في قصة أبي موسى لم يكذبه ، وإنما أراد أن يتأكد براو آخر دفعا للوم والنسيان ، وقبل شهادة أصغر القوم أبي سعيد الخدري . وقول أبي بن كعب سيد القراء « لا يقوم معك إلا أصغرنا » دليل على صدق الصحابة وقبول أخبارهم صفاراً كانوا أو كباراً ، ولم يتردد في ذلك عمر

وأغفل للشكك من القصة قول عمر « ألهاني الصنق في الأسواق » يعني اشتغاله بالتجارة عن رواية أمثال هذا الحديث الذي حفظه أصغر الصحابة ، أغفل التشكيك هذا الاعتذار من عمر ، لأنه شجا في حلقه

قال (ص ٣٤) : فانظر كيف تشدد عمر في أمر ليس فيه حلال ولا حرام ، وقدّر ماذا يكون الأمر لو كان الحديث في غير ذلك من أصول الدين أو فروعه . اهـ

وقول له : انظر كيف قبل عمر الحديث من أصغر القوم - أبي سعيد الخدري - واعتذر عما فاتته من أمثال هذا الحديث بقوله « ألهاني الصنق في الأسواق » يعني الاشتغال بالتجارة ، فإن هذا إقرار لمبدأ رواية الحديث وقبوله والعمل به ، وهو عكس ما أوضاع أبو رية حياته في زعمه وادعائه لتشكيك أمة محمد ﷺ في هذا التراث العظيم من سنة فيها وتشريعه وهدايته وتوجيهاته

وقوله في هذا الحديث « ليس فيه حلال ولا حرام » غلط فظيع ، فأحكام الإذن والاستئذان من أمور الحلال والحرام ، وقد غنى بها القرآن فضلا عن الحديث ، كما في سورة النور ﴿ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها - وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ﴾ وأفاد حديث أبي موسى أن عدم رد السلام ثلاثا بمنزلة ارجعوا ، فهو بيان لأنواع عدم الإذن

وفي الموطأ أن ابن عمر رأى سعد بن أبي وقاص يمسح على خفيه في الوضوء ، فتوقف ابن عمر في ذلك ، فقال له سعد : إذا رجعت إلى المدينة فسل أباك ، فسأل أياه فقال له أبوه : إذا حدثك سعد بحديث فلا تسأل عنه غيره . ففي هذا قبول عمر لحديث

سعد ، وإقرار لمبدأ رواية الحديث وقبوله والعمل به ، وأمره لابنه أن يكتفى بحديث الثقة العدل - كسند وأمثاله - وهو القدى جرى عليه أئمة الحديث وأعلام السليين ، وهو عكس ما يزعمه أبو رية ويريد مخادعة للسليين به

وفى صحيح البخارى أن عمر مر بحسان بن ثابت وهو ينشد شعرا فى المسجد فلحظ اليه عمر بعينه ، فقال حسان : كنت فيه مع من هو خير منك - يعنى رسول الله ﷺ - ثم ناشد حسان أبا هريرة : هل سمعت رسول الله ﷺ يقول هاجهم - يعنى المشركين - وروح القدس معك ، اللهم أيد به روح القدس ؟ فسكت عمر

وأمثال هذا كثير وكثير فى السنة الحمديّة الطاهرة ، وفى قبول عمر لرواية الصادقين والعمل بذلك . وقد كتب ولى الله الدهلوى رسالة سماها (مذهب عمر) فيها الكثير الطيب من عمل عمر بالحديث النبوى ، واحترام رواه ، وقبول أخبار الثقات منهم

ثم يقال لهذا الشك : كيف ساغ لك الاحتجاج بحديث أبى سعيد الخدرى برواية البخارى وهو من الكتب التى تشكك أنت فى صحتها وتحمل معاولك لهدمها ؟!

وقوله (ص ٣٤ - ٣٥) : « وقد استند إلى هذه القصة من يقولون إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ، واستدل بها من قال : إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم اليه غيره كما فى الشهادة الخ »

والجواب : من هم هؤلاء الذين قالوا إن عمر كان لا يقبل خبر الواحد ؟ أم هم بنى أم أهل التكرؤك مثلك ؟ وقد سقنا لك شواهد عن عمر فى قبوله خبر الثقة كيفما كان . ولا دليل فى القصة لمن قال إن خبر العدل بمفرده لا يقبل حتى ينضم اليه غيره ، فالقصة حادثة جرميّة لا دليل فيها على العموم ، وجاء عن عمر أمثلة كثيرة لقبول خبر العدل ، وسيرته قاض عدل بذلك

وقد قدمنا فى أول الكتاب دلالة الكتاب الجيد والسنة المتواترة وعمل الناس فى كل زمان ومكان بقبول خبر الثقة ، واطراح وسائس الخوف من خطئه ونسيانه ، لأن ذلك

أمر نادر ، ولا تقوم به أمور المجتمع كله ، ولا يعمل على هذا الوسواس إلا عمسوس العقل سقيم الوجدان

وضربنا لهذا الرجل مثلاً بخادمه إذا أخبره باستئذان مستأذن على بابه أيرد قبوله أم يأمره بالأذن للمستأذن ؟ ولو فتحنا باب الشك في خبر الثقة بوسواس جواز الخطأ والنسيان عليه لفسدت مصالح الناس وتعطلت أعمالهم ، فضلاً عن مخالفة ذلك للكتاب والسنة ودين الاسلام الذى هو دين الفطرة والمعقول

الكذب على رسول الله ﷺ

اجتهد أبو رية (ص ٣٦ - ٣٧) في البحث في حديث « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وخرج من بحثه إلى أن كلمة « متعمداً » ليست من كلام النبي ﷺ وأنها إما مدرجة في الحديث من بعض الرواة ، أو موضوعة على النبي ﷺ أى مكذوبة عليه ، قال : ليستوع بها الذين يضمنون الحديث على رسول الله حصة من غير عمد كما كان يفعل هؤلاء الصالحون من المؤمنين ويقولون « نحن نكذب له لا عليه » ، أو يتكلم عليها الرواة فيما يروونه عن غيرهم على سبيل الخطأ أو الوهم أو بسوء الفهم لكيلا يكون عليهم حرج في ذلك ، لأن الخطيئ غير مأثوم ، من أجل ذلك وضع هؤلاء الرواة قاعدتهم المشهورة « انما الكذب على من تعمده » اهـ

والجواب : سواء صحت كلمة متعمداً عن النبي ﷺ كما رواها انس خادم النبي ﷺ وأبو هريرة حافظ هذه الأمة لحديث نبيها أو لم تصح ، وكانت مدرجة أو موضوعة كما زعم محقق القرن الرابع عشر ، فإن الإجماع الذى نقله الحافظ ابن حجر في فتح البارى بشرح البخارى أن الخطيئ غير مأثوم ، ونقل أبو رية عن ابن حجر هذا الاجماع في كتابه (ص ٣٩) ودلائل هذا الاجماع ما أثنى الله على رسوله والمؤمنين وما علمهم إياه في ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا وفي حديث مسلم « قال الله قد فعلت » ، فالخطأ والنسيان قد رفع الله عنا المؤاخذة بهما بنص القرآن وصحيح الحديث ، وما أظنه يخالف في ذلك أحد حتى الخوارج ، سوى محقق القرن الرابع عشر أبى رية الذى ضيق رحمة الله على خلقه ، وأبى إلا

مؤاخذه الخطي، والناسي، على خلاف الكتاب والسنة والاجماع

ولو أخذنا هذا الرجل بما ذهب إليه من مؤاخذه الناسي والخطي، غير المتعمد لكان لنا أن نقول: هو في قدر جهنم، وفي الدرك الأسفل منها، لكذبه على الله سبحانه في تحريف آية من كتاب الله تعالى (ص ١٦ س ١٧) هي قول الله تعالى ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض﴾ فذكرها غلطا هكذا «قد خلت سنن من قبلكم الخ» فقدم وأخر وحرف لفظ القرآن غلطا منه، فأيهما أعظم جرما: تغيير لفظ كتاب الله، أو الخطأ في حديث رسول الله ﷺ؟

وكذلك كذبه على الله (في ص ٣٦ س ٩) بأنه - يعني الله سبحانه على ما تفيد عبارته - «رسول دين عام وصاحب رسول شريعة للناس كافة»

فإذا اعتذر هو أو من يعتذر عنه بأن هذه والتي قبلها غلط مطبعي، قلنا وأين كنت عن تصحيحها قبل الطبع وأنت للباشر له بنفسك المرة بعد المرة في المطبعة وفي البيت يا من لا يقبل عذر الناسي والخطي، اللذين عذرها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه وبالإجماع الذي اعترف به قلا عن الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ وأمير المؤمنين في الحديث بشهادتك أم أنه يدعى لنفسه العصاة عن الخطأ والنسيان، وهذه الدعوى لا نسمع من أحد ولا في مستنقى المجاذيب؟!

الكذب على النبي قبل وفاته

والكذب عليه بعد وفاته صلوات الله عليه

وقد وقع للكذب على الله ورسوله ﷺ في حياته من المنافقين، قال الله تعالى ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لتغريبتك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا﴾، وقال سبحانه ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يغفرونكم الفتنه وفيكم سماعون لهم﴾

والكذب عليه بعد وفاته كثير وواقع من الكاذبين عليه من الرضاعين وجملة
العباد وغيرهم ، ولكن ذلك لا يدل على ما يرى إليه أبو رية من الشك فيما رواه الثقات
المدلول الأمانة على دينه وحديثه من أسهات المؤمنين وكرام الصحابة وخيار التابعين
وتابعيهم إلى قيام الساعة

ووجود كذب وكاذبين في الناس لا يرفع الصدق عن عموم الناس ، فلو تشكك
متشكك في خبر عدل صادق ثقة من أجل وجود كاذب ، لكان أحق مباحثا خارجا
عن فطر الناس وعقولهم

وقد اعتمد أبو رية (ص ٤٣) على مقدمة صحيح مسلم فيما نقل من كذب بعض الناس
على رسول الله ﷺ ، فإذا كان مسلم ومثله البخاري وغيرهما من أئمة الحديث حجة عند
أبي رية وعدة في النقل - وهذا هو المطلوب - سقطت شكوكه وتشكيكاته على السنة ،
وإن لم يكونوا حجة فكيف سأل له الاستدلال بما في مقدمة صحيح مسلم ليهدم به الثابت
من أحاديث النبي ﷺ عند ثقات الأمة من أصحاب النبي ﷺ وخيار التابعين وأئمة
الحديث النبوي حفظا ونقدا وتمحيصا ؟ !

رواية الصحابة بعضهم عن بعض وراويهم عن التابعين

ذكر (في ص ٤٧) عن ابن القيم سماع ابن عباس لعشرين حديثا من النبي ﷺ ،
وعن ابن معين والقطان وأبي داود أنها تسعة أحاديث ، وعن الآمدي في أحكامه
حصرها في أربعة

ثم ذكر أن أحمد روى لابن عباس ١٩٩٦ حديثا ، يعني أنها عدا ما سمعه ، وقد
سمعها من غيره من الصحابة عن النبي ﷺ ، يعني فتسكون موضع شك عند أبي رية
ونقول لأبي رية الذي أقحم نفسه على هذه الأمور من غير أبحاثها : إن الذين روى
عنهم ابن عباس حديث النبي ﷺ ووثق بهم - وهم أهل أن يوثق بهم - مثل أبي بكر

وعمر وعثمان وعلي ، وأمهات المؤمنين كعائشة وخالته ميسونة بنت الحارث وأم سلمة وحفصة ، وغيرهم من أكابر الصحابة مثل قوله : حدثني رجال مرضيون ، وأرضام عندى عرب بن الخطاب ، أن النبي ﷺ كان ينهى عن الصلاة - يعنى النافلة - بعد العصر ، فمن لم يسمعه ما وسع حير الأمة المدعوله بالحكمة والفقه في الدين فلا وسع الله عليه

وقد نقل أبو ربة عن الدكتور أحمد أمين في فجر الاسلام عدّه لابن عباس في الطبقة الأولى في العلم ، وفي صحيح البخارى أن عمر كان يعد ابن عباس في حاشيته ويدخله مع أكابر الصحابة كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعلي وغيره ، فإذا وثق ابن عباس بأكابر الصحابة والخلفاء الراشدين فروى عنهم أحاديث رسول الله ﷺ ووثق بهم وأرسلها عنهم ، ولو سمي لسمى أكابر الثقات ، فأى بأس وعيب على الإمام أحمد أن يروى عنه في مسنده ١٩٩٦ حديثاً لم يسمع إلا بعضها مشافهة من النبي ﷺ وسمعا من أكابر الصحابة وأمهات المؤمنين . انطح رأسك يا أبا ربة في جبال الدنيا ، فستعيا وينكسر رأسك ، وسنة رسول الله ﷺ لا ضير عليها من ظلمات شكوكك ومضحكات خزعلاتك

وقوله (ص ٤٨) : « وأما التابعون فقد كان من عاداتهم إرسال الأخبار » واستدل بما روى الأعمش قال : قلت لأبراهيم النخعي إذا حدثتني فأُسند ، فقال : إذا قلت لك حدثني فلان عن عبد الله فهو الذي حدثني ، وإذا قلت لك حدثني عبد الله فقد حدثني جماعة عنه

فحكمه على التابعين أنه كان من عاداتهم إرسال الأخبار ، وقوله في حاشية الصفحة ٤٨ : وكان التابعون يتبعون في ذلك سبيل الصحابة فيما يروون من الأحاديث التي لم يسمعوها من النبي ﷺ وإنما تلقوها من أحوانهم ، فانهم كانوا لا يذكرون أسماء من تلقوا عنهم ، كل هذا جهل وظلم للصحابة والتابعين واقراء على الأحاديث المسندة المشهورة والمستفيضة في دواوين السنة كالبخارى ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي . وذكره إبراهيم النخعي كدليل على اتهام التابعين بما اتهمهم به من حكمه الجائر الظالم ، وقد ذكر

الأئمة : عن ابراهيم النخعي أنه كثير الارسال ، فمن كان هكذا كيف يكون عمله وصمة
لسائر التابعين سعيد بن المسيب ، وابن سيرين ، والشعبي ، والزهرى ، وغير هؤلاء الأئمة
وقول أبي رية (ص ٤٩) : وقد روى التابعون عن تابعي التابعين . ومثل برواية
الزهرى ويحيى بن سعيد الأنصارى عن مالك وهو تلميذها ، فأئى عيب على الزهرى ويحيى
ابن سعيد الأنصارى إذا رأيا عند مالك حديثا عن أحد شيوخه - نافع مولى ابن عمر أو
سالم بن عبد الله بن عمر - فروياه عنه حفظا للعلم وثقة بتلميذها إمام أهل التثبت والصدق
والعدالة مالك بن أنس جامع علم أهل المدينة ومدونه في موطنه

وقوله (ص ٤٨ - ٤٩) : على أن الصحابة في روايتهم عن إخوانهم أو عن التابعين
لم يكونوا - كما أبتا - يذكرون أن أحاديثهم قد جاءت من سبيل الرواية عن غيرهم ، بل
يروون ما يروون في المناسبات التي تستدعي ذكر الحديث مما طال الزمن من غير عزو إلى
من سمعوا منهم ثقة بهم إلى أن وقعت الفتنة ، ومن ثم قالوا : سموا لنا رجالكم . ثم نقل
(ص ٤٩) عن ابن سيرين : لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا :
سموا لنا رجالكم . قال : والفتنة قد ذر قرنها بعد انقضاء بضع سنين من خلافة عثمان
رضى الله عنه . هـ

والمعجب من محققنا يسوق الكلام على عوامه فيهدم آخره أولا ولا يفتن لذلك ،
أو هي شهوة الطمن على حديث رسول الله ﷺ ولو بالهذيان والكلام المتناقض

فتراء في أول كلامه يتهم الصحابة بروايتهم عن إخوانهم من الصحابة والتابعين
بدون ذكر من رووا عنهم - أى من الصحابة والتابعين من غير عزو إلى من رووا عنهم -
ثقة بهم ، ثم نقل عن ابن سيرين أنهم - بمعنى الصحابة - لم يكونوا يسألون عن الإسناد
فلما وقعت الفتنة قالوا سموا لنا رجالكم ، والفتنة ذر قرنها بعد انقضاء بضع سنين من
خلافة عثمان رضي الله عنه

إذن كانت قمتهم بمن يحدثونهم في زمن أبي بكر وعمر قبل الفتنة ، وكان ذلك أزهـر

عصور الاسلام ، حتى فسر بعضهم « الصراط المستقيم » الذى نسال الله للمداية إليه فى فاتحة الكتاب سبع عشرة مرة على الأقل فى كل يوم ، فسروه بأنه سنة أبى بكر وعمر ، فكان العصر عصر صدق وأمانة وعدالة ، ومن أخطأ منهم ردوه عن خطئه بشهادة الله لم فى قوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » والآية وإن كانت فى الأمة الاسلامية جميعها فالصحابا خصوصا أهل عصر أبى بكر وعمر فى الذروة العليا منها

ومتى كان التابعون يحدثون الصحابة أيام أبى بكر وعمر ؟ ومن هو ذلك التابعى الذى حدث الصحابة قبل الفتنة أى قبل زمان عثمان أو قبل سنة ٢٤ هـ وأكبرهم كعب بن السيب ولد فى آخر خلافة عمر ، فكيف كان هو أو من هم أصغر منه أئمة حديث الصحابة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأمهات المؤمنين

يظهر أن أبا رية لا يعرف ما يجرى به قلبه من التهاوت والتناقض للورى والعمى ، وشهوة الشك فى أحاديث رسول الله ﷺ ، فكتب ما يضحك العقلاء أو يبكىهم عليه قال (فى نهاية ص ٥٠ فى آخر الحاشية) عن حديث فى فضل عائشة : رواه أبو نعيم من جهة أحد بن خيل !!

قلت : والذى له اشتغال بعلم الحديث وبكتب رجاله يستغرب هذا الاسم . أحد بن خيل ، فهو محرف إما من محقق القرن الرابع عشر أو من جامعى حروف الكتاب ، ومعا يكن من أسرفان المشكك فى سنن رسول الله وحديثه قد ضيق رحمة الله من الخطيء ، فيكون هو أول من تضيق عنه رحمة الله بما كسبت يده ، ويتمصبه وهواه

وقال فى (ص ٥١) : « رواه الشيخان عن عامر بن مسروق » وهذا من جهل بأوليات أسماء الرجال وجهله بأشهر الأسانيد وأوضحها ، وصواب السند : عامر ، وهو ابن سراحيل الشعبي الإمام العلم ، عن مسروق ، وهو ابن الأجدع الهمداني من مشايخ التابعين

نقد الصحابة بعضهم لبعض (س ٩ - ١٤)

أكثر الشكك للشك في أحاديث النبي ﷺ من ذكر إنكار أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رد بعض أحاديث الصحابة لظنها أنها مخالفة للقرآن ، وقد أجاب العلماء عن ذلك فينبوا صفة الأحاديث وخالفوا أم المؤمنين في ظنها معارضة القرآن لهذه الأحاديث التي ردتها

(١) من ذلك حديث عمر وابنه وغيرهما في الصحيح من نداء النبي ﷺ لقتلى بدر وقوله لم « يا فلان وفلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقد وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال له عمر : يا رسول الله كيف تنادي قوما قد جيفوا - أي صاروا جيفا - فقال ﷺ : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » رده عائشة لظنها أنه يخالف قوله تعالى ﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾ ، ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور ﴾

وأجاب العلماء بأنه لا معارضة بين الحديث وما ذكرت من القرآن فالقرآن يسلي النبي ﷺ لحزنه على عدم سماع الكفار لدعوته ، ويبين له أنهم موتى القلوب صم الآذان عُمى الأبصار ﴿ صم بكم عى فهم لا يسمعون ﴾ فلا تعارض بين ذلك وبين حديث قتلى بدر أهل القلب ، وقد قال قتادة : أحياء الله حتى سمعوا نوبيخ النبي ﷺ . ومثل ذلك حديث الليث « حتى إذا تولوا عنه وإنه ليسع قرع نهالم » وغيره كثير

(٢) ومثله ردها لحديث عمر وابنه « إن الليث يعذب يبكاء أهله عليه » لظنها معارضته لقول الله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ وأجاب العلماء بعدم المعارضة ، إما لأنه ربما يكون أوصى بالبكاء عليه فيعذب بوزره هو ، أو يكون قد قصر في حياته في عدم نهى أهله عن البكاء على الأموات فيعذب بعدم عمله لقوله تعالى ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وتودها التباس والحجارة ﴾ ويكون بكاء أهله الذي قصر في نههم عن مثله في حياته سببا لمؤاخذته في تقصيره في تعليم أهله . وأجاب شيخ الاسلام ابن تيمية بأن المذاب هو الألم لما وقع فيه أهله من مخالفة الشرع ، وليس عقوبته على ذنب غيره

الذي فقه آية ﴿ لا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، وأيا ما كان الأمر فليس بين ما ردت أم المؤمنين وبين الآية تعارض كما ظنت

لقد سمعت حديث رسول الله ﷺ « من نوقش الحساب هلك » فظنته معارضا لقول الله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ فبين لما النبي ﷺ أن ذلك العرض ، وأما من نوقش الحساب فقد هلك . وقالت النبي ﷺ : يرجع أزواجك بمحج وعمرة وأرجع بمحج فقط ، لأنها حاضت قبل أن تم عمرتها ، فقال لها النبي ﷺ « يكفيك طوافك وسعيك عن حجك وعمرتك » فلم تقتنع ، فأرسل معها أخاها عبد الرحمن فأعمرها من التمتع تطيبا لخاطرها

وقال الله لها ولأزواج نبيه ﷺ ﴿ وقرن في بيوتكن ﴾ وقال النبي ﷺ لمن في حجة الرداع « هذه ثم لزوم الحصر » - بمعنى لزوم البيت بعده ﷺ ، ولكنها تأولت الحديث تأويلا خطأ وخرجت إلى الكوفة لأجل قتلة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه . ولما عقر جملها في وقعة الجمل التي سميت باسم جملها ذكرها على بخطها فبكت حتى بكت خوارها ونذمت وثابت إلى الله تعالى ، ولها من الحسنات وصحبة نبيه ﷺ ما يفمر ذلك كله

وهكذا رضى الله عن أم المؤمنين عائشة وسائر الأمهات الطاهرات وعموم أصحاب النبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة ، نعترف بفضلهم ونترضى وترحم عليهم ولا نعتقد العصمة في أحد - أيا كان - بعد رسول الله ﷺ ، ولهم حسنات تمحو وتفيض على ما صدر منهم من خطأ متأول ، وكثير من مفتريات الشيعة عليهم زور وبهتان

ومسألة رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المراج يثبتها الخبر ابن عباس وتنفيها أم المؤمنين عائشة ، وفي حديث أبي ذر عند مسلم : هل رأيت ربك ؟ فقال ﷺ « رأيت نورا » وفي لفظ « نورٌ أنى أراه » وجمع العلماء بين ما ذهب اليه ابن عباس في إثبات رؤيته ﷺ لله ليلة المراج وما ذهب اليه عائشة رضى الله عنها من نفي ذلك بأن مراد ابن عباس رؤيته ﷺ بقلبه ، ولا ينافي ما فقهه عائشة من رؤيته ﷺ لله ببصره ، ويتأيد بلفظ

حديث أبي ذر « رأيت نوراً » بمعنى رأى من حجب أنوار الله تعالى التي جاءت في حديث أبي موسى مرفوعاً « إن لله سبعين حجاباً من نار أو نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه » ، فلا فائدة من التهويل بانكار عائشة لما ذهب إليه غيرها من إثبات الرؤية ليلة المراج

وما قال للشكك في آخر حاشية ص ٥١ أنراً أو قائللاً وليست المسألة من العمليات فيمكنني فيها بالأدلة الظنية ، وإنما هي من المعتقدات فلا يكفي فيها إلا بالدليل القطعي » شئنة نعرفها من أخزم في سدى كتابه ولجنته من الشك في الأحاديث النبوية والحكم عليها حكماً جائراً ظالماً أنها لا تفيد اليقين ، إنما تفيد بزعمه الظن ، والله حسيبه على ما افتراه عليها من هذا الباطل ، فإذا لم تفد أحاديثه ﷺ اليقين فمن أين يستفاد اليقين ؟ أمن هوس المتكلمين وترهات الجهمية وضلالات الروافض ؟ قالهم عفوا وغفراً ، ولا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب

وخاتمة السوء التي ختم بها باب قد الصحابة بعضهم بعضاً إذ نقل عن الدكتور أحمد أمين (ص ٥٢ - ٥٣) ما نقله أحمد أمين عن الزيدى الرافضى الطاعن على أصحاب رسول الله المجاهد لما شهد لهم به الكتاب والسنة الصحيحة ، وهذه الرسالة المنسوبة لبعض الزيدية لعلها المسماة الكافية في النعي عن تولى معاوية للذى يسى ابن عقيل الحضرمي - وما هو يزيدى ولكنه رافضى فطير - إذ يقول : إنا رأينا الصحابة أنفسهم يتقد بعضهم بعضاً بل ويعلن بعضهم بعضاً ، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها تقد ولا لمن لملت ذلك من حال نفسها لأنهم أعرف بمحلم من عوام أهل دهرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم في جانبهم لم يروا أن يمكروا عن علي . وهذا معاوية وعمرو ابن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف . وكذلك روى عن عمر أنه طعن في رواية أبي هريرة وشم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبها إلى سرقة مال النبي واقتطاعه ، وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ . وكان التابعون يسلكون

بالصحابة هذا السلك ويقولون في المصاة منهم هذا ، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك ،
والصحابة قوم من الناس لهم مالتاس وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ومن أحسن
حمدناه ، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما
كانت ذنوبهم أخش من ذنوب غيرهم لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فمما يندبنا
أخف لأننا أعذر » اهـ

أقول : - لقد قدرت قلبي وآذيت بصري بقراءة وقيل هذه القاذورات لترى التبيح
الذي خرج من قلب هذا الرافضى - ابن عقيل أو غيره - في بغض أصحاب رسول الله
وشرب أبى رية في كتابه من هذا القبيح والصديد ، لأن قلبه مؤوف بهذا البغض والقبيح
والصديد لأصحاب رسول الله ﷺ ، فكيف من بددهم من خيار الأمة وحلة العلم النبوى
من التابعين وتابعيهم يا احسان

أين غاب عن أبى رية قول الله تعالى ﴿ محمد رسول الله ﴾ ، والذين معه أشداء على
الكفار رحماء بينهم زمام ركما سجدا يتغنون فضلا من الله ورضوانا سيام في وجوههم
من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطاء فآزره
فاستنظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿ فهل هذا النص القرآنى باطل ، أم
منسوخ ، أم جاء في غير محله اللائق به ؟ وقول الله سبحانه ﴿ للفقراء المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم يتغنون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ،
اولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر
إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ،
ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ فإين هذا من الذين اضطعنوا الفل لهؤلاء الكرام الأخصيار ،

وشحنوا قلوبهم به ؟ وقوله عز وجل ﴿ والذين أخرجوا من ديارهم بنير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ وقوله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وقوله ﴿ واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطمئطم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ﴾ وقوله ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا قبل ذلك لفي ضلال مبين ﴾ ودعاء الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿ ربنا وابث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ والحديث الصحيح : « لا نسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو اتفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » والحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » فذكر قرنين أو ثلاثة

وإذا كان هذا الرافضى الخبيث الذى سماه أحد أمين زيدا - سواء كان ابن عقيل الحضرمى أو غيره - قد ورث عن زراعى حنظلة الرقص من زنادقة الفرس واليهود الذين أدمى قلوبهم ظهور الاسلام ولا سيما فى زمن أزهر عهوده وأبهى عصوره بعد عصر النبوة أعنى به عصر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى انتهى غيظهم منه باغتياله فى محراب رسول الله ﷺ وهو يصلى بالمسلمين صلاة الفجر - أقول إذا كان غيظ هذا الرافضى الذى ورثه عن زنادقة الفرس واليهود فقال فى الصحابة وفى عمر وعثمان ومعاوية وعمر بن العاص وأبى هريرة ما قال ، فالحجب من الدكتور أحمد أمين الذى زعم نفسه مؤرخ الإسلام فيما سماه فجر الإسلام ، وضحى الإسلام ، ولا عجب فى ارتشاف أبى رية من هذا التيج والصديد وقبته فى كتابه الذى سماه أضواء على السنة المحمدية ، وأعاجيبه كثيرة هذه إحداها ، ومنها تسكراره عوى نهى النبى ﷺ عن كتابة حديثه معتمداً على أمثل ما جاء فى ذلك أعنى حديث أبى سعيد الخدرى عند مسلم وهو قد هدم الاعتماد عليه بما نقل عن أم المؤمنين عائشة (ص ٥٢) قالت عن أنس بن مالك وأبى سعيد الخدرى : ما علم أنس بن مالك وأبى

سميد الخدرى بحديث رسول الله ، وإنما كانا غلامين صغيرين هـ . فإذا كان قول أم المؤمنين في أنس وأبي سعيد الخدرى إنما لا علم لهما بحديث رسول الله ﷺ لصغرهما حجة ، إذا كان قولها هذا حجة عند أبي ربة ، فلا حق له أن يستدل بحديث ما عن أبي سعيد الخدرى ، ومن ذلك حديثه في النهي عن كتابة الحديث فقد أسقطه بكلام عائشة هذا ، وإن لم يكن كلامها حجة عنده في أنس وأبي سعيد سقط احتجاجه بسائر كلامها في ردّ ماردّت عن بعض الصحابة خصوصاً حديث عمر وابنه في توبيخ النبي لقتلى بدر أهل القلب وفي تعذيب البيت بكاء أهله عليه وغير ذلك مما شوش به أبو ربة في فصله هذا ، وهكذا يظنّ أبو ربة أضواء بنفسه ، وتبقى دواوين الحديث والسنة وأئمة الحديث النبوى نجوم هداية ويان لكلام الله تعالى ولدين الاسلام ، رغم أنف مبغضها من الرافض والخوارج وأبي ربة

وكلام الرافضى - ابن عقيل الحضرمي - الذي قتل أحد أمين في ضحاه المظلم واعتده أبو ربة في أضوائه اللطفاء (ص ٥٢ و ٥٣) ما هو إلا تحقير للصحابة ، وجحد لقضائهم ، وفيه أكاذيب مفضوكة وبهت سخيف كقوله (ص ٥٢) في الصحابة : ويلعن بعضهم بعضاً وهو كذب ورب الكعبة ما كان أصحاب رسول الله بلعائين ولا سبائين بعضهم بعضاً ، إلا ما تنسبه الشيعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في خصومه في السياسة وكثير منه مبالغ فيه وكوفى على عمله ليكفر الله عنه ، فقابلته خصومه بمثل ما بدا منه أو أشد

وقول الرافضى (ص ٥٢) وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وبجانبهم لم يروا أن يمكوا عن علي ، وهذا معاوية وعمر بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف

وجوابه : إن علياً رضى الله عنه هو الذى بدأ بالقتال مجتهداً متأولاً ، ففعلوا معه ما فعل معهم ، حتى ظن غلاتهم أن له في ذلك ضلعاً - وحاشاه - فلذلك قابلوه بمثل ما قابلهم به

وجاء عن بعض خيار الأئمة - الثوري وابن عينة وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري - فيما جرى بين الصحابة من الخصام والقتال ، تلك الحكمة الذهبية : هذه دماء طهر الله منها سيوفنا فطهر منها ألسنتنا

ومن قرأ منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ومختصره لخير تلاميذه مؤرخ الإسلام الحافظ الذهبي ، يخرج منها بالرضاء والترضى على أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً ، ولعن مبغضهم من الزوافض والخوارج ومن سلك سبيلهم ، كهذا الحضرمي ومن رضى قوله

وقول الرافضي (ص ٥٢) : وكالذي روى عن عمر أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبها إلى سرقة مال الفتي . واعتطاعه ، وقل أن يكون من الصحابة من سلم من لسانه أو يده ، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ

جوابه أن هذه ضغائن وغل وأحقاد وأكاذيب من زنادقة الفرس واليهود على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي لم ير الإسلام بعد عصر النبي ﷺ وخليفته أبي بكر أعز من عصره وأزهر وأنور ، هؤلاء الزنادقة الذين أزال عمر مجوسيتهم من إيران وطرد اليهود من جزيرة العرب وأعز الله الإسلام بإسلامه وخلافته ، أكل الفيلق قلوبهم من عمر ، وآمروا على اغتياله وهو قائم يصلي الفجر في محراب رسول الله ﷺ بخيار المسلمين ، ثم لم يكفهم ذلك حتى زرعو تلك الشجرة الخبيثة شجرة الرفض وتفريق جماعة المسلمين ، أو من عمى قلبه بترهاتهم ، وجاء هذا الحضرمي الرافضي بسلك سبيل أعداء الإسلام في بهت عمر وتخفيره وتنقيصه ، وجاء أعمى القلب هذا أبو رية يعتمد كلام هذا المؤوف وقيحه وصديده ، ويعلق عليه بقوله في الحاشية : راجع ترجمة أبي هريرة ، وراجع فصل عدالة الصحابة !

وستراجع ذلك إن شاء الله تعالى حتى نرى غيظك على سلف الأمة وصحابتها وحملته

أمانات دينها الذين هم خير أمة أخرجت للناس ، ونرى كفركم بما أنزل الله في القرآن في فضائل أصحاب نبيه ، ونشهد على نفاقكم بيفضلكم لأصحاب رسول الله ﷺ الأشداء على الكفار الرحماء بينهم الركن السجود الذين رفع الله منارهم وأعلى قدرهم في التوراة والإنجيل والقرآن ، وشهد لهم الواقع والتاريخ بما لم يشهد لأحد غيرهم

وقول الرافضي (ص ٥٣) « وأمثال ذلك مما رواه التاريخ » فيقال لهذا الرافضي الخبيث : أى تاريخ هذا الذى اعتمدت عليه فى ثلب الصحابة وتفسيرهم وذمهم ؟ أهو تاريخ لوط بن مخنف الشيعى المحترف والكذاب المقتدى ؟ أم تاريخ ابن الكلبي صاحب مثالب الصحابة ؟ أم غيره من كذابين نحلة الروافض والمقتريين كل خيار سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان إلى يوم القيامة !

وقول هذا الرافضي (ص ٥٣) « وإنما اتخذهم العامة أربابا » بهتان عظيم على خيار الأمة الذين سماهم عامة ، وبهتهم بأنهم اتخذوا الصحابة أربابا ، ولقد صدق القائل : رمى بدائها وانسلت

لقد تكلم هذا الرافضي الحضرمي ابن عقيل مع أحد وجهاء الحجاز الشيخ محمد أفندي نصيف عين أعيان جدة ووجهيها بشيء من رفض هذا الحضرمي ، فقال له الشيخ نصيف : ياسيد - وخسارة فيه كلمة سيد - إن الناس لهم عقول ودين ، فلا تطع فيهم أن يعبدوا أهل البيت والعلويين الذى تنتفى اليهم ، أو ما هذا معناه . وذلك حينما قال له هذا الرافضي : أفدكم - أو أمرضكم - مطالعة كتب ابن تيمية الناصبي

ويقال لهذا الرافضي الجاهل (القائل فى ص ٥٣ فى الصحابة : ومن أساء منهم ذمناه) ومن أنت أيها النكرة حتى تعرف الإساءة للصحابة وتذمهم على ذلك ؟ انتظر غائبك فى سرداب سامراء وكل من علف الدواب المعدة لركوبه عند خروجه بزعم الخيز من جماعتك ، وقد مضى على غيابه بزعمهم نحو ألف سنة وهو محتجب فى سردابه ، أفأنا لهذا الموهوم الملبوم أن يخرج لينصر جماعته ؟ وليت شعري كيف حال سرادبه فى ألب

سنة من بوله وغائطه ؟ ولكن الحير لا يعجزهم أن يحترقوا له خوارق من ابتلاع أرض السرداب لقاذوراته ، أو أن يمسخ روحاً لا تبول ولا تنفوط ، وما ذلك على عقول الحير بغريب ولا عجيب . أليست هذه العقائد السخيفة هي التي حولت أبناءكم في العراق إلى شيوعية ، وفي إيران إلى حزب توده ؟! وهل كانت تكون هذه الانحرافات الشيوعية لولا هذه الخرافات الشيوعية ؟!

وصدق من قال في الروافض : لو كانوا طيراً لكانوا رخاً أو بوماً ، ولو كانوا دواباً لكانوا حميراً أو بضالا . أقول : ولو كانوا زرعاً لكانوا حنظلًا . على أن الحنظل قد ذكر فيه الطب فوائد علاج لبعض الأمراض ، فلو كانوا شجراً لكانوا قتاداً وعوسجاً وغير ذلك من شائك الأشجار . على أن في جذوع هذه الأشجار ما يصلح للسقوف والأبواب . ويصلح حطباً للطبخ والحبز والتدفئة عند البادية ، بخلاف الرافضة الذين هم شر على الاسلام في كل زمان ومكان ، وما روى التاريخ نكبة على الاسلام وأهله إلا كان الرافضة موقدى نارها وجنود فتنتها ، ولم يعيشوا إلا في ظل عدو للاسلام وحايته

كيف روى الحديث بعد نهى النبي ﷺ عن كتابته ص ٥٤ - ٦٠

لمج هذا الشاك المشكك بكلمة نهى النبي ﷺ عن كتابة حديثه ، وقد غفل أو تغافل عن إبطال دليله في النهي وهو حديث أبي سعيد الخدري عند مسلم وأحمد إذ نقل (ص ٥٢) عن عائشة قولها : ما علم أنس وأبي سعيد الخدري بحديث رسول الله ﷺ ؟ وإنما كانا غلامين صغيرين . وهكذا يتهاوت كلام الباطل والمبطل وتنطق الأضواء على أبي رية ويبقى حديث رسول الله ﷺ قائماً صحيحاً هو أصل دين الاسلام بعد كتاب الله تعالى لأنه بيانه وتطبيقه كما قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وقوله لأمهات المؤمنين ﴿ وَاذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾

قوله (ص ٥٤) : يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم ولا علم عندهم بالخبرة أن أحاديث الرسول التي يقرءونها في الكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة

المبنى وحكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة كما نطق النبي ﷺ بها
بلا تحريف ولا تبديل

ونقول لهذا الشاك المتشكك المشكك في أصل دين الاسلام الثاني - حديث النبي ﷺ -
كما نقول لعلاة الرافضة المشككين في القرآن القائلين بأنه قد ضاع منه نصوص خلافة
على بزعمهم ، نقول لهم جميعاً : إن البشرية جميعاً لم تشهد ديناً حفظت أصوله من القرآن
والحديث كما شهدت لدين الاسلام

ولو كنت تؤمن بقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ لما رميت خيار هذه الأمة وسلفها بتحريف الأصل
الثاني لدينها وتبديله

والذين آمنوا بأحاديث النبي ﷺ وصحتها مبنى ومعنى وأن النبي ﷺ قالها كما رواها
أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد بلا تحريف ولا تبديل وهم الأئمة أهل الخبرة بالعلم ، والعلم
بالخبرة ، كالك والشافعي وأحمد وقبلمهم الثوري وابن عيينة والحمادان ابن زيد وابن سلمة ،
وبعدهم خيار تلاميذ الأئمة وأئمة التلاميذ البخاري ومسلم وأبروداد والترمذي والنسائي وسوام
واضرب رأسك في صخور الجبال حتى يسيل دم رأسك ، فلن تضر الله ودينه
وحديث نبيه ﷺ ولن تضيرها شيئاً

كناطح صخرة يرما ليوهنها فلم يضرها وأعيأ قرنه الوعل
وسر في سبل أهل الضلالة أعداء الاسلام والقرآن والسنن ﴿ كالذي استهوته الشياطين
في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى : اتتنا ، قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا
لنسلم لرب العالمين ﴾

نزولاً بحكمة في منازل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل
والرواية « بالبطحاء » وأنا اخترت لفظ « البيداء » لأنه المناسب لحال اللرباب
لشاك المشكك في حديث رسول الله ﷺ ، وليس البيت قرآناً ولا حديثاً حتى يحافظ
على لفظه كالحفاظة على القرآن والحديث

قال فرخ الروافض أبورية (ص ٥٤) : وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء بعدهم من حلوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل . وما وقر في أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعا صنفا خاصا من بني آدم في جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة ، وأن أذهانهم قد فطرت على صورة خاصة غير ما فطرت عليه أذهان للبشرية جميعا ، فكل ما يسمونه ينقش على ألواحها فلا تفلت منه كلمة ، ولا يشذ عنه حرف

وجوابه : نعم كان الصحابة ومن روى عنهم من خيار التابعين فمن بعدهم صنفا ممتازا من الناس ، شهد لهم التاريخ ومنصفو الأمم ، كما شهد به اختيار الله إياهم لصحبة نبيه وحفظ دينه وإبلاغه للخافقين ، وما تكفل الله به لحفظ دينه وكتابه وبيان رسوله للكتاب ، لتقوم حجة الله على خلقه بهذا الدين المحفوظ إلى يوم القيامة

ودسيسة تمخيط الصحابة ومن روى عنهم دين الله دسيسة « رافضية » خبيثة استنبا الذين زرعوا شجرة الرافضة الحنظلية من أعداء الاسلام القرس واليهود ، وتولاها أعداؤه من البشرين والمستشرقين فطنوا بها في أصلى الاسلام الكتاب المجيد وسنة نبيه الكريم ليثاروا مما حكم به الاسلام على أسلافهم من تحريف كتب الله للنزلة اليهم ونسيان حظ مما ذكروا به ﴿ ومن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه نسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾

وجاء أبورية يردد بهتانهم بعلم منه أو بجمل من منشأ الدسيسة والفرس منها ، وفي كل زمان يوجد الحفاظ المباشرة الذين يحفظون ما يُعَمَّون به وما لهم به حاجة أو شوق مما يمد عند غيرهم غريبا ، أو خارقا . ففي هذا الزمان يوجد بكثرة من يحسن التكلم بثلاث لغات أو أربع غير لغة أبيه وأمه ، وفي الأطباء اليوم من يحسن الانكليزية والفرنسية وربما الألمانية والايطالية ، وفي تراجمة الجامعات الدولية كجمعية الأمم وما تفرع عنها كجلس

الأمن من يترجم ثلاث ساعات خطبة خطيب يتكلم بلغته إلى اللسان الرسمي لتلك المنشأة ولا يقدر أبو رية على إنكار ذلك إلا أن يكون مباحثا، ثم يعد إلى ما شهد به التاريخ من حفظ العرب والمسلمين وقوة ذاكرتهم، فكيف بالصحابة منهم الذين امتزج الاسلام بأرواحهم ودماهم وباعوا في نصره وحفظه كل غال ونفيس حتى أرواحهم، فيجىء فرخ الروافض فينكر عليهم حفظهم لأصل دينهم الكتاب والسنة ويزعم أن الكتاب المجيد لولا الكتابة والتدوين لما حُفِظ، وكيف تحفظه كتابة لا نقط فيها ولا شكل ولا حروف. كيف تحفظه لولا حفظ الصدور له. وقد ضربنا سابقا أمثلة من كتابة (صو) كيف تحفظ قراءة فتبينوا أو فتبينوا لولا حفظ الصدور لها وكتابة (صص) كيف يحفظ يقص أو يقضى لولا الحفظ

لقد قرأ من يمتد على الكتابة بدون تلق وحفظ قول الله تعالى ﴿ جعل السقاية في رحل أخيه ﴾ فقرأها جعل السقاية في رحل أخيه. وقرأ آخر ﴿ وبعوق ونسرا ﴾ فقرأها (وبشرا) وقرأ آخر حديث صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين « فقرأ عجزه : كنار في غلس . وعيوب الاعتماد على الكتابة التي لا نقط فيها ولا شكل ولا حروف مدّ بدون حفظ وسماع يأتي بالعجائب والمضحكات والمبكيات . وسمع الحجاج بن يوسف قارئا يقرأ قول الله تعالى ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ فقرأ وسعت كل شيء .، وآخر قرأ ﴿ إن الله يرى من المشركين ورسوله ﴾ فقرأ ورسوله بالكسر عطاء على المشركين ، فأمر الحجاج بنقط المصحف ونشكيله وضبطه ، جزاء الله عن ذلك خيرا

فلولا حفظ الصحابة المنقطع النظير وحفظ من روى عنهم لما بقي دين الاسلام - كتابه وحديثه - غضا طريا كما أنزل وكما قاله رسول الله ﷺ . وليس عند أبي رية غير الاستبعاد والتهويل والدعاوى التي لا دلائل عليها فتزد عليه باجماع خيار الأمة من الصحابة والتابعين على أن هذه الأحاديث المدونة في صبح الكتب وستنها ومساندها هي أحاديثه ﷺ كما اعترف بذلك من قبله عن شيوخ الدين وكفى بهم حجة ،

ومن الناس غيرهم ؟

نفض الطرف انك من نمير فلا كمبا بلغت ولا كلابا

علق (في حاشية ص ٥٦) على حديث « نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها ثم أدلما كما سمع » الخ بقوله : ومن العجيب أن هذا الحديث نفسه قد جاءت روايته بصيغ كثيرة تبلغ الخمس عشرة ، وكل رواية تختلف عن الأخرى في اللفظ والمعنى ، ولولا خشية الإطالة لأوردتها كلها ، فيرجع إليها في مظانها . ١٠

ونقول لهذا الكاذب : كذبت ، وقد قيل قديما : اكذب وأبعد شاهدك . ولو طولت بعشر ألقاظ مختلفة في اللفظ والمعنى لهذا الحديث لبُهِت الكاذب . وقوله « لولا خشية الإطالة لأوردتها كلها » حجة الماجز المقتضى ، وأى إطالة يخشاها وقد حشا كتابه بأباطيل الروافض والجهمية وأعداء الاسلام ، وقوله « فيرجع إليها في مظانها » فإين هذه المظان أيها البهات ؟ أما كنت تشير إليها ، وكان ذلك خيرا ممن اعتمدته من كلام الرافضة في تبريح الصحابة وجحود فضلهم ، غير أن هذا شأن الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره

في علوم الحديث قسم يسمى (المتابعات والشواهد) فإذا جاء الحديث من عدة طرق عن صحابي سموا هذه الطرق بالمتابعات ، وإذا جاء الحديث عن عدة من الصحابة سموا أحاديث الصحابة الذين اتفقوا على رواية الحديث بالشواهد لشهادة بعضها البعض ، وقد عني مسلم في صحيحه بتخريج المتابعات والشواهد ، وأشار إليها الترمذى في جامعه بقوله بمد حديث الباب : وفي الباب عن فلان وفلان وفلان من الصحابة

فإذا كان أبو رية يعنى بمعنى حديث « نضر الله امرءا » بصيغ كثيرة تبلغ الخمس عشرة تختلف كل رواية عن الأخرى وهو ما لم يثبت ولن يستطيع إثباته وأعرض عن ذكر الاختلافات الخمس عشرة بزعمه بدعوى خشية الإطالة وأشار بالرجوع إلى مظانها التي لم يبينها ، إذا كان يريد بهذه الصيغ المختلفة طرق المتابعات والشواهد لهذا الحديث وظن

حينما مختلفة تبلغ ١٥ صيغة ! إذا كان يظن ولم يعرف حكمة المتابعات والشواهد سقط الكلام معه لأن الكلام مع الجاهل الذي لا يعرف أنه جاهل ضياع وعبث ، اللهم إلا إذا أريد حفظ الناس من وساوس وترهاته

والدعاوى ما لم يقيسوا عليها بينات أبناؤها أديعاه

قال (ص ٥٧) في رد رواية للمعنى : لأن الانسان وإن اجتهد في تطبيق الترجمة لكن لا ينفك عن تفاوت وإن قل ، فإذا تواترت التفاوتات كان التفاوت الأخير تفاوتاً فاحشاً لا يبقى بين الكلام الأخير وبين الأول نوع مناسبة . هـ

وعلى تحقيق هذا الغرور يكون حديث « إنما الأعمال بالنيات » الخ مثلاً قد تواترت عليه كأمثاله أنواع التبديل والتحريف حتى لم يبق بينه وبين ما قاله ﷺ نوع مناسبة ! وإن تحقيقاً بالأحاديث النبوية إلى هذا الحد من الشك والتشكيك هو كالتشكيك في القرآن بسبب الأحراف السبعة والقراءات المتنوعة التي قال فيها النبي ﷺ « كلها كاف شاف » هذان النوعان من الشك والتشكيك يخرجان من ما خور قاذورات واحد هو غيظ أعداء الاسلام وغلهم وضمهم على الاسلام أن تكون له كل هذه الثروة السلبية من تراث عصر النبوة ، ولا يسع المسلم إلا أن يحمده الله تعالى على السلامة من هذا المرض وتلك الآفة ﴿ ومن يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ ، ﴿ ومن يرد الله فتنه فلن يملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم ، لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾

ساق أبو رية في جواز رواية الحديث بالمعنى (ص ٥٩) أدلة : منها ما روى البيهقي عن مكحول قال : دخلت أنا وأبو الأزهري على واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا بحديث سمعته من رسول الله ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نقصان . فقال : هل قرأ أحد منكم القرآن شيئاً ؟ قلنا نعم ، وما نحن له بمحافظين جداً إنا نزيد الواو والألف ونقص [قال] : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألوه حفظاً وإنكم تزعمون أنكم تزيدون وتقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله ﷺ عسى أن لا يكون سمعناها منه إلا مرة

واحدة ، حسبكم اذا حدثناكم بالحديث على المعنى

و (ص ٥٦) بما رواه ابن مندة في معرفة الصحابة والطبراني في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن سليمان لابن أكيمة الليثي قال : قلت يا رسول الله إني أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما سمعته منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا ، فقال اذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس ، فذكر هذا للحسن فقال : لولا هذا ما حدثنا

ذكر أبو رية آخر حاشية (ص ٥٦) أن هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « رحم الله امرأ سمع مقالتي » الخ قال : ولا بد لكل فئة من أن تؤيد رأيها بحديث . ٥١

والجواب أن أبارية يظهر أنه لا يعرف حقيقة التناقض ، فالتقيضان عندهم لا يجتمعان ولا يرتفعان فأى مناقضة بين حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى اذا عجز عن سرد ألفاظه بشرط أن لا يحل حراما ولا يحرم حلالا ، وبين حديث دعا النبي ﷺ بالرحمة أو النضرة لمن سمع مقالة النبي ﷺ فوعاها فأدأها كما سمعها ، فالأول أفاد الجواز عند العجز ، والثاني أفاد الفضيلة لمن قدر ، والشريعة الاسلامية تقول بفضل المقرين ثم من يليهم من الأبرار وبثواب السابقين ومن يليهم من أهل البين وبتفضيل المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین عن الجهاد للأعدار

ولكن أبارية يزعم أنه يريد أن يكون جميع الناس ملائكة مقرين ليس فيهم أهل الأعدار ، وهذا ما لم يرد الله للبشر . ونسأله اذا أنصف : هل حديث عن رسول الله ﷺ يروى بالمعنى خير أم اطراحه واتباع آراء الجهمية والروانض والخوارج ووساوس الأوهام ورفائل العادات ؟

سألني رجل عن خاتم الذهب للرجال ، فذكرت له الحديث قوله ﷺ لرجل في يده خاتم من ذهب « أيسرك أن تضع جرة في يدك » فخلع الرجل الخاتم ورماه في الأرض وأبى أن يأخذه ولو لينتفع به في وجه حل . فغاب عني السائل مدة ثم رجع يجادل بحجة

شيطانية أنت لابس الخاتم لعله كان معجباً من هوا به ، ليتخلص من وعيد خاتم
الذهب للرجال

ومع هذا فهذا المحاول حل لبس الخاتم خير من أبي رية لأنه تأول الحديث ولم
يرفضه كرفض أبي رية لأمثاله من الأحاديث ، وأقام المتأريس في وجه العمل بها بشكوكه
وريبه وأكاذيبه على رواياته

والعجب ما زعمه أن حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى الذى هو حديث ابن
أكيمة اللينى زعم أنه يناقض حديث « رحم الله امرءاً سمع مقالتي فادّأها كما سمع » وقد زعم
أن هذا الأخير قد جاء بخمس عشرة صيغة يخالف بعضها بعضاً في اللفظ والمعنى ، فأبى صيغه
الخمس عشرة هي التي تناقض حديث ابن أكيمة ، أم كلها ؟ فإذا أسقطه أبو رية بزعم
اختلاف صيغه الخمس عشرة وفي اللفظ والمعنى بقي حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى
بلا معارض ولا مناقض ، فأين من يعقل تهافت كلامه وهدم بعضه بعضاً ويستحي من
الرد على السنة بمثل هذه المتهافتات التي يهدم بعضها بعضاً ، حديث إباحة رواية الحديث
بالمعنى يرده بحديث زعم أنه جاء بخمس عشر صيغة مختلفة اللفظ والمعنى فبأى صيغة من
صيغه الخمس عشرة يرد حديث إباحة رواية الحديث بالمعنى ان كان يعقل ، أم هو البيهلاء
يهرف بما لا يعرف ؟

ونقل الأستاذ أبو رية في كتابه (ص ٥٨) عن القاسمي في كتابه (قواعد التحديث) .
قال : رخص في سوق الحديث بالمعنى جماعة منهم على وابن عباس وأنس بن مالك وأبو
الدرداء ووائل بن الأسقع وأبو هريرة ، ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم إمام الأئمة
حسن البصري ثم الشعبي وعمر بن دينار وإبراهيم النخعي ومجاهد وعكرمة . هـ

ونقل عن الشيخ طاهر الجزائري (ص ٥٥) من كتابه (توجيه النظر) قال : وذهب
الأكثر إلى جواز ذلك إذا كان الراوى عارفاً بدقائق الألفاظ بصيراً بمقدار التفاوت
بينها خبيراً بما يحيل معانيها الخ . هـ

ونقل (آخر ص ٥٥) عن أبي اسحاق الشيرازي في كتابه (المع) قال : والاختيار في الرواية أن يروى الخبر بانظرة لقوله ﷺ « نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم أداها كما سمع ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » الخ ، فعبّر أبو اسحاق الشيرازي بالاختيار ولم يحمل الحديث الذي استدل به على الاختيار مناقضا لحديث ابن أكيمة في جواز الرواية بالمعنى كما زعم التناقض بينهما أبو رية ، فأيهما نصدق أبا رية الذي لم يأخذ هذه العلوم عن أحد من أهلها ، أو أبا اسحاق الشيرازي الفقيه الأصولي الحجة وهو من كبار أئمة الشافعية

ونقل أبو رية (أول ص ٥٩) عن ابن سيرين قال : كنت أسمع الحديث من عشرة : للمعنى واحد والألفاظ مختلفة . وكذلك اختلفت ألفاظ الصحابة في رواية الحديث عن رسول الله ﷺ فمنهم من يرويه تماماً ، ومن يأتي به بالمعنى ، ومنهم من يورده مختصراً ، وبعضهم يفاير بين اللفظين ويراه واسماً إذا لم يخالف المعنى ، وكلهم لا يعتمد الكذب ، وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ما سمع ، فلذلك وسعهم ، وكانوا يقولون : إنما الكذب على من تعدده . ٥١

أقول : ومن لم يسعه هدى الصحابة وخيار التابعين فلا وسع الله له ، ومن ضيق ما وسع الله فهو شبيه بالخوارج الذين يكفرون بالذنوب ويمحون الحسنات بالسيئات خلاف ما قال الله ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ ، وحسبهم ما جاء في وعيدهم « يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، وأنهم كلاب أهل النار » ومع ذلك فإنهم أقل شراً من أبي رية ، يتشددون ليطالبوا أكثر مما ترضيه وتكتفى به الخفيفة السمحة ، وأبو رية يتشدد ليتوصل إلى اللقط والبتر ، والاستغناء عن آئمن موارث الاسلام بعد القرآن ، فأنه حبه .

ونقل أبو رية (ص ٥٩) قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، إنما تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقاً وأجود تحبيراً وأفصح به لساناً منه إذا حدثنا به ، يعني عن غيرك . فقال : إذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك

وعن النضر بن شميل : كان سفيان يقول : إذا رأيتم الرجل يشدد في ألفاظ الحديث في المجلس فاعلم أنه يقول : اعزفوني . وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه ، فقال له يحيى : يا هذا ليس في الدنيا أجل من كتاب الله تعالى ، وقد رخص للقراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف ، فلا تشدد . اهـ

ولله در هؤلاء الأئمة الذين عرفوا بسر الدين ورفع الحرج عنه ، فأخذوه سهلاً سمحاً ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك ، ولم ينتطعوا تنطع من خرج به منطقة عن سلوك سبيل المؤمنين ، فجروا في شكوكهم وارتياهم وراء أعداء الاسلام من الروافض والجهمية بله المستشرقين أمثال جولدزهر وشبرنجر ودائرة المعارف الاسلامية وبئس أولئك رفيقا ﴿ ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴾ ، ﴿ ومن بعث عن ذكر الرحمن قبض له شيطاناً فهو له قرين ﴾ ، حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين ﴾ ، ﴿ ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴾

الحكمة في تنوع العبادات

إذا قرأ الانسان كلام حكماء الاسلام وأئمة الدين ازداد بصيرة في دينه بما يجده في كلامهم من التحقيق والعلم والبيان . من ذلك كتب شيخ الاسلام ابن تيمية وتلاميذه . المحققين كالشيخ ابن قيم الجوزية وسواه من المحققين

دونك من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية رسالة (تنوع العبادات) التي أبان فيها حكمة تنوع كثير من العبادات ، وما في هذا التنوع من الرحمة والتيسير على هذه الأمة للرحومة ، كتنوع القراءات على سبعة أحرف ، فقد جاء في الخبر مرفوعاً « أقرأني جبريل على حرف ، فقلت : أسأل الله عفوه ، في أمتي الشيخ الكبير والمرأة المعجوز و ... و ... فزادني حرفاً ، فلم أزل أستزيده حتى أقرأني على سبعة أحرف كلها كاف شاف ، فآقروا ما تيسر منه »

ثم يحيى اليهودى للمستشرق جدو الاسلام جولدزهر فيشكك في الاسلام وفي

القرآن وفي صدق النبي ﷺ ونبوءته ورسالته بسبب القراءات ، حسدا للإسلام الذي سجل عليهم تحريف كتبهم ونسيانهم حظا مما ذكروا به في ومن الذين هادوا يجرئون الكلام عن مواضعه ، ونسوا حظا مما ذكروا به ، ولا تزال تطلع على خائنة منهم ، فاعف عنهم واصفح ، إن الله يحب المحسنين ﴿

ومن تنوع العبادات أنواع الأذان : أذان بلال في المدينة ، وأذان أبي محذورة بمكة وغيرها . والأذان حكمته الإعلام بدخول الوقت ، والدعوة الى صلاة الجماعة « حتى على الصلاة ، حتى الفلاح » هذا جوهره وله ، سواء ربيع التكبير في أوله أو ثنى ، وسواء رجّع في الشهادتين فيه أو لم يرجع ، فجوهره « حتى على الصلاة ، حتى الفلاح »

ومن تنوع العبادة دعا افتتاح الصلاة بعد تكبيرة الإحرام ، فبأيها افتتح المصلي صلاته كني ، لأنها ثناء على الله قبل القراءة ، فبأي صيغها الواردة أننى على الله أجزاء وأحسن

ومن تنوع العبادة صيغ التشهد في الصلاة التي علمها رسول الله ﷺ لأصحابه : ابن مسعود ، وابن عباس ، وعائشة ، وجابر ، وعمر بن الخطاب ، وابنه عبد الله بن عمر . وقد ساق ألفاظها أبو رية (ص ٦٠ - ٦٣) يشكك في تنوع صيغها لأنه لم يعقل حكمته ، فجعله شكا في حديث رسول الله ﷺ وفي عبادات الاسلام

وجوهر التشهد في الصلاة هو تذكر شهادتي الاسلام : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، والديباجة قبل الشهادتين ثناء على الله وتمهيد بشهادة التوحيد والاسلام ، ولم يختلف لفظ الشهادة في أنواع صيغ التشهدات الثمانية التي تكلف أبو رية في إيرادها ليقول (أول ص ٦٣) : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألفاظها . وكذب أبو رية فلفظ شهادة الاسلام والتوحيد في جميعها واحد لا اختلاف فيه ، وديباجتها المتعددة تمهيد لا يضر تنوعه : « التحيات لله والصلوات والطيبات » ، « التحيات المباركات والصلوات الطيبات » ، « التحيات الزاكيات الطيبات لله » ، « بسم

الله ، التحيات المباركات لله الخ

وقوله (ص ٦٣) : لو أنها كانت من الأحاديث القولية التي رويت بالمعنى لقلنا عسى ، ولكنها من الأعمال المتواترة التي كان يؤديها كل صحابي مرات كثيرة كل يوم ، وهم يعدّون بعشرات الألوف

وجوابه أنه يظهر أنك لا تعرف التواتر ، فرواة التشهد ذكروا أنهم ثمانية ، والتشهد يقال في الصلاة سرّاً لا جهراً ، وعشرات الألوف من الصحابة الله وحده هو الذي يعلم بما كان يختاره كل صحابي من هذه الأنواع

وهجّره أن يشكك في الأحاديث قولها وعملها بعبارة هذه ، ويشكك في صدق صحابة رسول الله ﷺ وهم الأئمة على دين الله تعالى الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ونصره ، وحل دينه وتبليغه للناس

وقوله (٦٣) : وما يلفت النظر أن كل صاحب تشهد يقول : إن رسول الله كان يعلم التشهد كما يعلمه القرآن

وجوابه : هل يكذب الصحابة في ذلك ؟ أم يكذب من روى عنهم من أئمة التابعين فن بعدهم ؟ كلا وهم أصدق منك ومن ساداتك الجهمية والروافض والخوارج بالإجماع وشهادة الواقع والتاريخ الحق ، فكل من قال : علني رسول الله كذا وكذا فهو صادق ، واعتراضك يتوجه إلى ما جاء به رسول الله من اليسر والرحمة التي أيتها

وقوله (ص ٦٣) : وإن تشهد عمر من فوق متبر رسول الله والصحابة جميعاً بسمعون ، فلم ينكر عليه أحد منهم ما قال كما ذكر مالك في الموطأ

وجوابه : كيف ينكر الصحابة على شيء وسع الله فيه رحمة بهم ؟ كيف يضيّقون رحمة الله التي وسعها عليهم ؟ وجوه التشهد محفوظ متفق لا اختلاف فيه : شهادة التوحيد والرسالة ، فليبدأ قبلها كل واحد بما علمه رسول الله ﷺ موسعاً غير مضيق ، وليضق بما وسع الله من دينه أمثال أبي رية ولتشكك في الدين ماشاء ، إن كان يقول كما

قال سلفه من علاة الروافض : إن الصحابة تواطؤوا مع عمر وأبي بكر على كتمان ما في القرآن من نصوص خلافة على جئنا منهم ونقية وخوفا من جبروت عمر ، إلى غير ذلك من ترهاتهم وزندقتهم ، فليسلك سبيلهم ، وليجانب سبيل المؤمنين ، وليوله الله ما تولى ويصله جهنم وساءت مصيرا . اللهم اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المنضوب عليهم ولا للضالين آمين

وقال (ص ٦٣) : وما يلفت النظر كذلك أن هذه الشهادات على تباين ألفاظها وتعدد صيغها وكثرة روايتها قد خلت كلها من الصلاة على النبي ، فكان الصحابة كانوا - كما قال ابراهيم النخعي - يكتفون بالشهد والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله هـ

وجوابه : أن دعواه تباين ألفاظ الشهد دعوى كاذبة ، فكلها متفقة على الشهد : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أو عبده ورسوله ، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، فليس فيها تباين إن كان يعرف أبو ربة ما هو التباين ، وتعدد صيغها إنما هو في ديباجتها ومقدمتها بما وسع الله فيه على هذه الأمة كما يسر عليها تعدد أحرف القراءات السبع التي نزل بها القرآن رحمة بالشيخ والمرأة المجوز الخ ، وكما توسعت رحته بتنوع الأذان ودعاء افتتاح الصلاة فلا تباين إلا عند من ينظر إلى الاسلام بعين عمياء فلا يرى إلا الظلمة والسواد والتسكع في غياهب الشك والحيرة والضلال

وأما خلو صيغ الشهد عن الصلاة على النبي ﷺ ، وإجهااد أبي ربة نفسه في ذكر مذاهب العلماء فيها وجوبا أو شرطا أو عدمها ، فذلك شكاة ظاهر عنك عارها

إلا إذا كان يريد أن ينظر إلى الاسلام وأهله واجتهاد أئمة نظر التشهير والبغضاء ، ويريد أن تكون هذه الملة في جعر ضب لا حرية فيها للفهم والاجتهاد والاستنباط ، وهذا ما لم يرد الله لأمة الاسلام

وقوله (آخر ص ٦٣) : « إنه من قول أبي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين » هو من عدم تمرسه بأسماء الناس ، فأبو جعفر هو محمد الباقر لا ابن محمد ، وابن محمد هو جعفر

الصادق ، وإذا تكلم الإنسان فيما لا يعرف أتى بالخرائب ، و « إذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة » ، لقد عاش الناس بخير في عصر خير القرون قبل أن يطلع عليهم أبو رية بظلماته الملاحقة

قال (ص ٦٦ - ٦٨) :

أمثلة من رواية الحديث بالمعنى

حديث الاسلام والإيمان

ذكر (ص ٦٦) حديث طلحة بن عبيد الله في النجدي الذي سأل عن الاسلام رواه عن مسلم ، وذكر في آخره : قال رسول الله : أفلح إن صدق . وفي رواية أخرى : أفلح وأبيه إن صدق . وفي رواية ثالثة : دخل الجنة وأبيه إن صدق

وكانه يعد هذا اختلافا في الحديث : أفلح إن صدق - أفلح وأبيه إن صدق - دخل الجنة وأبيه إن صدق . فإف كان هذا - عند أبي رية - اختلافا فليس في الدنيا شيء متفق عليه عنده

حديث يحيى في بيان أركان الاسلام التي شرعت حينئذ بطرقه التي يتابع بعضها بعضا ، فيجىء هذا المراتب ويمسك بلفظ في آخره أفلح أو دخل الجنة وبعضها زاد وأبيه وسائرهما لم يذكرها ، فأى رواية للمعنى في هذا أفلح أو دخل الجنة ، وأى ركن من أركان الاسلام سقط برواية دخل الجنة بدل أفلح أو أفلح بدل دخل الجنة ، وزيادة أبيه في بعض طرقه ؟ !

وكان هذا المراتب لم يعرف المتتابعات التي عنى بها مسلم في صحيحه فيعدها روايات ، وأقل دارس لمسلم - بفهم وبصيرة - يحمد لمسلم عنايته بذكر شواهد الحديث ومتابعاته في موضع واحد حتى تعرف شهرة الحديث من غرابته ، وليبك الجاهل على نفسه وليستح من جهله إن كان بقى عنده نية من عقل أو حياء

وذكر (ص ٦٦ - ٦٧) حديث أبي هريرة في سؤال جبريل عن الاسلام والايمن والاحسان ، وليت شعري أى اختلاف في هذا ، وأين رواية المنى فيه ؟ إلا أن يكون حشوا للكتاب بما لا يفيد ، أو التشويش على من هم أمثاله من أهل الشك والريب في حديث رسول الله وحملته من الصحابة والتابعين

وقال (ص ٦٧) وعن ابن أيوب - وليت شعري من هو ابن أيوب ؟ أهو محرف عن أبي أيوب الأنصاري الصحابي ، أو هو أيوب السخيتاني التابعي شيخ مالك ، ومن تكلم فيما لا يعرف كان كالليغاء تهرف بما لا تعرف ، ونحرف ولا نشعر بما نعرف . ثم ذكر حديث الرجل الذي سأل على عمل يدينه من الجنة ، وفي آخره « إن تمسك بما أمر به دخل الجنة » . وقال أبو رية : وفي رواية ابن أبي شيبة « إن تمسك به »

وذكر (ص ٦٧) حديث أبي هريرة أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله دلتني على عمل إذا عملته دخلت الجنة الخ

وكان أبا رية - أعجوبة القرن الرابع عشر - يظن أن حديث من سماه ابن أيوب ، وحديث أبي هريرة في الأعرابي الذي سأل عما يدخله الجنة ، هو عين حديث جبريل السابق ، وقد طاش سبه وقبح ظنه إن ظنهما كلها حديثا واحدا وجاء بها فيما سماه أمثلة من رواية الحديث بالمنى - حديث الاسلام والايمن - وعذره جهله بصناعة الحديث وطريقة مسلم في سوق الأحاديث التي يشهد بعضها لبعض أيما شهادة - فحديث جبريل في سؤاله عن الاسلام والايمن والاحسان ، هو غير حديث من سماه ابن أيوب في الرجل السائل عما يدخله الجنة ، وغير حديث أبي هريرة في ذلك أيضا ، وغير حديث طلحة ابن عبيد الله في التجدي فائر الرأس ، وقول لأبي رية ما قال الخليل بن أحمد لمن لم يستطع معرفة العروض :

إذا لم نستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما نستطيع

ثم قل كلام النووي في شرحه لأحاديث الباب (ص ٦٧) وذكر عدم مجيء ذكر الحج

في حديث طلحة ولا في حديث جبريل من رواية أبي هريرة وعدم ذكر الصوم في بعضها وعدم ذكر الزكاة في بعضها وفي بعضها ذكر صلة الرحم وفي بعضها أداء الخمس ولم يذكر في بعضها ذكر الإيمان ، قال النووي : فتفاوتت هذه الأحاديث في عدد خصال الإيمان ، زيادة ونقصا وإثباتا وحذفا . هـ

ولا بأس بذلك ما دامت أحاديث متعددة عن صحابة متعددين في مناسبات متعددة ، فحديث جبريل برواية أبي هريرة وغيره كسر وابنه ، غير حديث طلحة في سؤال النجاء ، نثر الرأس ، وغير حديث الرجل الذي سأل عما يدخله الجنة ، وغير حديث الأعرابي الذي قال دلتني على عمل إذا عملته دخلت الجنة

فإذا تعددت الأسئلة والسائلون والمجالس التي وقعت فيها الأسئلة فأى عيب في مجموع الأجوبة حسب حاجة السائلين والسامعين ؟ بخلاف ما فهمه ابن الصلاح (ص ٦٧) من أن هذا ليس باختلاف مصادر من رسول الله بل هو من اختلاف الرواة في الحفظ والضم ، ونسب لبعضهم التقصير في الحفظ وبعضهم حفظ ما لم يحفظ غيره ، وهذا مبنى على فهمه بأنه حديث واحد قيل في مجلس واحد قصر بعضهم في حفظه وحفظه غيره

وهذا فهم يردّه تعدد رواة الأحاديث وتنوع الأسئلة والسائلين ، وأى مكابر يقول إن حديث جبريل هو حديث النجدي نثر الرأس الذي سمعوا دوى صوته ولم يقرروا ما يقول وقال في آخره : أنا وافد قومي بنى ثعلبة . أما حديث جبريل في آخره : حر جبريل . أنا كم يعلمكم أمر دينكم . وخلو حديث طلحة عن بيان الإيمان أو شهرته التوحيد لأن النجدي السائل يسأل عن الإسلام للتعرف به ، فبين له أركانه . وحديث جبريل بين فيه الإسلام والإيمان والإحسان لأنه جاء يبين أمر الدين . وحديث الأعرابي وحديث الأعرابي الذي سأل كل منهما عن عمل يدخله الجنة فبين لكل منهما ما يحتاجه فأى اختلاف في هذا يتوسوس به من في قلبه غيظ على أحاديث رسول الله ﷺ ؟ حرية ؟ وعلى فرض أن هذه الأحاديث الممتدة بتعدد روايتها وأساليبها وللتسليم جدلاً

كلها حديث واحد حفظ بعض رواته ما لم يحفظه الآخر ، فأى عيب فى هذا ؟ قاله يحفظ دينه يحفظ من حفظ ما لم يحفظه غيره ، لذلك لم ير العلماء والأئمة فى هذا ما يوجب رد هذه الأحاديث والشك فيها كما فعله أبو رية ، واتبعوا سبيل المؤمنين فى الإيمان بها وأخذ دينهم منها خوفاً من وعيد الله سبحانه لمن اتبع غير سبيل المؤمنين فى قوله تعالى ﴿ ومن يُشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ عياذاً بالله من ذلك ، ونأله أن يهدينا صراطه المستقيم ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

أورد حديث الواهة نفسها للنبي ﷺ (ص ٦٨) وتقدم رجل بقوله : يا رسول الله أنكحنيها ، ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن ، فقال له ﷺ : أنكحتكما بما ملك من القرآن قال : وفى رواية قد زوجتكما بما معك من القرآن . قال : وفى رواية ثالثة : زوجتكما على ما معك . وفى رابعة : قد ملكتكما بما معك . وفى خامسة : قد أملكككما بما معك من القرآن . وفى سادسة : أنكحتكما على أن تقرئها وتعلمها . وفى سابعة : أمكنا كها . وفى ثامنة : خذها بما معك ، قال : فهذه اختلافات ثمانية فى لفظة واحدة

وجوابه : إذا كانت زوجتكما وأنكحتكما وملكككما وأملكككما وماعد من الألفاظ اختلافات فى لفظة واحدة فما يقول فى قراءة : والله يقص الحق ، مع قراءة والله يقضى الحق ، وفى قراءة فتبينوا من التبيين ، مع قراءة فتثبتوا من التثبت . وقراءة : والذكر والأنتى ، مع قراءة : وما خلق الذكر والأنتى ؟ وقراءة والصلاة الوسطى وصلاة العصر مع القراءة بدونها وصلاة العصر . وقراءة وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال مع قراءة لتزول ، الأولى بكسر اللام وفتح اللام آخره والثانية بفتح اللام أول الكلمة وضمها فى آخرها . وقراءة : وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير ، مع قراءة قُتل معه ربيون . وقراءة : فان الله لا يهدي من يضل بيناء يهدي للفاعل ، مع قراءة لا يهدي من يضل بينائها . للمفعول . وقراءة فأزلمها الشيطان من الزلل ، مع قراءة فأزلمها من الإزالة . إلى كثير من

القراءات في السبعة والعشرة بـله الأربعة عشر، هل في هذه القراءات أنها مختلفة فيثبت في كتاب الله وقراءاته وأحرفه السبعة الاختلاف الذي نفاه الله عن كتابه بقوله ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ ثم يذهب فيصنع لها ظلمات أخرى للتشكيك في كتاب الله تعالى فينسلخ بذلك من المسلمين ويجري وراء اليهودي جولد زهير للشكك في القرآن وصدق الرسول ونبوته بسبب القراءات التي نزل عليها القرآن وحروفه السبعة وقراءاته المتواترة في كتابيه «عقائد الاسلام» و «مذاهب المسلمين في التفسير» الخ

لو حذفنا حديث الواهبة نفسها لاختلاف ألفاظه الثمانية كما زعم أبو رية لما نقص الاسلام شيئا سوى حكم الزواج على مهر تعليم نبيء من كتاب الله تعالى، ولا تهدم ببيان كتب السنة الصحيحة والمتواترة والشهيرة

وأورد أبو رية في (ص ٦٨) حديث الصلاة في بني قريظة ورواية البخاري بلفظ للعصر وروايه مسلم له بلفظ الظهر وذكر (ص ٦٩) عن ابن حجر اتفاق نسخ البخاري، أي على أنها العصر، واتفاق نسخ مسلم على أنها الظهر، قال: مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد وموافقة أبي يعلى وآخرين لمسلم وقال: وكذلك أخرجه ابن سعد. وأما أصحاب للغازي فقد اتفقوا على أنها العصر. قال أبو رية: ثم قال الحافظ ابن حجر بعد ذلك: إن البخاري كُتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه. وأيد ما قاله ابن حجر (في حاشية الصفحة ٦٩) بما رواه الخطيب البغدادي عن البخاري قال: رب حديث سمعته بالبصرة كُتبه بالشام، ورب حديث سمعته بالشام كُتبه بمصر. فقل له: يا أبا عبد الله بكأنه؟ قال فسكت. ص ١١ ج ٢

وجوابه: أن ما نقله الخطيب عن البخاري لعله يريد بذلك قوة حافظة البخاري وسكوت البخاري عن سؤاله «بكأنه؟» ولعله من باب فلا تزكوا أنفسكم، فلا عيب بظلي البخاري في ذلك الا عند من في قلبه ضغن على أئمة الحديث

ذكر ابن حجر في مقدمة فتح الباري أن البخاري لما دخل بغداد كانت شهره حفظه قد سبته إليها ، فجمع علماء بغداد عشرة فتيان وحفظوا كل فتي منهم عشرة أحاديث مقلوبة متن هذا على سند ذلك وهكذا وأمرهم أن يقرأوا الحديث على البخاري امتحانا لحفظه ، فسرده أولهم عشرته على البخاري فسكت ، فقالوا في أنفسهم : جازت عليه ، أين ما اشتهر به من الحفظ ؟ ثم سرد الثاني ثم الثالث إلى العشرة . فقال البخاري للأول من الفتيان : حديثك الأول سفته هكذا ، وصوابه هكذا . والثاني كذا ، وصحته كذا . والثالث كذا ، وصحته كذا . حتى سرد للثالثة الحديث على ترتيب ما قرئت عليه ونسبة ألفاظ حديث كل فتي بترتيب ما سرد إليه

قال الحافظ ابن حجر : ليست الغرابة في أن يعرف البخاري صوابها من بخطها ، فهو الإمام الحافظ الذي لا ينكر عليه معرفة الصحيح من الضعيف ، ولكن الغرابة في أن يسرد للثالثة على ترتيب ما قرئت عليه مع ذكر أحاديث كل فتي على وفق ما قرأها الفتي وترتيبه

وروى معاصره حاشد بن اسماعيل قال : كان البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام فلا يكتب حتى أتى على ذلك أيام ، فلما بعد ستة عشر يوما فقال : قد أكثرتم عليّ ، فأعرضوا عليّ ما كتبتم . فأخرجناه ، فزاد على خمسة عشر ألف حديث ، فقرأها كلها عن ظهر قلب ، حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه . أليست هذه موهبه من مواهب الله ، أليس هذا الرجل قد ادخره الله لمصر التدوين ، كما ادخر أبا هريرة لأول عصر الرواية ؟ أم يحدون شريقتنا على ما قبض الله لها من رجال ؟

فإذا جاء أبو رية في القرن الرابع عشر - بعد إجماع الأمة على حفظ البخاري وأمانته في رواية الحديث - بشكك في حفظ البخاري وأمانته وصدقه ونصحه لدين الاسلام ، قلنا لأبي رية انطح برأسك جبلا حتى يدمى رأسك ، فلن نهز الجبل ، ولن تنقله ، ولن يشك الناس فيما أجمعوا عليه من أن كتاب البخاري أصح كتاب بعد كتاب

لله تعالى ، ولن يضيره أن تختلف لفظة منه مع لفظة من صحيح مسلم (المصر أو الظهور)
فالشئخ ابن تيمية رحمه الله وهو من هو أمانة وحفظا ودفاعا عن الإسلام بقله وسفه
يقول : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة للمعنى ، وكفى بذلك حجة على فسق المرتب
والشكك فيها والذي يريد من الناس أن يتبعوا غير سبيل المؤمنين من الروافض والنجدة
والخوارج وأعداء الاسلام

تقدم لنا ذكر ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع من ضرورة الأحاديث نين
للقرآن وأنها الأصل الثاني من أصول الإسلام لقوله تعالى ﴿ ولقد من الله على المؤمنين إذ
بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة
وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ وقوله ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ وقوله ﴿ هو الذي بعث
في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كنوا
من قبل لفي ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلائمقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴾ ودعوة
الخليل إبراهيم لذريته المسلمة ﴿ وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وقول الله تعالى لزوجات نبيه
أمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان غفيرا
خييرا ﴾ فها هي الحكمة المعطوفة على الكتاب ، وما هو التعليم الذي علمه النبي ﷺ للآتين
ولمن بعث فيهم ؟

وذكر الأحاديث في ذلك والإجماع وهو سبيل المؤمنين وهو الصراط المستقيم الذي
أمرنا الله بسؤاله إياه أن يهديناه في الفأعة التي وجبت في الصلاة ١٧ مرة كل يوم ﴿ نحننا
الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾

والآن قول لهذا المرتاب الشاك في سنة رسول الله للشكك فيها : إن قال لك مثل
حدثنا عن تاريخ القرآن كيف نزل ، وكيف عمل به من نزل عليه وهو رسول الله ﷺ

وصحافته ؟ هل تخترع تاريخاً لا واقع له ، أم تقدم السنة المحمدية تاريخاً للقرآن والعمل به ، أم تقدم أكاذيب الشيعة والرافضة والجهمية تاريخاً للقرآن والعمل به ، أم تقلد جولد زيهر في مطاعنه على الاسلام وبنيه وأهله ؟

ثم إذا قيل لك : إن دساتير العالم والأمم وقوانينها الأساسية تضع لها القوة التنفيذية لوائح وتفسيرات للعمل بها وتطبيقها ، فأين لوائح العمل بالقرآن وتطبيقاته والعمل به ، وكيف عمل به ، وكيف تفهم قول الله تعالى ﴿ وأزلنا إليك الكتاب لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فأين هذا البيان للقرآن في غير السنة المحمدية والأحاديث النبوية ؟ إن كان بقي عندك ذرة من حياء وإنصاف وعقل !

ظهر في الهند قوم سموا أنفسهم القرآنيين الذين يرفضون الحديث والسنة وجاءوا بأوايد تضحك التكاليف وتبكي الناس رجة لهم ، كتصوير الصلاة بقيام وسجود واحد وركوع بعده من قول الله ﴿ يا صریم ائتني لربك واسجدى وارکبى مع الراکبى ﴾ ، ووجوب الصيام إلى الغشاء لأنها أول الليل بزعمهم ، وقد قال الله تعالى ﴿ وآمروا بالصيام إلى الليل ﴾ ولا تعرف كيف يحجون ، وليس في القرآن البيت بمزدلفة ولا رمى الجمرات بمنى ولا القران والإفراد والسعى والطواف وغيرها مما فصله الحديث وبيته السنة ، وقال ﷺ لأصحابه في حجة الوداع « خذوا عني مناسككم » وقال في الصلاة « صلوا كما رأيتموني أصلي » وهل يستنجون أو يتركون أدبارهم ومذاكيرهم ملطخة بالغائط والبول ، فالاستنجاء من بيان الحديث والسنة ، بله الذبائح وحلال الأطعمة من حرامها وأحكام حل الأضباع والفروج والنكاح وعشرة النساء وأحكام القضاء والشهادات والعتق وغيرها من تفاصيل أحكام الدين والشريعة ، ماذا يستعيضون عن السنة والحديث إلا بالهوس والجنون وضحك الناس عليهم !

إن كان أبو رية للرتاب في سنة رسول الله ﷺ قد التحق بهذه الطائفة أو جعل نفسه داعياً لمخافتهم وهرأثم فإننا نسأل الله الذى بيده قلوب عبادہ أن يهدينا وإياه سواء

السيل ، سبيل المؤمنين التبعين للكتاب والسنة وهدى سلف الأمة من الصحابة والتابعين
لم ياحسان إلى يوم القيامة إنه سميع مجيب رؤوف رحيم

وذكر (ص ٦٩) عن شرح ألفيه العراقي أن البيهقي في السنن والمعرفة والبعوى
في شرح السنة وغيرها يروون الحديث بألفاظهم وأسانيدهم ثم يعزونه إلى البخاري ومسلم
مع اختلاف الألفاظ والمعاني ، فهم يريدون أصل الحديث لا عزو ألفاظه ، ومثل لذلك
بمزو النوى حديث « الأئمة من قريش » إلى الشيخين مع أن لفظ الصحيح « لا يزال هذا
الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان » قال : وبين اللفظين والمعنيين تفاوت عظيم
كما ترى . ١٠٥

ولم يبين هذا التفاوت العظيم ، سواء كانت هذه دعواه أو دعوى من أثرها عنه
وهول : إذا عرفت طريقة البيهقي والبعوى وهما من أئمة علماء الحديث فلا عيب في
ذلك ، فإذا قرأ قارىء بقراءة الجمهور قوله تعالى ﴿ فَأَزَلُّهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾
وقرأها قارىء آخر برواية حمزة ﴿ فَأَزَلُّهُمَا ﴾ الأولى من الزلل والدحض ، والثانية من
الإزالة والنقل ، وكل من القراءتين قرآن منزل من عند الله تعالى ، فإذا شك مشكك أو
متشكك في هذه القراءات ، أو في القرآن نفسه من أجل تنوعها ، قلنا له
ما قاله الشاعر :

وناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
فانطح الصخرة برأسك أيها الوعل حتى يدمى رأسك وتعيأ ، ولن تضير الصخرة
ولن توهنها

كذلك يقال لهذا المرتاب : لا ضرر على السنة من تنوع اصطلاح أئمتها إذا عرفت
هذه الأنواع ، والعراقي والنوى وغيرهما لم يتشككوا في الحديث والسنة من أجل هذه
الخواص التي تتعلق أنت بها للتشكيك في الأصل الثابت من أصول الدين الاسلامي بسبب
ما في قلبك من المرض والغفل على الحديث

وقوله (ص ٧٠) عن الحافظ ابن كثير في كتابه «الباعث الخبيث» الذي تشرفت بتصحيحه عند طبعه وتحسينه : «ومنع الرواية بالمعنى طائفة آخرون من المحدثين والفقهاء والأصوليين وشدوا في ذلك أكد التشديد، وكان ينبغي أن يكون هذا هو الواقع، ولكن لم يتفق ذلك، وذلك لأن الذي جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمعنى، وهو ما تجده في جميع الكتب بلا استثناء.»

فها هنا تدبر المراتب قول الحافظ ابن كثير «وكان ينبغي أن يكون هذا هو الواقع» بعد ذلك «لأن الذي جرى عليه الأمر هو رواية الحديث بالمعنى» الخ

فها هنا تدبر قوله «وكان ينبغي» بدل كان يجب، وقوله «الذي جرى عليه الأمر» أى من عهد الصحابة والتابعين وعمل خير القرون للشهود لهم بالخير والذين جعلهم الله خير أمة أخرجت للناس هو رواية الحديث - أى أحياناً - بالمعنى، ولم يتشكك الحافظ وغيره من الأئمة في الحديث لأجل ذلك، ومن شذ عن هذا وشك في الحديث والسنة من أجل رخصة الله قدراً في روايته بالمعنى وترخيص رسول الله ﷺ في ذلك، من شك في ذلك فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وتركه لوعيد الله ﴿قوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾، ﴿ومن يمش عن ذكر الرحمن نقبض له شيطاناً فهو له قرين. وإنهم ليصدونهم عن سبيل الله ويحسبون أنهم مهتدون. حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين. ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في المذاب مشتركون﴾، ﴿لم نرأنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً. فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا﴾، ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾، ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها، وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقفا﴾

قال (ص ٧٠ - ٧٥) :

ضرر رواية الحديث بالمعنى

طار المرتاب فرحا بما نقل الجزائري عن البطليوسى من مقدمة كتاب (الانصاف فى التنبيه على أسباب أوجبت الاختلاف بين المسلمين فى آرائهم) وتحيل أسبابا الكثير منها توليد خياله واختراع أو هامه كما سننبه على شئ من ذلك للاعتبار به فيما سواه

وغفلوا جميعا عما ذكر الله فى السبب الحقيقى للاختلاف الضار للذموم فى قول الله تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ، وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا مِنْهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وقوله ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا لَلْكِتَابِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ مِنْهُمْ ﴾

وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية فى أول كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) فبين أنواع الخلاف : الضار منه ، والمذمور أهله فيه . وأن الأول سببه الهوى والبغى واتباع الشهوات وما يجر من العداوة والبغضاء بين المختارين . والثانى ما كان بسبب تفاوت الناس فى الفهم والعلم والاطلاع مع عدم الهوى والبغى والعدوان ، فارجع إلى هذا الكتاب النفيس تستفد منه علما وإيمانا وهدى إن شاء الله

ذكر البطليوسى ونقله عن الجزائري أبو رية المرتاب فى سنة رسول الله ﷺ فى كتابه (ص ٧١) من أسباب (١) اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة ، (٢) الحقيقة والمجاز ، (٣) الأفراد والتركيب ، (٤) الخصوص والعموم . وفاتهم جميعا أن القرائن وحال المتكلم وحرصه على هداية الناس وبيانه البيان الوافى وبلاغه البلاغ المين ، كل هذه أنوار وأضواء تدفع هذه الظلمات التى حاكت فى صدور اللرتابين . يقول الله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ وقوله ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِين ﴾ وقوله ﷺ

« تركنكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك » فأى بيان وأى بلاغ مبين وأى بياض كالنهار يبقى مع هذه الشكوك في الدين والظلمات التي يتلقونها أبوزية من اشتراك الألفاظ واحتمالها للتأويلات الكثيرة والحقيقة والجهاز والإفراد والتركيب والخصوص والمعموم

على هذا الفهم المنكوس وسوء الظن في بيان الرسول وبلاغه كان عدم بعثه خيراً على هذا من بعثه ، وكانت بعثته على زعمهم - أو لازم زعمهم - سبياً في ضلال الناس لأسباب في هدايتهم ، فقبحاً لآراء تؤدي بالناس إلى مثل هذه الظلمات من سوء الظن بالرسول وبيانه وبلاغه وحرصه على هداية الناس . فقول الله ﷻ فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في فأى هداية للناس يتبعونها مع هذه الشكوك وأسباب الاختلاف

ثم ذكر البطليموس سادس الأسباب للاختلاف الرواية والنقل (ص ٧١) ثم وضعه بقوله : العلة الأولى فساد الاسناد ، قال : وهذه العلة هي أشهر العال عند الناس ، حتى إن كثيراً منهم يتوهم أنه إذا صح الاسناد صح الحديث ، وليس كذلك فإنه قد يتفق أن يكون رواية الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستراب بنقلهم ، ويعرض مع ذلك لأحاديثهم أعراض على وجوه شتى من غير قصد منهم إلى ذلك . والاسناد يعرض الفساد له من أوجه : منها الإرسال وعدم الاتصال ، ومنها أن يكون بعض رواته صاحب بدعة أو متعصب بالكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببطله وغفلة أو يكون متعصباً لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم ، فإن كان مشهوراً بالتمصّب ثم روى حديثاً في تفضيل من يتمصّب له ولم يرد من غير طريقة ، لزم أن يستراب به . وذلك أن إفراط عصبية الإنسان لمن يتمصّب له وشدة محبته يحمله على افتعال الحديث ، وإن لم يقتله بدله وغير بعض حروفه . وما يبعث على الاسترابة بنقل الناقل أن يعلم منه حرص على الدنيا وعلى الاتصال بالملك ونيل المكانة والحظوة عندهم ، فإن ممن كان بهذه الصفة لم يؤمن عليه التفيير والتبديل والاتصال للحديث والكذب حرصاً على مكسب يحصل عليه

مقتنا هذا الكلام بطوله لتبين تهافتهم ، ونقض أوله لآخره وآخره لأوله .
من وجوه :

قوله صحة الإسناد لا يلزم منها صحة الحديث ، وتوضيحه لذلك بأنه قد يتفق أن يكون رواية الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ولا مستتراب في نقلهم ويعرض لأحاديثهم أعراض كلّي وجوه شتى مثل لها بفساد الاسناد بأوجه : (١) الإرسال وعدم الاتصال (٢) كون بعض روااته صاحب بدعة أو متعها بالكذب وقلة ثقة أو مشهوراً ببله وغفلة أو بتعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعض آخر منهم . فيقال للبطلاني ومن سار في طريقه : هل هؤلاء يعقلون ما يخرج من رؤوسهم وتجري به أفلانهم فيقولون بصحة الاسناد الذي من شرط صحته عدالة رواته واتصاله . ثم يقولون بمرض له الإرسال وعدم الاتصال مع صحته . ويقولون أن يكون رواية الحديث مشهورين بالعدالة معروفين بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليهم ، ثم يقولون بعد ذلك عنهم يكون بعضهم صاحب بدعة أو متعها في كذب وقلة ثقة أو مشهوراً بغفلة أو تعصب لبعض الصحابة وانحراف عن بعضهم ، فكيف يكون المشهور بالعدالة المعروف بصحة الدين والأمانة غير المطعون عليه ، كيف يكون من هذا شأنه صاحب بدعة متعها بالكذب قليل الثقة به متعصبا لبعض الصحابة منحرفاً عن بعضهم وأخيراً أبله مغفلاً ، كيف يجتمع الضدان يا أصحاب العقول : الشهرة بالعدالة معروفاً بصحة الدين والأمانة غير مطعون عليه ولا مستتراب في نقله ، ثم يكون هو بعينه صاحب بدعة متعها بالكذب وقلة الثقة والبله والغفلة والتعصب لبعض الصحابة ؟ إن استحالة اجتماع الأضداد مسلم به في بداعة العقول والفطر ، اللهم إلا أن يقولوا : موصوف بالصفات الأولى من العدالة والأمانة والدين وعدم الرب فيهم عندكم أنتم يا أهل السنة وموصوف بضدها عندنا أهل التجهم والرفض والشك في سنة رسول الله وأحاديثه ﷺ فينشد تفرق الطرق فليسلك من شاء سبيل المؤمنين وسلف هذه الأمة وخيارها من الصحابة والتابعين وليسلك من شاء غير سبيل المؤمنين أعداء الكتاب والسنة من الجهمية والرافضة والخوارج ،

وكيف يكون السند صحيحا في المرسل ومن شرط الصحة عندهم الاتصال الذي ينافي الإرسال والاقطاع ، أين من يعقل ويفهم ؟

وإشارته (في ص ٧٢) إلى كيد الفرس واليهود باظهار بعضهم للإسلام من غير رغبة فيه ثم أخذهم أنفسهم بالتمبذ والتعشف ، فلما حمد الناس طريقتهم ولدوا الأحاديث وللقلات وفرقوا الناس فرقا . هـ

هذا صحيح وقد حفظ الله الاسلام في أصله الأول بالقرآن ، والثاني السنة والحديث ، من كيد هؤلاء الأعداء للناقين وطفحت كتب الرجال والجرح والتعديل بفضحهم وبيان كذبهم وتمييز النقات العدول للؤمنين من زيف هؤلاء الأعداء للناقين ، ومن له أدنى اطلاع على كتب الجرح والتعديل - كميزان الاعتدال في نقد الرجال للإمام الذهبي وحواشيه المسماة لسان الميزان للحافظ ابن حجر وتهذيب الكمال للإمام المزى وتهذيبه للحافظ ابن حجر بله تواريخ البخارى الثلاثة والضعفاء للعقيلي والضعفاء والمترولين للنسائي والضعفاء والمجروحين لابن حبان والكمال لابن عدى وسواها والعلل لابن للديني والعلل الكبير للإمام الدارقطني والعلل لابن أبي حاتم وغيرهما - من اطلع على بعض هذه الكتب يعرف ما يسر الله لهذه الأمة من حفظ دينها وتمييز صحيحه من دخليه

وان كان صاحب الكلام يعرض بخيار الأمة من التابعين كالحسن البصرى وابن سيرين وسعيد بن جبير وسواهم من خيار التابعين ، وبالبخارى ومسلم والترمذى من أصحاب الدواوين الشهيرة في السنة فلجنة الله عدد الحصا والرمال على من اتهم هؤلاء الأكابر أو ظن فيهم النفاق وعداوة الاسلام

وما ذكره (في ص ٧٢) من تشدد عمر بن الخطاب في الحديث وتوعده عليه فقد سبق بيان أن ذلك كان من قبيل التثبت في الدين وزيادة الطائفة فيه ، ولذلك قبل رواية أصغر الصحابة في حديث استئذان أبي موسى الأشعرى ، قبله من أبي سعيد

الخدري ، واعتذر عن عدم بلوغه إياه بالصفق في الأسواق والاستغفال بالتجارة لكسب الرزق ، وهو عذر مقبول لمن عمل بقول الله تعالى ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ وذكرنا اقتناعه بقول حسان : قد كنت أنشد فيه - في السجد - ورضيه من هو خير منك يعني النبي ﷺ لما استشهد حسان بأبي هريرة ، ولم يشدد عمر عليها ولم يتوعدهما ولا منعهما من التحديث بما لم يعرفه ، بل صدق أولئك جميعا واعتذر عما لم يعرف من الحديث ، شأن أهل الانصاف الباحثين عن الحق أينما كان

وقد أغنانا الله تعالى عما نقله أبو رية عن شبهه وزميله في الشك في سنة الرسول وبعض خبر الصحابة عن عمر بن الخطاب ، أعنى به نجم الدين الطوفي الحنبلي الرافضي الأشعري الذي قال عن نفسه أو قيل فيه :

حنبلي أشعري رافضي إنها إحدى الكبائر

وراجع طعنه في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ورد الحافظ ابن رجب عليه في كتابه القيم جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، وراجع كذلك ترجمته في الدرر الكامنة للحافظ ابن حجر وغيرها من كتب التراجم

وقد ملئت من قل تناقضات البطليوسي وأريتك نموذجا من شكوك أبي رية في الشريعة السمحة البيضاء التي ليلها كنهارها بشهادة رسول الله ﷺ وقول الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون ﴾ ، وكذلك ملئت الرد على سخافات شبهه الطوفي الرافضي الأشعري الحنبلي للجبوس المحبوسة على أهل الزوايا والربط الذي لم يخف بفضه لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب وحط عليه لمنه من كتابة الحديث النبوي وهو مما يحمد عليه أبو رية ، فأيعا أقوم قليلا ؟ !

وأختم هذا الفصل بما بدأه به أبو رية (ص ٧٠) بقوله : لا كانت أحاديثه ﷺ قد جاء نقلها بالمعنى - كما ينبتنا من قبل - وأنهم قد أباحوا روايتها أن يزدوا فيها ويختصروا عنها وأن يقدموا ويؤخروا في ألفاظها - بله ما سوغوه من قبول للحنون منها - لا كان

قد جرى على ذلك قد نشأ من أثر ذلك كله - ولا جرم - وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى - ضرر عظيم . ١٠ هـ

وقول لهذا المرتاب المشكك في سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه بهذه التشكيكات وأنهم قد أباحوا روايتها بزعمك أن يزيدوا فيها ويختصروا منها وأن يقدموا ويؤخروا في ألفاظها - بله ما سوغوه من قبول المالحون منها - نقول : أى تحريف للدين أبشع من هذا التحريف الذى زعمته في أحاديث النبي ﷺ ، وأى فرق بين هذه الأمة التى قال الله فيها ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ وبين من قال الله فيهم ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فأى خير يبقى في هذه الأمة اذا صح عنها تحريف أحاديث نبيها ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ !

فهل نصدق الله ورسوله في أن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس ؟ أو نصدق قول أبى رية أنها حرفت أحاديث نبيها بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير ؟ ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كُنْتُمْ شُهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

إن الله النور على دينه لم يكت للناس على ما هو أقل ضررا في دينهم من تحريف لأحاديث نبيهم ﷺ بالزيادة والنقص والاختصار والتقديم والتأخير واللعن فيه ، فنبهم على ما هو دون ذلك بمراحل كقوله ﴿ عَلَّمَ اللَّهُ أَنْكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُمْ ﴾ لمن جامع في ليالى رمضان قبل أن يباح ، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ وقال ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ وقال ﴿ إِنْ الَّذِينَ ينادونك من وراء الحجابات أكثرهم لا يعقلون ﴾ وقال لبيه ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ وقال له ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ

تحرّم ما أحل الله لك تبخى مرضاة أزواجك والله غفور رحيم ﴿ وقال ﴿ عيس وتولى أن
جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنبه الذكري ﴿ الآيات وقال ﴿ ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء. فتطردهم فتكون من الخاسرين ﴿ وقال ﴿ واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا
واتبع هواه وكان أمره فرطاً ﴿ أفنبه على مثل هذه الأمور من نبه وأمه ونهاهم ثم يكت
لم على تحريف أحاديث نبيه ﷺ بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير ورواية للمنى للتغير
بغير طبقات الرواة حتى يصير الأخير غير الأول ورواية الملحون ، ولا يعلم الله ما فى ذلك
من الضرر بدينه ، ويعلمه فى القرن الرابع عشر أبورية ويضع شكوكه فى أحاديث النبي ﷺ
فيسمىها أضواء على السنة مما يفيد أن عدم أحاديث الرسول كان خيراً من وجودها وأنها سببت
أضراراً للناس فى دينهم علمها أبورية ولم يعلمها الله ولا رسوله ولا خير القرون وسلف الأمة
ومن سار على سبيلهم إلى يوم القيامة ﴿ قل أأنتم أعلم أم الله ﴿ ، « لا أحد أغير من الله » ،
﴿ ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ ، ﴿ إنا نحن نزلنا
الذكر وإناله لحافظون ﴾ فأى حفظ للذكر ولكتاب الله تعالى اذا تحرف بيانه من الحديث
بالزيادة والنقص والتقديم والتأخير والملحون

لقد قيل إن المرء محبوب تحت لسانه ، وقيل من ألف فقد عرض عقله على الناس ، وأقول
فقد عرض عقله ودينه على الناس ، وقد قال الله فى المنافقين أنبيى ﴿ ولو نشاء لأريناكم
فلمعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول ﴾ فملق تعريف نبيه بهم بسيماهم بمشبهته وأكد
معرفتهم بلحن القول من غير تعليق ، فإن لحن القول أدل على ما فى القلب عند أولى الألباب
مثلاً - نقل أبورية (ص ٥٢) عن الدكتور أحمد أمين عن رسالة الزيدى أو
الرافضى قوله فى الصحابة إنهم كان يلحن بعضهم بعضاً وإنهم لا فضل لهم على غيرهم إلا
بشهادة النبي ، وإن ذنوبهم أخش من ذنوب غيرهم ، وإن العامة اتخذوهم أرباباً كما اتخذناه
عنه فيما مضى - أدل دليل على بغضه خير هذه الأمة صحابة نبيه ﷺ الذين قال الله فيهم
م - ٧ * طلبات أبورية

فيهم ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾

وقول البطليموس والطوفى ومن ارتضى قولهما دليل على شكهم في بيان رسول الله ﷺ لدين الاسلام وبلاغه له البلاغ المبين ، ومن لازم قولهم أن عدم البعثة كان خيرا منها وأنها فرقت الناس في دينهم الذي هو عصمة أمرهم ، بخلاف ما قال الله تعالى ﴿ وما اختلف فيه - في الكتاب - إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم اليينات بغيرها بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ وقوله ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ﴾ فيبين الله تعالى أن اختلاف الناس في كتاب الله ودينه سببه البغي والهوى ، وأن الله يهدي الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه

وتمثل أبي رية (في حاشية ٢ ص ٧٢) لمن كادوا للاسلام من الفرس واليهود باظهار التعبد والتشف ليولدوا الأحاديث ، وتمثله بكعب الأحبار ووهب بن منبه وغيرهما ، فنشر المؤمنين من أهل القرآن والسنة أن كعبا ووهبا لم يرويا من أحاديث رسول الله ﷺ شيئا ، ولو روي منهما شيئا ما قبله علماء الحديث وعلماء الاسلام ، أما غيرهما فلم ندر من هو ، ولم يفصح به أبو رية ، فالله يعلم نيته وما جبن عن إظهاره من دخيلة نفسه ، هل يريد أمثال ابن سيرين والحسن البصري وسعيد بن جبير ومن بعدهم من خيار الأمة ، فلعنة الله عدد الحصى والتراب على من أراد أمثال هؤلاء الأعلام بهذا اللز والفضينة

وتعليقه (في حاشية ١ ص ٧١) عن نقل الحديث من الصحف دون الشيوخ بقوله فيها « قد لا يصح أن يعد ذلك من علل الحديث ، فقد ذهب الفقهاء كافة إلى أنه لا يتوقف العمل بالحديث على سماعه . وقال أبو إسحق الاسفرائني - الاجماع - على جواز النقل من

الكتب المتعدة . وقال الطبري - كأنه المحب الطبري المسكي ؟ - من وجد حديثاً في كتاب صحيح جاز له أن يرويه ويحتج به ، وكذلك قال المزين عبد السلام ،

وقول هؤلاء العلماء صحيح لا غبار عليه ، واشتراط السماع كان إلى أيام التدوين أما بعد تدوين السنة واشتجار هذه الدواوين واستفاضتها في الأمة فاشتراط العمل بها على السماع سد لباب العمل بها وتضييع نعمتها والانتفاع بها ، ومثل شهرة البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وغيرها تغني عن الحاجة إلى سماعها وعن الحاجة إلى سندها نعم إن سماعها على الشيوخ العارفين بها لضبط ألفاظها وفهم معناها أمر حسن جداً ، أما أنه شرط في العمل بها فلا

قال أبو رية (ص ٧٥ - ٧٦) :

ضرر الرواية بالمعنى من الناحية اللغوية والبلاغية

اللحن والخطأ في الحديث

قال (ص ٧٦) : بعد أن أباحوا لأنفسهم رواية الحديث بالمعنى سوغوا كذلك أن يأتي الحديث ملحوناً ولا يرون بأساً في إصلاح لحنه وخطئه . هـ

وقول لهذا المرتاب الشك في حديث رسول الله ﷺ : إن الذي أباح رواية الحديث بالمعنى هو رسول الله ﷺ وقد تقدم في ذلك وجري عليه خيار الصحابة والوحي ينزل بإصلاح أخطائهم وسكت عليهم وجري عليه جمهور التابعين وهم القرن الثاني من القرون الثلاثة القاضية ولم يلحظ الوافر من قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، فهم ثاني طبقات هذه الأمة للشهود لها بالخير

وقول لمن ينصف : هل حديث يتقل لنا بالمعنى خير أو عدمه وإطراحه ، واتباع الملوى والشهوات والجمالات في فهم القرآن والدين بأسلوب الجهمية والشيعية والخوارج ،

وقد سبق لنا ذكر شيء من سخر من رفضوا الحديث بدعوى الاكتفاء بالقرآن في صلاة بقيام وسجدة واحدة ثم ركوع من قول الله تعالى لمريم ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾ ووضوء بمسح على القدم مكشوفة ولا يسبقه استنجاء فتبقى المورتان بلوثها ، وزكاة بما يصور الوهم والانحلال ، وحج لا ندرى كيف تؤدى مناسكه ، وجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها وبالمكس ، وعدد من الزوجات لا حصر له ، ووطء في الدبر ، وأكل الحيات والمقارب والسباع والذئاب ، وقطع اليد في السرقة من الكتف في قلنس يسرق . وإمساك في الصيام إلى ما بعد المشاء لأنه أول الليل و .. و .. من هذه السخافات والترهات ، أو انحلال من الدين ، وخروج على شرائعه

أما اللحن في الحديث - إن وجد من لحن - فقد هيا الله له من يصلح لحنه وخطأه فأى ضرر في ذلك والقرآن يخطئ قارئه في قراءته فيتنصب له من يصحح خطأه ولا ضرر على القرآن من ذلك

والخلاصة أن القرآن وبيان النبي ﷺ في حديثه وسنته قد تكفل الله بحفظها حجة على خلقه إلى قرب قيام الساعة ولو كره المبطلون ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

تساهلهم فيما يروى في الفضائل - وضرر ذلك

قال تحت هذا العنوان في (ص ٧٨) : قال ابن مهدي - يعنى عبد الرحمن تليذ الامام مالك وشيخ الإمام أحمد رحمهم الله جميعا - : إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال والحرام والأحكام شددنا في الأسانيد وانتقدنا الرجال ، وإذا روينا في الفضائل والثواب والمقاب تساهلنا وتساهلنا في الرجال . أخرجه البيهقي في المدخل

وأي لك رؤية المدخل ، فلعلك رأيت من قل عن المدخل ، وهل المدخل صار حجة

عندك وخلا من رواية المعنى والنقص والزيادة ؟

ونقول : جزاهم الله خير الجزاء على هذا النصح للأمة في دينها - حلالها وحرامها -
أما تساهلهم في الفضائل والثواب والعقاب فمن باب حفظ العلم وعدم التفريط في
شيء مما يروى

ومن شاء تساهل تساهلهم ، ومن شاء تعنت ورد ما تساهلوا فيه ، وإذا تبين قدر
النفل ووضع كل شيء في المرتبة اللائقة به فأى ضرر منه إلا عند من تعنت ؟ وقد قسم
الحافظ ابن حجر في مقدمة تقريب التهذيب له درجات الجرح والتعديل من أعلاها : ثقة ،
ثقة ، ثقة حافظ - إلى أدناها : كذاب يضع الأحاديث . وفي أثنائها : صدوق بهم ،
لا بأس به . والرجل الضعيف في الرواية كالضعف في البدن فهل يقتل ضعفاً أو نرحمهم ولا
نطلب منهم فوق ما يحملون ؟ إن قتل المرضى والضعفاء شرية الوحوش في الغابات ، أما
الرحمة بهم فشرية السماء والديانات ﴿ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ ،
﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ ، ﴿ لكل درجات مما عملوا ﴾ ، ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم
والذين أتوا العلم درجات ﴾ وقد اشترطوا لرواية الضعيف شروطاً : أن يدخل تحت أصل
علم ، وأن لا يشتد ضعفه ، وأن لا يمتد وقت التحديث به أن رسول الله قاله

والذي نراه أبو شامة على أبي المعالى الجويني وصاحبه أبي حامد الغزالي وغيرهما من شيوخ
الفقه كثرة استدلالهم بالأحاديث الضعيفة على ما يذهبون اليه نصرة لقولهم وينقصون في
الفاظ الحديث وتارة يزيدون فيها . يقول أبو رية (ص ٧٨) خلا عن أبي شامة : وما
أكثره في كتب أبي المعالى (الجويني) وصاحبه أبي حامد (الغزالي) . ونحن نوافق
أبا شامة على ذلك ، ولا غبار على أهل الحديث وأئمتهم ولا ضير عليهم من ذلك

ومن نظر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافض الكبير للحافظ ابن حجر
يرى فيه من ذلك العجب العجيب من غرائب بعض الفقهاء وجههم بالأحاديث وغفلتهم
في عزو كثير من مناكيرهم إلى الصحيحين ، إلى كثير من هذه الجهالات

وأما نقله (ص ٧٧) إنكار ابن الأنباري لمنع أن في خير كذا وجهه حديث « كاد

التقر أن يكون كفراً ، من تغير الرواة فتتظر للسألة في كتب النحو ، وينظر الحديث ومن خرج ، وهذا على كل حال مما لا يس جوهر الحديث ، وليت لللل الأخرى حافظت على نصوصها ببعض هذا القدر من الأمانة والصيانة

الوضع في الحديث وأسبابه ص ٨٠ - ١٠٣

نقل أبو رية في أسباب وضع الحديث وضرره في الدين كلاماً نفيساً عن أكابر العلماء كابى بكر بن العربى للالكى ، وابن خلدون حكيم التاريخ ، وشيخ الاسلام ابن تيمية حكيم هذه الأمة في المقول والمقول والدفاع عن الاسلام بقلمه وسيفه ، وابن الجوزى واضع كتاب الموضوعات ، وما وضع في فضل معاوية والثام وفريسة الأبدال والأوتاد والنجباء والقطب الفوث (ص ٩٤) وكلام الحافظ ابن حجر وتلميذه السخاوى والسيوطى وكلام خاتمة المحققين السيد رشيد رضا رحمه الله - وهو كلام نفيس جداً جداً نحمده على نقله ونوافق عليه كل الموافقة ، وليس دفاعنا عن صحيح الحديث دفاعاً عن ضعيفه وسقيمه وشاذه ومنكره

وقوله (ص ٨٨) « كلمة ضريحة حازمه لابن الجوزى » نقلها عن شيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٢ : ٢١٩) ، وهى فى المتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٥٩

وقال أبو رية (ص ١٠٢ - ١٠٣) « الوضع الصالحون » ونقل عن مقدمة صحيح مسلم وعن الحافظ ابن حجر والحاكم وغيرهم فى جريان الكذب على السنة بعضهم بتغير قصد ، ومنهم من يضع الحديث حسبة للترغيب والترهيب ولأسباب واهية ، وذم للعلماء لهم على ذلك ، وهو كلام حق لا غبار عليه ، وهو ترديد لأقوال أئمة الحديث الذين اختارهم الله لحفظ شريسته وسنة خاتم رسله ، وتقبله ونقول به . وقال مالك رحمه الله تعالى : أدركت كثيراً ممن لو أئتمن على بيت لال لكان أميناً ، ولكن لا يقبل منه الحديث عن رسوله الله ، يقال : ليس من أهله ، أو نحو هذا

وقال أبو رية (ص ١٠٤ - ص ١٠٧) «الوضع بالإدراج» ونقل كلام الحافظ ابن حجر والقاسمي الناقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وتلميذه أبي الحسن على ابن عروة الحنبلي الدمشقي، وكلمة كلام صحيح نفيس لا غبار عليه، سوى ما أقحمه أبو رية في أثناء كلامهم (ص ١٠٥) من قوله «ومنها أن تقوم الشواهد الصحيحة أو تجارب العلم النابتة على بطلانه» وكأن هذا مقدمة تبرع بها من عنده لرد حديث أبي هريرة في الذباب، وسنقرئ حتى يجيء الكلام عليه في محله.

قال (ص ١٠٨ - ص ١١٠): «الاسرائيليات في الحديث» وشكا منها ومن تسربها لآراء السليمن في التفسير وكتب التاريخ ونحوها، ونوافق على الشكوى من ذلك وليتها أفردت وحدها لمن يريد.

وقوله (ص ١١٠) اعتماداً على أقوال الدكتور أحمد أمين في ضحى الاسلام إن عبد الله بن سلام من الصحابة وابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) من التابعين فبين غشوا الإسلام بما كانوا يروون عن التوراة والانجيل، فيه ظلم بين لهذين الرجلين العظيمين، أحدهما عبد الله بن سلام الصحابي الحبر وابن الحبر الذي خالف هواه وعصية قومه وأسلم بين يدي الرسول ﷺ إسلاماً صحيحاً. ولقصة إسلامه طرفة وعبرة كما رواها أصحاب الصحاح والمسانيد، وذلك أنه لما قدم رسول الله ﷺ إلى المدينة وسمع به عبد الله بن سلام وكان على نخلة يحرق منها، فكاد يسقط فرحاً، فقالت له عمة: مالك؟ هل سمعت أن موسى يموت؟ فقال لها: هو أخو موسى ياعمة (وفي التوراة: سأبعث لهم - أي لبني إسماعيل - نبياً مثلك)، فذهب إلى النبي ﷺ وسأله عن ثلاث مسائل قال إنه لا يعلمها إلا نبي مرسل: بم يشبه الولد أباه وبم يشبه أمه أو خاله، وبم تذكر الأنثى فتاتى بذكر وبم تؤنث فتاتى بأتى، وما أول طعام أهل الجنة؟ فأجابه ﷺ بما تراه في الحديث الذي رواه الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه﴾ فقال ﷺ جاني بهن (جواب الأسئلة) جبريل آفا. قال جبريل ذاك عدو اليهود، فنزلت الآية ﴿قل من كان عدوا﴾

لجبريل فإنه نزله على قلبك بأذن الله في الآية

ثم تكلم عبد الله بن سلام بكلمتي الشهادتين : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بُهت (أى كذابون مقترنون) وإنهم إذا علموا بإسلامي بهتوني . فاسألم غني قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاء اليهود ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما تقولون في عبد الله بن سلام ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وحبونا وابن حبونا . فقال : ما تقولون إن أسلم ؟ قالوا : حاشاه من ذلك . فخرج عبد الله بن سلام من وراء الباب الذي كان مختفيا وراءه وقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالوا : شرنا وابن شرنا !

فماذا الخبر الخبير ابن الخبر الخبير كيف يعد فيمن غش الاسلام بإسرائيلياته يا أحد أمين لو كنت تعرفه ؟ وأنت يا أبارية كيف قلت أحد أمين فيما جهله وليس له به علم ؟ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟

أما ابن جريج (عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج) فمن أئمة أتباع التابعين ، من محدثي أهل مكة وفقهاءهم ، قبله علماء الاسلام محدثا صادقا ، ولا إسرائيليات عرفت عنه ، فلا غيرة بكما يا أحد أمين ويا أبارية فإن أولكما جاهل بمراتب الرواة ، والثاني صاحب هوى وجهالة ، يقبل كل غث وسمين في تجرييح رواية الحديث وحيلة العلم النبوي وأئمة الاسلام

وحسبنا منك ما سبق (ص ٤٧) من تجرييح الصحابة وقبول كلام الرافضي الحضرمي في خيار خلق الله وصحابة نبيه ، وبهتة إياهم أنهم يلعن بعضهم بعضا ، وما خص به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من التميز عليه واستشهاده بأكاذيب رواية للتائب كابن الكلبي ولوط بن يحيى بن مخنف التالف الكذاب الساقط وأضرابها . وشرب أبو رية من صديده عبد الحسين الرافضي في بعض صحابة النبي ﷺ خير أمة أخرجت للناس الذين أشادت كتب السماء التوراة والإنجيل والقرآن بفضلهم واختارهم الله لصحبة نبيه وحمل الدين عنه

وإبلاغها إلى مشارق الأرض ومناربها

وقوله (ص ١١٠) : وأنى للصحابة أن يفتنوا لتمييز الصدق من الكذب من أقوالهم . وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية ... ومن ناحية أخرى كانوا أقل منهم دهاء وأضعف مكرًا ، وبذلك راحت بينهم سوق هذه الأكاذيب وتلقى الصحابة ومن تبهمهم كل ما يليقه هؤلاء الدهاة بغير نقد ولا تمحيص معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه . هـ

وهذا ظلم بين الصحابة الذين اختارهم الله لحل دينه كتابا وسنة ، وقد عرفهم الله بحال هؤلاء الكتابيين بقوله تعالى ﴿ وإن منهم لفريقا يلوّثون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾ وأدبهم رسول الله ﷺ بهذا الأدب العالى من الانصاف والعدل بقوله ﷺ « إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقهم ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا واحد ونحن له مسلمون » فأى أدب وانصاف أعلى من هذا أو فوقه

أبعد هذا يحى . أبو ربة فيرميهم بالبلاهة والسذاجة وتصديق الكاذبين وقبول الفاشين ، وعندنا أن الصحابة كانوا يستمعون لحكايات كعب ووهب ونحوهما كما نقرأ الآن الروايات الخيالية والقصص المولفة مع علنا أنها من وضع خيالات كاتبها ، ولكن نقرأها تفكها ودفعاً لسامة الجد وعبرة بخيال كاتبها . فهكذا كان الصحابة يستمعون إلى إسرائيليات أهل الكتاب ليحمدوا الله تعالى على ما أنعم به عليهم من الكتاب والسنة . وبضدها تتبين الأشياء ، والضد يظهر حسنة الضد . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : تنقض عمرى الاسلام عروة عروة إذا ولد في الاسلام من لم يعرف الجاهلية . فمرة الجاهلية وتاريخ الأمم غثها وسمينها فيه بصيرة وعبرة لدوى الألباب . ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب . ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه ﴾

لقد ظلم أبو رية نفسه بوصف ابن عباس وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص أنهم تلاميذ كعب الأحبار ، فليس كل من سمع من أحد تلميذاته ، فقد سمع عمر بن الخطاب من كعب فهل كان عمر تلميذا لكعب ، وسمع النبي ﷺ من عبد الله بن سلام وغيره من اليهود الذين ينزلون إلى المدينة ، وسمع رسول الله ﷺ من تميم الداري فهل يصح أن نقول إن رسول الله ﷺ صار تلميذا لهؤلاء ؟ يا للعجب العجيب وأنت تستمع إلى مقتربات جولد زيهر وشبرنجر ودائرة المعارف الإسلامية فأنت تلميذ لم جميعا ، فبئس التلميذ ونس الأساتذة

وأما البشارات التي ذكرها كعب بأوصاف النبي ﷺ واتهمه أبو رية أنه حرفها واتهم عبد الله بن عمرو بن العاص أنه حل صفة النبي ﷺ عن كعب وأن كعبا معلمه فيها ، فسواء علينا صح ظن أبي رية أو خاب فقد قال الله تعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدهونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ وبما في الإنجيل : سأذهب ويأتيكم الفارقليط يعلمكم كل شيء ، ويوضح العالم كل خطيئته . وهذه اللفظة « فارقليط » هي الكلمة اليونانية القديمة بريكليوس وقد عرّبها جاحدو نبوة محمد بمعنى المخلص أو المعزى . وسأل الدكتور أحمد أمين المستشرق الإيطالي نلينو عن معنى بريكليوس في اللغة اليونانية القديمة قال : يقول الآباء القسس إن معناها المخلص أو المعزى . فقال الدكتور أحمد أمين : أنا أسأل مستشرفا حائزا للدكتوراه في اليونانية القديمة لا أسأل قسيسا . فقال : معناها أحد أو حامد أو نحوها . وقال الله تعالى ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴾ وقال ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ﴾ ، ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويقولون إن كان وعد ربنا لمفعولا ﴾

وذكر أبو رية (ص ١١١ - ١٢٤) تاريخ كعب ووهب بن منبه وما قيل فيها
وقتل عمر واتهام كعب بمؤامرة قتله وشيئا من أساطير كعب ووهب في إرم ونحوها
- ولا كلام لنا في هذا كله سوى أن مؤامرة قتل عمر وهل كان لكعب يد فيها أولا
فنكل ذلك إلى حكومة علام الغيوب يوم القيامة ، يقضى فيها قضا، لا مقب له . وقد
أكرم الله أمير المؤمنين عمر بالشهادة في بلد نبيه - دعا بذلك قبل حجته الأخيرة وفي
فراقه من الحج كما رواه مالك ، وكما صدق الله نبيا نبيه حينما امتزأ أحد وكان عليه عليه السلام
مع أبي بكر وعمر وعثمان فقال عليه السلام « اثبت أحد ، عليك إلا نبي وصديق وشهيدان »
ولو كان الموطأ قريبا مني لنقلت منه دعاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد فراقه من
الحج واضطجاعه على بردته يبطحاء مكة ودعائه بما دعا به . ولكني أكتب هذا كله في
مستشفى الطائف بعيدا عن الكتب والمراجع

حديث الاستسقاء

دعوى تسرب الاسرائيليات إليه

عز أبو رية (ص ١١٨) إلى التاريخ أن كعبا لم يدع الفرصة تفلت من غير أن
يتخذ منها وسيلة ليرمي الاسلام بطعنة من طعناته ، فقال لعمر : إن بني إسرائيل كانوا
إذا أصابهم مثل هذا - جذب عام الرمادة - استسقوا ببعض الأنبياء . فقال عمر : هذا هم
رسول الله وصنواييه وسيد بني هاشم العباس ، فثنى إليه ثم استسقوا الخ
وجعل توسل عمر بالعباس هوة من الشرك سقط فيها عمر ، وكذب عدو الله
أبو رية

والجواب (١) ما قيل : الكذب وأبعد شاهدك . فأى التاريخ جاء فيها ما ذكره .

عن كعب ؟

(٢) هذه تهمة في أمير المؤمنين عمر أن يقبل في دين الله خديعة كعب ، وتهمة في
الصحابه الذين سكنوا على ذلك والعهد بهم أن لا يسكتوا على ما دون ذلك ، وكلم لم من

مرجمات لأبي بكر وعمر وعثمان ، فما بالمم سكتوا الآن

(٣) قول عمر : كنا إذا أجدبنا نستقي بنبك ، والآن نستقي بعم نبيك دليل أنه فعل ذلك بإجتهاده وبما سبق لا بنش كعب ، وهل كان كعب قد أسلم حينئذ وبلغ من الثقة به أن يشير على عمر فيقبل مشورته ويسكت الصحابة على ذلك ؟ يبحث عن ذلك في التاريخ ، ومواء ثبت أن كعبا أسلم حينئذ أو لم يثبت لا يمكن أن نصدق أبا رية بأن عمر اتخذ بنش كعب هو والصحابة للتوافرون حينئذ ، إلا إذا أثبتنا عقولنا وصدقنا أبا رية في بهته للصحابة ورميهم بالبلاهة والسذاجة ورمى بعضهم بالكذب

قوله (ص ١١٨) وعما لامراء فيه أن هذا اليهودي - يريد كعبا - قد أراد بقوله هذا أن يخذل عمر عن أول أساس للتوحيد الخالص ليزلقه إلى هوة التوسل الذي هو الشرك بعينه ، حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالعمل كان لها أثر بالغ لدى المسلمين جميعا في العقيدة الإسلامية على مدى العصور . أقول : وحاشا لعمر أن يهوى في هوة الشرك

ثم قال : لكن عمر وهو في أفق من البصيرة بالدين والفقه فيه قد فطن لما ولم يقع في الفخ الذي نصبه له هذا الخدعة ، فلم يستق بأحد حتى بالنبي ﷺ ، ولم يزد على الاستغفار

بأى هذين الخبيرين من هذا الألبان نأخذ وأيها نصدق ؟ قوله حتى إذا هوى فيها عمر وأثرت عنه بالعمل - يعني التوسل - وقوله بعده بطرين : ولكن عمر قد فطن لها ولم يقع في الفخ الذي نصبه له هذا الخدعة ، فلم يستق بأحد حتى بالنبي ﷺ ، ولم يزد على الاستغفار . فهل هوى عمر في هذه الهوة من الشرك والتوسل كما قال أبو رية (ص ١٤) أو لم يقع في الفخ الذي نصبه له هذه الخدعة كما قال بعد ثلاثة أسطر (ص ١٧) والخبران إثبات ونفي في صفحة واحدة بينها ثلاثة أسطر أو سطران ، فهل يدري هذا الرجل ما يجري به قلبه وما يسطره سوادا في بياض يهدم آخره أوله وينقض أوله آخره ؟

وأما دعواه أن عمر لم يزد على الاستغفار ولم يتوسل بأحد فيكذب تاريخه للبهيم

المجهول حديثُ الصحيحين عن أنس في الاستقاء ، وما نقل عن ابن أبي الدنيا في كتاب
المطروق في كتاب مجابى الدعوة ، وعن اللغى وعن الجاحظ في معارضة حديث الصحيحين ،
كمن يحجب ضوء الشمس بكفه أو يكسر صخرًا صلدًا بقضيب من قش أو زجاج أو يمارع
فيلا يعموضة أو يسابق فرسًا جوادًا بأعرج كسيح أو يرمى حصنًا حصينًا بيفض الطير والديجاج
وقوله (ص ١١٨) « إلى هوة التوسل الذى هو الشرك » إن دل على شيء فأنما يدل
على جهل طويل عريض عميق ، بالدين وبالتوسل ، صحيحه وقاسده ومشروعه
من باطله

فالتوسل إتخاذ وسيلة إلى ما تريد ، والوسائل الدينية منها ما هو واجب شرعًا كوسيلة
الايمان والعبل الصالح إلى مرضاة الله ونيل السعادة فى الدنيا والآخرة وحب الرسول واتباعه
ونشر دينه وشرعه وسنته

ومنها ما هو مباح أو مستحب كطلب الدماء من المؤمنين الصالحين الأحياء
الحاضرين معك

ومنها ما هو شرك أو سبب إلى الشرك كدعاء الأموات أو الغائبين والاستغاثة
بهم وطلب شفاعتهم . كما أن من الوسائل القدريّة الكونية ما هو وسيلة حقًا إلى ما تريد
من حاجاتك الدنيوية كالأدوية التى دلت تجارب الناس على نفعها فى علاج الأمراض ،
وكالسعى فى الأرض والمشي فى مناكبها لجلب الرزق ، وكالأسباب المرتبطة بعملياتها قدرا
فى كثير من العلوم الطبيعية والكياوية والصنائع والمخترعات التى قامت عليها حضارات
الناس وتقدمهم فى علوم المعيشة والكسب والحرب وأمثالها مما تقدمت به
البشرية أشواطًا بعيدة

واعل أبارية يريد من التوسل الشركى دعاء الأموات والاستغاثة بهم والغائبين ممن
يستقد فيهم سلطة غيبية وبركة معنوية ، ونحن معه فى هذا أنه شرك أو ذريعة إلى الشرك .
وأما إن كان يلحق بهذا النوع الشركى دعاء الأحياء الحاضرين بعضهم لبعض وطلب الدعاء

من الصالحين الأحياء الحاضرين فقد غلط غلطا فاحشا لرده ما جاء به الدين صريحا
لا غبار عليه

فقد توسل الصحابة رضى الله عنهم بالنبي ﷺ في حياته واستسقوا به واستسقى لهم
ومقام الله بدعائه ، وفي ذلك يقول أبو طالب في لاميته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وفي الحديث : اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف ، فرت عليهم - على
قريش - سنة أحصت عليهم كل شيء حتى أكلوا العلهز - الجلد أو الشعر للقتول بدم -
وكان أحدهم ينظر إلى السماء فلا يرى إلا الدخان من شدة الجوع ، ونزل في ذلك
﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا
العذاب إنا مؤمنون . أنى لهم الذكري وقد جاءهم رسول كريم . فتولوا عنه وقالوا معلم
مجنون ﴾ وجاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ - وهو مشرك - وقال : يا محمد إنك بعثت بصلة
الرحم ، وإن قومك أصابهم ما أصابهم . فدعا رسول الله ﷺ الله لهم ، فكشف
الله ما بهم

وفي الحديث الآخر الذى رواه ابن عباس أن امرأة كانت تصرع فجاءت إلى النبي
ﷺ وسألته أن يدعو لها ، فقال لها ﷺ : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت
الله لك « قالت رضى الله عنها : بل أصبر ، فادع الله أن لا أنكشف ، فدعا لها ، فكانت
رضى الله عنها إذا أصابتها التوبة جلست وشدت عليها ثيابها حتى تفيق

وحديث الأعمى الذى علمه النبي أن يقول : اللهم أتوجه بك إلى ربى ، فشغفه في
وشى من عاه . والحديث فى الترمذى وربما لا يؤمن به أبو رية ويعده من الاسرائيليات أو
عما مسخته رواية المعنى بزعمه ، وحديث عمر لما أراد أن يستمر وقول النبي ﷺ له
« لا تنسنا من دعائك يا عمر »

وقول أم سليم للنبي ﷺ : خويديمك أنس فادع الله له ، فدعا له بطول العمر وكثرة

المال والولد والغفران ، قال أنس : فقد تحققت الأوليان طول العمر وكثرة المال والولد فان نخيل الناس كان يحمل في السنة مرة واحدة ، وكان نخيلي يحمل في السنة مرتين . وأخبرتني بنتي فلاة أنه مات لي من ولدي وولد ولدي كذا وكذا ، وأنا أنظر الثالثة - يعنى الغفران

ودعاء النبي ﷺ لابن عباس - إن كان يطلب من ابن عباس أو نافلة من النبي ﷺ له - : اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب . وطلب الأعرابي الذي دخل من باب المسجد والنبي ﷺ يخطب فقال : يا رسول الله هلكت الكراع وانقطعت السبل ، فادع الله لأمتك فرفع ﷺ يديه إلى السماء ودعا ، فنشأت سحابة شامية من وراء سلع كالترس فاستدارت وأمطروا سبتا كاملا أى أسبوعا ، حتى إن الرجل القوي منهم كان يفكر كيف يصل إلى داره وكل من قدم المدينة حديث عهد بالحيا ، ثم جاء هذا الرجل في الجمعة التالية ورسول الله ﷺ يخطب - فقال : يا رسول الله انقطعت السبل و... و... أى من كثرة المطر ، فادع الله أن يكشفها عنا ، فدعا رسول الله ﷺ وقال « اللهم حولينا ولا علينا » وكان كلا يشير بيده إلى السحاب يتزقن حتى أضحت للمدينة كالجوبة الخ

والأحاديث في ذلك كثيرة لا يحصىها نأثم على سرير مرضه مثلى

ودعاء المؤمنين بعضهم لبعض بطلب أو بغير طلب من التعاون على البر والتقوى ، وقد قال الله تعالى ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ وقال الله لنبيه ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين ﴾ وقال ﴿ فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ﴾

فاللهم لا تسلط أباً رية على ماصح من أحاديث رسول الله ، ولا تعجبه فيجعلها إسرائيليات أو مسخا من رواية المعنى ، أو من وضع أعداء الاسلام الذين لم يفتن لعداوتهم له سواء من سلف الأمة وخير القرون ، وخذ بنواصينا إلى الحق والخير يا من بيدك قلوب عبادك آمين ﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ وقلوب العباد بين إصبعين من أصابعك

ولو قرأ أبو رية رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية مثل (التوسل والوسيلة) و (الاستغاثه) و (زيارة القبور) له و (إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان) لتلميذه الإمام ابن القيم وما تفرع منها من كتب شيوخ الدعوة السلفية في نجد ككتاب (التوحيد) لشيخ المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرحه لأحد أحفاده الشيخ عبد الرحمن بن حسن وغيرهما لاستفاد كثيراً عن أنواع التوسل مشروعه وممتوعه ، ولما تورط في نسبة التوسل الشركي لأبير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وحتى حديث المراج للتفق على صحته لم يعلم من وسوس أبي رية ، قد زعم (ص ١٢٣) أنه بما به كعب ووهب من الاسرائيليات بقوله : ولم يستطع أحد من الرسل جميعا غير موسى أن يفقه استحالة أداء الصلوات المحسين على البشر ، فهو وحده الذى فطن لذلك وحمل محمدا ﷺ على أن يراجع ربه عشر مرات فى حديثه ، وخمس مرات فى حديث ثان ، وبضع مرات فى حديث ثالث وكان الله سبحانه وتعالى لما فرض الصلوات على المسلمين كان لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وكذلك لا يعلم محمد الذى اصطفاه الرسالة العامة إلى الناس كافة والله أعلم حيث يعمل رسالته إن كان من أرسل اليهم يستطيعون احتمال هذه العبادة حتى يصره موسى . هكذا ترى الاسرائيليات تنفذ إلى ديننا وتسرى فى معتقداتنا وتعمل عملها ولا تجد أحدا إلا قليلا - يعنى كأبى رية - أن يردّها ، بل ترى وا أسفا من يصدقها ويعتقدّها من خشية آخر الزمان الذين يتجرون بالدين لا يهمهم أن ينسب الجهل غلام النبیین . هـ . ما أتميت نفسى بنقله ، ليرى الناس فلسفة فيلسوف للقرن الرابع عشر فى رد الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها اسرائيليات تسربت إلينا

وجوابه : (أولا) رحم الله حديث المراج وأعاده من وسوس أبى رية ، ولو ردت الأحاديث الصحاح بأمثال هذه الوسوس لما بقى له حديث واحد ، وهو ما يرى اليه أبو رية ومن قدامهم من أعداء السنة . وطريقة العلماء الراسخين فى مشكلات الأحاديث ومتشابه

الآيات أن يمتهدوا في فهمها ، وإلا وكلوا عليها إلى الله تعالى قائلين ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ . وهذا الحديث لا إشكال فيه والله الحمد ، وما أبعد عن محارى الاسرائيلية ومهالكها ومفاوزها ووهادها

(٢) قوله لا يعلم الله طاقة عباده واستطاعتهم بما يحملون من الصلاة وكذلك محمد خاتم رسله ، جهل منه بسنة الله تعالى في شرعه وقدره فأنه العليم الخبير إذا أراد شيئا هيا له من الأسباب ما يعززه عندها . مثلا عندما أراد شرع التيمم رحمة بعباده بسبب ضياع فقد عائشة في منزل ليس فيه ماء حتى شكى الصحابة ذلك إلى أبيها أبى بكر الصديق حتى ذهب يظعن في خاضرتها ويقول : حبست للناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء ، فما يمنعها من التحرك الا رأس رسول الله ﷺ على فخذه ، حتى نزلت آية التيمم فقال أسيد بن حضير : ما هي بأول بركتكم يا آل أبى بكر ، وقال لها أبوها : إنك لمباركة يابنية

فهذا الله العليم الخبير بمصالح عباده شرع التيمم بسبب قصة عائشة . ومثلها كفارة الظهار بسبب ظهار زوج خولة بنت حكيم . وإباحة الجماع والرث في ليلة الصيام بسبب من وقع على أهله بعد العشاء أيام الحظر - وهكذا شفاعة من يشفع بعد إذن الله ورضاه عن يشفع له انفاذا لما يريد الله من رحمة من يريد رحمته من الشفوع فيهم

ومثله قدراً عمارة الأرض بسبب خطيئة أبى البشر آدم وهبة الأولاد بعد الزواج والعشرة الزوجية . وهكذا نجد شرع الله وقدره يرتبطان بالأسباب والمسببات ليعلمنا الله تعالى ارتباط الأسباب بالمسببات وعدم انفكاكها إلا لإعجاز أو خارق

والحديث يدل بمنطوقه ومعقوله عند من يعقل يبعده عن الشواشب الاسرائيلية ، ولولا ذلك لما جعل الله موسى الذى يحلف أتباعه بالذى فضل موسى على العالمين لما جعله في السماء السادسة وجعل ابراهيم فوقه في السابعة وعرج بمحمد إلى مستوى يسع فيها صريف الأقدام فوق موسى بمرآجل لا يعلمها إلا الله تعالى ، ولما جاء فيه أن موسى بعد ما فارقه رسول الله بكى ، فقيل له ما يبكيك ؟ قال : هذا - يعنى محمدا - غلام أتى من بعدى يدخل من

امته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي . فأظهر الحديث موسى بمظهر الحاسد الباكي الأسف ، وإن أولها العلماء بالغبطة والحمد الحمود . ولما أظهر الحديث بنى إسرائيل بمظهر العجز عن أداء ركعتين أول النهار وآخره وهم يزعمهم شعب الله المختار ، فأين الاسرائيلية فيه يأمن له عقل ودين وإنصاف ، وهو يشهد عليهم وعلى نبيهم هذه الشهادات ويفضل للمسلمين ونبيهم عليهم وعلى نبيهم ؟

إن كانت الراجحة الاسرائيلية فيه التي شتمها هذا المزكوم هي مشورة موسى على محمد بالراجعة في تخفيف الصلاة فليصح من كتاب الله تعالى وصحيح حديث نبيه ما جاء في فضائل موسى وبنى إسرائيل ، فالقرآن مملوء بها ، فضائل موسى في القرآن لا يتحملها هذا المختصر . ومن فضائل بنى إسرائيل قوله تعالى ﴿ وزيد أن نحن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . ونمكّن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ﴾ وقوله ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ﴾ وقوله ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلانك في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ وقوله ﴿ وأزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والأحبار والرهبانيون بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾

والآيات كثيرة في محاسن أنبيائهم والمؤمنين ، ومساوى الضالين منهم والكافرين ، وحسنات أولئك وسينات الآخرين ، فليس ما فيه شيء من حسناتهم من آية أو حديث يكون إسرائيليا كمبيا وهيبا يا أهل الانصاف والله يقول ﴿ ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ ، ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾

وفي الحديث « لا تفضلوني على موسى ، فاني أبعث من قبري فأجده باطشا عند

قوائم العرش فلا أدري بعث قبلي أم جوزى بصمة الطور . فليعده أبو رية حديثاً
اسرائيلياً مما تسرب من الإسرائيليات إلى ديننا الح

وإنكار أبي رية لحديث تخفيف الصلوات الخمس من خمسين إلى خمس بإشارة موسى
على النبي ﷺ أن يراجع الله في ذلك لأن الله يعلم ما قاله موسى وليس في حاجة أن يعرف
سبحانه ما تحمله قوى عباده وما لا تحمله الح ما هذا معناه

وقد أجبت آتفا بأن الله يشرع أحكامه لأسباب تقتضى تشريعها ، وضربت له مثل
للظهار ، ونسخ وجوب الصوم ليلاً ، وغير ذلك بسبب ما أدى لتشريعها

وأزيد الآن أن الله سبحانه يعلم أن هرون أفصح من موسى ، ويصلح أن يكون
رسولاً ووزيراً وعضداً لأخيه موسى ، ولكنه أجرى شفاعته موسى على لسانه بقوله
﴿ وأخي هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردائي بصـدقتي ، إني أخاف أن
يكذبون ﴾ وبقوله ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخى أشدد به أزرى
وأشركه في أمري ﴾

فهل كان الله تعالى وتقدس لا يعلم أن هرون أفصح من موسى وأنه يصلح أن يكون
وزيراً ورداء له حتى أخبره موسى بذلك ، فلم يرسل هارون مع موسى قبل شفاعته
موسى له بذلك ؟

اللهم إنا نبرأ إليك من رد نصوص الكتاب والسنة بمثل هذه التماسات والهدايات
والسخافات في رد كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بالشبهات الداحضة والأفهام القصرة
والاعتراض على الله في خلقه وشرعه وقدره

حديث طعن الشيطان لكل بني آدم إلا عيسى وأمه

لقد أساء أبو رية إلى نفسه وإلى العلم وظلم نفسه بطعنه (ص ١٤٤ - ١٤٨) في
حديث أبي هريرة في الصحيح « كل ابن آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد ، غير

عيسى بن مريم ، ذهب يطعن فطعن في الحجاب » وفي رواية : سمعت رسول الله يقول : « ما من ابن آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد ، فيستهل صارخا من مس الشيطان ، غير مريم وابنها » . وفي رواية ثالثة : « كل بني آدم قد طعن الشيطان فيه حين يولد غير عيسى بن مريم وأمه ، جعل الله دون الطعنة حجابا فأصاب الحجاب ولم يصنها » وفي رواية عند مسلم « إلا نخسه الشيطان » و « إلا يستهل من نخسة الشيطان »

وبدا كلامه على الحديث (ص ١٤٤) : ومن المسيحيات في الحديث ما رواه البخاري عن أبي هريرة ، فذكره ، وتهكم بأبي هريرة (س ١٥) بقوله : وفقه هذا الحديث الذي سمعه الصحابي الجليل من الرسول أن الشيطان يطعن كل ابن آدم أو ينخسه إلا عيسى بن مريم وأمه ، وبذلك لم يلم من طعن الشيطان أحد غيرهما من بني آدم أجمعين ، حتى الرسل : نوح وإبراهيم وموسى وغيرهم ، وخاتمهم محمد صلوات الله عليه وعلى جميع النبيين . فانظر وأعجب . هـ

نظرنا فلم نعجب ، فقد قالوا : للزينة لا تقتضى الأفضلية ، فاذا خص عيسى بالولادة من غير أب وإحياء الموتى وتصوير هيئة الطير من الطين والنفخ فيها فتصير طيراً باذن الله ، ولم يجر ذلك لإبراهيم ولا نوح ولا موسى ، لا يقتضى ذلك تكذيب هذه المزاي لعيسى واذا انشق البحر لموسى واتقربت عصاه ثعبانا ويده بيضاء من غير سوء ، وانفجار الحجر عن اثني عشر عينا وغير ذلك من آيات موسى ولم يجر ذلك لنوح وإبراهيم وعيسى ومحمد فهل نكذب ذلك ؟

هل ترد الأحاديث الصحيحة والأخبار القرآنية بمثل هذا الخيال القاسد ، والاستبعاد البارد ؟ ويكذب الصحابي الحافظ الصادق أبو هريرة لموسى أبي رية الذي قلده فيه جولد زيهر ؟

إذا جاء في التاريخ ذكر عداء يسابق الخليل بعدوه مثل سلمة بن الأكوع ، أو امرأة حادة البصر ترى من بعد ثلاثة أيام كزرقاء البهامة ، أو يحدث ملهم كعمر ، إلى أمثال

كثيرة مما يختص الله به بعض عباده ، فيجىء مهووس كاذب ربة يقول : لماذا اختص هؤلاء بذلك دون سواهم ، فنقرأ له قول الله تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾ وقوله ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ﴾ وقوله ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحانه الله وتعالى عما يشركون ﴾ ولما قال الملائكة لله سبحانه حين قال لهم ﴿ انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴾ ، والله لم يجعل أبارية ولا من هو خير من أبى ربة مستشاره يمدل فى خلق الله تعالى بهواه وعقله الفاسد ورأيه الكاسد

وطعن صاحب الكشاف كما نقل أبو ربة آخر (ص ١٤٥) فى حديث طعن الشيطان وتوقفه فى صحته ليس لهذا الطعن والتوقف فيه قيمة ، فليس صاحب الكشاف من علماء الحديث ، وحسبه أن يبين بلاغة القرآن فى كشافه ، ويدس تحت كل حرف منه جمعة الاعتزال ، ومجانبة السنة وطريق السلف

ونقله عن الشيخ محمد عبده (آخر ص ١٤٧) فى حديث مريم وعيسى وحديث إسلام شيطان النبى ﷺ وحديث إزالة حظ الشيطان من قلبه ﷺ أنها أخبار آحاد ظنية من رواية الآحاد لا يؤخذ فيها بزعمه فى عالم الغيب ، والإيمان بالغيب من قسم العقائد ، شئنة نعرفها من أخزم ، ولوثة لانتها فيه مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر التى تتقف بها ، ولو عاش الشيخ محمد عبده إلى القرن العشرين لراى مادية القرن التاسع عشر وما قبله وقد صارت هشما تذروه الرياح ، ولا تفتح له باب الروحانية وتصديق الرسل والديانات على مصراعيه على يد أكابر العلماء وأساطين العلم التجريبي أمثال جينز والفلكي الطبيعي فى كتابه (العالم المستور) وغيره من أكابر العلماء الطبيعيين ككتاب الانسان لا يقوم وحده الذى سعى العلم يدعو إلى الإيمان لرئيس أكاديمية نيويورك

لقد حدثنى البرحوم الشيخ عبد القادر التلساني التاجر الشهير بمصر وجدة قال :

رفعت للشيخ محمد عبده على يد شريكنا السيوفي باشا سؤالاً وانتظرت جوابه أسبوعين أو أكثر ، ثم قلت للسيوفي باشا : أعرض على سماحة المفتي جواب سؤال ، ورفعت إليه ، فطلب مني مصدر الجواب ومستفاه ، فقدمت له كرايس من كتاب (موافقة العقل والنقل) لشيخ الاسلام ابن تيمية و (النسيمية) له وكان لم يطبعا حينئذ ، فأت الشيخ محمد عبده رحمه الله وهو يقرأ هذين الكتابين كرايس بمد كرايس ، وقال : هذا كلام لم نر مثله ، أو نحو هذا

وذكر لنا شيخنا للرحوم السيد رشيد رضا عن شيخه الشيخ محمد عبده أنه لم يهتد لسنة والعمل بها إلا في آخر حياته . وحسبنا من الشيخ محمد عبده مدافعا عن الاسلام حكما فيلسوفا غيورا على الدين جملة لا تفصيلا

أما تقليده في رد صحيح الأحاديث فليس مما قبله منه بعد معرفتنا لما يحسن من دين الاسلام كرده على مسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا ، وكرده البديع على فرح أنطون في مجلة الجامعة في الرسالة للمحاة الاسلام والنصرانية

وشك أن رية في حديث نزول عيسى بن مريم (حاشية ص ١٤٥) لأنه جاء خير عودته في الانجيل هو من الفهم للقلوب ، فإذا جاء حديث أو قرآن بما جاء منه في التوراة أو الانجيل أيسكون ذلك شكاً فيه أو تقوية له ؟ والرسول يصدق بعضهم بعضاً ، فعيسى يقول ﴿ ومصدقا لما بين يدي من التوراة ﴾ وقوله ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه ﴾ وفي الحديث « نحن معاشر الأنبياء أولاد حلات ، ديننا واحد والشرائع شتى » ولوردنا من الدين ما لا يعجب أبارية وأمثاله من الجهلاء المعجبين بأرائهم الفجة لأصبح الدين مهلهلا ممزقا رقما لا تستر عقيدة ولا تدفعه من باطل ، ولأصبح ديننا ملقفا يقبل منه أهل الأهواء ما يوافق هواهم ويردون منه ما لا يهون ، وكفى بدين ممزق مخرق أمثال هذا ، فإن الله وإنا إليه راجعون

ومن المعجائب والمعجائب جمة أن يعيب أبو رية في كتابه على الصعابة في سماعهم

من مُسلى أهل الكتاب ككعب ووهب وعبد الله بن سلام وتميم الدارى وأمثالهم ، وقد أسلفوا وقبل الصحابة ظواهرهم ، وبسى أبو رية أبا هريرة وابن عباس وعبد الله بن عمرو ابن العاص نلامذة لكعب لسماعهم بعض كلامه فى غير الدين ، ثم يحىء أبو رية (فى ص ١٤٨) فيأمرنا بالرجوع إلى كتب أعداء الاسلام من المستشرقين مثل جولد زيهير اليهودى المستشرق ومن على شاكلته فون كرىمر وأمثالها وشيرنجر وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية ، وقد رجعنا إلى كتاب العقائد الاسلامية وكتاب مذاهب المسلمين فى التفسير لليهودى المستشرق جولد زيهير فاذا هو فى كتابه الأول العقائد الاسلامية يكذب نبي الاسلام صراحة ويصفه بالصرع والمستيريا وسرقة إصباح صموئيل أو أشعيا أو غيره - من أسفار العهد القديم ويقولها قرآنا فى سورة البلد وغيرها . ويذهب فى كتابه الثانى مذاهب المسلمين فى التفسير فيجعل القراءات المنزلة من السماء فى الأحرف السبعة من اختراع القراء حسبا سمح لهم منهم فى الخط العربى البدائى غير المنقط ، أنهؤلاء موضع الثقة عند أبى رية فيحيلنا عليهم لتعرف الاسرائيليات والمسيحيات فى الاسلام ، وقد جعل أحدهم جولد زيهير للقرآن اسرائيليا سرقة محمد من إصباح فلان من العهد القديم ، يحيلنا على هؤلاء الأعداء لله ولرسوله وللإسلام والمسلمين فى الدين ويصيب على بعض الصحابة سماعهم من سلطة أهل الكتاب فى غير الدين ، لاتهمه هؤلاء المسلمين من أهل الكتاب بالغش والخديعة للإسلام والتناق فى ، ويأمرنا بالرجوع إلى هؤلاء الأعداء غير المؤمنين فقبل كلامهم فيما شرعوا به من دين الاسلام .

ولكن لا بأس فقد عرفنا من أين استقى أبو رية شكوكه فى الاسلام وفى أصله الثانى حديث رسول الله ، واذا كان لنا أن نشبه أبارية فى تقليده لأعداء الاسلام شبهناه بالقرء الذى ذبح نفسه عندما قلد من أجرى السكين بظهرها على رقبة فأنخذ القرء السكين وأجرأها مجددا على رقبة ، أو نشبه بذلك الابن الذى أراد أبوه الطبيب أن يموت معه على الطب فذهب به معه إلى أحد المرضى وجس الطبيب الأب نبض المريض وقال : لعلك أكلت لحم حام ؟ قال المريض نعم ، فسأل الابن أباه كيف عرفت أن المريض أكل لحم حام

قال : بانتفاخ النبض في عنرقه ووجود ريش الحمام في قامة منزله . فذهب الابن يوما إلى مريض آخر وجس نبضه وقال : لعلك أكلت لحم حمار ، فضحك منه الناس ! ولما رجع إلى أبيه وأخبره الخبر قال له أبوه : كيف عرفت أنه أكل لحم حمار ؟ قال لأني رأيت نبضه سريعا متفخا ورأيت برذعة حمار معلقة في الدهليز فعرفت أنهم ذبحوا الحمار وأطعموا المريض منه ، فضحك منه أبوه وعلم أن الكحل في العينين ليس كالكحل . وهكذا أراد أبو رية أن يتشبه بالنقاد الباحثين فرجع كالغراب الذي قد مشيته ولم يحسن مشية القطا . وهذا كانه دليل واضح على صحة الاسلام وصحة أصوله من الكتاب والسنة ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾

وذكر (ص ١٤٨) كثرة الأحاديث وتوجع من ذلك ، ونقول له ما قال الأول :

وعيرها الواشون أني أحبا وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

أبو هريرة (ص ١٥١ - ١٩٧)

يحسن بنا في هذا المقام أن نقول ما علنا الله سبحانه أن نقوله ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا في الإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾

وفي الأثر من حديث جابر « إذا لمن آخر هذه الأمة أولها فن كان عنده علم فليظهره ، فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد »

وقالت أم المؤمنين عائشة رضی الله عنها : أسروا أن يستغفروا لهم ، فسبواهم !
وقيل : لما أراد الله دوام الحسنات لهؤلاء الأکابر قیض لهم من سبهم لیتی أجرهم
حتصلا بمد موتهم
وقال الأول :

وإذا أتت مذمتی من ناقص ففی الشهادة لی بآنی کامل
قدم أبو رية فی ترجمة أبي هريرة (ص ١٥١) مقدمة مفادها : لو كانت أحادیث
رسول الله كلها من الدین العام - كالقرآن - لا يقوم إلا علیها ولا یؤخذ إلا منها . . .
لکان أكثر الصحابة رواية لها أعلام درجة فی الدین الخ ، وقال : ولكننا نجد الأمر علی
ما بدا فی كتب الحدیث المعروفة - قد جرى علی خلاف ذلك . وضرب مثلا بالخلفاء
الراشدين وبالمشرة للبشرین بالجنة الذین قالوا إنه ﷺ قد مات وهو عنهم راض ، فانهم
مقلون فی الحدیث حتی أن بعضهم لم یرو عن الرسول حدیثا واحدا .

وعلی هذا فلیس للحدیث قیمة فی الدین علی رأیه ولا حاجة الیه ، ولیتعبد للمتعبد
بالقرآن بما شاء له هواه وما تخیله خیاله : صلاة بقیام وسجود واحد قبل ركوع ، ووضوء
بلا استنجاء ، بل تبقی الخارج ملوثة بالغائط والبول ، والافان فی القرآن الاستنجاء وأین
أنواع الحلال والحرام من الأطعمة والألبنة والفروج وأحكام القضاء والشهادات
والمعتق والکتاب والتدبیر الخ

وقول لأبی رية : إن القرآن لم یحفظه من الصحابة إلا قلة قليلة لیس منها الخلفاء
الراشدون ولا المشرة للبشرة بالجنة ، وحافظوه قليل یمدون علی الأصابع ، والصحابة
یزیدون علی مائة ألف ، فهل هذا عما یقلل من قیمة القرآن وأنه لا حاجة فی الدین الیه كما
زعمت فی الحدیث ؟

فأی ضرر علی الحدیث إذا اشتغل خالد بن الولید بالفتوح الاسلامیة ومنازلة
الأقران فغفله ذلك عن القعود فی حلقة من حلقات الحدیث فی المسجد النبوی أو غیره

من الساجد ، مع احترامه للحديث وقبوله ممن يحدث به من الصادقين ، وحبه للحديث النبوي وأسفه على ما فاتته منه

وكذلك أبو بكر رضى الله عنه الذى خرج يوم مبايعته بالخلافة ليكتسب لعياله ، حتى رده الصحابة وفرضوا له فى بيت المال ، وقضى خلافته فى حرب للرتدين وردهم إلى حظيرة الاسلام .

ومثله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى قال : لو ضاعت سخلة بالعراق لعددت نفسى مسئولا عنها . وقد اعتذر عن حديث الاستئذان الذى رواه وعمل به أبو موسى أنه شغله عن ذلك الصفق فى الأسواق ، يعنى الاشتغال بطلب الرزق بالتجارة

هل يتصور أبو رية أن رئيس جمهورية فرنسا أو إيطاليا أو الولايات المتحدة أو مستشار ألمانيا الغربية إذا لم يحط أحدهم علما بما يعلمه أحد طلبة كلية الطب أو أحد طلبة كلية العلوم أو أحد طلبة كلية الهندسة بله أساتذة هذه الكليات ، إذا تصور ذلك فهل يقول إن علوم الطب والطبيعيات والكيمياء والهندسة لا لزوم لها فى الهيئة الاجتماعية ولا جدوى لها فى الحياة المدنية لأنها لا يعلمها هؤلاء الرؤساء ؟ يقول الله تعالى فى سورة الرعد ﴿ أنزل من السماء ماء فسالأت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا وما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾

وفى حديث أبى موسى رضى الله عنه مرفوعا « مثل ما بعثنى الله به من الحق والمهدى كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها أطايب أمسكت الماء فأبقت العشب والكلأ ، وكان منها قيعان أمسكت الماء فشرب الناس ورووا ، وكان منها أجادب لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فهذا مثل ما بعثنى الله به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا »

ونأسف لأبى رية أن كان من القسم الثالث الذى لم يرفع رأسا بما بعث الله به نبيه من الحق والمهدى ، بل انحدر الى دركة من صد عن سبيل الله واتبع أعداء الاسلام .

جولد زهر وفون كريم وأمثالها ، وكل ميسر لما خلق له . ﴿ ولو شاء ربك لجلد الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ ، ﴿ قال اخراج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منك أجمعين ﴾ ، ﴿ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ﴾

اسم أبي هريرة ونشأته من ١٥٢ - ١٥٣

لم يعرف اسم أبي هريرة ولا نشأته فكان ذلك جرحا فيه عند أبي رية ، لأنه يريد أن يخرج له بطاقة شخصية باسم أبيه كأنه مجرم منهم من أبي رية باشتغاله بحديث رسول الله ﷺ الذي يزكم منه أنف أبي رية ، وفي المثل : لم يجدوا للورد عينا فقالوا له : يا أحرر الخدين

واشتهر أبو بكر بكنيته ، وكثير من الناس لا يعرف هل اسمه عثمان أو غيره ، وأنا من هذا الكثير ، فهل يضر هذا أبا بكر الصديق وقد طلعت كنيته مع الشمس وسارت أمها شرقا وغربا

يهزأ أبو رية بأبى هريرة بأنه عاش فقيرا ، وخدم في لقمة عيشه ، ونزل الصفة منزل فقراء المهاجرين ، وأنه لازم رسول الله ﷺ أو صحبه كل ملء بطنه . فيالعيوب أبي هريرة عند أبي رية ! لماذا لم يخلق غنيا ؟ ولماذا يخدم بلقمة عيشه ؟ ولماذا يأكل طعام رسوله ﷺ بدعوته اليه ؟ اللهم إن كانت هذه عيوب رواة حديث رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك أبو رية فليس في الدنيا شيء عنده إلا معيب إلا طبقة الارستقراطيين والمترفين وأعداء الرسل والاصلاح في كل زما الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ ، ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم ﴾

قال أبو رية (ص ١٥٥) : وسجل التاريخ أنه كان أكلوا نعا يطعم كل يوم في بيت.

النبي ﷺ أو في بيت أحد أصحابه ، حتى كان بعضهم يفر منه .
ونسأل الكذاب للفتوى أى تاريخ هذا ؟ أتاريخ عبد الحسين الرافضى ؟ أو تاريخ
جولد زيهري اليهودى عدو الله ورسوله والناس جميعا ؟ أم تاريخ ابن الكلبي فى مثالب
الصحابه ، أو تاريخ لوط بن مخنف الكذاب . وهب أنه تاريخ صحيح ، فهل فى كتب
الجرح والتعديل أن الأكل والنهم ترد به رواية صاحبه ؟ قرأت مقدمة تقريب التهذيب
فى مراتب الجرح والتعديل التى أعلاها : ثقة حافظ ، ثقة إمام ، ثقة ثقة وآخرها : كذاب ،
وضاع ، يضع الحديث الخ ، وليس فى واحدة منها النهم وكثرة الأكل ! ولو أن شاهدا
هدلا شهد أمام قاض وجرحه للشهود عليه بأنه أكل نهم لضحك القاضى والحاضرون
من حماقة الجارح ، وقالوا له ليس نهمه وكثرة أكله يجرحه فى عدلك

ومثل ذلك استقراؤه الرجل الآية لينقلب به ويطمعه ، قال أبو رية : ومن أجل ذلك
كان جعفر هذا فى رأى أبى هريرة أفضل الصحابة جميعا ، فقدمه على أبى بكر وعمر
وعلى وعثمان وغيرهم من كبار الصحابة رضى الله عنهم جميعا

بالظلم والفرية ، من أجل قول أبى هريرة فى جعفر « انه كان خير الناس للمساكين »
يكون هذا تفضيلا له على أبى بكر وعمر وعلى وعثمان . هكذا يذهب الموى والحق
بأهله حتى تقيح قلوبهم على أهل الخير . وقول أبى هريرة فى جعفر بن أبى طالب ذى
الجناحين وحبيب للمساكين : ما احتذى النعال ولا ركب اللطايا ولا وطىء الثراب بعد
رسول الله ﷺ أفضل من جعفر بن أبى طالب ، اعتراف بالمعروف وإقرار بالجميل ، ومثله
قول رسول الله ﷺ « خير نساء ركنى الأبل صالح نساء قريش أحتم على ولد فى صفره ،
وأرعه على زوج فى ذات يده »

وحسبنا فى فضل أبى هريرة أن يلزمه الثعالبي الشيعى فى كتابة غار القلوب كما نقله
راوية مثالب الصحابة أبو رية فى كتابه (ص ١٥٦) ، والرافضى عبد الحسين (آخر
ص ١٥٧) ، ولأبى هريرة أن يحتل بقول الأول :

وإذا أنتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بآنى كامل

أو بقول الآخر :

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضبانا على لثامها

والعجب من أبى رية الذى يشكك فى كتب الحديث ودواوين الاسلام بمثل هذه
التقول عن الثعالبي وعبد الحسين الرافضى ويصدق أمثال هذه اللقو ذات للتنة الجائفة

وهب أن أبا هريرة كان يحب المضيرة كما ذكره هذا الكذاب للفقرى ويأكلها مع
معاوية ويصلى مع على ، فأى جرح فى هذا أيها المبغض لخيار خاق الله تعالى أن يجب
حلوى معاوية ويصلى مع على ويهرب عن قتال المسلمين فيطهر سيفه من دماهم كما فعل
عبد الله بن عمر وأمثاله

ولقد عاب المشركون على رسول الله ﷺ أكله الطعام ﷻ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام
ويمشى فى الأسواق ﷻ وأجاب الله عنه بقوله ﷻ وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا
خالدين . ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا السرفين ﷻ

ألا فليعلم أبو رية أنا نحب الحلوى وكل طعام طيب ، ونحب من يطعمنا ذلك وننتى
عليه ، سواء كان معاوية أو غيره ، ونقول لمبغض أبى هريرة ومعاوية رضى الله عنهما
وغيرهما من خيار صحابة النبي ﷺ ما قاله الأول :

وناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وأما تعليقه على حديث « زر غبا تزدحبا » فى آخر (ص ١٥٨) فحسابه على الله
فيا تقول على أبى هريرة . وأنعم بأبى هريرة أن يكون موضع عناية رسول الله ﷺ وتأديبه ،
ولا ليت لنا مثل هذا التأديب ولو بالضرب ونكون قد رأينا رسول الله ﷺ مؤذبا لنا أو
رأينا من رآه من خيار أصحابه

وذكر مزاحه وهذره (ص ١٦١) وعدل منها حمله لحزمة حطب وهو يومئذ خليفة

لمروان على إمارة المدينة، ويقول: أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك

ما أعذب هذا للزاح، وإن دمت منه حيناً أبي رية. نائب الأمير يحمل حزمة الخطب ولا ينسى أنه أمير. اللهم أكثر من أمثال هؤلاء الأسماء للزاحين، وإن اغتاض منهم عبيد الاسترقاطية من أمثال أبي رية وأشباهه من الرافضة كعبد الحسين وأمثاله.

وقال أبو رية (ص ١٦١): ولقد كانوا يتهمون بروايته ويتندرون عليها. وذكر قول القرشي لأبي هريرة هل سمعت رسول الله يقول في حلقى هذه شيئاً؟ فذكر له قوله ﷺ أن رجلاً من كان قبلكم بينما هو يتبختر في حلة إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة. وبدا لأبي رية أن الرجل لم يكن مستغفراً وإنما كان متهمكاً إذ لم يقل له انك تحفظ أحاديث، وإنما قال تكثر الحديث عن رسول الله ﷺ. قال أبو رية: وسيأتي الحكاية يدل على أنه كان يهزأ به ويسخر منه!

ونقول لأبي رية: إن هذا منك ظن واقتراء على السائل، حملك عليه بغض أصحاب رسول الله ﷺ الذي ورثته عن أعدائهم من الرافضة وأمثال جولد زهير اليهودي عدو الاسلام، والحساب يوم القيامة بين يدي الله تعالى، فهل تأذبت يا أبا رية بقول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ولكن الهوى واتباع غير سبيل المؤمنين يأتي بالعجب العجيب

سجل سيئات أبي هريرة عند أبي رية أنه كان أכולاً نهما يحب مضيرة معاوية وبصلى وراء علي ويهرب في الجبل عند قتال أهل الصفين، يعني أنه كان محتاطاً لدينه فلم تغره حلاوة مضيرة معاوية بالصلاة ورائه بل محتاط لدينه وبصلى وراء علي، واحتاط لدينه فلم يلوث سيفه بدماء المسلمين المتقاتلين من أصحاب علي أو معاوية، فأكريم بذلك الاحتياط للدين. وكان مزاحاً يحمل حزمة الخطب وهو نائب أمير المدينة ويقول: أوسعوا الطريق للأمير. فله دره من متواضع لم تطفه نيابة الإمارة ولم تطره النعمة، ولا نسي للتواضع لله تعالى ولم يتكبر على إخوانه المؤمنين

أما نحن الأكل فكلنا نحب الأكل ، وأنبياء الله صلوات الله عليهم لم يجعلهم الله جسدا لا يأكلون الطعام . وليت شعري هل سلم أبو رية من تهمة الجوع ؟ والأكل المهم إننا نحب الطعام الطيب وليلقينا أبو رية ما شاء .

وليت شعري ما يقول أبو رية في خروج النبي ﷺ من داره من الجوع ، وخروج أبي بكر وعمر لئلا ذلك ، وذهابهم إلى بستان أبي التيهان وقطعه الرطب والبسر ووضعهم أمامهم قال لتخبروا من رطبه وبسره وذهب يستمذب لهم الماء ، ونهاه رسول الله ﷺ أن لا يذبح حاملا ولا ذات در ، وشوى لهم فأكلوا وشربوا وقال لهم رسول الله : هذا هو النعيم الذي تسألون عنه ، إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ولتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ وأقسم على ذلك

كثرة أحاديث أبي هريرة م ١٦٢

قبل أن نخوض في الموضوع نعرض لما ذكر أبو رية (في ص ٣٠) عن وعيد عمر لكعب إذا لم يترك الحديث ليلحقته بأرض القردة ، وذكر هنا (ص ١٦٣) أن هذا الوعيد قاله عمر رضي الله عنه لأبي هريرة ، فأى الخبرين نصدق ما في (ص ٣٠) أو ما في (ص ١٦٣) ؟ وهل الوعيد بالنفي إلى أرض القردة لكعب أو لأبي هريرة ؟

وقد بما قيل « إذا كنت كذوباً فكن ذكورا » ولكن أبارية كذوب وغير ذكور (وقد روى أن هذا في أبي هريرة وعزاه إلى البداية والنهاية وليس بصحيح) ولا تنس ما نسب لعمر (ص ١١٨) من السقوط في هوة شرك التوسل بالعباس ونفيه عنه بعد ثلاثة أسطر (ص ١٧) أن عمر لم يقع في الفخ الذي نصبه له هذا اليهودي

فقل لي بربك هل لأبي رية ذاكرة تعي النفي والاثبات لشيء واحد في صفحة واحدة وبين النفي والاثبات ثلاثة أسطر ، نفي وإثبات لشيء واحد في شخص واحد في آن واحد ، أم هو عي البصيرة جزاء من يقع في خيار الخلق وسلف الأمة وسلك غير سبيل المؤمنين أن يضلل الله سعيه فلا يدري ما يثبت مما نفاه ولا ما ينفي مما أثبت ، ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور ﴿

ونقل (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقي بن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧٤ حديثا روى البخارى منها ٤٦٦ حديثا. فأنعم وأكرم بالامام أبي عبد الرحمن بقي بن مخلد حافظ الأندلس وإمامها ونفريها ، وبالبخارى خير المشرقين حفظا وجمالة قدر ، وبأبي محمد بن حزم إمام أهل الظاهر بالأندلس وصاحب المصنفات الممتعة النافعة ، فمن الناس غيرهم ؟ أبو رية حثالة القرن الرابع عشر الذى جاء يتشبه بأعداء الاسلام من أشباه جولد زيهري ؟

قال أبو رية (ص ١٦٣) : أنزعت كثرة رواية أبي هريرة عمر بن الخطاب فضربه بالدرة وقال له : أكرت يا أبا هريرة من الرواية وأحرى بك أن تكون كاذبا على رسول الله ﷺ ، ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ فإنه ينفيه إلى بلاده . هـ

والجواب : أين السند لهذه الفرية ؟ قال ابن المبارك : لولا الاستناد لقال من شاء ما شاء

ثانيا - سلمنا أن لهذا الكلام أصلا ولو فى سراب بقية ، وإن كان لقصة عمر مع أبي هريرة ظل من الخيال والوهم فلمع رضى الله عنه سياسته وأسلوبه فى الإصلاح ، واجتهاداته التى يترحم عليه من أجلها ولا يقلد فيها جميعا بلا استثناء ، فقد نهى عن المتعة والقران فى الحج ليكثر زوار بيت الله الحرام ، وقد جاء الكتاب والسنة الصحيحة بمشروعيتها ، وأبى للجنب أن يتيمم ولو لم يجد الماء شهرا ، وأبى أن تكتب الصحيفة التى طلب رسول الله ﷺ كتابتها فى مرض موته وقال : إن رسول الله ﷺ هجر من شدة المرض ، وقال ابن عباس : إن المصيبة كل المصيبة فيما منع رسول الله ﷺ من كتابة ما كان يريد أن يكتب ، ولا تقول بقول ابن عباس إن فى ذلك مصيبة ولا شبه مصيبة ، إنما كانت تأكيذا لما سبق منه ﷺ مرارا لأمثالها ، ومنها وقف سواد العراق وحرمان قاتحيه من أسهمهم منه حفظا لمن يأتى بعد ذلك من ضمفاء المسلمين ، ومنها

إنكاره على حسان إنشاده الشعر في المسجد النبوي وسكت لما استشهد حسان بأبي هريرة أنه كان ينشده في المسجد وفيه من هو خير من عمر - يعني رسول الله ﷺ - ومنها حديث أبي موسى في الاستئذان واستغفره عمر حتى أيدأباموسى فيه أبو سعيد الخدرى واعتذار عمر بأنه ألهاه الصفق في الأسواق يعني كسب المعيشة ، ومنها تضارب اجتهاداته في ميراث الجد مع الإخوة

فلعمر اجتهاده ، وظنه في أبي هريرة وفزعه من كثرة رواياته ، وللسلمين جميعا أن يصدقوا أبا هريرة ويخالفوا عمر كما خالفوه في كثير من اجتهاداته اتباعا لما ثبت في السنة الصحيحة ، وحسبنا منه مصاحبا كبيرا وسياسيا عظيما وعزا للإسلام بإسلامه وخلافته ونصحا لله ولرسوله وللخليفة أبي بكر وإن شرق بريقه مبعضوه من الرافضة . ورضى الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . ونقول لأبي رية : هل تقبل حديث غير أبي هريرة فتهون المصيبة ، أم ترد الجميع فتعظم مصيبة المسلمين بك وبترهاتك ؟

نقل الأستاذ أبو رية (ص ١٦٣) عن ابن عساكر عن السائب بن يزيد تهديد عمر لأبي هريرة - إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ - أن يلحقه بأرض دوس أو بأرض الفردة . والعجب من أبي رية يريد جرح أبي هريرة بما يتنقل من تاريخ ابن عساكر ، فهل يعرف أن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الخطيب وأمثالهما عش للوضوعات ، فهل تهدم حصونا مشيدة برمها ببيض المصافير والدجاج ، أو هو الجهل والهوى مجتمعين في تقاد الأحاديث في القرن الرابع عشر أبي رية ومتهم الصادقين من رواة الحديث وحمله العلم النبوى رضى الله عنهم وأرضاهم ونفعنا بعلومهم وروايتهم

وقول السيد رشيد رضا رحمه الله (كما نقله أبو رية ص ١٦٣) لو طال عمر عمر حتى مات أبو هريرة لما وصلت اليئاتك الكثيرة الكثيرة ، فنقول لها ما : اختيار الله لديه الذى أكمله لنا وأرضاه لنا بإطالة عمر أبي هريرة بعد موت عمر حتى روى لنا هذه الأحاديث الكثيرة خير لدين الله وأبين لشريعته وصفته

ونحمد الله تعالى مع السيد رشيد رحمه الله على أن مشكلات أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه - إن كان فيها مشكل - لا يتوقف على شيء منها اثبات أصل من أصول الدين ، ووجود مشكلات عند بعض الناس في أحاديث أبي هريرة لا يضيرها ، فقد استشكل بعض الناس شيئاً من القرآن وتشابه عليهم ، ولن يضيره شيء من ذلك ، قد قال الله تعالى ﴿ هو الذي أنزل الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾

ودعواه على أبي هريرة (ص ١٦٤) نسويغ كثرة أحاديثه بأنه ما دام لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً فإنه لا بأس من أن يروي متأيداً بأحاديث رفعها النبي ﷺ من رواية الطبراني في الكبير مرفوعاً « إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالاً وأصبتم المعنى فلا بأس » وحديث « من حدث حديثاً هو لله عز وجل رضا فأنا قلته وإن لم أكن قلته » نقله عن ابن عساكر في تاريخه - وفي الأحكام لابن حزم مرفوعاً « إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق تغذوا به ، حدثت به أو لم أحدث » و « إذا بلغكم عنى حديث يحسن بى أن أقوله فأنا قلته ، وإذا بلغكم عنى حديث لا يحسن أن أقوله فليس منى ولم أقله » بأمثال هذه المنخفضات والموقوفات الميثاق الجائفة التتمة تخرج أبا هريرة وتشكك في دواوين السنة أيها الضال الجاهل المفترى ، والله حسبيك ولا حول ولا قوة إلا بالله

رميه لأبي هريرة بالتدليس ص ١٦٤ - ١٦٥

وتدليس أبي هريرة عندهم أن كثيراً من أحاديثه سمعه من كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم فيقول : قال رسول الله ﷺ ثقة بمن حدثته من أكابر الصحابة قبل الفتنة وظهور الكذب ، كما قال ابن سيرين : كانوا لا يسألون عن الإسناد قبل الفتنة ، فلما وقعت الفتنة قالوا : هاتوا اذكروا لنا سندكم أو من حدثكم . فأى عيب على أبي هريرة إذا وثق بمثل أبي بكر وعمر وأمثالهما في الحديث عن رسول الله ﷺ فحدث عنها بما حدثناه من غير ذكر لها

هذا أبو رية يعيب على أبي هريرة ثقته بمن وثق به من الصحابة فحدث عنهم ، وأبو رية يذكر عن تاريخ ابن عساکر وعن الطبرانی في الكبير وهو لم يرهما بعينه وإنما ينقل عن نقل عنهما ، ثم يأتي بعد ذلك يعيب على أبي هريرة ثقته بكبار الصحابة ويذمه بذلك ، فهل قرأ أبو رية آية ﴿ ويل للعطفين الذين إذا اكْتالوا على الناس يستوفون ﴾ الآية

نقل (ص ١٦٥) عن مسلم بن الحجاج عن بشر بن سعيد قوله : لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة فيحدث عن رسول الله ويحدثنا عن كعب الأحماس ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يحمل حديث رسول الله عن كعب وحديث كعب عن رسول الله . وفي رواية : يجعل ما قاله كعب عن رسول الله وما قاله رسول الله عن كعب ، فاتقوا الله وتحفظوا في الحديث . ٥١

وأى ذنب على أبي هريرة في أن يحدث بالصواب فيخلط سامعه فيما حدث به ، هل يحمل وزر غيره عليه والله يقول ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، أم ذنبه أنه حدث عن كعب مع ذكره أنه عن كعب ، أم هو الاتهام بالزور والبتان وتطويل الكتاب بهذه الترهات والاثمات الباطلة ؟

ساق أبو رية هذه القصة عن مسلم جرحاً في أبي هريرة ، ولو كانت جرحاً يا أهل الانصاف لما روى مسلم عن أبي هريرة هو وغيره حديثاً واحداً ، أما مرويات الأئمة مالك والنورى وابن عينة وأحمد والبخارى ومسلم طائفة بأحاديث أبي هريرة ثقة به وإيماناً بصدق حديثه فليضرب أبو رية رأسه في صنخور الجبال

اول راوية اتهم في الاسلام ١٦٦

نقل أبو رية عن ابن قتيبة في كتابه مختلف الحديث أن أبا هريرة لما أتى من الرواية عنه ^{عليه السلام} ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة الصحابة والسابقين الأولين اتهموه وأنكروا عليه وقالوا : كيف سمعت هذا وحده ، ومن سمعه جمعك ؟ وكانت عائشة أشدهم عليه لتطاول

الأيام بها وبه . وعن اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلى ، وبذلك كان كما قال النابغة مصطفى صادق الرافعي : أول رواية اتهم في الاسلام هـ (ص ١٦٦) . أنا لا أتق بنقل أبي رية عن ابن قتيبة^(١) فانه موتور من أبي هريرة بما ورث عن أشباهه من الرافضة بغض رواية الحديث النبوي ، وللتهم كأبي رية إذا ثبت عليه الكذب - كما سيأتي في تحريفه النقل عن ابن كثير - لا يقبل نقله ، ولو صح أن ابن قتيبة قال إن الصحابة السابقين الأولين اتهموه ، وأن عمر اتهم أبا هريرة بالكذب ، لو صح أن ابن قتيبة قال ذلك لكذبنا ابن قتيبة ومن قلده كأبي رية والرافعي ، فتكذيب هؤلاء أصوب وأهون من تكذيب صحابي جليل كأبي هريرة حفظ الله به على الاسلام ما حفظه من أحاديث نبيه

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالكل أعداء له وخصوم

وزيد بحاسديه أبارية وأمثاله ، لاجلة الصحابة فقد برأهم الله من الحد

أما دخوله بين أبي هريرة وبين عائشة (آخر ص ١٦٦ ، وأول ص ١٦٧ ثم ص ١٦٨) وقول أبي رية عن أبي هريرة : وردّه عليها لما أنكرت عليه ردا لا أدب فيه في زعم أبي رية ولا وقار بأنه شغلها عنه ﷺ المرأة والكحلة ، وفي رواية ما كانت تشغلي عنه للكحلة والخضاب ولكن أرى ذلك شغلك . ثم عاد أبو رية فزعم أن أبا

(١) اطلع أحد الافاضل على هذه الفقرة فكتب ما يأتي :

عبارة ابن قتيبة (١ : ٢٧) في سياق مقالات النظام :

« وذكر (النظام) أبا هريرة فقال : أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة ... »

ثم قال ابن قتيبة ص ٤٨ :

« وأما طعنه على أبي هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلى وعائشة له فإن أبا هريرة صحب رسول الله ﷺ فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله من صحبه من جلة أصحابه ... اتهموه وانكروا عليه ... فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان ألزمهم لرسول الله ﷺ أمكروا عنه ،

فزاعم التكذيب هو النظام

هريرة عاد فشهد بأنها أعلم منه ، وأن المرأة والمكحلة لم يشغلاها ، ذلك أنه لما روى حديث « من أصبح جنباً فلا صوم له » أنكرت عليه عائشة هذا الحديث فقالت : إن رسول الله كان يدركه الفجر وهو جنب من غير احتلام فيغتسل وبصوم ، وبعثت إليه بأن لا يحدث بهذا الحديث عن رسول الله ، فلم يسمعه إزاء ذلك إلا الإذعان والاستخذاء وقال : إنها أعلم مني ، وأنا لم أسمع من النبي وإنما سمعته من الفضل بن العباس ، فاستشهد ميتاً ، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله ﷺ ، كما قال ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث . هـ

ويقال لأبي رية : أنت هو قليل الأدب والوقار والاحترام لأصحاب رسول الله ﷺ كما تقدم عنك ص ٦٢ ، فقليل الأدب والوقار هو أبو رية ، وضعفه على الصحابة ومنهم أبو هريرة وحفده عليهم يفيض من قلبه ويسيل على قلبه ، فقد ورث ذلك عن أعداء الاسلام جولد زيهو والرافضة والزيدى بل الرافضى ، ويتناقض ولا يحس بتناقضه . وقد سبق لنا بيان شيء من ضعفه على أصحاب رسول الله ﷺ في ص ٦٢ ، ولو صدر هذا عن دعاة الديانات الأخرى ومبشرها لكان كثيراً ، فكيف بصدوره عن منسوب إلى الاسلام . وقد نقل في حاشيته ص ١٦٧ أن القصة عن اختلاف الحديث للشافعى - ولعل أبارية لم يره - أن أبا هريرة يقول : من أصبح جنباً أفطر ذلك اليوم ، فقد قال ذلك أبو هريرة ولم يعزه للنبي ﷺ ، واعتذر أنه سمع ذلك من الفضل بن عباس فحسن الظن به وقال بقوله

ثم يأتى بعد ذلك أبو رية مبغض الصحابة ومنهم أبو هريرة فيزعم زوراً وبهتاناً على أبي هريرة أنه عزا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، وأنه استشهد ميتاً هو الفضل بن عباس

فانظر كيف يحمل بغض الصحابة أبارية من على افتراءه عليهم . والقصة كما نقلها أبو رية من اختلاف الحديث للشافعى وهى كذلك فى موطن الامام مالك أن أبا هريرة حقيق برأى للفضل بن عباس فأفتى به ثم تبين له من أعلم الناس بحال رسول الله ﷺ فى مثل

هذه للسألة من أحكام الجنابة والصوم والنفل بعد الفجر ، فرجع اليه واعترف به ، وليس في ذلك إلا الاذعان للحق من أهله ، وليس فيه استخذاء أيها الوقع السفيه . فالسألة كثيرة الوقوع ، يفتي الصحابي برأى عن اجتهاد ثم تبلغه السنة فينقاد لها ويرجع عن رأيه واجتهاده ولا ذل هناك ولا استخذاء إلا عند السفهاء أعداء رسول الله ﷺ وأصحابه ، إن أبا هريرة لم يروم الناس أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ كما زعمته عليه في هذه الدعوى ، وأنت منهم في النقل ، فقد جربنا غشك فيه عندما نقلت عن ابن كثير فيما حدث به أبو هريرة في سد يأجوج ومأجوج ، وانهمت أبا هريرة بأن ابن كثير اتهم أبا هريرة أنه حدث به عن رسول الله ، وإنما سمعته من كعب ، ورجعنا إلى ابن كثير وإذا هو ينسب الوم فيه إلى من سمع أبا هريرة لا إلى أبي هريرة كما سيأتى ذلك مفضلا في موضعه

وكذلك نقلك (ص ١٦٨) عن علي رضي الله عنه أنه كان معي الرأي في أبي هريرة وقال عنه إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله ﷺ لأبو هريرة ، كذب مفضوح أخذته عن عبد الحسين وأمثاله من الرافضة مبغضى أصحاب رسول الله ﷺ وقلنا سابقا في المتن « أكذب وأبعد شاهدك » وكيف ساغ لعل أن بسكت على أكذب الناس على رسول الله ؟ أما كان له حبس أو تعزير أو قتل أو صلب أكذب الناس على رسول الله ﷺ ؟

وقد أثبت الجرح والتعديل والتاريخ الصحيح أن غلاة الشيعة الذين يتشيعون لعل هم الذين أفسدوا علم علي بمفترياتهم عليه ، وعلماء الحديث لا يقبلون عن علي إلا ما رواه ثقات أصحاب ابن مسعود الأسود وطبقته

وقول أبي هريرة « حدثني خليلي » يعني النبي ﷺ لا تكون شجى إلا في خلق الرافضة وغلاة الشيعة ممن ينفذون أبا هريرة والصحابة وبالتالي ينفذون نبي الاسلام ومن يحبه وحديث غسل اليدين إذا استيقظ النائم فإنه لا يدري أين باتت يده لا يضره توقف عائشة فيه إن صح عنها هذا التوقف من غير طريق الكذابين الذين يقلدهم أبو هريرة

ولا عذر لعائشة في مهراسها فيمكنها أن تتعرف منه باناء صغير أو إداوة ولا يخالف
نهى رسول الله ﷺ

والدعوى على الزبير (آخر ص ١٦٨) أنه لما سمع أحاديث أبي هريرة قال صدق
وكذب ، من نوع أمثاله من المفتريات ، وتراجع لذلك البداية والنهاية (ص ١٠٩ ج ٨)
فأبورية غير مأمون في النقل ولا برى من تحريف الكلم عن مواضعه كساداته من
اليهود أمثال جولد زهير ، وسيأتيك مثال لذلك في موضعه حينما قل به ما يظنه شاهدا
في جرح أبي هريرة ، وعى عما هو عليه أن الفاظ ممن سمع من أبي هريرة

ونقله عن مختلف الحديث عن أبي حسان الأعرج عن عائشة قولها عن أبي هريرة
إنه كذب في حديث إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار (اول ص ١٦٩) يراجع مختلف
الحديث في ذلك ، فإن صح النقل عنه فيكون مثل حديث من الأحاديث التي توقفت
فيها عائشة ، مثل حديث عذاب الميت بالكاء عليه وحديث أهل قليب بدر « ما أتم
بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يجيبون » وحديث قطع الصلاة بالمرأة والكلب
والحمار وأمثاله ، نصدقها رضى الله عنها فيما روت ونخالفها فيما ردت من أحاديث الثقات
رضى الله عنها ونقول ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا
غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وسيجتمعون يوم القيامة على الصراط على قنطرة
الصفا ويصنف ما بينهم من خصومة ويدخلون الجنة إخوانا على سرر متقابلين

ونقول للمرتاب في سنة رسول الله ﷺ : إذا محونا أحاديث أبي هريرة من دواوين
الاسلام فهل تقبل أنت أحاديث غيره كأمهات المؤمنين عائشة وحفصة وأم سلمة والخلفاء
الراشدين وأكابر الصحابة - إن قبلت أحاديث هؤلاء هان الخطب في شكك في أحاديث
أبي هريرة ولم ينقص من الدين شيء كثير ، وإن كان للكل عندك سواء فأبعدك الله
عن دين الإسلام وعن سبيل المؤمنين ، والحقك بأعدائه جولد زهير واضرابه

وحديث « من غسل ميتا فليقتل ، ومن حمله فليتوضأ » إن كان انكره ابن مسعود

وقال فيه قولاً شديداً كما رعم أبو رية (ص ١٦٩) فقد قبله العلماء وترضوا على ابن مسعود الذي عاش يرى تطبيق الكفين بين الركبتين عند الركوع ويقف إماماً صفاً واحداً بين مأمومين وصحت السنة بخلاف عمله في التطبيق ووقوفه صفامع مأمومين ، وأخذ العلماء بحديث الغسل من غسل الميت والوضوء من حمله وجوباً أو استحباباً ولم يعتبروا إنكار ابن مسعود له إن صح هذا الإنكار عذراً في مخالفة الحديث ، كذلك حديث الاضطجاع بين ركعتي الفجر وصلاة الفجر أخذ به العلماء ، منهم من أوجبه كابن حزم وأبطل صلاة من لم يعمل به ، ومنهم من استعجه لحديث عائشة : ان كنت مستيقظة حدثني وإن كنت نائمة اضطجع حتى يؤذن المؤذن ، ولا ضير على أبي هريرة في روايته لحديث رواه فاذاه كما سمعه وإن استغربه بعض ، على أن لفظ الأمر بالاضجاع استكره ابن القيم من رواية عبد الواحد بن زياد البصري فبرئ منهم أبو هريرة ، وأما أبو حنيفة فلو لم يستشهد به أبو رية في المنكرين على أحاديث أبي هريرة لكان خيراً لأبي رية ولأبي حنيفة نفسه ورحم الله من رأى عيباً فستره ، ولكننا سنضطر لذلك شيء عن أبي حنيفة ما دام قد زج به أبو رية فيمن أنكر على أحاديث أبي هريرة (آخر ص ١٦٩ وأول ص ١٧٠) فلا بد لنا من كلمة عابرة في ذلك ليظهر الحق من الباطل :

(أولاً) قبل حديث أبي هريرة من الأئمة مالك والثوري وابن عينة والحادان ابن زيد وابن سلة وأحمد بن حنبل والشافعي والبخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي فمن بعدهم من علماء الحديث ، فمن الناس بدمهم ؟ ومن أبو حنيفة بجانب هؤلاء الأئمة بمجموعهم وهو لم يدرك شأوهم في هذا ، وحسبنا في أبي حنيفة قول صاحبه ابن المبارك : كان يتيماً في الحديث . وقول مالك فيه : رأى أبي حنيفة الداء العضال . وقول الثوري أو غيره فيمن استشهد بأبي حنيفة : أحلتني على غير ملي .

وتاريخ الخطيب البغدادي استوفى كلام الناس في أبي حنيفة قدحاً ومدحاً ، ورجح قول جارحيه ، وأشار الحافظ ابن عبد البر في كتابه الاتقان إلى شيء من ذلك

ومن لطيف ما يروى عن أبي حنيفة في رد حديث « البيهقي بالخيار ما لم يتفرقا » قال :
أرأيت ان كانا في سفينة ، أرأيت ان كانا في سجن ، أرأيت أرأيت من أمثال الترهات التي
لا ترد بها الأحاديث . وقال ابن عمر لمن روى له حديثا فقال : أرأيت ان كان كذا ؟
اعتذارا لعدم العمل بالحديث ، فقال له ابن عمر : اجعل أرأيت باليمن . يعني واعمل
بالحديث قدر ما تستطيع

وروى لأبي حنيفة حديث « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث » فقال أبو حنيفة : من
أصحابي من يبول قلتين - ولا ندرى يريد جمع بول أحد أصحابه في أسبوع أو في شهر
حتى يتجمع منه قلتان . ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ ، ربنا إنك رؤوف رحيم ﴿ ، واغفر لآئمة الاسلام ، وحمة
العلم النبوي

ونعيد ما سبق لنا فنقول لأبي رية : هل ترفض أحاديث أبي هريرة خاصة أو سائر
أحاديث الصحابة عامة ؟ فان رفضت الجميع فسيهلك سبيل أعداء الاسلام من الرافضة
والمستشرقين والمبشرين للمرتزقين من التشويش عليه ، وإن رفضت أحاديث أبي هريرة
وحده هان الأمر وكانت خصوصتك يوم القيامة معه ومع من شوت عليهم في أحاديث
هذا الصحابي الجليل ، وإن غدا لناظره قريب

وقول إبراهيم النخعي عن أصحابه إنهم كانوا يدعون من حديث أبي هريرة (ص
١٧٠) ، وقوله الآخر ما كانوا يأخذون بكل حديث أبي هريرة ، وأصحاب إبراهيم هم أهل
الرأي جماعة أبي حنيفة ، ونقله عن أبي حنيفة (ص ١٧٠) عدالة الصحابة ما عدا رجلا
وعد منهم أبا هريرة وأنس بن مالك ، إن صح هذا النقل عن أبي حنيفة كان جرحا فيه
ولا ينفعه قول أبي رية إنه ولد في المائة الأولى سنة ٨٠ ، ودعواه أنه أدرك الصحابة
كل هذا لا ينفعه ، فالروافض ولدوا في المائة الأولى ، وعبد الله بن سبأ اليهودي أدرك
عليا والصحابة ، وكعب الأحبار ووهب بن منبه والذين شهرت بهم أدركوا الصحابة

فما نفهم ذلك عندك . إن ولادة أبي حنيفة في المائة الأولى ودعوى من ادعى له إدراك بعض الصحابة لم تمنع جرحه أن يقولوا فيه كاد ينقض عرى الاسلام عروة عروة ، ولا من قال فيه رأيه الداء العضال ، ولا أنه كان يتيا في الحديث وأنه مفلس غير ملىء ولا أهل للحوالة عليه إلى آخر ما ذكره عنهم الخطيب البغدادي في تاريخه ، وابن عبد البر في كتابه الانتقاء ، فضلاً عن تواريخ البخارى الثلاثة وكتب الضعفاء للنسائي وغيره

(لطيفة) : عن أبي حنيفة أنه جلس إلى حلاق يتحلل من نك ، فقال للحلاق : تتبع الشعر الأبيض معنى بالخلاقة . فقال له الحلاق : إن ذلك يكثره ، فقال : إذن تتبع الأسود له يكثر . فذكر ذلك لسفيان الثوري أو غيره فقال : لو كان يترك قياسه لتركه بين يدي الحلاق

ومثل ذلك ما نقله عن أبي شامة عن الأعمش أن ابراهيم كان صحيح الحديث ، وأنه كان يتوقف في أحاديث أبي صالح عن أبي هريرة (آخر ص ١٧٠ وأول ص ١٧١) . وقول ابراهيم : انهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه - بمعنى أبا هريرة - فإن حديثه الذي تركه أهل الرأي أخذ به الأئمة الكبار الثوري وابن عينة ومالك والحمادان وأحمد والثانبي والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وخيار الأمة ، فمن الناس بملهم ؟

وأما الإسكافي في نقله عن شيوخه (ص ١٧١) أن أبا هريرة مدخول عندهم فحسب الإسكافي ما يحسنه ، ماله ولجرح الصحابة ؟ ﴿ إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا اقبلوا إلى أهلهم انقلبوا فكهم . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين . فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون . هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ ولا يزال الناس يقع شرارهم في خيارهم فما يضر ذلك خيار الناس ؟

وما نقله (ص ١٧١) عن المثل السائر لابن الأثير أن رواية أبي هريرة شك فيها قوم لكثرتها فمذا من أمثال النقل عن الاسكافي وأمثاله ، وعبد الحسين وأضرابه وجوله زهير اليهودي وأشباهه ، « والصد يظهر حسنه الصد » ولولا ظلمة الليل ما عرفنا فضل ضوء النهار ، ولولا نفن الروائح الخبيثة ما عرفنا طيب الروائح الطيبة ، ولولا الطيبات من الملابس والأطعمة والأنسجة ما عرفنا نعمة الله علينا فيما حرم من الخبائث في المطعومات والملبوسات والمناكح

وقال (ص ١٧١) : أنكر الصحابة على أبي هريرة كثرة روايته ، وذلك لأن الاكثار لا يؤمن به ، اختلاط الضبط الذي لا يعرض لمن قلت روايته . هـ

وعبرها الواشون أني أحبا وتلك شكاه ظاهر عنك عارها

وقد بين أبو هريرة سبب كثرة روايته بقوله : أما إخواننا من المهاجرين فقد ألهمهم الصفيق في الأسواق - يعني الناس الرزق بالتجارة - وقد اعترف بذلك عربن الخطاب في اعتذاره عن فواته حديث الاستئذان الذي ذكره له أبو موسى الأشعري ، وأيده في ذلك أصغر الصحابة حينئذ سنا أبو سعيد الخدري . قال أبو هريرة : وأما إخواننا من الأنصار فقد شغلهم العمل في نجيلهم ، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني (رضي الله عنه) وقد عد أبو رية ذلك جرحا في أبي هريرة ونها وتطفلا ، وحاشاه رضي الله عنه من ذلك ، وإنهم أبي هريرة وجهه للأكل - إن صحت تهمة أبي رية عليه - فليروا عندنا من قناعة الرافضة وزهدهم ان كان لهم قناعة وزهد ، ومن ألف من أمثال أبي رية البهات

ومسألة للمرأة التي ذكرت في مجلس الرشيد وتنازعهم فيها إلى علو الأصوات ، واحتجاج بعضهم فيها بحديث أبي هريرة ورد بعضهم الحديث وقوله : أبو هريرة متهم فيها يرويه ، ونحوهم الرشيد ، ذلك كله مما يشرف أبا هريرة ، فليس الرشيد من رجال الحديث ، ولا هو معدود من أئمة الفتوى ، والذي اتهم أبا هريرة لهله أبو نواس مضحك للرشيد ، وأبو يوسف ارفع من أن يتهم أبا هريرة وهو يستشهد بحديثه في الخراج وغيره ،

والحكاية كلها رواية هي بن بي : منكر الحديث ، ومنهم أبي هريرة ، وراوى الحكاية
أفبمثل هذه الحكايات الباطلة يجرح أصحاب رسول الله ﷺ ويتشكك في رايانهم ،
وقد أنزل الله توثيقهم في كتابه العزيز من فوق سبع سمواته ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، ﴿ محمد رسول الله والذين
معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً
سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع
أخرج شطأه فأزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ﴾
وأصحاب رسول الله ﷺ يقتاض منهم الكفار ، فقد رفع الله شأنهم في التوراة والانجيل
والقرآن . وصدق الله العظيم ، لقد اغتاض الكفار حقاً من الاسلام وحامليه من أصحاب
رسول الله ﷺ كما سترى فيما نقله أبو رية عن عدوة الاسلام جولد زيهر وأضرايه شبرنجر
وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية . وغيرهم ممن يحترقون بسب الاسلام والنشوية بأهله من
المبشرين والمستشرقين

قال أبو رية (ص ١٧١) وقال جولد زيهر : وتظهر لنا طريقة روايته للأحاديث التي
ضمنها أنفه الأشياء بأسلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح ، الأمر الذي كان سبباً في
ظهور كثير من القصص (ابن قتيبة طبعة فستغلد ص ١٤٢) ويظهر أن علمه الواسع بالأحاديث
التي كانت تحضره دائماً قد أثار الشك في نفوس الذين أخذوا عنه مباشرة والذين لم يترددوا
في التعبير عن شكوكهم بأسلوب ساخر (انظر أيضاً البخارى فضائل الأصحاب رقم ٢١)
وقد اضطر أحياناً أن يدفع عن نفسه تقول الناس هـ . كل هذه الظروف تجعلنا نقف من
أحاديث أبي هريرة موقف الحذر والشك ، وقد وصفه شبرنجر بأنه التطرف في الاختلاق
ورعاً . ويجب أن نلاحظ أن كثيراً من الأحاديث التي تنسبها الروايات اليه انها قد نخلت
عليه (كذا) في عصر متأخر (ص ٤١٨ ج ١ من دائرة المعارف الاسلامية) . هـ

ونحمد الله الذي عاقبنا من تقليد جولد زيهر اليهودي المستشرق في ديننا وصحابة

فبينما كما قلده أبو رية في ذم أبي هريرة ، ولين أبي هريرة أن أحاديثه أنه الأشياء عند
يهودى وصف نبي الإسلام بأنه مهتر مصروع سارق لإصباح اشيا وجاعله قرآنا في
سورة البلد فما بعدها . فإذا كان نصيب نبي الإسلام من بحث جولد زهير هذا التنصيب فهل
تستغرب ان تكون روايات أبي هريرة عنده أنه الأشياء ، بأسلوب مؤثر على ما امتز به
من روح المزاح

إن العاقل لا يعجب من عداوة جولد زهير اليهودى للإسلام ، ونبي الإسلام ،
ورواة احاديث نبي الإسلام : ولكن العجب كل العجب أن يقلده مؤلف مسلم كآبى رية
فيصدق قوله في أبي هريرة ، ولنا ان نسال ابارية هل رأى كتابي جولد زهير « المعتقد
الاسلامية » و « مذاهب المسلمين في التفسير » وما حشاهما من حقد وضغينة وقيح وصديد
على الإسلام ونيبه وأهله ؟ هل رأى أبو رية الكتاتين وآمن بما فيهما ، أو قاده أعمى مثله
فترديا جميعا في هاوية الملاك ، ويسلم لنا أبو هريرة ورواياته وأحاديثه من مقتريات أعداء
الإسلام جولد زهير ومن قلده من أهل الضغن والحفيظة على أحاديث رسول الله ﷺ
وحاملها . ومن زايا الحمد أنه يأكل قلب صاحبه ولا يضر المحمود بل
قد ينفعه . وقدما قال شاعرنا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حود

أما شبرنجير فليكن عدوا آخر للإسلام مثل جولد زهير ، فإن يضر ذلك الإسلام
شيئا ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ . وشكوك
أبى رية في أحاديث أبي هريرة تسمى صديداً وقيحا في صدره ولا تضر الإسلام ولا
المسلمين شيئا

وما شوشت به دائرة المعارف في مادة الحديث (ص ٢٣٥ مجلد سابع) وثقه عنها
أبو رية (ص ١٧٢) في كتابه بقولها : والحكم على قيمة الحديث قد يختلف اختلافا بينا
فربما كان ثقة عند قوم ولكن غيرهم كانوا يعدونه في متعوى الضعف وربما اعتبروه كاذبا

في روايته ، بل إن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسهلة عند الجميع في أول الأمر ، ولهذا نجد أن الثقة بأبي هريرة كانت محل جدل عنيف بين كثير من الناس . هـ

لقد قرئت عين أبي رية بطن دائرة المعارف الإسلامية بكبار الصحابة فضلا عن أبي هريرة ، وبأظهارها تضارب المسلمين واختلاف الحديثين في مسائل الجرح والتعديل . قرت عينك يا أبارية بطن أعداء الإسلام في الإسلام ، وفي أهله ، وفي كبار أصحاب النبي ﷺ

أما زعمها أن قيمة الحديث قد تختلف اختلافا بينا فربما كان ثقة عند قوم ويعتده غيرهم في منتهى الضعف ، فزعم مردود بالاستقراء التام من صنيع علماء الجرح والتعديل رضى الله عنهم وجزاهم عن الإسلام خير الجزاء.

قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبه الفسرك في مصطلح أهل الأثر : قال الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في هذا الشأن : ما رأيت اثنين من أهل الحديث اتفقا على توثيق ضعيف أو تضعيف ثقة . هـ . هذا كلام خير بكلام أهل الصناعة ، صناعة الجرح والتعديل ، يشهد إمام حافظ محدث كابن حجر أنه من أهل الاستقراء التام في هذا الشأن ، أعني به مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي

وقد شرح لنا ذلك محدث كبير من علماء الحديث من أهل ديوبند الشيخ عبيد الله السندي رحمه الله قال : في كل طبقة من علماء الجرح والتعديل إمام مشدد في الجرح ، وإمام معتدل فيه . فإذا اجتمع الإمامان المشدد والمعتدل على توثيق راو فهو ثقة ، وإذا اجتمعا على تضعيفه فهو ضعيف ، وإذا اختلف اجتهادهم فيه فهو متوسط الحال ممن يقبل إذا لم يمارضه من هو أقوى منه

ومثل لذلك بشعبة ومالك ، ثم بعل بن المديني وعبد الرحمن بن مهدي ، ثم يحيى بن حمزة وأحمد بن حنبل ، ثم بالبخاري ومسلم ، ثم بالتسائي وأبي داود أو الترمذي وهكذا ،

أولها مشدد وثانيها معتدل على التوالي ، فاجتماعها على التوثيق أو التضميف حجة مقبولة واختلافها محل اجتهاد

ثم يحىء أبو رية فيقلد أعداء الإسلام كأصحاب دائرة المعارف في زعمها أن الأمر عند المسلمين فوضى في قبول من يقبلون ورفض من يرفضون ، وأن الثقة ببعض كبار الصحابة لم تكن من الأمور المسئلة عند الجميع - أى كالأفضة مثلاً الذين يفيظهم وبدى عيونهم ثقة المسلمين بكبار الصحابة وثقات التابعين وأئمة الهدى والمراط المستقيم

وليسلك أبو رية ماشاء له هواه من تقليد جولد زيهر وشبرنجير وأصحاب دائرة المعارف وأنشأهم من الذين دأبهم الطعن في الاسلام وفتنه وحلة دينه وحديثه

أبو هريرة ودعوى أخذه عن كعب الأحبار

قال أبو رية (ص ١٧٢) : ذكر علماء الحديث في باب (رواية الصحابة عن التابعين ورواية الأكابر عن الأصاغر) أن أبا هريرة والعبادلة - (يعنى عبد الله بن عمر وعبد الله ابن عمرو وعبد الله بن عباس) ومعاوية وأنس وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار اليهودى الذى أظهر الاسلام خداعاً وطوى قلبه على يهوديته . هـ

ويقال لأبي رية : (أولاً) متى كان علماء الحديث ثقات عندك وكلامهم حجة يحتج به وهم الذين جرحتهم ودعوت إلى سلب الثقة بهم ؟

(ثانياً) هل روى هؤلاء الصحابة عن كعب الأحبار أحاديث نبوية ، أو سمعوا منه ما يحدث به عن كتبهم فرووها كما سمعوها ؟

(ثالثاً) أنهم رووا عن رجل أظهر الإسلام ، وأمر خداعه وانطوائه على يهوديته أمر باطنى موكلول إلى الله تعالى لا إليك ، وأنت تروى وتحتج يهودى غير متنع في خدائوته للإسلام وهو جولد زيهر اليهودى وشبرنجير الذى لعله هو الآخر يهودى أيضاً ومثل الأول أو شر منه وتأخذ عنها تبريح الاسلام والمسلمين وصحابة رسول الله ﷺ ،

فأى الفريقين أحق بالوم وأولى بالذم والتناض : الذين رووا عن رجل أظهر الاسلام وقد رووا عنه غير حديث رسول الله ، أو الذي اتبى من أعداء الاسلام والسلمين ونبي الاسلام غيظهم وحقدهم واقتراءهم ؟ فأى الفريقين أهذى سيلا إن كنتم تقولون : أكتاني أظهر إسلامه وباطنه إلى الله تعالى ، أو يهودى لم يخف حقه على الاسلام وعلى نبي الاسلام ؟

قال أبورية : ويتبين من الاستقراء أن كعب الأخبار قد سلب قوة دهائه على سذاجة أبى هريرة لكي يستحوذ عليه وينيه ويلقنه كل ما يريد أن يشه في الدين الاسلامى من خرافات وأوهام . وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة ، فقد روى الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمة أبى هريرة أن كعبا قال فيه : ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة . ورواية البيهقي في المدخل في (كذا) طريق بكر بن عبد الله بن أبى رافع أن أبى هريرة لقي كعبا : فجعل يحدثه ويسأله ، فقال كعب : ما رأيت رجلا لم يقرأ التوراة أعلم بما في التوراة من أبى هريرة (ص ١٧٢ - ١٧٣)

وجوابه : أن أبى هريرة - مع سذاجته بزعمك - لم ينخدع بكعب فلم يحدث عنه شيئا من أحاديث رسول الله ﷺ ، والواقع والاستقراء شاهدان بذلك ، وإن كذبت على ابن كثير كما سيأتى في موضعه

وعبارتك المحرقة عن المدخل للبيهقي - في قولك « في طريق بكر » والعبارة الصحيحة عندكم « من طريق بكر » تدل على أنك لا تفرق بين من وفي عما يدل على سقم عريته ، وأنت غريب عن العلم الذى أضمت وقتك في تشويهه . وقولك بكر بن عبد الله بن أبى رافع جهل آخر باسماء الرواة ، وإنما صوابه بكر بن عبد الله عن أبى رافع ، فصحت عليك عن بابن لأنك دخیل على الصنعة ، صنعة الحديث وأسماء رواه ، فتجعل شيخ الراوى - جدا له ، وللجهال من أمثال هذا التصحيف كثير وكثير لمن لم يتمرس بالعلم ويشارك أهله ويعرف قدر نفسه ويأخذ العلم عن أهله

وأما قولك عن أبي هريرة (ص ١٧٣) : وهو لا يستطيع أن يقرأ حتى لنته العربية إذ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فوفاقة وبذاءة وسفاهة ، والعرب كلهم أو جلهم كانوا في عصره أميين وسيد الخلق ﷺ كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، أفكان هؤلاء لا يقرءون اللغة العربية ، والعربية كانوا يرتفعونها من ندى أمهاتهم ، ويتداولونها محاورة وسماعا ، لا يحتاجون فيها الى معرفة حروف المعجم والكتابة !

مثل أبو ربة (ص ١٧٣) لما أخذه أبو هريرة بزعمه عن كعب بما روى البزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : إن الشمس والقمر ثوران في النار يوم القيامة . فقال الحسن : وما ذنبها ؟ فقال أحذثك عن رسول الله ﷺ وتقول وما ذنبها ؟

قال أبو ربة : وهذا الكلام نفسه قد قاله كعب بنصه ، فقد روى أبو يعلى الموصلي قال كعب : يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنها ثوران عيران فيقذفان في جهنم براهما من عبدهما (حياة الحيوان ص ٢٢٢) .

ويقال لفيلسوف القرن الرابع عشر الذي يتعجب لم لم يؤلف الناس مثل كتابه من ألف سنة ، يقال له : ما دتب أبي هريرة اذا روى عن النبي ﷺ ما يدل عليه القرآن في قوله عز وجل ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لما واردون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون ﴾ أليس الشمس والقمر بما عبد من دون الله ، فيلقيان في جهنم مع من عبدهما إهانة لعابديهما

وفي حديث الحشر الطويل من رواية أبي سعيد : فينادى مناد لتتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، وتبني هذه الأمة فيها منافقوها الخ

وموافقة كعب لما جاء في هذا الحديث كما في رواية أبي يعلى ، ما يقويه لا بما يضعفه ، فلما أن يسكون جاء في التوراة نظيره وكتب الأنبياء بصدق بعضها بعضا ، أو يكون أخذه كعب عن أبي هريرة أو غيره من الصحابة ولا ضرر في ذلك

والعجيب استدلال فيلسوفنا بحياة الحيوان ، وعزوه حديث أبي يعلى إليه ، ولورفع رأسه قليلا لعرف أن أحاديث أبي يعلى والبزار ومسند أحمد ومعاجم الطبراني الثلاثة قد نلصقها الحافظ نور الدين الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد ، ولكن أنى لأبي رية أن يرفع رأسه عن حياة الحيوان إلى كتب الحديث ، وحياة الحيوان وضع لأسماء الحيوانات وحلالها من حرامها وبعض خرافات في فوائد فضلائها وشعرها وورثتها ، ولم يوضع ليؤخذ منه حديث أبي يعلى ونحوه

ودعواه (آخر ص ١٧٣ ح ٢) على أبي هريرة أنه لو كان يعرف العبرانية لقال : وكنت ممن يفسرون التوراة ، دعوى مفتراة على أبي هريرة كسائر هذه المفترقات عليه ممن لا ورع عنده ولا وازع يزعه عن الافتراء على صحابة رسول الله ﷺ . وأى عيب على أبي هريرة إذا عرف العبرانية وفسر التوراة وقال حينئذ عن نفسه صادقا بما يعرف أنه أهل له ؟ فأى عيب في هذا يا من لا يعرف قلبه العيب

وحديث الديك الذي رجلاه في الأرض وعنقه تحت العرش ، من رواية الحاكم . وزعم أبو رية أن رجلاه رجال الصحيح - مع أن أبا رية ليس من أهل هذا العلم ، حسبه أن ينقل من حياة الحيوان وأشباهه - فهلا نقل لنا كلام الذهبي في مستدركه على المستدرك إن كان ناجحا فيما يكتب وينقل

ونقول له : إن صح هذا الحديث فلا يضره موافقة كعب له كما تقدم آنفا . ونهاية الأرب للنويري كتاب أدب لا كتاب حديث ، وهو يشتمل أنواعا من الأدب حتى مجونه الذي يسمى بالأدب للنضوح

وحديث النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة (١٧٤) لا يضر أبا هريرة أن يقول هذا القول نفسه كعب ، بل ذلك مما يقويه ، فإما أن يكون مثله في التوراة ، وكتب الأنبياء يصدق بعضها بعضا ، أو يكون أخذه كعب عن أبي هريرة فحدث به كما يحدث أبو هريرة

وقول ابن كثير عن حديث أبي هريرة في يأجوج ومأجوج : لعله مما أخذه أبو هريرة أو تلقاه عن كعب ، فانه كان كثيراً ما يحالسه ويحدثه ، فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه ، لا يضر ذلك أبا هريرة ما دام لم يرفعه إلى النبي ﷺ ، وورقه بعض الرواة عنه

وابن كثير يصدق أبا هريرة ويثق به ، وجعل الرفوع من توهم بعض الرواة عن أبي هريرة ، فلسنا ندعى عصاة جميع الرواة عن أبي هريرة ، فإذا توهم أحدهم في حديث لأبي هريرة فرفعه وهما منه فما ذنب أبي هريرة ؟ ولكن ناقدا الأمين صاحب أضواء على السنة ينتقل من كلام ابن كثير ما يظن أنه يدين به أبا هريرة ويتهمه ، ولا ينتقل تبرئة ابن كثير لأبي هريرة وأن الوم فيه ممن روى عن أبي هريرة ، وهكذا تكون أمانة النقل يا أبا رية : تنتقل ما تظنه انها لأبي هريرة ، ولا تنتقل ما هو براءة له ، شأنك في ذلك شأن أهل الأهواء والتلبيس . وعلى هذا يجب أن نعيد النظر في قولك كلها سواء كانت منقولة من مختلف الحديث لابن قتيبة أو من غيره كالبداية والنهاية لابن كثير حتى صحيح البخاري ومسلم . ومن تبين غشه مرة لا يأمن أن يكون ذلك منه مراراً ، وقد عرفنا فيه الآن حفة أهل الأهواء ينقلون ما يظنون أنه لهم ويتركون ما يظنون أنه عليهم ، أما أهل الحق ومن يريدون النصح للناس فينقلون ما لهم وما عليهم ، والناس بعد ذلك يحكمون على ما ينقلون وما يوجب النقل الصحيح وما يثبت وما ينفيه

وأما حديث الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً «إن الله خلق آدم على صورته» (ص ١٧٤) وبحجته في الإصحاح الأول من التوراة (العهد القديم) ونصه هناك : وخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه اه (آخر ص ١٧٤) فإن ذلك مما يقوى الحديث ويصححه ، فإن التوراة تصدق القرآن والقرآن يصدق التوراة كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين استمع إلى اليهود في مدراسهم : فكنت أعجب من تصديق القرآن للتوراة وتصديق التوراة للقرآن . وصدق أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فكلاماً

من مشكاة واحدة، كما قال النجاشي في القرآن حينما قرأه عليه جعفر بن أبي طالب : هذا
والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة واحدة . وكما قال ورقة بن نوفل حينما سمع أوله
ما نزل من القرآن : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ،

وفي حديث الحشر الذي رواه أبو سعيد الخدري « فيأتيهم الله في صورة غير التي
يعرفون » ثم قال : « فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون » الخ

وإذا كان حديث الصورة مما يغيظ أبارية فليعظ بما في معناه من آيات القرآن
الكريم ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ ، ﴿ تجري بأعيننا ﴾ ، ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ، ﴿ ليس كشيء
شيء وهو السميع البصير ﴾

وفي الحديث الذي رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وابن
مردويه في تفسيره من حديث أبي عبد الرحمن للقرئ عبد الله بن يزيد حدثنا حرمة بن
عمران التجيبي للصرى عن أبي يونس مولى أبي هريرة عن أبي هريرة : لما خطبهم رسول
الله ﷺ وقرأ ﴿ وكان الله سميعاً بصيراً ﴾ فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ويقول :
هكذا سمعت رسول الله يقولها وبضع أصبعيه ذكره ابن كثير في تفسيره والقرآن
والحديث مملوءان بصفات الله تعالى التي تتفقاً عين الجهمية وتدحرم ، فإن هذا أبورية
- لا إننا بها - مشبهة عددناه جميعاً خيئاً ، ولا عبرة عندنا بشكوك أبي رية في أحاديث أبي
هريرة أو في أثر عن الدارقطني أو غيره ، وحديث الصورة لا ينجده

فهؤلاء أكابر أهل السنة والحديث لم يتشككوا في حديث خلق آدم على صورة
الرحمن بدعوى أنه جاء نظيره في التوراة أو أنه تشبه أو تجسيم أو نحو ذلك من ترهات
الجهمية والمعتزلة والأشاعرة مخالفين بذلك إمامهم أبي الحسن الأشعري ، والله در الأستاذ
عباس محمود العقاد فقد أشاد بهذا الحديث واستدل به في مواضع كثيرة من كتابه حقائق
الاسلام وأباطيل مخالفيه - مع كثير من الأحاديث التي استدل بها في الكتاب - على
خلاف ما فعل هذا المشكك في أصل من أصوله ، حديث النبي ﷺ وسنته المينة للقرآن .

وتعرضُ أبي رية لحديث خلق آدم (ص ١٧٤ ح ٢) وأن طول آدم كان ستين ذراعاً فما زال الخلق ينقص حتى إن الحافظ ابن حجر انتقد هذا الحديث من إحدى نواحيه - وحاشا لابن حجر أن ينتقد حديثاً في الصحيح - فقال : وبشكل على هذا من الآن (كذا) الآثار للأمم السالفة كديار عاد وحمود فإن مساكنهم تدل على أن قاماتهم لم تكن مفرطة في الطول على حسب ما يقتضيه الترتيب الذي ذكره أبو هريرة

وجواب ابن حجر أنه لم يذكر لنا القرون التي سبقت عاداً وحمود حتى نعرف النقص الذي اعترى ذرية آدم من عهده إلى عهد عاد وحمود ، وما دام اعترف إن قاماتهم كانت طويلة وإن لم تكن مفرطة في الطول فيلزمه أن يعترف بأن من كان قبلهم كانوا أطول قائمة منهم ، وهكذا ينتهي الأمر إلى طول آدم ، فلا غرابة ولا إشكال ولا نقـد يا أبا رية

وقد بحث في هذا الحديث مع أحد الأطباء فقال : إن موجة سقوط حجر في الماء تكون قوية عند سقوط الحجر ثم تأخذ في الضعف والتلاشي حتى تمتدحى ، وهذا تمثيل صحيح يوضح قوة الخلق عند مبدئه ثم تضعف القوة تدريجاً مع طول الزمن

وهذا أمر يعرفه الزارع الذين يجلبون بذوراً قوية من وطنها الأصلي ثم لا تزال البذور تضعف وتتألم في وطنها الجديد حتى تزول عنها القوة التي كانت لها أولاً ، فبذرة الخلق قبل عصور التاريخ كانت قوية ، والظروف الجوية والمعيشية كانت ملائمة لتلك القوة ، ثم خضعت على طول الزمن

ونقل الأستاذ أبي رية (في حاشية ص ١٧٥) عن مالك إنكار هذا الحديث وحديث إدخال الله يده في النار وحديث كشف الساق وزعمه أنه من رواية أبي هريرة لا قيمة لهذا النقل ، فقد كشفت لنا عن سوءتك فيما تنقل وأنت صاحب هوى ينقل ما يوافق هواه وليس عما يخالف هواه وقد ذكرنا آنفاً نموذجاً فيما نقلت عن ابن كثير في حدة ياجوج وماجوج ، والمهد ذلك قريب

وحديث كشف الساق عزاه ابن كثير في تفسيره لسورة ن إلى الصحيحين من رواية أبي سعيد الخدري ، فإن كان رواه أبو هريرة أيضا (كما ذكرت في حاشية ص ١٧٥) فتوة على قوة ونور على نور

وليت شعري هل أبو سعيد الخدري أحسن حفظا عندك من أبي هريرة ، فليس مهذارا مزاها أكلوا طواه كعب تحت جناحه لسذاجته ولا يعرف لغة قومه لأميته ، كما انتهت أبا هريرة بذلك وبكل ما شئت من زور وبهتان ، مما رفع شأن أبي هريرة منزلة فوق منزلته بما افترفته عليه ؟

قال الشاك للرتاب (ص ١٧٥) : وروى مسلم - أي بسنده - عن أبي هريرة : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المسكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل . وقد روى هذا الحديث أحمد والنسائي - أي بسندهما - إلى أبي هريرة

قال أبو رية : وقد قال البخاري وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار ، لأنه يخالف نص القرآن في أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام

قال أبو رية : ومن المجيب أن أبا هريرة قد صرح في هذا الحديث بسماعه من النبي ﷺ وأنه قد أخذ بيده حين حدثه به . قال أبو رية : وإني لأتحدى الذين يزعمون في بلادنا أنهم على شيء من علم الحديث ، وجميع من هم على شاكلتهم في غير بلادنا ، أن يحلوا لنا هذا المشكل ، وأن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم - يعني أبا هريرة - من الهوة التي سقط فيها

قال أبو رية (أول ص ١٧٦) : إن الحديث صحيح السند على قواعدهم - لاختلاف

في ذلك - وقد رواه مسلم في صحيحه ولم يهرح بجماعه من النبي فقط بل زعم أن رسول الله أخذ بيده وهو يحدثه به . وقد قضى أئمة الحديث بأن هذا الحديث مأخوذ عن كعب الأحبار ، وأنه يخالف للكتاب العزيز ، فَيُثَلُّ هذه الرواية تمد ولا رب كذبا صراحا وافتراء على رسول الله ﷺ ، فاحْكُم من يأتي بها ، وهل يدخل تحت حكم حديث رسول الله « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » أم هناك مخرج لراوي هذا الحديث بذاته ؟ انى والله لنى حاجة الى الانتفاع بعلمهم في هذا الحديث وحده الذى يكشف ولا ريب عن روايات أبى هريرة التى يجب الاحتياط فى تصديقها . اهـ

قلتُ هذا الكلام للفث الوقح على طوله ليرى الناس وقاحة رجل ينتسب الى الاسلام ، ويريد أن ينتسب الى العلم ، وبسفه هذه الفهاة على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ ! وهاك جوابه :

(أولا) فقلتُ عن البخارى أنه قال إن أبى هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار لم تذكر لنا مصدره : أمن صحيحه ، أم من توارثه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير ، أو من كتبه الأخرى : خلق أفعال العباد ، أو الأدب المفرد ، أو رفع اليدين فى الصلاة ، أو القراءة خلف الإمام ؟ أتحمداك أن تمزو قلتُ عن البخارى إلى كتاب من كتبه . ولا ينفعك ان تقول قال فلان أو ذكر فلان على طريقة العوام وأنت تشكُّ فى رجال الحديث والصحابة وأعلام الأمة الاسلامية فضلا عن غيرهم

أما الجواب عن هذا الحديث ، وعن زعم من زعم أنه يخالف لنص القرآن ، منى أنا أحد طلبة العلم والمكتغلين بعلم الحديث مطالعة وتعلما وتدرسا ، محمد بن عبد الرزاق آل حمزة ، وهاك الجواب نسوقه لمن يعقل وينصف : -

الكلام على حديث أبى هريرة خلق الله التربة يوم السبت الخ

هذا الحديث علمٌ من أعلام النبوة ، ليس بخالفا لنص الكتاب العزيز ، ولا تلقاه أبو هريرة عن كعب الأحبار كما زعم من زعم ذلك ، بل تلقاه أبو هريرة عن رسول الله

ﷺ ، ورواه لنا فاستفدنا منه علما من علوم النبوة ، وإن زعم أبو رية أنه سقطة من سقطات شيخنا أبي هريرة ونحذري الناس جميعا أن يحلوا له هذا المشكل وأن يخرجوا بعلمهم الواسع شيخهم من الهوة التي سقط فيها ، ونقول لهذا الشاك للمشكك التهور في تشكيكه للمعجب بمخالات مطالعته غير الفنية الذي ظن أن أبا هريرة سقط سقطة لا يمكن لأحد إخراجها منها ، فنقول له وبالله التوفيق : أثبت المحققون عقلا ونقلا أن الله سبحانه لم يزل ولا يزال خلّقا عليا فاعلا مختارا لم تتعطل صفات كماله أزلا ولا أبدا كما زعم المتكلمون أنه لبث بزعمهم آمادا لا أول لها مطلقا عن الخلق والفعل والكلام ، ومعطّل القدرة والارادة ، ثم بدأ يريد ويخلق ويفعل ويتكلم ، وعلى هذا فما ظهر من صفات كماله إلى ما سبق من التعطيل كلا شيء . والمسألة محققة في كتب شيخ الاسلام ابن تيمية : كشرح حديث عمران بن حصين « جئت أسألك عن بدء هذا الأمر الخ » وما قرّره في (كتاب العقل والنقل) و (منهاج السنة النبوية) وغيرها . وعلى هذا التحقيق العلمي عقلا ونقلا - خلافا لمزاعم المتكلمين في تعطيل صفات الله ، تعالى الله عن تعطيلهم علوا كبيرا - يكون هذا العالم المشهود قد سبقه عالم قبله ، وهكذا ما لا نهاية له إلى الوراء أزلا ، فلم يزل الله خلّقا فاعلا قادرا مريدا . وتلخص ذلك بأن العالم حادث الآحاد قديم النوع - ولذلك شنع من شنع على شيخ الاسلام ابن تيمية في هذه المسألة بقوله :

يرى حوادث لا مبدا لأولها

وردوا عليهم بقصائد مملوءة حججا عقلية ونقلية تراها مطبوعة في أول منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية ، وهي ثلاث قصائد جزلة خفة مملوءة بالعلم للفيد إذا ثبت هذا كان هذا العالم الذي نعيش فيه قد وضع الله أسسه وتصميمه في يوم سبت من آخر أسبوع من أسابيع العالم قبله ، ويكون حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قد أفادنا شيئا رائدا على ما في الكتاب العزيز لا محالفا له ، فله در أبي هريرة في ملازمته المشرع الأعظم وحفظه عنه ما لم يحفظه غيره ، فلم يضيع شيئا من نفائس علم النبي ﷺ التي حدثه بها . والله در مسلم وأحمد والنسائي اذ نقلونا هذا العلم النفيس الذي لو أهملوه لضاعت علينا لؤلؤة من لآلئ علم النبوة ، وجوهرة من جواهر الوحي الإلهي . فالحديث أفادنا أن تصحيح هذا العالم وتهيته لبناته قد كان في آخر أيام عالم آخر قبله سماه السبت ، فأى مخالفة للكتاب العزيز في هذا ياعدو السنة الحميدة ؟ ولنا أن نقول لك ما قال الخليل لمن لم يستطع معرفة المروض :

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

ولكن أبارية أبي إلا أن يكشف لنا عن بغضه لصحابة رسول الله ﷺ الذي ورثه عن أعداء الاسلام والدين مثل جولدزيهر وشيرنجر ودائرة المعارف الاسلامية والروافض والجهمية . والحمد لله على السلامة مما ابتلى به كثير من خلقه ﴿ ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ وجنبنا من قلت فيهم ﴿ بل كذبوا عما لم يحيطوا به لما يأتهم تأويله ﴾

وأخيرا نقول : إن الذين توقفوا في صحة هذا الحديث جعلوه من نزول درجة التصحيح عند مسلم في عدم اشتراط اللقي في صحة الحديث عند مسلم دون البخاري ، فتوقفهم فيه من جهة السند لا من جهة أبي هريرة . واتهام أبي رية له بالكذب وإدخاله تحت حديث « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » تهوور وسفاهة وكذب وجهل فظيع ووقاحة على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ لم يعرف فضله

ونقول : لله در الإمام مسلم وقبله شيخه الإمام أحمد وبعده النسائي في روايتهم لهذا الحديث الذي استشكله بعض الناس ، وصال به أبو رية وجال في تكذيب أبي هريرة . وأحفظ كلمة عن شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله : ان رجال الحديث لأمااتهم يروون ما يمكن أن يكون مشكلا عند بعض الناس ، فله درهم في حفظ ديننا ولو استقره

بعض الناس

ونقول لفيلسوف القرن الرابع عشر أبى رية : لو كان الدين لا يأتى إلا بما يستسيغه عقلك أنت لما كان هناك حاجة اليه ، فله الحد ، فانه يأتى الدين بمحارات العقول لا بمحالاتها ، ولم يحى دين الاسلام - دين الفطرة والعقل والتفكير والحمد لله - بما يخالف عقلا صريحا أو نقلا صحيحا

أما هذه « الأيام » التى جاءت فى هذا الحديث ، وفى آيات خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، فهل هى مقدار دوران المجرة بنجومها ومنها الشمس وتوابعها حول محور المجرة ويقدر ذلك بملايين السنين ؟ كما فى الآية ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ والآية الأخرى ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فاصبر صبرا جميلا ﴾ ؟ الله أعلم بمراذه ومراد رسوله ﷺ من تلك الأيام ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾

وعدة الذين أعلوا هذا الحديث أو ضعفوه أو ردوه كابن تيمية وابن كثير والبيهقى هو قول البخارى فى تاريخه الكبير فى ترجمة أيوب بن خالد بن أبى أيوب (ص ٤١٣ رقم ١٣١٧ جزء أول) قال البخارى : روى اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة عن النبي ﷺ « خلق الله التربة يوم السبت - وقال (بعضهم) : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح ما يعرفه

فأنت ترى أن البخارى ساق الحديث فى تاريخه بسند رجاله ثقات حفاظ مأمونون إلى النبي ﷺ . ثم ذكر عن (بعضهم) : عن أبى هريرة عن كعب وهو أصح

وسواء كان تعقيب « وهو أصح » من كلام البخارى ، أو هو تمام لنقل كلام (بعضهم) ، فالانصاف يقضى بقبول رواية الثقات الأثبات : إسماعيل بن أمية بسنده الذى ساقه البخارى إلى النبي ﷺ ، ويتوقف فى ترجيح رواية البهيم « بعضهم » . فمن النبى يرد رواية الثقات المعروفين برواية للجاهل للبهيم (بعضهم) الذى يحتمل أنه

وهب من منبه أو أخوه همام أو غيرها ممن يريد أن يرفع شأن كعب ويحمل له ذكرا في الأحاديث ، وهذا المثلث هو الذي سلكه مسلم والنسائي ، وقبلهما الإمام أحمد رحمه الله ، فرووا الحديث رافضين تعليله برواية بعضهم عن أبي هريرة عن كعب

والتعقيب في تاريخ البخارى - ناقلان عن بعضهم ، أو اجتهدا من نفسه - « وهو أصح » يقتضى في أدنى المراتب أن الطريق الآخر طريق اسماعيل بن أمية بسنده إلى أبي هريرة إلى النبي ﷺ هو الصحيح ، وهو الذى اختاره أحمد ومسلم والنسائي : ولا شك أن مسلما والنسائي اطعما على تاريخ البخارى في تعليل هذا الحديث برواية مبهم هو (بعضهم) مخالفاه ورأيا مع الإمام أحمد صحة الحديث المسند بالفتحات الأنياب للمروفين إلى النبي ﷺ ، ولا يؤثر في صحته رواية مبهم محمول ذكره البخارى بلفظ (بعضهم)

ومن قلد البخارى في تعليل الحديث فأنغيره أن يوافق الإمام أحمد ومسلم والنسائي في عدم تعليل الحديث بما علاه البخارى ، إذ لم يظهر لهم وجه هذا التعليل ، ولكل وجهة هو موليا . والعجب أن الذين قلدوا البخارى في تعليل الحديث بقول هذا المبهم (بعضهم) أنه عن كعب ، خفي عليهم جميعا أن كتاب كعب الذى يعتز به وهو التوراة يصرح في أول أسفارها (سفر التكوين ، في الإصحاح الثانى الفقرة ٢ - ٣) : « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » . هـ

فاذا كان هذا نص التوراة التى يؤمن بها كعب فمن أين جاءه أن الله خلق التربة يوم السبت حتى حدث به أبا هريرة ؟ أتعدى الذين يتهمون أبا هريرة بأخذ هذا الحديث عن كعب أن يقولوا لنا من أين جاء به كعب ونص التوراة يخالفه ؟ هل كذّبه مكذّبا بذلك نص التوراة التى لم يترك الاعتزاز بها ونشر ما نشر بين المسلمين منها ؟

الحق الذى زاه متابعة للأئمة أحمد ومسلم والنسائي أن الحديث من كلام النبي ﷺ ، وقد بينا عدم مخالفته للقرآن ، فان قبل هذا البيان فها ، وإلا فنقف ونقول - كما نقول في كل

علم من علوم الغيب صح صدوره عن نبينا ﷺ : - الله أعلم بمراد نبيه منه ، ولا نكون ممن يردون ما لم يحيطوا به له ، ولما يأتيهم تأويله ، ولا نخالف إجماع المسلمين سلفا وخلفا في تصديق أبي هريرة الذي روى عنه - كما قال الإمام ابن القيم في هداية الحيارى من اليهود والنصارى - ثمانمائة (٨٠٠) ما بين صاحب وتابع . فهل كان هؤلاء الثمانمائة ومن بعدهم من التابعين وتابعي التابعين يجهلون كذب أبي هريرة حتى يجي ، فروخ الجهمية وذبول الرافضة فيهدوا بنا علمهم في تكذيب أبي هريرة ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ ، ﴿ انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون ﴾

وبرأ الله أبا هريرة من تهمة الكذب التي يستحقها من اتهمه بها من الروافض والجهمية والمعتزلة ومن لا خلاق لهم من الخلوف الذين يقولون ما لا يعقلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، ويسلكون غير سبيل المؤمنين .

والذين تابعوا البخارى على تحليل الحديث يذهبون إلى أن الوم فيه ممن دون أبي هريرة ، فهم جميعا مع إجماع المسلمين على تصديق أبي هريرة وبراءته من الكذب . ويعجبني ما حدثني به بعضهم عن الشيخ ولي الله الدهلوى حكيم الهند ومحدثها وقيدها في عصره أن الاجماع على عدالة الصحابة هو عصمتهم من الكذب على رسول الله ﷺ ، وإن وجد لبعضهم هنات تكفّر بها حسناتهم وجهادهم ونصرهم للاسلام وصحبتهم للنبي ﷺ . ولشيخ الاسلام ابن تيمية في منهاج السنة ومختصره المتقى من منهاج الاعتدال كلام نفيس محصله أن ما جاء من القدرح في بعض الصحابة أكثره كذب وباطل عليهم ، وما صح منه فلم من العمل الصالح ونصرة رسول الله ﷺ ما يغمر ما جاء عنهم من خطأ أو اجتهد أو نحو ذلك مما لا يخلو منه بشر

فن لم يخف الله تعالى ولا استحي من خيار خلق الله وخرق إجماع المسلمين واتبع غير سبيل المؤمنين وبهت صاحبا جليلا من خيار أصحاب النبي ﷺ كأبي هريرة ، كيف بلّغ الله يوم تبلى السرائر يوم التابن ؟ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

وفي إنكار أبي رية لحديث أبي هريرة خلق الله التربة يوم السبت قيل :
وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
وقيل :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرآ به الماء الزللا
وقيل :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ويفكر الفم طعم الماء من سقم
وأنا لا أطعم في أبي رية أن يرجع عن ضلاله في أبي هريرة وأمثاله من رواة العلم
النبوي فهو شبه بمن قال الله فيهم ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن
بها ، قل إنما الآيات عند الله ، وما يشرككم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم
وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون . ولو أننا تزلنا إليهم
لللائكة وكلهم الموقى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء
الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾

وقد قال الثوري أو ابن عيينة : من فسد من علمائنا فقيه شبه من اليهود ، ومن فسد
من عبّادنا فقيه شبه من النصارى ، ونسألك اللهم أن تهدينا ﴿ الصراط المستقيم ، صراط
الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ﴾

ونسأل عن حكم من أتى بها - تعنى الكذب على رسول الله ، وتعنى به أبا هريرة -
ونحن بدورنا نسألك عن كذبك على الله تعالى في آية ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الأرض ﴾ (ص ١٦ س ١٧) فذكرتها هكذا ﴿ قد خلت سنن من قبلكم ﴾ محرفة
يذكر من قبلكم بعد سنن على خلاف نظم الآية قراءة وكتابة ، فإذا تحمك على نفسك
بإمضاء أصحاب رسول الله ومنهم أبو هريرة بالكذب . فأت أطلته على للطبعة فأين
كنت من تصحيحها - وفي الحكمة الأولى « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وتقول العامة :
لحي استحو ماتوا

وأبو هريرة إمام جليل وحافظ عبقرى يبخل التاريخ بمثله إلا نادراً ، ولو كان عند أمة أخرى غيرنا لأقاموا له التماثيل من ذهب وبلاتين ، وإن كان ديننا لا يقر إقامة الأوثان لأحد ، ولفاخروا به غيرهم . ولكن ما الحيلة فيمن أعمى التعصب والمهوى بصيرته وأشرب قلبه حب أعداء الإسلام جولد زهير وشبرنجر ودائرة المعارف الإسلامية وعبد الحسين الرافضى ، وأمثالهم من مبغضى الإسلام وأهله الأولين ، من الصحابة والتابعين وتابعيهم من حملة العلم النبوى ورواة الآثار الإسلامية من العلماء . بكتاب الله وسنة رسوله

وحديث أبى هريرة الذى رواه البخارى أن رسول الله قال « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وما ترددت فى شئ أنا فاعله تردى عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » اهـ (ص ١٧٦)

قال البهائى الفيلسوف أبو رية : ومن له حاسة فى شئ الحديث يجد فى هذا الحديث رائحة اسرائيلية (آخر ص ١٧٦) ، ونقول لصاحب حاسة الشم التى تفوق حاسة شم الكلب البوليسى هول : لم يشم أئمة الحديث ما شممت فيه من الرائحة الاسرائيلية ، فهذا البخارى راويه لو شم ما شممت ما أخرجه ، وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يسوقه فى كتبه هو وتلميذه شمس الدين ابن القيم ويشرحانه ولم تزكم أنوفهما من رائحة اسرائيلية . ولا يضره تفرد البخارى باخراجه دون مسلم . ونسألك عن قولك « دون أصحاب النبى » فهل كان أصحاب النبى ﷺ لم دواوين يخرجون فيها حديث فلان دون فلان ، وهل نسيت ما قررته أنهم لم يدوّنوا الحديث ، ولكن فانتك أن تعمل بالمثل المشهور « إذا كنت كذوباً فكنت ذكوراً » وأنت كذوب غير ذكور

وقولك (ص ١٧٦) وقد طمن الأئمة فى هذا الحديث ، فقال الذهبى وابن رجب

هذا حديث غريب . وليس هذا بظن أيها العلامة ! فالغرابة تجامع الصحة ، والغريب ما رواه راو فقط ، وقد قيل في حديث « أنما الأعمال بالنيات » في أول صحيح البخاري : انه غريب تفرد به يحيى بن سعيد الأنصاري واشتهر بعد يحيى فقد رواه عنه سبعة ، وقال الحافظ ابن حجر : تثبت الأجزاء والمساند والصحاح فما حصلت للرواة له عن يحيى إلا مائتين

والحاصل أن الغرابة لا تنافي الصحة ، بل قد تجامعها وتسير معها

نعم قال الذهبي في ترجمة خالد بن مخلد الططواني راويه شيخ البخاري : لولا هبة الجامع الصحيح لعدته من مناكير خالد . فهذا الذهبي يهاب الجامع الصحيح ولا يمدّ الحديث من مناكير خالد ، ولم يرتفع إلى درجة أبي هريرة ولا شمع فيه رأنحه إسرائيلية . وقول الخطابي : التردد على الله غير جائز والبذاء عليه في الأمور غير سائغ ، قول صحيح ولا يرد به الحديث ، فليس فيه بداء ، ولقطة ترددت فهمت على أنها تعارض الأسباب ، فإذا جاءت أسباب منية المؤمن وعارضها كراهته للموت وكراهة الله لاساءة المؤمن فأخرت عنه النية إلى حين عبر في الحديث عن هذا يلفظ ترددت تعبيراً بليفاً يدل على رفع منزلة المؤمن عند الله تعالى

وقد رد كثير من المتكلمين ومن قلدهم من أهل التفسير وشرائح الحديث كثيراً من الأحاديث التي جاء فيها ما ظنوه تشبيهاً أو متافياً للتزييه الذي زعموه ، مثل أحاديث الضحك وخلق آدم على صورة الرحمن ونحوها ، بل أولوا صفة الرحمن بأنها الاحسان أو إرادة الاحسان ، حتى فتحوا باب القرمطة في صفات الله تعالى للجهمية والباطنية ، وحتى قال قائل منهم : إن الله تعالى لا يوصف بالوجود حتى لا يشبه الموجودات ، فلا هو موجود ولا معدوم ، وأمثال هذا الهوس الذي جاءهم من الغلو في التزييه كما يزعمون مما قلدهوا في الفلسفة اليونانية الاسطوليكية وغيرها

أما المحققون من أهل السنة الجامعون بين العقول والمنقول كشيخ الاسلام ابن تيمية

وتلاميذه ابن القيم وابن عبد المادى والذهبي وأمثالهم فيؤمنون بما جاء من صفات الله تعالى في القرآن والحديث ، من غير تأويل وتحريف ، ومن غير تشبيه وتمثيل ، وأقرأ العقيدة الواسطية والفتاوى الحوية والرسالة التبوكية وغيرها من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية إن لم يفسر لك الاطلاع على بسائط مؤلفاته ومطولاتها أو مؤلفات تلميذه شمس الدين بن القيم كالصواعق المرسلة على الجهمية والمعتزلة

واستدلال أهل وحدة الوجود أو الشهود بهذا الحديث كما زعم أبو رية (ص ١٧٦) رده عليهم من بضعة عشر وجهاً شمس الدين بن القيم ، ولو كان فيه شبهة لمذهبهم لما سكنت عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ، ولما احتج به في كتبه مثل كتاب الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وهو مطبوع عدة طبعات

ولا يضر هذا الحديث أن يرويه وهب بن منبه كما نقله أبو رية (ص ١٧٦) عن الحلبة بقوله : إني لأجد في كتب الأنبياء أن الله يقول ما ترددت عن شيء قط ترددي عن قبض روح المؤمن ، فإن ذلك مما يقوى الحديث لا مما يشكك فيه ، فالأنبياء يصدق بعضهم بعضاً . يصدق متأخرهم ما جاء به متقدمهم ، وفي الحديث « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ، ديننا واحد » وقال الله تعالى ﴿ انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ﴾

وختم أبو رية طعنه في أبي هريرة بذكر ما رواه أحمد عن أبي هريرة : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ، إقرءوا إن شئتم ﴿ وظل محدود ﴾ ص ١٧٧ . وإسراع كعب في تصديق أبي هريرة بما قرأه من التوراة مما يزيدنا ثقة بأبي هريرة وتكذيباً لك يا أبا رية بما فضحت به نفسك بالكذب بما لم تحط به علماً ولما يأتاك تأويله ، جرياً وراء هواك وتمصيك ، وارتشاحاً لما يفيض من قلبك في بغض أصحاب رسول الله ﷺ مما ارتضته من أعداء الاسلام جولد زيهر وشبرنجير وأصحاب دائرة المعارف الاسلامية

ونسألك إن كان بقي عندك خذرة من إنصاف : هل تصديق أبي هريرة في حديث

يصدق فيه كعب أو وهب أهدي ، أم تصديق جولد زيهرفيا قاله في كتابه العقائد
الإسلامية وكتابه مذاهب المسلمين في التفسير ؟ أجب إن كان عندك جواب عليه مسحة
من إنصاف وحياء

ذاكرة أبي هريرة

قال أبو رية (ص ١٧٧) : كان أبو هريرة يذكر عن نفسه أنه كان كثير النسيان
لا تكاد ذاكرته تمسك شيئا مما يسمعه ، ثم زعم أن النبي ﷺ دعا له فأصبح لا ينسى
شيئا يصل إلى أذنه . وقد ذكر ذلك لكي يسوغ كثرة أحاديثه ، ويثبت في أذهان
السامعين صحة ما يرويه . اهـ

ونطالب أبارية بصحة ما نقل عن أبي هريرة بقوله عن نفسه إنه لا تكاد ذاكرته
تمسك شيئا مما يسمعه . وذكرنا له سابقا ما قيل « الكذب وأبعد شاهدك » وهنالم يبعد أبو
رية شاهده ، وإنما ادعى دعوى بلا شاهد ، فأحرى بها أن يضرب بها وجهه

ثم قوله : وزعم أن النبي ﷺ دعا له فأصبح لا ينسى شيئا يصل إلى أذنه ، وقد
ذكر ذلك لكي يسوغ كثرة أحاديثه ويثبت في أذهان السامعين صحة ما يرويه

ونقول لأبي رية : إن ما سماه زعما من دعا، النبي ﷺ حتى أصبح لا ينسى شيئا مما
يصل إلى أذنه قد صدقه الناس في ذلك من عهد الصحابة فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم
إلى عهد زمن التدوين ، فليس من المقول أن نكذب هذا الجرم الفقير من المسلمين
والحدثين وأئمة الفقه والفتوى الذين قبلوا أبا هريرة محدثا حافظا بحل الزمان بمنه ،
ونصدق أبا رية في القرن الرابع عشر في حقه كل أبي هريرة وتكذيبه له ، فاللايين
التي اتفقت على صدق أبي هريرة وحفظه وقبول الآلاف من الأحاديث التي رواها أبو
هريرة بعد تكذيبهم من البهتان ، والحاقة ، والجنف ، والباطل ، واتباع غير سبيل
المؤمنين

ودليل صدق أبي هريرة وأثر دعوة النبي ﷺ له هذه الألف من الأحاديث التي رواها وقبلها منه المسلمون في كل عصر ومصر وفي كل زمان ومكان ، وليأكل الفل والمقد قلب أبي رية فلن يغفر إلا نفسه ، وأنا وكل ذى عقل ودين وإنصاف حتى من غير المسلمين لا يمكن أن أتوازن بين أبي رية وبين أقل راو من رواية الأحاديث كابن عساكر والخطيب البغدادي فضلا عن فوقهم كالدارقطني وابن حزم بله أصحاب الكتب الستة فن فوقهم من شيوخهم أئمة الحديث والفقه والفتوى من تابع التابعين فالتابعين فالصحابية ، فإذا قبل هؤلاء أبا هريرة محدثا صادقا حافظا إماما من أئمة رواية الحديث وحاملا للآلاف من علم النبوة ، فن هو أبو رية بعد ذلك ، إن شك في أبي هريرة ؟

نزلوا بمكة في منازل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل
إني إن فارت بين أبي رية وبين أضعف رجل من المحدثين كنت كن يقارن
حصاة في البحر بالآلى.

ذكر أبو رية (أول ص ١٧٨) ما رواه مسلم عن الأعرج قال : سمعت أبا هريرة يقول : إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله - والله الوعد - كنت رجلا مسكينا ، أخدم رسول الله على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفي في الأسواق - بمعنى التجارة - وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم - بمعنى النخيل ، والزراعة - فقال رسول الله : من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه مني ، فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ، ثم ضمته إلى فمائي شيئا سمعته منه . قال مسلم : إن مالكا انتهى حديثه عند انقضاء قول أبي هريرة ، ولم يذكر في حديثه الرواية عن النبي من بسط ثوبه الخ

قال أبو رية : ولا ريب في أن رواية مالك هي الصحيحة ، لأن الكلام بعد ذلك منكك الأوصال ، ولا صلة بينه وبين الذي قبله . اهـ

وأقول : ويل للعلم إذا تسكلم فيه من لا يحسن الكلام فيه . حديث يختصره مالك ،
ويأتي به على وجهه مطولا إمام كمالك في الحفظ والأمانة ، بل ربما كان أجل منه ، يكون
اختصار مالك هو الصحيح والطول الذي جاء به إمام غير مالك لا يقل عن مالك حفظا
وأمانة وصدقا غير صحيح في نظر محقق القرن الرابع عشر أبي رية ، وأين غاب عنه قولم :
من حفظ حجة على من لم يحفظ ؟ إن أحاديث اللوطا نحو ستائة حديث ، وأحاديث
الصحيحين والسنن آلاف الأحاديث فهل نرى هذه الآلاف التي لم يروها مالك ؟ أين
العقول والإنصاف والدين ؟

ثم فلسفة أبي رية في تضييف رواية غير مالك أن الكلام بعد ذلك مفكك
الأوصال ولا صلة بينه وبين الذي قبله ! تفكير غريب مقلوب ، والكلام آخذ ببعضه
بمعجز بعض ، فأبو هريرة يذكر أن سبب تفوقه في الأحاديث على من استغربوا كثرة حديثه
أمران : أحدهما تفرغه للاشتغال بالعلم وانقطاعه له وعدم انشغاله عنه بتجارة أو زراعة ،
والثاني بركة نبوية واختصاص سماوى خص الله به أبا هريرة ، ولكن من أين لنا أن يؤمن
أبو رية بالبركات النبوية وبفضل الله الذي يؤتاه من يشاء ؟ فأين تفكك الأوصال إلا في
تفكير من لا يؤمن بفضل الله على عباده كآبي رية ؟ وإن الذين استغربوا كثرة رواية أبي
هريرة قد آمنوا بما ذكره لم أبو هريرة ما اختصه الله به من التفرغ لطلب العلم بلا هو عنه
من تجارة أو زراعة ، وما وهبه الله له على يدي نبيه من البركة المحمدية والآية الربانية ،
ذلك فضل الله يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله ، فقد آتينا آل داود الملك والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ﴾ ولقد ورث
أبو رية عن اليهود حشدهم للمسلمين ، فلم يستغف فكره أن يفضل الله أبا هريرة بالحفظ
والصدق والأمانة

يا رحمة الله لأئمة الحديث والفقه والفتوى : مالك والثوري وابن عبيدة وابن المبارك
والمحدثين ابن زيد وابن سلمة وأبي عبد الله الشافعي وأحمد بن حنبل وأئمة السنين البخاري
ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه فمن جدهم ، رحمة الله عليهم إذ أقروا أعمارهم

في الرحلة في طلب الحديث - ومنه أحاديث أبي هريرة - وحفظها وتدوينها بفير أجر مادي سوى ما يرجونه من ثواب الله وجزائه

ولم يعدم الحظ أن يسموا بتحقيق أبي رية في القرن الرابع عشر في تكذيب أبي هريرة والتشكك في أحاديثه ، إذن لاستراحوا وأراحوا من هذا العمل المصني الباهظ ، ولكن الله حافظ دينه لم يشأ لهم هذا الحظ المنكوس ، والتحقيق المنحوس للنجوس اسمع يا أبارية ، إن تكذيب هؤلاء الأئمة في ثقتهم بأبي هريرة وحفظ حديثه الكثير وتدوينه والانتفاع به ، وتصديقك يا أبارية في تكذيب أبي هريرة جنون وحمالة وبهتان . ولنا مستعدين للتنازل عن ديننا وعقولنا واتباع غير سبيل المؤمنين ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آمين

قال أبو رية (ص ١٧٨) : على أن هذه الذاكرة القوية التي اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعا ومن دون ما ذرأ الله من الطباع الانسانية قد خاتته في مواضع كثيرة ، وإن ثوبه الذي بسطه قد تمزق فتناثر ما كان قد ضمه بين أطرافه ، وإليك أمثلة من ذلك

فذكر رواية الشيخين عنه حديث « لا عدوى » وعارضه بمحدث أسامة « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها » وبمحدث عبد الرحمن بن عوف في رجوع عمر بن الخطاب من سرع لما سمع بوقوع الوباء بالشام عندما سمع حديث « لا يوردن ممرض على مصح »

قال أبو رية (أول ص ١٧٩) : وقد اضطر أبو هريرة إزاء هذه الأخبار القوية إلى أن يرجع عما حدث وأن يترف بنسيانه ، ثم أنكر روايته الأولى - قال : وفي رواية يونس قال الحارث بن ذباب (ابن عم أبي هريرة) : قد كنت أسمعك يا أبا هريرة تحدثنا مع حديث « لا يوردن ممرض على مصح » حديث « لا عدوى » معرفته لذلك . ووقع عند الاسماعيلي - قال في الحاشية (وكذلك عند مسلم) - فقال الحارث ابن عم أبي هريرة :

عنك حدثتنا ، فأنكر أبو هريرة وغضب وقال : لم أحدثك ما تقول

ثم ذكر أبو رية (ص ١٧٩) قصة ذى اليدين في سهو النبي ﷺ في الصلاة ، قال أبو رية : هذه القصة في رواية البخاري أنها صلاة الظهر أو العصر ، وفي رواية الثاني ما يشهد أن الشك كان من أبي هريرة وهذا لفظه : صلى النبي ﷺ إحدى صلاتي العشي ، ولكنني نسيت ٥٨ . وذكرها أبو رية بلفظ صلاة العشاء ، كأنه لا يفهم الفرق بين العشي والعشاء .

أقول : هذا ما أجهد أبو رية نفسه وقلب الدواوين وقش الكتب ليحل لأغلاط أبي هريرة التي زعم أنها كثيرة فلم يقع الا على مثالين : (أحدهما) حديث « لا عدوى » والثاني « إحدى صلاتي العشي » الظهر أو العصر .

وقد سبق لأبي رية (ص ١٦٢) عن ابن حزم أن مسند بقي بن مخلد قد احتوى من حديث أبي هريرة على ٥٣٧٤ حديثا ، والله أعلم بما رواه غير بقي كسند أحمد وغيره ، فتراوية لما يزيد عن خمسة آلاف حديث في أحد دواوين الحديث لو وجد له غلط أو خييان في حديثين اثنين ألا بعد من عبائة الدنيا حفظا وبعد مضرب الأمثال للذين لا نظير لهم في الدنيا ؟ نسبة غلطه أو نسيانه نسبة واحد إلى ثلاثة آلاف ، فأى حفظ في الدنيا مثل هذا أو ما يقاربه ؟ حدثوني بهلم إن كنتم صادقين

على أن حديث العدوى يظهر أن رجوع أبي هريرة عن التحديث به لظنه أنه منسوخ بما رواه هو من حديث « لا يورد ممرض على مصح » فتورع عن روايته بظنه أنه منسوخ ، فيبقى معنا - مما عده أبو رية من نسيان أبي هريرة - حديث سهو النبي ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر ، يبقى غلط أبي هريرة في ستة آلاف حديث في حديث واحد فتكون النسبة ١ : ٦٠٠٠ - فأى نسبة في العالم تقارب هذا أو تدانيه ؟

إذن لم يترق ثوب أبي هريرة ولا رداؤه ، ولكن الذي تمزق من النيط والحقد هو :

قلب أبي رية ، فليمت بغيظه ويبقى أبو هريرة بدرا لا يضره النباح ، وفي الحديث « إذا لم تنتح فاصنع ما شئت » وفي كلام العامة « اللي اختشوا ماتوا »

وأما معارضة أبي رية لحديث أبي هريرة مرفوعا « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا ودما خير من أن يمتلىء شعرا » بقول عائشة : لم يحفظ - تعنى أبا هريرة - إنما قال « من أن يمتلىء شعرا هجيتُ به » (آخر ص ١٧٩) ، فلأبي هريرة أسوة بممر بن الخطاب وابنه عبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وأنس وغيرهم ممن ردت أم المؤمنين حديثهم بما ظنته معارضا له ، وإذا قبلنا من أم المؤمنين روايتها فيما سمعت أو روت فلن قبل منها ردها للأحاديث بظنها واجتهادها

ولنا أن تقول لها : متى كان الصحابة رضي الله عنهم يمتلىء أجوافهم بشعر هجى به النبي ﷺ حتى يحذرهم ﷺ من ذلك ويتوعدهم هذا الوعيد الشديد ؟

أما جنون أبي رية (في حاشية ص ١٨٠) أن القرآن فيه شعر من الرمل والخفيف والوافر ونحوها ، لجوابه أن أبا رية يحتاج إلى علاج في بيارستان أو يشهد على نفسه أنه يكذب القرآن لا أبا هريرة وحده . ولنا أن تنزل إلى جنونه فنقول له : متى كان ﴿ وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ قرآنا وهى مفردات من بعض آية لم تكل آية بتامها ؟ ومثله ﴿ من تركى فأنما يتركى لنفسه ﴾ ، ﴿ ويخزى وينصرم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ﴾

وإذا أصر أبورية على أن فى القرآن شعرا فإذا يقول فى قول الله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ، إن هو إلا ذكر وقرآن مبين . لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴾ وقوله فى الرد على المشركين ﴿ أم يقولون شاعر نترقب به ريب المنون . قل . ترهبوا فأنى معكم من المترهبين ﴾ وقوله ﴿ والشعراء يتبعهم الغاؤون . ألم تر أنهم فى كل واديهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعلوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ﴾

أما سماع النبي ﷺ لشعر أمية بن أبى الصلت واستنشاده ممن يحفظه فذلك لما فيه من

الإيمان ، إذ قال فيه « آمن شعره ، وكفر قلبه » ، فلا غصاصة على المؤمن أن يسمع من الشعر ما فيه حكمة وإيمان ، لا ما فيه من كذب وبهتان ، وهيام في وديان الضلال ، والقول الطويل المربض الذي يكذبه الفعل والواقع . فأين ذهبت يا أبارية ؟ هل أمالك الهوى والنوى ، أم أنت ممن قال الله فيهم ﴿ أولئك يتادون من مكان بعيد ﴾ ؟

وأبورية الذي يكذب ذهنه في البحث عن نسيان أبي هريرة فلا يجد له إلا حديث سهو النبي ﷺ في إحدى صلاتي العشي الظهر أو العصر ، حديث واحد من آلاف ستة يذكر في نسيان أبي هريرة ، وينقله أبورية بلفظ « إحدى صلاتي العشاء » فلا يفرق بين العشي والعشاء ، ويقول له ما قيل لمن قرأ : « نحر » عليهم السقف من تمهم ، فقيل له : إن لم تعرف أن تقرأ فهندس ، فالسقف لا يجر من تحت . وأنت إذا لم تعرف أن الظهر أو العصر إحدى صلاتي العشي لا العشاء فاسكت واسترجعك

ثم نقول له : ماذا يترتب على نسيان أبي هريرة للصلاة التي سها فيها رسول الله ﷺ أكانت الظهر أو العصر ؟ ماذا يترتب على هذا النسيان من الخطأ في الأحكام ، والذين أخذوا حكم السهو في الصلاة من هذا الحديث لم يضرهم أن تكون هذه الصلاة الظهر أو العصر ، فالحكم سواء ظهر أكانت أم عصرا

ويعجب أبورية (أول ص ١٨٠ فابعدا) ممن يثقون بأبي هريرة ثقة ميام ، أنهم يمنعون السهو والنسيان عنه ، ولا يتخرجون من أن ينسبوا إلى النبي ﷺ . ونحن نشاركه هذا المعجب إن كان وجد في الدنيا من يقول ذلك من امتناع السهو والنسيان على أبي هريرة ، ولكننا لا نقول بتخطئة أبي هريرة بالجهالة والهوى ، ولا نحكم بنسبانه إلا بشاهد ودليل . أما أن نكيل القول جزافا في الشك في أحاديث أبي هريرة فلا دليل ولا برهان ، فهذا هو الظلم والبهتان ، والقول على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ بنير علم ، وقد أمرنا الله تعالى بالمدل ولو على الأعداء فقال ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، عدلوا هو أقرب للتقوى ﴾

أما أن نجري وراء أعداء السنن الإسلامية من الرافضة والمستشرقين فنتهم الصادقين ونكذب الثقات بلا دليل ولا بينة فهذا هو الجور والظلم والبهتان الذي نهانا الله عنه ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد ارتككب بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ ، ومن يشاقق الله ورسوله ويتبع غير سبيل اللّٰهين نوله ما تولى ونصله ناراً وكان ذلك على الله يسيراً ﴾

قال أبو رية (ص ١٨١) : وإذا كان أبو هريرة على ما وصف به نفسه ذكياً فطنا قوياً الفذاكرة واسع الحافظة ضابطاً لكل ما يسمع لا تغفل منه كلمة ولا يشذ عنه لفظ ، فلم يحفظ القرآن على فراغه وطول عمره في الاسلام وقد حفظه كثير من الرجال وكذلك بعض النساء ومنهن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الصحابية . هـ
وجوابه أن ما يفيد كلامه من أن أبا هريرة لم يحفظ القرآن دعوى لم يقم عليها دليلاً فهي ساقطة ويرى بها وجه أبي رية

والدعوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أديعاء

وقد قال الله في الفاذقين ﴿ فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ﴾

وقال أبو رية (ص ١٨١) : وكذلك لو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التي لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها أحد بعده ، وهي عدم السهو والنسيان ، لا شهر عنه ذلك ولأصبح وحده علماً مقرباً يرجع إليه المسلمون جميعاً وخاصة في عهد أبي بكر وعمر ، ولكان له في الاسلام على مدّة عصوره مقام غير مقامه ، اذ يكون وحده دون غيره موضع ثقة الصحابة أجمعين ، فيأخذون بالثقة ما يجري به لسانه ، ويقبلون مطمئنين ما يلقيه عليهم من رواياته ، ويستمر الأمر الى من بعدهم فتكون كل أحاديثه من دون الصحابة جميعاً متواترة في لفظها ومعناها لا ينال منها الشك ولا يعتريها الظن . ولكن الأمر قد جرى على غير ذلك ، فلم يكن له شأن يذكر في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين ، وقد حدثناك من قبل عن مبلغ ثقة عمر به فقد كان ينهيه عن رواية الحديث ، ولما لم يرجع ضربه

بالدرة وأذره إذا هو روى أن ينفيه إلى بلاده ، ولو كان أبو هريرة على ما زعم لأباح له وحده الرواية وكان عنده وعند غيره أصدق من روى . ولم يقف الأمر عند ذلك بل إنهم قد اتهموه في الرواية كما سترى ذلك فيما بعد واضحا إن شاء الله تعالى . ٥١

سودت هذه الأسطر بما فاض به قلب أبي ربة من قبح وصديق وضغن وحقد على صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ كان موضع ثقة عنده صلوات الله عليه وعند أصحابه الخلفاء الراشدين منهم وغيرهم ، تقول عليه هذا المفتري ثقلات لم يقلها عن نفسه ، وألبسه من نسج خياله الكاذب ثوبا فضفاضا لا يرضاه أبو هريرة ولا عارفو قدره له ، وهو أنه بلغ درجة لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها إنسان بعده وهي عدم السهو والنسيان ، أين ادعى ذلك أبو هريرة لنفسه ؟

ثم ما هو التلازم بين عدم نسيانه وبين تواتر أحاديثه لفظا ومعنى ، وأن يكون وحده دون غيره موضع ثقة الصحابة أجمعين ، وفيهم من حفظ كما حفظ ، ومن روى مثل ما روى كأنس وعائشة وابن عمر وابن عمرو وغيرهم من أكابر الصحابة . وقول البهات : لم يكن له شأن يذكر في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن الخلفاء الراشدين كذب صراح ، فقد كان النبي ﷺ يحبه ويفتقده إذا غاب ، رآه ﷺ في سوق من أسواق المدينة فأنحس أبو هريرة هنية ، ثم جاء إلى النبي ﷺ فقال له ﷺ : أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال كنت جنباً فكبرهت أن أجالسك ، فذهبت فاغتسلت الخ . فلو لم يكن له شأن عند النبي ﷺ لما سأله عن غيابه . ولما مر بالمجد وحسان ينشد الشعر فيه لحظ عمر إلى حسان ، فقال حسان : كنت أنشد فيه وفيه من هو خير منك - يعني النبي ﷺ - ثم التفت إلى أبي هريرة وقال له : سألتك بالله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول « أجب عني وروح القدس معك ، اللهم أيدنه بروح القدس » ؟ فما أنكر عمر على حسان استشهاده بأبي هريرة ، وسلم لما وانصرف . فأى شأن يكون أعظم من هذا ؟ استشهاد حسان بأبي هريرة وإقرار عمر له على ذلك وسكوته عليها

وأما قريات ضرب عمر لأبي هريرة بالدرة وتهديده إذا لم يكف عن الرواية بنفيه إلى بلاده واتهام الصحابة له فمن خرق أبي رية واختلافاته تبعا لساداته الروافض فروخ الجوس واليهود ومن أوكار الافتراء كلوط بن يحيى أبي مخنف وابن الكلبي صاحب مثالب الصحابة وشيطان الطاق وابن عقيل الحضرمي وشيخه أبي بكر بن شهاب - هذه القريات التي أرادوا بها تشويه سمعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه كان حاكما مستبداً عدواً لرسول الله ﷺ ولأحاديثه ولروايتها ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب أرفع قدراً وأجل ديناً من أن يعادى رسول الله ﷺ وأحاديثه وحملتها كأبي هريرة وابن عمر وأنس بن مالك وعائشة وأبي سعيد الخدري وأمثالهم ، ولكنه الهوى والجور وعداوة الاسلام وخلفائه وأئمة دينه وحلة علوم نبيه حملت الروافض ومن شرب من مراحيضهم أن يقولوا في الاسلام ما قال مالك في الحمر ، والموعد الله يوم القيامة كما قال أبو هريرة لمن استغربوا كثرة أحاديثه

وقال أبو رية (ص ١٨٣) بعنوان « حفظ الوعامين » : أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : حفظت عن رسول الله ﷺ وعامين ، فأما أحدهما فينته ، وأما الآخر فلو ينته لتقطع هذا البلعوم

قال أبو رية : وهذا الحديث معارض بحديث رواه الجماعة بألفاظ متقاربة عن علي رضي الله عنه ، فقد سئل : هل عندكم كتاب ؟ فقال : لا ، الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة . هـ

فأى معارضة بين الحديثين عند من له عقل وإنصاف ، حديث في الفتن يحفظه أبو هريرة ولا يقدر أن يذكره للناس لأن من قيل فيهم أحياء ويمدح قوة ، وحديث ينفي فيه على ما أشاعه جبهة الشيعة من أن عند آل البيت كتاباً خصهم به النبي ﷺ ، فيه خلافة على وتقدمه على أبي بكر وعمر

فأى معارضة بين الحديثين يا أبا رية إن كان بقي عندك ورج وعقل وإنصاف ؟

أما الجدل بالباطل والمشاغبة فيدانهما فسيح بسمك ويسع أمثالك ممن جادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق ، ولكن الناس لم عقول وورع وانصاف

وقال (ص ١٨٢) : وكذلك يمارضه ما رواه البخارى عن عبد العزيز بن ربيع
قال : دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس ، فقال له شداد : أترك النبي ﷺ من
شيء ؟ قال : ما ترك إلا ما بين الدفتين . هـ

وهذا الحديث في رد ما أشاعته الشيعة عن علم مكتوم عند آل البيت في خلافة علي
وتقدمه في ذلك على سائر الصحابة ، فسأل شداد بن معقل ابن عباس عن مبلغ هذه
الاشاعة من الصحة ، فأجابه ابن عباس بنقيها ، وإلا فابن عباس لا ينفي ما حفظه عن النبي
ﷺ من الأحاديث مشافهة أو بواسطة كبار الصحابة ، ولا ينفي ما رواه أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي وأبو هريرة وعائشة وأنس وابن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهم من الصحابة
من أحاديث رسول الله ﷺ ، وإنما نفي ما أشاعته الشيعة عن علم مكتوم اختص النبي ﷺ
آل بيته به ، فقد حفظ عن أحق من حقي الشيعة أظنه جابر الجعفي قال : حفظت للقرآن
في سبعة أيام ، والوحي في أربعين يوما ، والوحي أصعب . فقد افتروا وحيا أصعب من
القرآن هو ما نفاه علي وابن عباس

فأين هذان - ما نقل عن علي وابن عباس - من معارضتهما لحديث أبي هريرة في
الفتن الذي لم يستطع أن يبثه في الناس وإلا لقطع حلقومه

قال ابن عمر : لو حدثكم أبو هريرة أنكم تهدمون بيت ربكم - يعني الكعبة المشرفة -
وأنكم تقتلون ابن نبيكم - يعني الحسين - لقلم كذب أبو هريرة . وكان أبو هريرة يقول :
اللهم إني أعوذ بك من إمارة الصبيان ومن رأس الستين ، يعني التي تولى فيها
يزيد بن معاوية

وقال أبو هريرة (آخر ص ١٨٢) : ولو كان هناك شيء يؤثر به النبي أحد خواصه
ويحجبه عن سائر أصحابه لكان على أولى الناس جميعا بذلك ، ذلك بأنه ربيبه وابن عمه

وأول من أسلم وزوج ابنته ولم يفارقه في سفر ولا حضر ، وشهد معه للشهادة كلها
— سوى تبوك — ... فقال له النبي : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى
إلا أنه لا نبي بعدي ، رواه البخاري والترمذي . ٥١

يقال لأبي رية : من قال لك إن الرسول اختص أبا هريرة بشيء حتى تضرب للثل
بلى وتذكر من فضائله ما لا تنكره ، ولكنه لا يفضل بذلك على أبي بكر وعمر وعثمان
أيها الراضع لبان الرافضة

إن أبا هريرة يقول : حفظت من رسول الله ﷺ وعامين ، ولم يقل خصني رسول الله
ﷺ بهما ، ولا نفي أن يكون غيره حفظ ما حفظ هو ، فكيف نجيت عليه بدعوى
التخصيص وضربت الأمثال بلى ثم بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح وبالزبير وعائشة
وخديجة وأم سلمة وابن مسعود صاحب النوادر والسرار ، كيف سوغ لك عقلك
ودينك وإنصافك أن تحمل حديث أبي هريرة ما لا يحتمله في لغة ولا عرف ولا عقل ،
إذ قال « حفظت من رسول الله وعامين » فقول لم خص أبا هريرة بما لم يخص به فلانا
وفلانا وفلانا ، وأى خصوصية في حديث حدث به النبي ﷺ من شاء الله من أصحابه
وحفظه منهم من حفظه وذكره أبو هريرة ، فأى غرابة أو عجب في هذا ؟ لقد شرح هذا
الحديث شراح الصحيحين : ابن بطلان المالكي ، والكرمانى والعينى الحنفيان ، وابن
حجر والقسطلانى الشافعيان وغيرهم ، ومن شراح مسلم ابن الصلاح وعياض والنووى ،
فما استغرب أحد منهم ما استغربت ، ولا ألزم أحد منهم ما ألزمت ، ولا استنكروا فيه
ما استنكرت ، وهم القوم كل القوم يا أم خالد . وإن فعلا لا يمر بمقول هؤلاء ويمر بعقل
أبي رية لهو فهم منكوس وحظ منجوس

لقد تكلم شيخ الاسلام ابن تيمية على هذا الحديث في رسالة الظاهر والباطن بكلام
نفيس رد فيه على من قال بباطن للشرع يخالف ظاهره ، وبين هو والحافظ ابن حجر في
فتح الباري أن الحديث في الفتن التي وقعت بعده قتل عثمان وخروج الجوارح على علي

وافتراف المسلمين بين علي ومعاوية وقتل الحسين ورأس الستين إمارة الصبيان وهلاك هذه الأمة على يد أعيلة من قريش إلى أمثال ذلك ، والحديث حديث أبي هريرة كحديث حذيفة : قام فينا رسول الله مقاما مترك شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسبه من نسبه

وقال أبو رية (ص ١٨٤) : ومن هو أبو هريرة حتى يؤثره النبي بشيء يخصه به ويكنهه ويخفيه عن أصفياه وأحبائه وأقرب الناس إليه ؟ إنه لم يكن له أي فضل يدنو به إلى النبي ، ولا عد بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى من أي طبقة من طبقات الصحابة ، فلا هو من السابقين الأولين ، ولا من المهاجرين ، ولا من الأنصار ، ولا من المجاهدين بأموالهم أو بأنفسهم ، ولا من النقباء ، ولا من العرفاء ، ولا من السكك في الجاهلية وأول الاسلام ، ولا من شعراء النبي الذين نالوا عنه ، ولا من المفتين ولا من القراء الذين حفظوا القرآن ، ولا جاء في فضله حديث الرسول ، وكل ما عرف عنه أنه كان عريف أهل الصفة لا أكثر ولا أقل . هـ

هذا ما قامه أبو رية من بغض أبي هريرة . وجوابه أن السفاهة تنفي حكايتها عن جوابها ، هذا والقحة مما يتنزهه قلم الكرام عن جوابها . ولكن علا بقول الله تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾ نقول له : أيها المفتري على صدر الاسلام وأهله ، أين زعم أبو هريرة أو زعم له زاعم أن النبي ﷺ آثره بشيء يخصه به وكنهه وأخفاه عن أصفياه وأحبائه وأقرب الناس إليه ؟ أمن قوله حفظت من رسول الله ﷺ وعامين ؟ إن كنت أعجميا لا بعقل ألف باء العربية فاسأل من يعرفها يفدك أنه ليس في الحديث ، ولا هو يدل بأي نوع من أنواع الدلالات : المطابقة والتضمن والالتزام ، أن الرسول آثره أو خصه بشيء . كنهه وأخفاه عن أصفياه وأحبائه وأقرب الناس إليه . قال ابن تيمية من العرب أو العجم من يفهم ما ألزمت به أبا هريرة مما لا يلزمه والصفة به زورا وبهتاننا نسكت عنك حتى تجد من يوافقك على هذا الفهم المنكوس والفكر المفلوب

وإنكارك لفضله لا يضره كما قال الشاعر :

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بآتي كامل

فهو من المهاجرين إلى النبي ﷺ ، ورضخ له النبي ﷺ في غنائم خيبر مع مهاجري الحبشة واليمن ، وهو من حفاظ الاسلام لا يضره ألا يكون شاعراً . وبهتك إياه أنه لم يكن من المجاهدين بأنفسهم وأموالهم بهتان سببه بفضك لأصحاب النبي ﷺ الذي جاءك من أعداء الاسلام الروافض واليهود ، وكذلك بهتك إياه أنه لم يحفظ القرآن دعوى بلا دليل . فمضى ردّ عليك ، وكذلك دعوى أنه لم يجيء في فضله حديث تهجم من جاهل بالأحاديث ، مكذب لأهلها ، مفتر على خيارهم

واعترافك أنه كان عريف أهل الصفة فتمت النقبة ، والفضل ما شهدت به الأعداء . وأهل الصفة هم من خيار المهاجرين حتى ينتقلوا عنها : نزها أكابر الصحابة عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من أكابر المهاجرين فكانت دار ضيافة الاسلام في المدينة للنورة ينزلها القادم من دياره من المهاجرين الأولين حتى يجد ما يقنيه عنهما من مكن . وثقة . فإذا كان أبو هريرة رضى الله عنه قد تشرف بكونه عريف أهل الصفة وأهل الصفة خيار المهاجرين فيالها من متعبة عظيمة سطرها قلبك بغير شعور ، مدفوعاً إلى ذلك ببغض قلبك لأبي هريرة وأهل الصفة ، والحق قد يطفح رغم أنف المبغض

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حود

ومن أنت يا أبارية حتى تعد في حساد أبي هريرة ؟ بل أنت من شرار مبغضيه الذين لا يضر أبا هريرة ببغضهم له كما لا يضر القمر بباح الكلاب

وقال (في حاشية ص ١٨٣) : روى مسلم أن النبي ﷺ قال «خذوا القرآن عن أربعة من ابن أم عبد (فبدأ به) ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حذيفة» اه قال : فترى أنه لم يصل إلى درجة أحد اللوالب . اه . يعني أن أبا هريرة لم يذكر مع هؤلاء الأربعة وذكر فيهم سالم مولى أبي حذيفة ، فهو أفضل من أبي هريرة بزعمه

ونقول لفيلسوف القرن الرابع عشر : ولم يذكر في هذا الحديث أبو بكر أيضا ولا عمر ولا عثمان ولا علي ، فهل المولى سالم أفضل من هؤلاء الخلفاء الراشدين ؟ وما هو جوابك عن هذا فهو جوابنا عن عدم ذكر أبي هريرة ، ويكون قلبي تفكيرك هذا سالم مولى أبي حذيفة أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، فبئس التفكير السقيم الذي يؤدي إلى هذا الزعم الباطل

وقال أبو رية (آخر حاشية ص ١٨٤) : أثبت التاريخ أنه في يوم مؤتة ، ولما عبده بذلك لم يجر جوابا . ١٠

ونسأل أبا رية أي تاريخ هذا ؟ مثالب الصحابة لابن الكلبي ، أم رواية عن لوط بن محنف المؤلف المالك ، أم ماذا تعني بالتاريخ ؟ ونعيد له ما ذكرناه مرارا من المثل : أكذب وأبعد شاهدك

ثم نقول له : اعترفت هناك أنه كان في غزوة مؤتة ، فرأى أو لم يفر . ألا يتقض هذا زعمك في أعلى هذه الصفحة عينها أنه لم يكن من المجاهدين بأنفسهم وأموالهم ؟ فليجب المتعجب : يقول أبو رية في وسط ص ١٨٤ عن أبي هريرة إنه لم يكن من المجاهدين بأموالهم أو بأنفسهم ، وفي آخر هذه الصفحة عينها يقول إنه في يوم مؤتة أي كان مجاهدا في غزوة مؤتة ، فهل يعقل أبو رية أنه يهدم ما بينه في صفحة واحدة كالتي تقضت غزوها من بعد قوة أنكانا . أو لعله لا يعقل ما يسود به القرطاس ، أو هو الهوى والبغى والظلم ، يكفي الواحد منها لعمى القلب ، فكيف بها إذا اجتمعت مع البغض لحمة العلم النبوي ، حينئذ خذ يا أخى المسلم من المضحكات المبكيات ما نشاء ، واحمد الله الذي عافاك من بغض صحابة رسول الله ﷺ خصوصا ، وبغض رواية الحديث عموما ، ثم من يهدى الله فهو المهتدى ﴿

أبو هريرة وبنو أمية

بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بنو عم بني هاشم وبنو عم النبي ﷺ ، منهم ذو النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وصهر النبي ﷺ على ابنتيه رقية وأم كلثوم ولو كان عند النبي ﷺ غيرهما بعد وفاتها لزوجها إياها ، وهو الذي اختاره المهاجرون والأنصار عندما شاورهم عبد الرحمن بن عوف فاختروه على علي رضي الله عنهما وعنهم أجمعين

ومنهم معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ والذي ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان ، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة زوج النبي ﷺ ويقال له « خال المؤمنين » لأنه أخو أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان

وابنه يزيد - على رغم أنف مبغضيه - هو أمير الجيش الذي غزا القسطنطينية ورآهم النبي ﷺ في مناه عند أم حرام ملوكا على الأسرة أو كالمالك على الأسرة حتى قالت له أم حرام : ادع الله أن يحملي منهم . وركبت البحر مع زوجها عبادة بن الصامت وصرعتها دابتها في جزيرة قبرص فأتت هناك .

ومنهم عمر بن عبد العزيز الذي ألحق بالخلفاء الراشدين في عدله وعلمه وحلمه . ومنهم ومنهم

وهم أصحاب الفتوح الإسلامية العظمى في أعماق للشرق وفي آفاق أوروبا

فأى عيب على أبي هريرة أن يعرف بنو أمية فضله ويولوه إمارة المدينة بالنيابة بعد ما ولاه عمر إمارة البحرين ، ولا يضره فباح مبغضيه وفرياتهم عليه :

قال أبو رية (ص ١٨٥) : علمت مما كشفناه لك من تاريخ أبي هريرة أنه لم يصاحب النبي ﷺ إلا على ملء بطنه وأنه قد اتخذ الصفة ملاذلا له لفقره يأكل

فيها كما يأكل سائر أهلها ، أو يأكل عند النبي أو عند أصحابه . هـ

وقول لمقدس الارستقراطية الحرمه المترقة : إن أبا هريرة هاجر إلى النبي ﷺ مختاراً ، وكان له عبد اعتقه لوجه الله ليدخل في صفوف خيار عباد الله الذين لم يفسدهم الغنى والترف . وأهل الصفة الذين تلمزهم وتلزم أبا هريرة معهم هم خيار المهاجرين الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم ينتصرون الله ورسوله ، فهم خير من مشى على وجه الأرض بعسد التبيين والراشدين ، وعلى بن أبي طالب الذي كدت تعبدته تقرباً للروافض قد عاش فقيراً ومات فقيراً ورباه ﷺ وأكرمه بزواج ابنته الزهراء وساعده في صداقها ، فأى عيب بعد هذا في فقر أبي هريرة الذي اختاره لنفسه لينقطع لحفظ حديث رسول الله ﷺ ؟

وإن كان يعيب أبا هريرة عندك يا أبا رية أكله عند رسول الله وعند بعض أصحابه فلتنب على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر وعمر خروجهم من دورهم للجوع وذهابهم إلى دار أو بستان أبي الهيثم بن التيهان وتقديسه لهم عذقا برطبه وبسره وذبحه لهم عناقاً أو شاة وأكلوا من الرطب والبسر واللحم المشوى وشربوا من الماء المذنب الذي جاء به ابن التيهان من غير بستانه ، وقال ﷺ لهم حينئذ : هذا هو النعيم الذي قال الله فيه ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ . وكان الضيف يأتي إلى رسول الله ﷺ فيسأل أهل بيته عن طعام لضيافته فتخبره زوجاته : ما عندنا إلا الماء ، فيقول رسول الله : من يضيف هذا ؟ فيذهب بعضهم إلى داره وليس عنده إلا طعام أولاده ، فيقول الرجل لزوجته : نوى الأولاد وأطفيء المصباح ونوم الضيف أنا نأكل معه ونؤثره بطعامنا وطعام أولادنا ، فهو يضيف رسول الله ﷺ ، وبصبح للضيف وقد طعم طعامهم وجاعوا هم وأولادهم ، ويقول النبي ﷺ ما معناه : عجب ربك من صنيعكم بضيافتكم الليلة . وينزل الله في ذلك وأسأله ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾

ولقد عاب أبو رية على أبي هريرة ما مدح الله به خيار المؤمنين بقوله ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله ، أولئك هم الصادقون ﴾ ، ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسمهم الجاهل أغنياء من التمغنط تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ وفي الحديث « والله ما الفقر أخشى عليكم » وفي الحديث الآخر : « يدخل فقراء امتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم » الخ

فإذا كان عيب أبي هريرة عند أبي رية فقروا وانقطاعه لطلب العلم فأنعم به وأكرم ، ولعنة الله على المترفين الجرمين الذين قال الله فيهم ﴿ وجعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ﴾

وحينئذ بسط ما هذى به أبو رية في شأن أبي هريرة (ص ١٨٥) بقوله : ومن كان هذا شأنه لا يكون ولا جرم إلا مهينا لا شأن له ولا خطر ، وقد ظل على هذه المهانة زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ، ثم أخذ يظهر في زمن عثمان بعد أنزوائه ، ويبدو للناس بعد جفائه . هـ

أقول : هذا الهذيان ، هذيان الحمومين ، الذي نسي صاحبه ما سيذكره أن عمر ولاه إمارة البحرين ، ونسى هذا الحموم أنه كان عريف أهل الصفة وهم خيار المهاجرين الذين أنزل الله مدحهم في كتابه كما سقت لك بعض ذلك ، ونسى أنه تقدم له أنه كان مجاهدا غازيا في غزوة مؤتة ، ونسى تفقد النبي ﷺ له إذا غاب ، وعاظه إلى أن رفع درجة حرارة الحمى من غيظه أن يكون حافظ الاسلام وراوي أحاديث النبي ﷺ ، فلنتركه في حمى غيظه ولن نستطيع أن نجيب على هذبات الحمومين

يا أستاذ أبا رية ، تبيح منك أن تبيع دينك للروافض بعرض من الدنيا قليل قليل ، قالدين خير من الدنيا وما فيها . وأقبح منه وأقبح وأقبح ، أن تتنازل عن دينك وعن اتباع سبيل المؤمنين بلا شيء ولو اشتروا كتابك بوزنه ذهباً

جاء في حديث مسلم مرفوعاً « بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً ، يبيع دينه بمرض من الدنيا قليل »

وأما ما حكيت عن الطفطقي ابن طباطبا (آخر من ١٨٥) عن كتابه الفخري من أكلات معاوية الخس ، فما أشبهها بروايات ألف ليلة وليلة أو بنوادر الحشاشين ، سواء صحت أو كانت من مقتريات ساداتك الروافض ، فالتاس قد عرفوا في معاوية الحلم والعقل والسخاء والمدل ، وقد حقق ما رشحته له أمه أن يكون سيد الدنيا كلها لا العرب وحدهم ، ولذلك عرف له الحسن بن علي فضله فبايعه البيعة الشرعية وكف عن منازعته في الملك أو الخلاف تحقيقاً لخبر النبي ﷺ في الحسن « إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وقد كان ذلك رغم أنوف محبي الفتن ومثيريها بين المسلمين ، فرضى الله عنه وأرضاه ، ولم تضر المسلمين أكلات معاوية ، ولكن نفعمهم حلة وعقده وعدله وجهاده واجتماع المسلمين عليه ، وهيبة أساطيله في بحر الروم لغزو الروم

سمعت أحد شيوخنا الشيخ عبيد الله السندی رحمه الله يقول ما معناه : الخلافة الراشدة امتداد عصر النبوة ، وتكميل لما بدأه ﷺ من إرساء قواعد الاسلام . وفي عهد بني أمية للملك والوزراء من العرب ، وفي عهد بني العباس الملك عربي والوزراء من العجم ، وفي العهد التركي العثماني الملك والوزراء عجم

فعهد ملوكه ووزرائه عرب هو خير المهورد بمد عصر النبوة والخلافة الراشدة ، لذلك نرى حنق فروخ زنادقة الفرس واليهود من الرافضة شديداً وشديداً جداً وخلفوا له وخرقوا المقتريات والأكاذيب في تسوية سمعته وتشويهها ، وهو العهد الذي تلم زمام أمر الاسلام من الخلافة الراشدة ، ونشره في الخلفين شرقاً إلى حدود الهند والصين ، وغرباً إلى البحر الاطلنطي وجنوب فرنسا ، وفيه ازدهرت الآداب والفنون العربية والعلوم الإسلامية ، فهو أزهى عصور الاسلام بعد عصر الراشدين

فيجىء ابن طباطبا الطنطقي فيشغل عقله بأكلات معاوية لأنه يدين الله بأن أقل خادم
أو مولى لمعاوية خير من عشرات أمثاله وأمثال أمثاله ، ويجىء أبو رية في القرن الرابع
عشر فيقع على قاذورات الروافض وحماقات الشيعة وينقلها في كتاب بسية أضواء على
السنة المحمدية ، ولو سماه ظلمات التشكيك في سنة رسول الله ﷺ كان أقرب
إلى الصدق

وقال أبو رية (ص ١٨٥) ولما ثبت نار الحرب بين علي رضي الله عنه وبين معاوية
- وإن شئت قل : لما انبعث الصراع بين الأموية والهاشمية بعد أن توارى - فرقا من
القوة - في زمن النبي ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر ، وانقسم المسلمون فرقا ، اتجه
أبو هريرة إلى الناحية التي يميل إليها طبعه وتتفق مع هوى نفسه - وهي ناحية معاوية -
إذ كانت تملك من أسباب السلطان والترف والمال والنعيم ما لم تملك ناحية على التي ليس
فيها إلا الفقر والجوع والزهد - وليس بغير على من نشأ نشأة أبي هريرة وعاش عيشته
أن يتنكب الطريق التي تؤدي إلى علي ، وأن يتخذ سبيله إلى معاوية ليشبع نهمه من
ألوان موائده الشهية ، ويقضي وطره من رفده وصلاته وعطاياه السنية . اهـ

أقول : هذا كلام جاهل بالتاريخ ، ذى هوى وعصية جاهلية ، لم يتق الله فيما كتب ،
ولا خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، ولا تأدب بما قيل : تكلم بعلم ،
أو اسكت بعلم

فقوله انبعث الصراع بين الأموية والهاشمية بعد أن توارى فرقا من القوة في زمن
النبي ﷺ وخليفته أبي بكر وعمر ، جهل بالتاريخ . فالمسلمون جميعا أمويهم وهاشميهم
مهاجرون وأنصار كانوا يدا واحدة في جهاد الإسلام ونشر راياته زمن النبي ﷺ وخليفته
أبي بكر وعمر ، ولم تكن هناك نمرة طائفية ولا عصية جاهلية لأمية ولا هاشمية ولا
أوسية ولا خزرجية ، هلا يادب الإسلام ﴿ اعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ، ﴿ إنما
المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا ﴾ والحديث « كلكم لآدم وآدم من تراب »

لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى . وحكمة النبي ﷺ وخليفته
أبي بكر وعمر مضي توجيه المسلمين جميعا إلى نصرة الاسلام ونشره وخدمته ، لم يكن
للمصيبة الجاهلية بينهم مكان

فما نشأ الرفض والتشيع وانتشرت أفكار أهلهم وأفسدوا شأخ الدين بين الناس
من دعوى تفضيل عليّ على أبي بكر وعمر ، ورفع الغلاة عقيرتهم بأنه أحق بالخلافة من
أبي بكر وعمر ، اضطر عليّ أن يقول : من فضلى على أبي بكر وعمر جلدته حد المفتري .
وسأله ابنه محمد بن الحنفية : من أفضل الناس بعد رسول الله ؟ قال : أبو بكر . قال محمد :
ثم من ؟ قال : عمر

انتشرت بين الناس شرور زنادقة الفرس واليهود باسم شيعة آل البيت ، ونشروا
مقرياتهم وأكاذيبهم من اختصاص آل البيت بوحى خصمهم رسول الله ﷺ ، حتى
غناه عليّ وابن عباس . وقولهم على أفضل البشر ومن أبي قد كفر ، ومن كنت مولاة
فمولى ، وغيرها من المفتريات التي فرقوا بها شمل الأمة وآلت إلى قتل ثالث الخلفاء
الراشدين وإشغال نار الفتنة بين عليّ ومعاوية مما لا حاجة لنا إلى الدخول في تفاصيله
والتكلم فيه بلسان شيعة عليّ أو معاوية ، ولا خير في التشيع عموما ، وشره ما كان في
شيعة عليّ من تفضيله على أبي بكر وعمر والتلو فيه إلى تفضيله على النبي ﷺ أو القول
بألوهيته وأنه ارتفع فوق السحاب وأن الخلافة في ذريته آخروا ابن مزعوم للحسن
المسكري قالوا إنه اختفى في السرداب من أكثر من ألف سنة وأنه حي إلى الآن ، إلى
غير ذلك من الضلالات والسخافات والكفريات

وقول أبي ربة عن أبي هريرة إنه أتجه إلى الناحية التي يعمل إليها طبعه وتتفق مع
هوى نفسه وهي ناحية معاوية اذ كانت تملك من أسباب السلطان والترف وللألم
تملك ناحية على التي ليس فيها إلا الفقر والجوع والزهد الحقة فرية على هذا الصحابي الجليل
حسابك عليها يوم القيامة بين يدي الجبار المنتقم الحكيم العدل . ونقول الآن في سبحانك

هذا بهتان عظيم ، ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾

وهل نسبت ما سرك من همز أبي هريرة ولمزه بالفقر والجوع ، ثم جئت الآن تصفه
بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فهل انقلب الجوع والفقر اللذان عبت بها أبا هريرة
مدحا وفضيلة في علي ، أو هو الهوى يذم هذا بما يمدح به ذلك ؟

ثم هل نسبت ما نقلت عن عبد الحسين الرافضي سابقا أن أبا هريرة كان يصلي وراء
علي ويهرب في الجبل وقت القتال قتال أهل العراق وأهل الشام ، فأين اتجاهه إلى ناحية
السلطان والترف ناحية معاوية ، أم هو الهوى يعميك عما قلت فتهدم ما بنيت وتنفي
ما أثبت وتثبت ما نفيت بلا وعى ولا اعتبار لما قيل : إذا كنت كذوباً فكُن ذكوراً ،
ولقد قيل : كل إناء يرشح بما فيه ، فارتشح من أخلاقك خطت من خرقه ثوباً أردت
أن تلبسه أبا هريرة وأبو هريرة برىء من مفتريات المخارقين ، حسب حبه رسول الله ﷺ
إياه وحبه خيار المؤمنين له من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة ، فإذا
سمعت شهادة هؤلاء فن أنت يا أبارية ومن هم ساداتك فروخ زنادقة القرس واليهود من
الروافض وأشباههم ؟

إذا رضيت عنى كرام عشرينى فلا زال غضباناً على لثامها

وقال (أول ص ١٨٦) : وإذا كان قد بلغ من فاقة أبي هريرة وجوعه أن يحز
مفشيا عليه حتى يضع الناس أرجلهم على عنقه ، فهل تراه يدع دولة بنى أمية ذات
السلطان المريض والأطعمة الناعمة وينقلب إلى الزاهد الفقير الذى كان طعامه القديد ؟ إن
هذا مما تأباه طباع الانسانية ولا يتفق والفرائز النفسية اللهم إلا من عصم ربك .
وقليل ما هم . هـ

ونقول لأبي رية : إن أبا هريرة من القليل الذى عصم الله ، وإن جحدت فضله فقد
عرفه له رسول الله ﷺ وخيار الناس

قد تنكر المين ضوء الشمس من رمد ويتكبر الفم طعم الماء من سقم

ورمد عينيك هو الهوى ، وبغض رواة الحديث ، لا سيما أهل الكثرة منهم ، وقد
ذمت أبا هريرة بالجوع والفقر ومدحت عليا بها فأيهما تصدق ؟

أبو هريرة يهاجر من دياره دوس خبا في الإسلام وحبا في الله ورسوله ، وينقطع عن
الدنيا تجارتها وزراعتها ليتفرغ لحفظ حديث رسول الله ﷺ ، فيجىء أبو رية في القرن
الرابع عشر بعينه ويهزه ويلذه بالفقر الذي يمدح به معبود ساداته الرافضة على بن أبي
طالب ، فما هذا التناقض يامن يعقل وينصف ويا أولى الألباب ؟

آمننا وصدقنا بفضل هذا الصحابي اقتداء برسول الله ﷺ وخيار أمته ، وكفرنا
بمفتريات أبي رية وحقده وبغضه وغيظه من حملة العلم النبوي

والمعجب أن هذا المفترى ينقل من الحاية وطبقات ابن سعد ما يريد أن يهدم به
دواوين الاسلام من اللسان والصباح والسنن ، فأى هاوية يتردى فيها صاحب الهوى
والبنى والجور ؟

ودعواه (ص ١٨٦) إغداق بنى أمية على أبي هريرة من أفضالهم ، وأنهم غمروه
برفدهم وأعطيتهم ، فلم يلبث أن تحول حاله من ضيق إلى سعة ومن شظف العيش إلى دعة ،
ومن فقر إلى ثراء ، وبعد أن كان يستر جسده بتمرة بالية صار يلبس الخز
والكتان المشق . هـ

يريد أبو رية أن يتحكم في إرادة الله وحكمه وتديبره حتى كأنه يريد مشاركة الله في
ملكه فلا يريد من الله أن يغنى فقيراً ولا أن يعافى مريضاً ، وأن لا يفعل الله إلا ما يهواه
أبو رية ، فيغيظه أن يغنى الله فقر أبي هريرة ، وغاب عنه قول الله ﴿ الله ييسط الرزق لمن
يشاء من عباده ويقدر ﴾ وقوله ﴿ أم يقسمون رحمة ربك ﴾ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في
الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير
 مما يجمعون ﴾ وقوله ﴿ ولو انبع الحق أهواءهم لفسدت السموات الأرض ﴾ ، ﴿ وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم ﴾

وقال أبو رية (أول من ١٨٧) : ولقد كانت أول لقطة من عين الأمويين إلى أبي هريرة لقاء مناصرته إياهم أن ولّاه بسر بن أرطاة على المدينة بمد أن بعث معاوية إلى أهل الحجاز بفعل فعلاته بهم وبأموالهم وذرائعهم

وجوابك هل هذه القرية عن الطقطقى أو البقيقى أو من جردل الاسكافى ، فقد عهدناك تستقى من جردل هؤلاء ، وهنا أعوزك النقل حتى عن الاسكافى أو الزيدى الذى استسقيت منه سب الصحابة بواسطة أحمد أمين . إن هذه الأكاذيب التى لا خطام لها ولا زمام تسبها فى جرح الصحابة أبو هريرة ومعاوية وبسر بن أرطاة ، فأين كان بقية الصحابة والأخيار ابن عمر ومحمد بن الحنفية وابن أخيه على بن الحسين وغيرهم من السكوت على أفعال بسر بن أرطاة بأهل الحجاز وأموالهم وذرائعهم ، وهم القوم لم يسكتوا على ما هو دون ذلك

ولكنه الهوى والظلم والجور يسوق التهم جزافا إلى خيار خلق الله تعالى ، والموعود الله بين يديه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا

وإذا كان بسر قد ولى أبا هريرة إمارة المدينة وفيها خيار الناس من طبقة ابن عمر وابن عباس وغيرهم من خيار أصحاب رسول الله ﷺ فهى منقبة عظيمة لأبى هريرة تقف شجى فى خلق أبي رية وساداته الروافض من مبغضى أصحاب رسول الله فروخ زنادقة القرس واليهود

قال (ص ١٨٧) : وكذلك كان مروان ينيبه عنه على ولاية المدينة ، ثم زادت أيادهم عليه فبنوا له قصرا بالمعيق ، وأقطعوه أرضا بالمعيق وبذى الحليفة ، ولم يكتبوا بذلك بل زوجه بسر بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان ، وهى التى كان يخدمها أيام عريه وقره بطعام بطنه . هـ

وجوابه أنا لا نعرف قصرا بالمعيق غير قصر سعد بن أبي وقاص ، فبناء قصر لأبى هريرة من بنى أمية كذبة أول ابريل (نيسان) من أبي رية

وأما إقطاعه أرضاً بالمعيق من بني أمية فأشبهه بقطع عباده أرضه بحديث نبيه ﷺ
« من أحيا أرضاً ، موافقاً له » . ولو كان لإقطاع أبي هريرة من بني أمية أصل لكان
بأرض الشام ، أرض الجنات والبساتين ، لا أرض المعيق ذى الحليفة الصحراء
القفراء الجلباء .

وأما زواجه من بسرة بنت غزوان مخدمته أيام عريه وفقره وكان يخدمها بطعام
بطنه ، فذلك كرامة من الله لبسرة إذ زوجها بصاحب رسول الله حافظ الإسلام ، كما
أكرم خديجة أم المؤمنين بزواجها بنبيه ﷺ وقد كان عميلاً لها في مالها إلى الشام ، وتحدث
أبي هريرة بذلك من باب « وأما بنمة ربك فحدث »

وأما قول أبي رية (آخر ص ١٨٧ وحاشيتها) في قول أبي هريرة عن زوجه :
فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية - إن صح ذلك عنه - فن الدناءة والالزم أن
يوصف بأنه كلام تعري عن كل مروة وكرم واتسم بكل دناءة ولؤم ، وأن يقال :
فنجده يباهى بامتهان زوجه والتشفي منها ، وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج
من أصل عريق . هـ

ونقول لأبي رية : إن بسرة بنت غزوان ، وقد زعمت أنها أخت الأمير عتبة بن
غزوان ، تعرف كرامتها عند زوجها ودعابته لها ، ولو كانت لا تربد عشرة أبي هريرة فما
الذي كان يكرها على عشرة رجل نسه أنت بالدناءة والقوم ، وعدم الكرم ،
وعدم عراقة الأصل

هل كانت بسرة أمة مملوكة له حتى تتحمل ما عدهته أنت إهانة لها ، ولو كانت أمة
رقية له ولم يعجبها خلفه وعدم كرم أصله لقالت : أين سوق السلطان الذى تباع فيه
الاماء ؟ أما وهى خرة وأخت أمير ، فما الذى يكرها على عشرة لثيم ذنى . أيها الوقح
الساس النفاثة فى العقد . وهذا الكلام إن صح عن أبي هريرة كان سيئله سيئله مداعبة
الرجل لأهله ، وما أسخف عقل من يدخل فى مداعبة الرجل لأهله ، وما أقل أدبه ،

وما أقل مروءته . لا سيما إذا كانت قخته على حافظ سنة رسول الله لأنه حفظها للمسلمين وللإنسانية ، وهو صاحب من أصحاب رسول الله ﷺ تعلم منه حسن عشرة الناس ولا سيما الأهل والأزواج . لقد سبق رسول الله ﷺ زوجه عائشة مرتين ، سبقها في الأولى وسبقته في الثانية لما بدن وكبرت سنه ، وقال لها : هذه بتلك ، فمن تدخل بهذا بتعليقاته السخيفة وعده منافيا للوقار والحشمة أو غير ذلك من سخافات أهل السخف ، لذلك اذقنا هذا للتدخل ، وأعرضنا عن صفته التي هي أفصح من اللغو يمر به السكرام كراما

وقال أبو رية (آخر ص ١٨٧) : ولم يكن ما قدم أبو هريرة جهادا بسيفه أو بماله ، وإنما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين يخذل بها أنصار علي ويطمئن عليه ويجعل الناس يبرأون منه ويشيد بفضل معاوية . هـ

وجوابه أن هذا من نوع ما قبله ، مقتريات رافضية لم تنقلها عن الطقطقي أو البهقي أو الاسكاف أو عبد الحسين ، وسيتمها سوائب من نوع ما كان يسيه المشركون لأهلهم ، وأبو هريرة أتى الله تعالى منك ومن آلاف من ساداتك فروخ الفرس والمجوس الذين جمعوا بين بغض الاسلام وأهله من صحابة النبي ﷺ فن بخدم من خيار الأمة ، إلى الافتراء والخرق والاختلاق عليهم ، وحسبك بمثالب الصحابة لابن السكلي

ومثل هذه القرى والأكاذيب مما نمرض عنه ونستريح منه ، والحساب بين يدي الله يوم القيامة

وقال أبو رية (ص ١٨٨) : وقد كان مما رواه أحاديث في فضل عثمان ومعاوية وغيرهما ممن يمت بأواصر القرى إلى آل أبي العاص وسائر بني أمية . قال : وروى البيهقي عنه أنه لما دخل دار عثمان وهو محصور استأذن في الكلام ، ولما أذن له قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنكم متلقون بعدى فتنة واختلافا . فقال له قائل من الناس : فمن لنا يا رسول الله ؟ أو ما تأمرنا ؟ فقال : عليكم بالأمين وأصحابه ، وهو يشير إلى عثمان . وقد أورده أحمد بسند جيد . اهـ

ونقول لمبغض أصحاب رسول الله والمحترق من رواية فضائلهم : ليس هذا الحديث بكثير على فضل عثمان ذى النورين ثالث الخلفاء الراشدين باجماع المهاجرين والأنصار وزوج بنتي النبي ﷺ ولو كان عند النبي ﷺ بنت ثالثة لزوجها إياها ، وهو مجهز جيش المسرة بالنى جل بأقتابها ورحالها ، حتى قال ﷺ : أما عثمان فقد أوجب بعد اليوم ، وليس على عثمان بأس بعد اليوم

وعثمان هو الذى قدمه المهاجرون والأنصار حتى الخدرات فى خدورهن عند مشاورة عبد الرحمن لهم فى الموازنة للإمامة بينه وبين معبود الزوافض الذين أفندوا فضله بغلوهم فيه إلى درجة الألوهية رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب

أيها الفيلسوف فى القرن الرابع عشر ، تعيب على الحديثين اشتغالهم بالسند وصحة من ضعفه ولا ينظرون إلى المتن وموافقة العقل - وهنا عميت عما عتبه عليهم ، فكل ذى لب وعقل يجزم بأن أبا هريرة لو تلاقى لأحد لتلقى للشوار الذين يحاصرون عثمان ، ولتحول من رجل محصور مغلوب على أمره ، فيتحدث بحديث قد يكون سببا فى إراقة دمه من الثوار المحاصرين للخليفة الذى لا يملك دفاعا عن نفسه

فهل كان أبو هريرة قد اطلع على الغيب فعلم منه أنه ستقوم لبني أمية دولة فتقرب إلى محصورها بوضع هذا الحديث ؟ أنصفونا يا أولى الألباب

أبو هريرة الذى كان يتعوذ من رأس الستين ومن إمارة الصبيان يكذب لعثمان وهو محصور لا يملك الدفاع عن نفسه ولا يستطيع الخروج إلى المسجد وهو إمام المسلمين ليصل فيه بالناس ، ويمنع من شرب ماء بئر روما التى اشتراها بماله للمسلمين ، فلا يقدر على الشرب منها ؟ أين عقول أولى الألباب وإنصاف المنصفين ليحكموا على خرق هذا للأفون فى تكذيب أبى هريرة فى روايته لحديث فى فضل عثمان وهو محصور وسيوف الثائرين مصلة على رأسه وروس محبيه

وقال أبو ريرة (ص ١٨٨) ولما نسخ عثمان للمصاحف دخل عليه أبو هريرة فقال أصبت .

ووقت ، أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أشد أمتي حبالى يوم القيامة ، قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ولم يرونى ، يملون بما فى الورق الملقى . حتى رأيت المصاحف . قال فأعجب ذلك عثمان وأمر لأبى هريرة بعشرة آلاف

قال أبو رية : وهذا الحديث من غرائب ، وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته (ص ٢١٦ ج ٧ البداية والنهاية)

وبقال لأبى رية : البداية والنهاية لابن كثير ليس بدويان من دواوين الحديث حتى تمزوا اليه وتفعل عزو ابن كثير للحديث ، وقد جربنا عليك خيانة النقل فتنقل ما تظن أنه لك وتترك ما هو عليك

وعمل عثمان فى كتابة للمصحف الامام هو الذى منع تفرق الناس فى كتاب الله لما قال له حذيفة بن اليمان أدرك أمة محمد قبل أن يختلفوا فى كتاب الله كما اختلف فيه من قبلهم حينما رأى الناس فى غزوة أذربيجان وكل واحد يصوب قراءته لأنها عن فلان ويخطئ . قراءة غيره ، فقال حذيفة لعثمان أدرك أمة محمد الخ ، فكتب عثمان للمصاحف الأربعة وأمر بإحراق ما سواها ، فحفظ كتاب الله ، وعصم الله به الأمة من الاختلاف فى كتابها ، وحمد الناس عمل عثمان وأثنوا عليه خيراً

واحذر يا أبا رية أن تكون من الشيعة الذين يقولون ان هناك وحيا غير القرآن فيه خلافة على وتقديمه على سائر الصحابة ، أو أن الصحابة خوفاً من أبى بكر وعمر حذفوا من القرآن ما يشهد لضلالهم وكفرهم ، ونقموا على عثمان عمله فى جمع الناس على قراءة النبي ﷺ فى العرصة الأخيرة وترك ما كان رخص للناس من قراءات أخرى تسع الشيخ الكبير والمرأة المجوز والمبيد ونحوهم . أما ان كنت من أولئك الناقمين على عثمان عمله فى جمع الناس على مصحف سجل آخر عرضات جبريل على النبي ﷺ فاسلك بعد ذلك من سبل الضلال ما شئت فان تضرر إلا نفسك

وحديث أبى هريرة فى البداية والنهاية من طريق الواقدي عن [أبى بكر بن عبد الله

ابن محمد [ابن أبي سبرة . والواقدي مشهور بالكذب وابن أبي سبرة يضع الحديث . وان ابن كثير كان أميناً بإثبات مصدر هذا الخبر ، وأنت لم تكن أميناً بتعريبه عن مصدره أى سنده فلا يعلم قارى كتابك أن هذا الحديث مروى عن كذاب ، وأن هذا الكذاب يرويه عن رجل كان يضع الحديث

قال أبو رية (ص ١٨٨) : ومن غرائب كذلك - يعنى أبا هريرة - ما رواه البيهقي (ص ١١٧ ج ٧ من البداية والنهاية) قال : أصبت بثلاث مصيبات فى الاسلام لم أصب بمثلن ، موت رسول الله ﷺ وكنت صويحبه ، وقتل عثمان ، وللزود . قالوا وما للزود يا أبا هريرة ؟ قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر ، فقال : يا أبا هريرة أملك شئ ؟ قلت : نمر فى مزود . قال : جئ به . فأخرجت نمرأ فأتيت به ، فسه ودعا فيه ، ثم قال : ادع عشرة ، فدعوت عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله . وبقي من نمر معنى فى الزود . فقال : يا أبا هريرة إذا أردت أن تأخذ منه شيئاً فادخل يدك ولا تسكنه . قال فأكلت منه حياة النبي ﷺ ، وأكلت منه حياة أبى بكر كلها ، وأكلت منه حياة عمر كلها ، وأكلت منه حياة عثمان ، فلما قتل عثمان انتهب ما فى يدي وانتهب للزود . ألا أخبركم كم أكلت منه ؟ أكلت منه أكثر من متى وسق . قال أبو رية : وهذا الحديث رواه أحد ، ولكن قال فيه إن رسول الله هو الذى أعطاه النمر وأنه هو الذى جمعه فى مكمل وعاقه فى سقف البيت

قال الوقح أبو رية : وكأنه يريد - وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان - أن يتقاضى ثمنه من بنى أمية ، وقد عوضوه عنه بالشئ الكثير . ١٠ هـ

وقد أعرضت عن نقل ما تهكم به على أبى هريرة قاله هو حسيبه على ذلك ، وجواب هذا السفيه الوقح أن يقال له : ما الذى استغربت من هذا الذى قبله ثلاثة من أئمة العلم والدين أولهم أحمد بن حنبل والثانى البيهقي والثالث ابن كثير ؟ هل تظن أن يكذب الناس هؤلاء الأئمة ويصدقوا سخفك وكفرانك بأحاديث النبي ﷺ ؟ هل استغربت

منه أن موت النبي ﷺ مصيبة ، أو أن قتل عثمان كذلك ؟ ولعل أعظم ذلك عندنا ما في الحديث عن البركة النبوية التي لها نظائر لا تحصى : فكملة الماء القليل حتى يتروضا منه المائات ، والماء من مزادتي امرأة مشركة حتى شرب منه الجيش وملؤا قلوبهم وأوانيهم ولزادتان لم تنفصا ، وعناق جابر وصاع شعير أكل منها جيش الخندق وكانوا بين السمانة إلى الثمانمائة ، إلى غير ذلك مما هو شجى في حلق من في قلوبهم مرض من رسالات الله . وإذا كان يفيظ أبارية أمثال هذه الآيات والمعجزات التي أكرم الله بها نبيه ويكره روايتها ويسخر من الخدثين بها فليت بفيظه ، فلن يضرب الله شيئا ، ولا يضرب رسوله وحلة حديثه أمثال ذلك

وأما تمهم أبي رية في قول أبي هريرة حتى أكل الجيش كله فهذا أبو رية بأبي هريرة بقوله « وأى جيش يامولانا » وبقوله « ولعله كان مملقا بالصفة » وعند قول أبي هريرة : فلما قتل عثمان قال - « هنا السر » وقوله « كأنه يريد وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان أن يتقاضى منه من بنى أمية وقد عوضوه بالشئ الكثير »

فيقال لهذا المكذب بما لم يحط به علما ، ولأله على كذبه وتكذيبه دليل من جردل الاسكافي : إن أبا هريرة ياجماع خيار الأمة أتقى لله من أن يكذب على غير رسوله فضلا عن رسوله ﷺ طمعا في دنيا ، ولعل ذلك خلق الذين يتطاولون على خيار الأمة من الصعابة والتابعين وأئمة العلم وحلة الآثار النبوية طمعا فيما يطمع به تجار الرأي والدعايات من فضلات الرائضة وأعداء الاسلام ، والكذاب يظن الناس كلهم كذبة والطامع فيما بأيدي الناس يظن الناس كلهم طامعين

ولسنا في حاجة إلى جواب ما ألقى بأبي هريرة في ص ١٨٩ وحواشيها قلاعن الخطيب البغدادي وابن عساكر والعقد الفريد والشعر والشعراء لابن قتيبة ، فليست هذه من الكتب المعتمدة عندهم ، ومن يريد أن يلصق بأبي هريرة تهمة الكذب من بؤرة الموضوعات والمصادر غير للسندة إلى الثقات فقد ضل سواء السبيل

وسأراجع الجزء الثامن من البدية والنهاية لابن كثير ص ١٢٠ حتى أعرف قيمة أمانتك في النقل ، فقد جرب عليك انك تنقل ما تظن فيه فائدة لك ، وتترك ما هو حجة عليك ، وإن الظن في ابن كثير أنه لا يسكت على المنكر حتى يبين نكاحه سواء في تفسيره أو تاريخه

وقال أبو رية (أول ص ١٩٠) : (وضعه أحاديث على علي) قال أبو جعفر الاسكافي (ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة) إن معاوية حمل قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيصة على علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم في ذلك جملا ، فاختلقوا له ما أراضاه ، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير . ١٠ هـ

وأقول : والله العظيم جبار السموات والأرض إن أبا هريرة وعمر بن العاص والمغيرة ابن شعبة ومعاوية من الصحابة وعروة بن الزبير من التابعين أتق الله تعالى ألف مرة منك يا إسكافي ، ومنك يا ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة ، فكلانا من خير الرافضة مبغضى الاسلام ومحابة نبيه الكريم . وانت يا أبارية فلن تضر الله شيئا ولن تضر أصحاب رسول الله ﷺ الذين أجمع أجيال التاريخ ونزلت آيات السماء بأنهم خير أمة أخرجت للناس والمعجب من أبي رية كيف رضى لنفسه أن يصب من في هذين الرافضين ويشرب من قيع غيظها من محابة رسول الله ، ثم يصب ذلك القى . وذلك الصديد في كتاب يسميه أضواء على السنة المحمدية أما كان الأجدر به أن يسميه غيظا وحنقا وبغضا للسنة المحمدية وأهلها ورواتها ؟

وقال أبو رية (ص ١٩٠) : وروي الأعشى لما قدم أبو هريرة العراق عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلته مرارا وقال : يا أهل العراق أتزعمون أنى أكذب على الله ورسول الله وأحرق قسى نبالنا - إلى أن قال : وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها - بى المدينة - فلما بلغ معاوية قوله

أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة . ٥ . وعلق أبو رية على قول أبي هريرة : أتزعون أني أكذب على الله ورسول الله ، علق بقوله : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي قد اشتهر حتى عم الآفاق لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان . ٥١

وجوابه : ليس بالمعجب على بعض أهل العراق أن يكذبوا أبا هريرة فقد كفروا أبا بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة إلا عليا وبعض شيعته وألجأ عليا ورفعوه إلى السحاب ، واقتروا على آل البيت أن عندهم رجلا غير القرآن حتى نفى ذلك على وابن عباس وإجماع المسلمين ، فلا عجب على من هذه حالهم أن يكذبوا أبا هريرة ويلعنوا أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وغيرهم من خواص أصحاب رسول الله ﷺ

وأما ما زعمت أنه لما بلغ معاوية قول أبي هريرة وأشهد بالله أن عليا أحدث فيها - أي للمدينة - أجاز أبا هريرة وأكرمه وولاه إمارة المدينة ، فليت شعري من أي جردل من جردال الاسكافي ، أو من أي جعبة من جعب أكاذيب الرافضة أخذت ذلك ، فآله حبيبك أيها القترى النوى

وقولك في أول الحكاية المقتناة : روى الأعمش : لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة الخ ، جهالة بالتاريخ وطبقات الرواة ، وويل للعلم إذا تكلم فيه من لا يحسنه . إن الأعمش أقصى ما عرف له أنه رأى أنس بن مالك وصلى خلف للقيام ، يعني أنه كان صغيرا يميز في آخر حياة أنس الذي عاش إلى ما بعد المائة ، فلهذا لم يولد إلا قبل المائة بقليل ، فأين له معاصرة قصة وقعت عام الجماعة سنة إحدى وأربعين فينته وبين ذلك مفاز تنقطع فيها أعناق الأبل

هذه الاسطورة تشهد بجهالة واضعها من حير الرافضة الذين لا يعرفون إلا سب الصحابة وبفسهم وتكفيرهم وتكذيبهم ، والافتراء عليهم وعلى التاريخ وإذا كنت تنقل عن الاسكافي وابن أبي الحديد وأمثالهما من حير الرافضة فن ابن

نقلت هذه الاسطورة ، أمن جردل الاسكافي وابن أبي الحديد ، واستحييت
أن تذكرهما ؟

كذب أبي هريرة يشتهر في زعمك حتى يعم الآفاق ، ولا يبلغ خيار الأمة من
الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم القيامة ، ولا يعرفه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا
علي - الخلفاء الراشدون - ولا يعرفه أجلاء التابعين سعيد بن المسيب وابن سيرين والحسن
البصري وفقهاء المدينة السبعة ومن أخذ عنهم كالزهرى ومالك والثوري وابن عينة
والخاديين وابن المبارك وأئمة الفقه : الشافعي وأحمد ، وأئمة الحديث : البخاري ومسلم وأصحاب
السنن ومن بعدهم ، فتجبر أنت وتشرب من جردل الاسكافي وابن أبي الحديد صنعة
ابن العلقمى لتزعم شهرة كذب أبي هريرة حتى تعم الآفاق ؟ وهل يخيل إليك سخفك أن
الأمة الاسلامية تكذب كل هؤلاء الأئمة للمعاصرين لأبي هريرة ومن بعدهم وتصدق
بهتك وافترائك على أبي هريرة وخيار الأمة من التابعين وتابعيهم بإحسان ؟ لا . لا . يا أبا
رية . لسنا مستعدين للتنازل عن عقولنا وديننا لنمشى وراءك ونتبع غير سبيل المؤمنين ونشاقق
الله ورسوله . فتولأ أنت من شئت ، واسلك ما شئت من سبيل الضلالة

وذكر أبو رية (ص ١٩١) حديث مسلم عن سعيد بن العاص في طلب معاوية من
سعد أن يسب أبا تراب - يعني عليا - وذكر سعد ثلاث فضائل من فضائل علي الخ

أما ما ذكر سعد - يعني ابن أبي وقاص - من فضائل علي الحق تؤمن به وتعترف له بغير
هذه الثلاثة من فضائله رضى الله عنه ، ومنها أنه رابع الخلفاء الراشدين رضى الله
عنهم أجمعين

وأما طلب معاوية من سعد سب على فكان في نظر معاوية جزاء ما بدأ به على من
سب لخصومه كما قال تعالى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾
وقوله ﴿ ولئن انتصر من بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، إنما السبيل على الذين يظلمون
الناس بغير الحق ﴾ وما جرى من الصحابة من أمثال هذه الهنات فنسك عنه ولهم من
م - ١٣ * ظلمات أبي رية

الحسنات ما يغمرها ، ونحمد لسعد كفه عن سباب علي كما نحمد له اعتزاله للفتنة كما اعتزلها غيره من خيار الصحابة ابن عمر وأسامة بن زيد حب رسول الله وابن حبه وغيرهم . وكما قل أبو رية عن عبد الحسين الرافضي أن أبا هريرة كان يهرب إلى الجبل وقت القتال أي قتال الفتنة ، فحمدوا هؤلاء الذين طهروا سيوفهم فلم يلوثوها بدماء المسلمين

ويفخر الله للذين دخلوا في الفتنة بما لهم من الحسنات الماحية للسيئات

وقال أبو رية (ص ١٩٢) : سيرته - أي سيرة أبي هريرة - في ولايته . قال : استعمل عمر أبا هريرة على البحرين سنة ٢١ هـ ثم بلغه عنه أشياء تحل بأمانة الوالي فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي . واستدعاه وقال له : هل علمت من حين أني استخلفتك على البحرين وأنت بلا نعلين ، ثم بلغني أنك ابتعت أفراسا بألف دينار وستائة دينار . فقال : كانت لنا أفراس تنأجت وعطايا تلاحقت . قال : قد حبيت لك رزقك ومؤنتك ، وهذا فضل فأدّه . فقال له : ليس لك ذلك . فأجابه عمر : بلى والله وأوجع ظهرك . ثم قام إليه بالدرّة فضربه حتى أدماه . ثم قال له : اثبت بها . قال : أحسبنتها . فقال له عمر : ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعا . أجبث من أنفى حجر بالبحرين يجبي الناس لك ؟ لا لله ولا للمسلمين . ما رجعت بك أميمة (أم أبي هريرة) إلا لرعية الحر . وفي رواية عن أبي هريرة نفسه أن عمر قال : يا عدو الله وعدو كتابه ، سرقت مال الله ، من أين اجتمعت لك عشرة آلاف . هـ

قال أبو رية (حاشية ص ١٩٣) : ما ولدتك أمك إلا لرعية الحر ، وانظر هل تجد عمر يخاطب غير أبي هريرة بمثل هذه اللهجة القاسية التي تتم عن الاحتقار الشديد ، وأي احتقار أبلغ من أن يصفه بأنه لا يصلح إلا لرعية الحر . هـ

أقول : هذه القريبات التي ساقها أبو رية في تخريج أبي هريرة وتحقيره رماها سائبة بلا خطام ولا زمام تقربا لأصنامهم من حمير الرافضة فهو الأولى بها ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون ﴾ وتقول نحن في ذلك ﴿ سبحانهك هذا بهتان عظيم ﴾

ولو وجدها أبو رية في جردل من جردل الاسكافي وأمثاله من مجازي الرافضة - لما تأخر عن عزوها إليه ، فهو مختلفها وخارقها ومفتريها إلى أن يخرج من افتراءها إلى مصدر يؤخذ بنقله من ثقات الرواة والمؤرخين ، حينئذ يكون لنا مجال للجواب عنها

ولعل مفتريها الذي لم يستطع أبو رية أن يفصح به من مبعضى عمر وسائر الصحابة فلفق هذه التهمة لتشويه سيرة عمر وتحقير أبي هريرة

وأبو هريرة له أسوة بأبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة الذين يكتفرون هؤلاء القروخ من زنادقة الفرس واليهود زارعى شجرة الرقص وبغض الاسلام وأهله

وقد سجلنا عليك اعترافك بأن عمر ولاء إمارة البحرين ، وهو بما يهدم قولك سابقا إنه كان لا خطر له أيام أبي بكر وعمر ، فأى خطر أعظم من تولية عمر إمارة البحرين ، وهكذا تتناقض أولا وآخر

وقال أبو رية (ص ١٩٣) : وفاته - يعنى أبا هريرة - وذكر أن موته كان سنة ٥٧ أو ٥٨ بقصره بالعقيق ، وحمل إلى المدينة ودفن بالبقيع ، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان يومئذ على المدينة تكريما له . ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية يعنى له أبا هريرة أرسل اليه معاوية : انظر من ترك وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل اليهم معروفا . وهكذا يترادف ردفهم له حتى بعد وفاته . هـ

وقولك صلى عليه الوليد بن عتبة أمير المدينة تكريما له ، جهل منك بوظائف الإمارة التى منها إمامة الصلاة ، فليست صلاته على أبي هريرة تكريما له وإنما هو واجب الإمارة ، ولئن قام أمير المدينة بذلك فهو أهل للتكريم رغم أنك وأنف مبعضى الصحابة وأعداء الاسلام . وأما ردفهم لورثته بعشرة آلاف ، فقد سببها كسائب الأصنام بلا خطام ولا زمام ، وما أكثر سوائبك التى تتقرب بها إلى أصنامك الروافض ، ومثلها وسائر سوائبك لا قيمة لها كسائب المشركين لآلهتهم ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ﴾

قال (ص ١٩٣ - ١٩٤) : وقد صرح - يعني أبا هريرة - بالسماع في حديث « خلق الله التربة يوم السبت » وقد جزموا بأن هذا الحديث أخذه من كعب الأحبار - وفي حاشية ص ١٩٦ قال أبو رية : ثبت السيد رشيد رحمه الله كما ثبت غيره أنه غير صادق في ادعائه أنه سمع هذا الحديث من النبي ﷺ . هـ

وجوابه أن الحافظ ابن كثير قال في البداية والنهاية (١٧، ١٨ ج ١) : وقد تسكلم في هذا الحديث على بن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ ، قال البخاري في التاريخ : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح . قال ابن كثير : فكأن هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعا إلى النبي ﷺ وأكده رفعه بقوله أخذ رسول الله ﷺ بيدي . هـ

فترى ابن كثير وهو المحدث الحافظ للفسر المؤرخ يقول « فوهم بعض الرواة » يعني لا أبو هريرة ، فجعله مرفوعا إلى النبي ﷺ . فأيعما أصدق قبيلا : ابن كثير في قوله « فوهم بعض الرواة ، لا أبو هريرة » ؟ أم أنت - يا أبا رية - ومن قلدهم في تكذيب أبي هريرة ؟

ثم إن البخاري يقول في تاريخه - على ما نقله ابن كثير - وقال بعضهم عن كعب وهو أصح . فترى البخاري يقول وقال بعضهم عن كعب وهو أصح فبشير إلى أن للحديث طريقتين : أحدهما عن كعب وأنه أصح - يعني والآخر عن النبي ﷺ وهو صحيح كما تنفيده عبارة أصح التي يقابلها الصحيح ، فالبخاري لم يجزم كما زعمتم بأنه عن كعب وإنما قال : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح ، ومن لازمه أنه عن النبي صحيح وهو ما اختاره أحد ومسلم والنسائي ، فاخترأوا ما هو صحيح ولم يخرجوا ما هو عن كعب لأنهم لا يخرجون أحاديث كعب ما دام عن النبي ﷺ صحيحا عندهم فأخرجوا ما هو صحيح عندهم وتنفيده عبارة البخاري في تاريخه

وأما علي بن المديني الذي أجاب في فتنة القول بخلق القرآن فأحمد بن حنبل أقوى

منه وأثبت ، ولذلك لم يخرج له مسلم ولا النسائي

والبيهقي لا يبلغ في الحديث درجة مسلم والنسائي فضلا عن الامام أحمد

فحديث يختلف فيه العلماء هذا الاختلاف : يصححه البخاري - وإن جعل طريقه إلى كعب أصح - ويخرجه أحد مسلم والنسائي ليس من جزموا كما زعمتم بأنه أخذ أبو هريرة عن كعب

وقد ذكرت فيما مضى صحة الحديث ووجهه عقلا ونقلا ، وبينت عدم صحة قول من زعم أنه مخالف للكتاب العزيز ، بل هو مبين للكتاب العزيز وعلم من أعلام النبوة ويعجب أبا رية (آخر ص ١٩٦) قول علماء الكلام الذين وصفهم بأنهم أصحاب العقول الصريحة : أنهم - أي رجال الحديث - ينسبون الشيخ إلى الكذب ، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدر يحيى بن معين وعلي بن اللدين وأشباههما ، ويحتجون بحديث أبي هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أ كذبه عمر وعثمان وعائشة ص ١٠ و ١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث . هـ

وليراجع كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة ، فقد جُرِّبَت خيانة أبي رية في النقل ، كما سبق له النقل عن تفسير ابن كثير وتاريخه البداية والنهاية

ثم نقول للذين وصفهم بأنهم أصحاب العقول الصريحة : هذه جهالة فاضحة بطريقة أهل الحديث ، بل بما فطر الله عليه البشر ، فمن ثبت كذبه بشهادة إمام من أئمة الجرح والتعديل كيعحي بن معين وعلي بن اللدين والامام أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وأمثالم لا يكتب عنه أى شيء أصلا وافق غيره أو خالفه مادام قد تردى في هوة الكذب ، وما وافق عليه غيره إن كان هذا الغير من الثقات ففيه غنية وكفاية عن الكذاب ، وإن كان هالكاً مثله فلا خير في الهالكين معها تمددوا (١) ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون ﴿

ودعوا أن أصحاب الحديث يكتبون عن أبي هريرة ما خالفه فيه غيره من الصحابة

كذب عليهم وزور ، فان كتبوا عنه نحو ذلك فانما لينظروا في الجمع بينها أو الترجيح أو بيان النسخ من للنسخ .

وقول هؤلاء الذين أبهمهم أبو رية لأنهم ميتات موقوفة ، قولهم : إن أبا هريرة أ كذبه عمر وعلى وعثمان وعائشة ، فقولهم هذا من أكاذيب أول أبريل (نيسان) ، بل إن كذبات أول إبريل قد تكون أهون ضررا من هذه الكذبة في حق صحابي جليل كأبي هريرة . ولما ذالم يفصح أبو رية عن أسماء هذه الميتات حتى نرى هل يباح أكلمها للمضطر أو هي قبيح وصديد

وقال أبو رية (أول ص ١٩٧) : وما يبناه من تاريخ أبي هريرة قد سقناه لك على حقيقته ، وأظهرنا شخصية أبي هريرة كما خلقها الله ، ولم نأت بشيء من عند أنفسنا ، بل أتينا بالروايات الصحيحة فيها ، ورجعنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها ، ولا يدنو الرب منها . هـ

أقول : هل دَوَّن التاريخ في صفحاته أسمح من هذا البهتان ؟ وهل سجل صفاقة أقبح من هذه الصفاقة ؟ ولأذ كر لك أمثلة مما زعم البهات أنها روايات صحيحة ، ومصادر ثابتة لا يرقى إليها الشك ولا يدنو منها الرب :

(١) نقله (ص ١٥٦) عن ثمار القلوب في المضاف والنسب للثعالبي من أدباء الشيعة أن أبا هريرة كان مزاحا أ كولا ، وكان بمجبه المضيرة جدا ، فبدأ كل مع معاوية ، فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على ويقول : مضيرة معاوية أدم ، والصلاة خلف على أفضل ، وكان يقال له شيخ المضيرة

فهل هذا من الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى الشك إليها ولا يدنو الرب منها ؟ وهل على كان حينئذ مقيا في دمشق فيقوم أبو هريرة عن مضيرة معاوية إلى صلاة على ، أم معاوية كان حينئذ بالكوفة ، ومتى كان ذلك ؟

يا أهل العقول أنصفونا من البهاتين

(٢) ونقل (في حاشية ص ١٥٧) عن عبد الحسين شرف الدين الداعية الشجى الذى وصفه أبو رية بأنه عالم محقق عن كتابه (أبو هريرة) الذى وصفه أبو رية بأنه قيم قال عبد الحسين : يظهر من هذه الحسكاية وغيرها أنه حضر وقعة صفين وأنه كان يصانع الفقيين - قال : وحدث غير واحد أن أبا هريرة كان فى بعض الأيام يصلى فى جماعة على وياكل فى جماعة معاوية فإذا جرى الوطيس لحق بالجبل فإذا سئل قال : على أعلم ، ومعاوية أدم ، والجبل أسلم

أقول : فهل هذه رواية صحيحة ومصدر ثابت لا يرقى إليه الشك ولا يدنو إليه الرب . ولو كان كل من معسكر على ومعسكر معاوية بمساحة منزل صغير فى حارة واحدة لتعذرت هذه التتقلات على أبى هريرة فى زمن الحرب - ترى هل بقى عند أبى رية وشيخه عبد الحسين شيء من عقل وحياء وإنصاف ؟

(٣) ونقل (ص ١٥٨) عن خاص انلصاص للثعالجى قول أبى هريرة : ما شئت رائحة أطيب من رائحة الخبز ، وما رأيت فارساً أحسن من زيد على تمر . فهل هذه رواية صحيحة ومصدر لا شك فيه يا أبارية ؟ « الى استحواماتوا » . وفى الحديث « اذا لم تستح فاصنع ما شئت »

(٤) وقال أبو رية (أول ص ١٦١) أجمع مؤرخو أبى هريرة على أنه كان رجلاً مزاحاً يتودد إلى الناس ويسلمهم بكثرة الحديث والإغراب فى القول ليشتد ميلهم إليه اذكر لنا من أهل هذا الإجماع مؤرخاً واحداً من ثقات المؤرخين : البخارى فى توارىخه الثلاثة الكبير والأوسط والصغير ، تاريخ يحيى بن معين ، الأسماء والكنى للدولابى وأمثالم - وإلا فانت كذاب بهات

(٥) قال (ص ١٦١) : ولقد كانوا يتكلمون بروايته ويتنذرون عليها ، لما تنفن فيها وأكثر منها

لم تذكر سنداً لذلك إلا استنتاجك السخيف الذى لا يوافقك عليه عاقل من سؤال

القرئى أبا هريرة عما ورد في الحديث في مثل حلتى ، قلت : يبدو من سؤال هذا الرجل أنه لم يكن مستفها وإنما كان متهمًا . فبدأ لهواك الأعمى وتقلبك المتلى ، صديداً من بنفص أصحاب رسول الله ﷺ عموماً وأبى هريرة خاصة أن هذا سؤال تهكم لا سؤال استفهام ، والظن أكذب الحديث إذا لم ينشأ من هوى وجهالة : فكيف إذا كان مثل ظنك هذا ظن هوى وبغى وعصبية رافضية ؟

(٦) ونقله (ص ١٦٣) عن ابن عساكر أن عمر قال لأبى هريرة : لتترك الحديث عن رسول الله أو لأخفك بأرض دوس أو بأرض القرعة . ومتى كان تاريخ ابن عساكر من مراجع الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى إليها الشك ولا يدنو منها الرب أيها الجاهل ؟

أنت تشكك في دواوين الاسلام التي هي أصح قول البشر كالبخارى ومسلم والسنن والمسند التي أجمع المسلمون على قبولها ، وتأتى هنا برواية عن ابن عساكر تصفها بالصحة والثبوت وعدم الشك والريب ، فهل رأى الناس تناقضاً أو وقع من هذا وأسمج وأجهل وأظلم ؟ (٨،٧) وروايته (ص ١٦٤) عن الطبرانى في الكبير وعن ابن عساكر حديث « إذا لم تحموا حراماً » الخ وحديث « إذا حدثتم عنى بحديث هو لله عز وجل رضا » الخ

فهل مجرد رواية للطبرانى في الكبير وابن عساكر في تاريخه يجعلها روايات صحيحة ومصادر ثابتة لا شك ولا ريب فيها ، بينما دواوين الاسلام المحترمة وكتب الصحاح التي تحرم أصحابها صحة النقل وسائر السنن والمسند هي موضع شك أبى ربة ، فيا للمعجب كل المعجب ؟

(٩) ونقله (ص ١٦٦) عن مصطفى صادق الرافعى قوله : ومن اتهم أبا هريرة بالكذب عمر وعثمان وعلى ، وقوله أول رواية اتهم في الاسلام - يعنى أبا هريرة فن هو صادق الرافعى هذا حتى يتهم أبا هريرة صاحب رسول الله ﷺ ؟ أهذه رواية

صحيحة ومصدر ثابت لا يرقى إليه الشك ولا يدنو إليه الريب ؟

(١٠) وقولك (ص ١٦٨) : وكان على رضى الله عنه سبى الرأى فيه ، وقال عنه
ألا إنه أكذب الناس ، أو قال : أكذب الأحياء على رسول الله لأبو هريرة .
أين الرواية الصحيحة والمصدر الثابت عن على في ذلك ؟ ولعلها من أكاذيب عبدة
على من حير الرافضة

(١١) وقولك (ص ١٦٨) : ولما سمع الزبير أحاديثه قال : صدق وكذب (وعلفت
عليها : ص ١٠٩ ج ٨ من البداية والنهاية) وصاحب البداية والنهاية من حفاظ القرن
الثامن بعزو ما ينقله إلى من رواه ، فلم لم تذكر عزوه ولا أظنك إلا خائنا فيما تنقل كما ثبت
ذلك عليك مرارا ، تنقل ما تظن أنه يفيدك ، وتترك ما هو عليك ، ولعل أراجع البداية
والنهاية في ذلك

(١٢) ونقلت (في ص ١٧١) عن ابن أبي الحديد (ج ١ ص ٣٦٠) قول أبي جعفر
الاسكافى : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية ، ضربه عمر وقال
أكثر من الحديث وأحربك أن تكون كاذبا على رسول الله ﷺ . وابن أبي الحديد
صنيعة ابن العلقمى الخائن وبهه البنى ، فهل روايته عن أبي جعفر الاسكافى عن شيوخه
الروافض رواية صحيحة ومصدر ثابت لاشك ولا ريب فيه ؟

(١٣) وفي (ص ١٧١) : وقال جولد زيهري : وتظهرنا طريقة روايته للأحاديث التي
ضمنها أتفه الأشياء بأشلوب مؤثر على ما امتاز به من روح المزاح . هـ

فهل جولد زيهري الطاعن بكتابه المعقيدة والشرعية في نبي الاسلام بأنه مصروع وسارق
لأصاحح أشعيا وواضحه في قرآنه في سورة البلد ، والطاعن في كتابه مذاهب المسلمين في
التفسير في قراءة القراء أنها من فهمهم للخط العربى غير للنقط ولا الشكل فقرأ كل قارىء
بما فهمه من هذا الخط ، أفكان جولد زيهري صحيح الرواية عندك لا يرقى إليه الشك والريب
إلى روايته ، وأبو هريرة كذاب على رسول الله ﷺ وعلى علماء المسلمين من الصعابة

والتابعين وتابعيهم الذين وقفوا بروايته وكلهم جهة غشاشون للإسلام وأهله . إن كان أبو رية يصدق جولد زهير في كتابيه وما نقله فيهما من حقد على الإسلام وأهله ويكذب صاحب رسول الله وحافظ سنته ، فانا لله وإنا إليه راجعون في دينك يا أبا رية

(١٤) وقال في (ص ١٧٢) : وقد وصفه شبرنجير بأنه المتطرف في الاختلاق ورعا ومن هو شبرنجير ؟ أليس من صنف جولد زهير وأضرابه ؟ وهل مثله تنصبه حكماً على أبي هريرة ؟ وهل هو عندك صحيح الرواية ثابت للصدر لا يرقى إليه شك ولا ريب ؟

(١٥) ونقلك (في ص ١٧٤) في حديث يأجوج ومأجوج عن ابن كثير أنه لعله تلقاه عن كعب الأحبار ، وغشك في النقل عنه إذ حذف قوله « فوم بعض الرواة عن أبي هريرة فرقه » فهل يكون النش والتحريف في النقل غير هذا ؟ ابن كثير يحمل الوهم ممن روى عن أبي هريرة ، وأنت تحمل الوهم أو الكذب من أبي هريرة ، وقد بينت كلام ابن كثير بنصه وفصه فيما مضى وسجلت عليك خيانة النقل وعدم الأمانة فيه

(١٦) وحديث خلق الله التربة يوم السبت (ص ١٧٥ - ١٧٦) أجبتك عنه سابقاً ، وبينت صفة الحديث وأنه علم من أعلام النبوة ، بما يحشو التراب في فيك

(١٧) وقولك (ص ١٧٥) : وقال البخاري وابن كثير وغيرهما : إن أبا هريرة قد تلقى هذا الحديث عن كعب الأحبار - ذكرت لك سابقاً عبارة ابن كثير من البداية والنهاية (ص ١٧ ، ١٨ ج ١) « فوم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبي ﷺ » فجعل ابن كثير رفعه إلى النبي ﷺ من وهم بعض الرواة عن أبي هريرة ، وبذلك ثبت عليك خيانة النقل وغشك فيه

(١٨) وقولك (أول ص ١٧٧) : من دهاه كعب واستغلاله لسذاجة أبي هريرة . وغفلته أنه كان يلتقه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وترهات ، حتى اذا رواها أبو هريرة عاد هو فصدق أبا هريرة الخ

من قال ذلك من أصحاب الروايات الصحيحة والمصادر الثابتة التي لا يرقى إليها الشك ولا يدنو منها الريب ؟ وزعمت أنك لم تأت في الترجمة بشيء من عندك ، فمن عند من هذه القرية يا من ينسى كذبه ؟

(١٩) وقولك (ص ١٧٧) : وفي فصل الاسرائيليات الذي مر بك من ذلك (ص ١٠٨ وما بعدها) وقد عدت منها حديث المراج في فرض الصلوات الخمس ، وجعلته مما سربت الاسرائيليات إلى ديننا . من قال هذا القول غيرك من ذوى الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك ولا ريب فيها ؟ أينطبق هذا على دعواك أنك لم تأت في ترجمة أبي هريرة بشيء من عندك ؟

(٢٠) وقولك (في ص ١٧٨) : على أن هذه الذاكرة القوية التي اختص بها أبو هريرة من دون الصحابة جميعا ، بل من دون ما ذرأ الله من الطباع الانسانية ، قد خاتته في مواضع كثيرة ، وان ثوبه الذي بسطه قد تمزق ، فتناثر ما كان قد ضم بين أطرافه . هـ

هل هو من عند نفسك أو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة . والعجب أن تزعم ضعف ذاكرة أبي هريرة وتنسى نفسك فلا تذكر ما يكذبك في صفحات قليلة سابقة

(٢١) وقولك (ص ١٨١) : وإذا كان أبو هريرة على ما وصف به نفسه ذكيا فطنا قوى الذاكرة واسع الحافظة ضابطا لكل ما يسمع لا تنفك منه كلمة ولا يند عنه لفظ ، فلم لم يحفظ القرآن على فراغه وطول عمره في الاسلام الخ ، فدعوى عدم حفظ أبي هريرة للقرآن من عند نفسك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك فيها ولا ريب ، وقد رددتها عليك فيما مضى وأنها من أكاذيبك

(٢٢) وقولك (ص ١٨١) : وكذلك لو كان أبو هريرة قد بلغ هذه الدرجة التي لم يبلغها إنسان قبله ولا يبلغها إنسان بعده وهي عدم السهو والنسيان لاشتهر عنه ذلك

ولأصبح وحده علما مفردا الخ

من عندك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك فيها ولا ريب ؟
(٢٣) وحديث الوعائين (ص ١٨٢) الذين حفظها أبو هريرة ودعوى معارضته
لحديث علي عندما سئل : هل عندكم كتاب ؟ قال : لا إلا كتاب الله الخ ، ودعوى
معارضته لحديث ابن عباس عندما سئل : أترك النبي من شيء ؟ فقال : ما ترك إلا
ما بين الدفتين - هذا من عندك ، أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة . وقد أجبتك
آنفا عن دعوى المعارضة ، وأن هذه المعارضة من خيالك الفاسد وهواك المهلك

(٢٤) وما سقت (آخر ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤) من أوهام وخيالات فاسدة في
رد حديث الوعائين ، من عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة بلا شك
ولا ريب ؟

وقد أجبتك آنفا عن هذه الأوهام والخيالات التي زعمت أنها ترد حديث الوعائين
(٢٥) وقولك (ص ١٨٥) : ومن كان هذا شأنه لا يكون ولا جرم إلا مهينا لاشأن
له ولا خطر ، وقد ظل على هذه المهانة زمن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر . الخ
أمن عندك فكذبك في أنك لم تأت بشيء في ترجمته من عند نفسك ؟ أم من
الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك ولا ريب فيها ؟ فأين هي ، لعلها من كتاب
سيدك العالم المحقق عبد الحسين بن شرف الدين النجفي في كتابه القيم بزعمك (أبو هريرة) ،
فأنعم وأكرم بهذه الرواية الصحيحة ، وبهذا المرجع الثابت الذي لا يرقى إليه الشك
ولا يدنو منه الريب

(٢٦) وقولك (ص ١٨٥) في أنجاه أبي هريرة إلى ناحية معاوية ذات الترف
والسلطان ، واجتنباه لناحية على ذات الجوع والفقر : لأن ذلك مما يميل إليه طبعه ويتفق مع
هوى نفسه الخ من عندك أنت ؟ أو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة أيها
الكذاب الذي ينسى كذبه ؟

(٢٧) وقولك (ص ١٨٦) ولقد عرف بنو أمية صنعة معهم وقدرُوا مِرالاته لهم فَاغْدَقُوا عليه من إفضالهم وغمره برفدِهم وأعطياتهم الخ

من عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة ؟

(٢٨) وقولك (ص ١٨٧) : ثم زادت أيادهم عليه فبنوا له قصرا بالعقيق ، وأقطعوه أرضا بالعقيق وبذى الخليفة ، ولم يكتفوا بذلك بل زوجه بسة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان

أمن عندك ؟ أم من الروايات الصحيحة بناء بني أمية له قصرا بالعقيق وإقطاعه أرضا بها وتزويجهم إياه بسة بنت غزوان ؟ أين الرواية الصحيحة بأن ذلك من بني أمية - لعلها من كتاب أستاذك عبد الحسين بن شرف الدين النعني أو الكريلائي

(٢٩) وقولك (ص ١٨٨) : وهذا الحديث - يعني حديث إن أشد أمتي حبا لي قوم يأتون من بعدى يؤمنون (بي) ولم يروني يعملون بما جاء في الورق الملق - قولك في هذا الحديث انه من غرائبهِ وهو ينطق ولا ريب بأنه ابن ساعته

من قال هذا القول قبلك من أئمة الحديث ؟ وأين نطق الحديث بأنه ابن ساعته ؟ تعني أن أبا هريرة اختلقه تلقا لعثمان ، كبرت كلمة خرجت من فيك الفذر بتهمة صحابي جليل

(٣٠) وقولك (ص ١٨٨) : ومن غرائبهِ ما رواه البيهقي من حديثه عن المصائب الثلاث ، وتهكمك به بقولك « أي جيش يا مولانا » وقولك عن مزوده « لعله كان معلقا في الصفة » ، وتعليقك على قوله « ولما قتل عثمان » بقولك : وهذا هو السر - وقولك : وكأنه يريد وهو يزعم اتهام مزوده لما قتل عثمان أن يتقاضى ثمنه من بني أمية ، وقد عوضوه بالشيء الكثير . هـ

أمن عندك هذه الفريات والتهكمات ، وأن بني أمية عوضوه عن مزوده بالشيء الكثير ، أم عندك بها روايات صحيحة ومراجع ثابتة لا يرق إليها للشك ولا

يدينو منها الريب ؟

(٣١) وقال أبو رية (ح ١ ص ١٨٧) : مما يدل على أن أبا هريرة قد ظل على فقره وعمره إلى أواخر عهد عمر أن عمر قال له حين استدعاه من البحرين لما أتى أشياء استوجبت عزله وكان قد ولاء عليها سنة ٢١ هـ : هل علمت من حين استعملتك على البحرين (سنة ٢١ هـ) وأنت بلا نملين . هـ

أمن عندك هذا أم من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك ولا ريب فيها ؟
أم هي من عند سيدك عبد الحسين بن شرف الدين الرافضي ؟

(٣٢) وقال (ح ٢ ص ١٨٧) انظر إلى هذا الكلام الذي ترمى عن كل مروءة وكرم وانسم بكل دناءة ولزوم ، فتجده يباهى بامتهان زوجه والتشفي منها . وهل يفعل مثل ذلك رجل كريم خرج من أصل عريق ؟

هل لي أن أسألك كم يساوي عند العجم الروافض هذا الفحش الذي لا يخرج من فم سوقة فضلا عن أن يستحله مسلم يحترم صحبة رسول الله ﷺ لمن أكرمهم الله بها

(٣٣) وقال أبو رية (آخر ص ١٨٧) ولم يكن ما قدم أبو هريرة لمعاوية جهادا بسيفه أو بماله ، وإنما كان جهاده أحاديث ينشرها بين المسلمين تخذل بها أنصار على وبطن عليه ، ويجعل الناس يبرأون منه ويشيد بفضل معاوية هـ وهذه الفرية منك نستحق مكافأة عجيبة رافضية تتناسب معها . وكنا نحب أن نرى لو لنا واحدا من هذه الأحاديث التي تخذل أنصار على وبطن بها عليه وتبهرى الناس منه وتشيد بفضل معاوية من رواية أبي هريرة . هات لنا نموذجا منها ولو من جعبة أستاذك عبد الحسين بن شرف الدين ، أو من مفتريات ابن أبي الحديد خدين ابن العلقمي ، أو عن الاسكافي عن شيوخه الروافض

(٣٤) وقوله (ص ١٨٩) : وما وضعه في معاوية ما أخرجه الخطيب عنه : ناول النبي ﷺ معاوية سها فقال : خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة . هـ

حديث ينقله الخطيب البغدادي في تاريخه من الموضوعات التي زورها الوضاعون

عن أبي هريرة في فضل معاوية يكون واضع هو أبو هريرة لا رجال سند الخطيب إلى أبي هريرة . من قال هذا غيرك أيها الواضع لأضواء على السنة المحمدية ؟ فرجال الخطيب بسنده إلى أبي هريرة هم الثقات عندك ، وأبو هريرة هو واضع الحديث اراجع موضوعات ابن الجوزي حتى تعرف واضع الحديث ويسود وجه أبي رية في اتهام أبي هريرة صاحب رسول الله وللتأديب بهديه

(٣٥) قال (ص ١٨٩) : وكذلك ما رواه ابن عساكر وابن عدى والخطيب عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله اثنتان على وجهيه ثلاثة أنا وجبريل ومعاوية . وفي رواية أخرى : الأماء ثلاثة جبريل وأنا ومعاوية .

لو أن أبارية شم نعمة من رائحة الحديث لاستحى من نفسه أن ينقل موضوعات ودرجت بأسانيدها عند ابن عساكر وابن عدى والخطيب ، فيتجاهل أبو رية تلك الأسانيد وما تدل عليه متخطيا الواضعين من رواها ليصقها بأبي هريرة ، ولا غرو فسيده وأستاذه في ذلك أجهل الناس بالحديث وطرق أهله عبد الحسين بن شرف الدين الرافضي وتراجع لذلك كتب الموضوعات

(٣٦) وقال (ص ١٨٩) : ونظر أبو هريرة إلى عائشة بنت طلحة وكانت مشهورة بالجمال الفائق فقال : سبحان الله ، ما أحسن ما غذاك أهلك . والله ما رأيت وجها أحسن منك إلا وجه معاوية كل منبر رسول الله ﷺ (ص ١٠٩ ج ٦ من العقد الفريد) صار العقد الفريد من دواوين السنة التي يعتمد عليها أبو رية في رمي أبي هريرة بالوضع والكذب ، فهو من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك ولا ريب فيها ، بخلاف دواوين السنة الشهيرة من الصحاح والسنن واللسان ففى موضع شك وريبة عند أبي رية ، فسبحان من مسخ من اليهود قردة وخنزير وجعل النهار إيلافى عين الأعشى

(٣٧) وكتاب الشعر والشعراء صار عند أبي رية (ص ١٨٩) من الروايات الصحيحة والمراجع الثابتة التي لا شك فيها ، وينقل منه عن المعاجز الراجز : قال لى أبو

هريرة عن أنت ؟ قلت : من أهل المزارق . قال : يوشك أن يأتيك بقمان الشام فيأخذوا صدقتك ... وخل عنهم وعنها ، وإياك أن تسبهم الخ . وهذه أيضا من نوع أشباهها

(٣٨) وقال أبو رية (أول ص ١٩٠) بعنوان وضعه أحاديث على علي : قال أبو جعفر الاسكافي (ص ٣٥٨ ج ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) : إن مغاوية حمل قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيصة على علي تقتضي الظن فيه والبراءة منه وجعل لهم في ذلك جملا فاختلقوا له ما أَرْضاه ، منهم أبو هريرة وعمر بن العاص والغيرة بن شمية ، ومن التابعين عمرو بن الزبير . هـ

رواية اسكافية هي عند أبي رية مرجع ثابت لا شك ولا ريب فيه . كيف لا وقد نقلها عن الاسكافي الرافضي ابن أبي الحديد المعتزلي للملحد^(١) فهيننا للروافض الذين لا شك

(١) الذي يقول مخاطبا علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

تَقِيلَتْ أَخْلَاقَ الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي عَذَّرْتَ بِهَا مَنْ شَكَ أَنْكَ مَرْبُوبٍ
وقال يقارن بين أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما :
كَمْ بَيْنَ مَنْ شَكَ فِي خِلَافَتِهِ وَبَيْنَ مَنْ قِيلَ إِنَّهُ : اللَّهُ
وقال يصف عليا بأوصاف الألوهية :

يَجْلُ عَنْ الْأَعْرَاضِ وَالْأَيْنِ وَالْمَتَى وَيَكْبُرُ عَنْ تَشْبِيهِهِ بِالْعُنَاصِرِ !
وبلغ به الغلو في علي أن يشتم الاسلام أقبح شتم وأسفه بقوله :

إِنَّمَا الْإِسْلَامُ لَوْلَا حَسَامَةُ كَعُظْفَةِ عِزِّ أَوْ قَلَامَةِ ظَافِرٍ

وفي هذا البيت تكذيب من ابن أبي الحديد لقول النبي ﷺ : أَنَجَزَ وَحْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ . وابن أبي الحديد كان مع ابن العلقمي في مؤامرة الحياة لدولة الاسلام بالمخامرة مع وثنيي التار والمغول سنة ٦٥٥ ، وهو كان العلقمي والنصير الطوسي أحد المسئولين عن وقوف الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه هولاء كوفي في أمة محمد ﷺ يومئذ . ومن أعظم الغفلة والجهل بالاسلام استنهاد من يستشهد بنقول ابن أبي الحديد المعتزلي الملحد ، ودسائسه الشيعة في شرحه نهج البلاغة المكذوب نصفه على الامام علي كرم الله =

فيهم ولا ريب عند أبي رية ، وأساء على أهل الحديث المحدثي من الصحابة للعاصرين لأبي هريرة إلى من بعدهم من التابعين وتابعيهم حتى أئمة التدوين مالك والثوري وابن عينة والحماد بن وابن المبارك والثانفي وأحمد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي ومن على شاكلتهم ، كيف خفي على هؤلاء كلهم وضع أبي هريرة وكذبه ، وظهر لسادات أبي رية عبد الحسين بن شرف الدين وابن أبي الحديد والاسكافي الذين فطنوا لما لم يفتن له المسلمون قديما وحديثا

(٣٩) وقال (ص ١٩٠) : وروى الأعمش في قدوم أبي هريرة العراق وقوله إنه يشهد أن عليا أحدث فيها - يعني المدينة - فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة

أهذه رواية صحيحة ، ومرجع ثابت لا شك ولا ريب فيه ؟ إذا لم تستح فاصنع ما شئت

(٤٠) وقال (ح ٣ ص ١٩٠) : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي ﷺ قد اشتهر حتى عم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وإن الناس كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان هـ

من عندك هذا ؟ أم من الرواية الصحيحة والمرجع الثابت الذي لا شك ولا ريب فيه ؟ ولست شعري كيف لم يعلم المسلمون من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم القيامة كذب أبي هريرة الشائع المشتهر الذي عم الآفاق ، وعلمه أبو رية في القرن الرابع عشر ؟

قد سقت لك يا أبا رية أربعين شاهدا من كلامك تكذبك في قولك (أول ص

== وجهه . وكان أجدر بأبي رية أن يتبع الدخيل والمكذوب في نهج البلاغة ، أما السنة الحميدة فقد قام علماءها بالتنبه على كل دخيل عليها . ومؤلفاتهم البريئة من الزيف والغرض تملأ خزائن الأرض في الشرق والغرب ، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها

(١٩٧) : وما بيناه من تاريخ أبي هريرة قد سقناه لك على حقيقته ، وأظهرنا شخصية أبي هريرة كما خلقها الله ، ولم نأت فيها بشيء من عندنا بل أتينا بالروايات الصحيحة فيها ، وزجنا إلى مصادر ثابتة لا يرقى الشك إليها ولا يدنو الريب منها . فأربعون بينة من كلامك ذكرناها بأرقام صفحاتها تكذبك فيما قلته هنا ، ومن قام شاهد واحد على كذبه فهو كذاب ، فكيف من شهد عليه أربعون شاهدا من كلامه ، فأخلق به أن يكون في سجن الكذابين وجحيم المفترين

وقال أبو رية (ص ١٩٧) : قلنا قد طويونا كثيراً مما أثبتته التاريخ ، لأن شيوخ الدين عندنا لا يزالون يخشون سطوة الحق ولا يحملون قوة البرهان . هـ

ليت شعري ما هو الكثير الذي طواه أبو رية من مساوي أبي هريرة بعد الذي وصفه به من أنه أكل نهم مزاح مهذار لثيم الأصل ليس له خلق كريم كذاب على رسول الله ﷺ ، اشتهر كذبه حتى عم الآفاق وبلغ العراق ، فإذا بقي بعد ذلك من الشرور الكثيرة في جعبة أبي رية من مساوي أبي هريرة وطواها خوفاً من الذين لا يزالون يخشون سطوة الحق ولا يحملون قوة البرهان ؟

وليت شعري ما هو هذا التاريخ الصحيح الذي أثبت من مساوي أبي هريرة ما طواه أبو رية عنا وعن الناس ، أهو الكتاب الذي زعمه قياً لسيد عبد الحسين بن شرف الدين الرافضي ، أو هو ما نقله ابن أبي الحديد المعتزلي للمحدث عن هوشرمته أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه ؟

قال أبو رية (ص ١٩٧) : وأبو هريرة لم يكن له كما قلنا أي شأن في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الصيرين الراشدين ، ولم يستطع أن يفتح فاه بحديث واحد إلا بعد قتل عمر ، ولم يجرؤ على الفتوى إلا بعد الفتنة الأولى وهي قتل عثمان وعلو شأن بني أمية ، وناهيك بالبخاري فإنه لم يذكره بين الصحابة الذين جاءت في فضلهم أحاديث عن رسول الله ﷺ .
وجوابه : كن كاذباً وكن ذكوراً ، فقد سبق لك (ص ١٩٢) أن عمر ولده

إمارة البحرين ، وزعمت سابقا أنه فر في غزوة مؤلفة ، فإذا كان غازيا في عهد أبي بكر
 مجاهداً في سبيل الله فر أو ثبت . وأزيدك تكذيباً لك أن رسول الله ﷺ كان يفتقده :
 أين كنت يا أبا هريرة ؟ وأن حسانا شاعر النبي ﷺ استشهد به لما لفظ إليه عمر وهو
 ينشد الشعر في المسجد فقال حسان : أنشدك بالله يا أبا هريرة ، أما سمعت رسول الله ﷺ
 يقول : هاجهم وروح القدس معك ؟ وأما أن البخاري لم يذكره مع الصحابة الذين جاءت
 في فضلهم أحاديث عن رسول الله ﷺ فالصحابه الذين قدروا في موسم حجة الوداع بمائة
 ألف لم يخرج البخاري لعشر معشارهم فضائل ، وأصحاب بيعة الرضوان الذين بلغوا أربع
 عشرة مائة وقال الله فيهم ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ ، فلم ما في
 قلوبهم وأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ لم يخرج البخاري أحاديث في فضلهم

وحسبه فضلاً أن يروى له مسند الأندلس بقي بن مخلد ٥٣٧٤ حديثاً ، ويروى له
 البخاري منها ٤٤٦ حديثاً في صحيحه الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله باجماع المسلمين
 فإذا كان هذا شأن أبي هريرة عند رسول الله وخليفته أبي بكر وعمر ، وشأنه
 عند خيار الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، وعند جماعة أهل السنة
 والجماعة ، فما يضره نباح الرافضة عبد الحسين وأبي جعفر الاسكافي وشيوخهم ثم من
 سلك سبيلهم كآبي رية

إذا رضيت غنى كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لثامها
 وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

قيمة الصحابة عند أبي رية

قال أبو رية (أول ص ١٩٦) : « هذه ترجمة مختصرة لأبي هريرة الزمنا فيها الناحية
 التقريرية ، ولم نسلك الطريقة التحليلية أو الانتقادية التي لا تكمل التراجم الصحيحة إلا
 بينها ، ولا تتم دراسة الرجال والأحداث إلا باتباعها »

« ذلك بأننا لم نصل بعد إلى احتمال سطوتها وبخاصة إذا كان الأمر يتصل بأحد الصحابة الذين قالوا فيهم انهم كلهم عدول ، فلا يجوز لأحد أن ينتقد بالعلم والبرهان والحجة أحدا منهم لا في روايته ولا في شهادته ولا في سيرته . وما قالوه في ذلك أيضا « إن باطلهم قد طوى » ، وكان المدالة موقوفة عليهم وخدمهم ، وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية فلا يعتريهم ما يعتري كل انسان من سهو أو خطأ أو وهم ، ولا نقول الكذب والبهتان !

« على أننا لو سلمنا لهم بأن كل صحابي معصوم فيما يقع فيه غيره من بنى الانسان ، وأنه لا ينسى ولا يخطئ ولا يهمل ولا يعتريه سوء فهم أو غلط ، وأنه لم يكن في الصحابة مناقون ، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ، ولا ارتد بعضهم بعد موت النبي ﷺ ولا غير ذلك مما حملته كتب التاريخ الصحيحة عنهم - فإن أمر أبي هريرة ليبارك الله في أمر الصحابة جميعا ، فقد جرحه كبار الصحابة وشكوا في روايته كما بينا ذلك من قبل » . هـ

أقول : في هذا الكلام من الجهل والزرور والبهتان ما نستعين بالله على بيان بعضه أولا - قوله إنه سلك في ترجمة أبي هريرة الطريقة التطبيقية ولم يسلك الطريقة التحليلية الانتقادية التي لا تكمل التراجم الصحيحة إلا بها ، ولا تتم دراسة الرجال والأحداث إلا باتباعها ، فهل يعقل أبو رية ما يقول ؟

(١) ما هو قوله (في ح ٣ ص ١٩٠) : يدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي ﷺ قد اشتهر حتى هم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان

(٢) وقوله (ح ٢ ص ١٨٧) عن كلام لأبي هريرة : انظر إلى هذا الكلام الذي نعرى عن كل مسروعة وكرم ، وانسم بكل دناءة ولؤم ، فتجده يباهى بامتهان زوجته والتشفي منها ، وهل يفعل مثل هذا رجل خرج من أصل عريق ؟

(٣) وقوله (ح ١ ص ١٨٧) : مما يدل على أن أبا هريرة قد ظل على قعره وعرضه

إلى أواخر عهد عمر ، أن عمر قال له عندما استدعاه من البحرين لما أتى أشياء استوجبت عزله ، وكان قد ولاه عليها سنة ٢١ هـ : هل علمت من حين استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين .

(٤) وقوله (ص ١٨٩) : « هنا السر » عند قول أبي هريرة في ثالث مصائبه : فلما قتل عثمان الخ

(٥) وقوله (ص ١٨٩) وكأنه يريد - وهو يزعم انتهاب مزوده لما قتل عثمان - أن يتقاضى عنه من بنى أمية وقد عوضوه عنه بالشيء الكثير . هـ

هذه أمثلة خمسة ، ولو شئت لبلغت بها فوق الأربعين ، تكذبه في أنه التزم في ترجمة أبي هريرة الناحية التقريرية ، ولم يسلك الطريقة التحليلية أو الانتقادية التي لا تسكل التراجم الصحيحة إلا بها الخ

فاما أنك لا تعقل الطريقة التحليلية الانتقادية وإنما قرأت عنها في بعض الكتب فذكرت لفظها بغير فهم لمعناه تغريراً بقراء كتابك أنك من يعرفون هذه الطريقة ، وإما أنك كذوب غير ذكور فيقول ما يكذبه فيه سابق كلامه

وقولك : وأما عن الصحابة الذين قالوا فيهم - تعنى أهل السنة - إنهم كلهم عدول فلا يجوز أن ينتقد بالعلم والبرهان والحجة أحد منهم لا في روايته ولا في شهادته ولا في سيرته ، وأن بساطهم قد طوى كأن العدالة موقوفة عليهم وحدهم ، وكأنهم في ذلك قد ارتفعوا عن درجة الانسانية ، فلا يعترضهم ما يعترض كل إنسان من مهو أو خطأ أو وهم أو نسيان

في هذا الكلام من الجهل والهوى والبهتان ما سنبينه :

(١) عدالة الصحابة كلهم جاءت بها الكتب السماوية التوراة والانجيل والقرآن في قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله ﴾ ، والذين معه أشدء على الكفار رحماً بينهم ، تراهم ركعاً مسجدين ينتفون فضلاً من الله ورضواناً ، سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوره

يجب الزرع ليغنيهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿ وقوله ﴾ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك رؤوف رحيم ﴿ وقوله ﴾ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴿ وفي الحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » . والحديث الآخر : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّا أحدكم ولا نصيفة »

فهؤلاء الذين شهد لهم القرآن والحديث بالصدق والايمان والتقوى ونصرة الله ورسوله والاسلام وأنهم خير القرون ، يحيى . أبو ربة في القرن الرابع عشر ليخرجهم تبعاً لآداته الروافض عبد الحسين بن شرف الدين وأبي جعفر الاسكافي وللحد ابن أبي الحديد والسبأى ابن الكلبي والشيعي المحترق لوط بن نوح أبي غنخف ، وتبيظه شهادة الكتب السماوية لهم وإجماع المسلمين على عدالتهم بعد تعديل الله ورسوله لهم وقبول روايتهم وشهادتهم . ان هذا هو الضلال المبين

وأما الخلط بين العدالة وعدم السهو أو الخطأ أو النسيان فخلط عجيب يدل على ضعف في العقل كدلالته على الضعف في الدين ، وإن أهل السنة - مع إجماعهم على عدالة الصحابة ، ومنها الصدق وعدم الكذب - لا يحيلون على الصحابة ما يجوز على سائر الناس من السهو أو الوهم أو الخطأ ، حاشا الكذب

ها هو ذا ابن عباس يروى أن النبي ﷺ تزوج أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الملالية وهو محرم ، وتقول ميمونة : ما تزوج بي إلا وهو حلال ، وأحالوا حديث ابن عباس على الوهم

ويروى أيضا ابن عباس أن النبي ﷺ حينما دخل الكعبة في فتح مكة كبر في نواحي البيت ولم يصل ، ويروى أسامة بن زيد أنه صلى ركعتين بين السورى في مؤخر البيت سارية عن يمينه واثنين عن يساره ، فأخذ الناس بحديث أسامة ووهما ابن عباس وهذا ابن عمر يروى أن النبي ﷺ اعتمر أربع عمر إحداها في رجب ، وقالت عائشة : وهم ابن عمر ، لم يعتمر النبي ﷺ عمرة إلا وكان ابن عمر معه ، وما اعتمر قط في رجب . وأخذ الناس برواية عائشة ووهما ابن عمر

وهذا عمار بن ياسر ظن أن التيمم من الجنابة في البدن كله فتمرغ في التراب حتى صحح له النبي ﷺ فقال : يكفيك هكذا ، وضرب ضربة للوجه والكفين

وهذا الذي وضع عقلا أبيض وعقلا أسود تحت رأسه وقت السحور ذهابا منه الى تأويل قوله تعالى ﴿ وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ﴾ حتى بين له أن المراد ضوء النهار في ظلمة الليل

والذين فهموا من قوله سبحانه ﴿ فاعتزلوا النساء في الحيض ﴾ أنه الاعتزال كلية عن المؤاكلة والمجالسة ونحوها ، حتى بين لهم النبي ﷺ بقوله : اصنعوا كل شيء إلا الجماع

والذين فهموا العموم من نهى النبي ﷺ عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاثة أيام من أجل الدافاة التي دفت من البادية حتى بين لهم النبي ﷺ أن ذلك كان من أجل الدافاة ، وأباح لهم الادخار فوق ثلاثة أيام بعد ذلك

فالخلط بين ثبوت العدالة للصحابة كلهم الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع وبين تقي السهو والخطأ والوهم ، خاط عجيب ، سببه الجهل والهوى ، وويل للجاهل إذا تسكلم بهوى فيما لا يحسنه حتى يعيبه جهله وهواه عن الحقيقة

وقوله (ص ١٩٦) : على أننا لو سلمنا لهم بأن كل صحابي مضموم فيما يقع فيه غيره من بني الانسان ، وأنه لا ينسى ولا يخطئ . ولا بهم ولا يعتريه سوء فهم أو غلط ، وأنه لم يكن في الصحابة منافقون ، ولم يرتكب أحد منهم كبيرة ولا صغيرة ، ولا ارتد بعضهم بعد موت

الذي عليه ، ولا غير ذلك مما حمله كتب التاريخ الصحيحة عنهم ، فان أمر أبي هريرة
ليبين أمر الصحابة جميعا ، قد جرحه كبار الصحابة ، وشكوا في روايته ، كما أبنا
ذلك من قبل . هـ

والجواب : من القى قال لهذا القترى الكذاب إن الصحابة لا ينسون ولا يسهون
ولا يفلطون ولا يهمون ، ولكننا لا ثبت لأحد منهم نسيانا أو سهوا أو خطأ أو وهما إلا
بدليل مقبول عند أهل السنة والجماعة الذين هم نقاد الآثار وصيارفة الرويات ، لا أمثال أهل
الضعف على سلف الأمة وخيار القرون الاسلامية الأولى كعبد الحسين بن شرف الدين
وابن أبي الحديد وأبي جعفر الاسكافي وشيوخه

أما أن فيهم منافقين فالنفاق وإن كان في القلب لكن أماراته تظهر في الأعمال ، كما
قال تعالى ﴿ ولو نشاء لأريناكم فلعرفتمهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ فعلق معرفتهم
بسيماهم على المشيئة الإلهية ، وأكد معرفتهم تأكيدين : بسيما النفاق وبلحن القول وهو
ما يدل بفحواه على ما في القلب . وفي الحديث « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ،
وإذا وعد أخلف ، وإذا اتهم خان » ورابعة « وإذا عاهد غدر » وأنزل الله سورة بشامها
في أوصافهم تسمى سورة المنافقين ، وفي سورة براءة (التوبة) من أوصافهم : ومنهم ،
ومنهم ، حتى سماها بعضهم « الفاضحة » لفضحها سراير المنافقين ، وقال بعضهم : صرنا نقرأ
فيها ومنهم ومنهم حتى ظننا أنها ستسيهم بأسمائهم

فمن هؤلاء صفتهم في القرآن والحديث كيف يخفى على جهابذة النقد حالهم فيأخذون
عنهم الدين ؟ وهم أبعد الناس عن الدين وعن أهله وعن جريانه على ألسنتهم

ها هي ذى دواوين السنة من مساند وصحاح وسنن ، هات واحدا من صحابيتها تنه
بالنفاق : أبو بكر أو عمر أو عثمان أو علي أو ابن عمر أو عائشة أو أبو هريرة أو عبد الله
ابن عمر أو عبد الله بن عمرو أو أنس بن مالك أو أبو سعيد الخدري ، إن كابرته فضحكك
للكابرة ، وإن باهت فضحكك البهتان

وأما أن منهم من ارتد بعد موت النبي ﷺ فهم جفأة الأعراب من أهل الهادية ممن لم يقول النبي ﷺ تهذيبهم كالصحابة ، وقد أغنى الله دينه عن تحمل هؤلاء البداة له ، ومع ذلك فكان أمرهم يتعلق بنظام الزكاة ، وسرطان ما رجعوا بعد ذلك إلى أحضان الاسلام مجاهدين صالحين

ولم يقل أحد من المسلمين بنصصة أحد من الصحابة عن ارتكاب الذنوب كبيرها أو صغيرها ، ولكن كل طبقة منهم أعلى في إنسانيتها من كل طبقة في مستواها من سائر الأمم ، وكان خيارهم إن زل أحد منهم زلة يادر إلى التوبة النصوح ، ومن عاينهم من أقدم على الاعتراف للذي أودى بحياته بالحجارة إقامة لحدود الله

وبعد أن شك أبو رية في الصحابة - أن فيهم منافقين وفيهم من ارتد بعد موت النبي ﷺ وأن فيهم وفيهم - قال (ص ١٩٦) فإن أمر أبي هريرة ليبين أمر الصحابة جميعا فقد جرحه كبار الصحابة وشكوا في روايته كما أبنا ذلك من قبل . هـ

وجوابه : (١) ما هي كتب التاريخ الصحيحة التي حلت عن الصحابة ما اتهمتم به وما نبزتهم به ؟ أم هي كتب الروافض كعبد الحسين بن شرف الدين ولللاحدة كابن أبي الحديد والمجازين كابن جعفر الاسكافي وشيوخه ؟ أو كتب الجماعة كالبخاري في تواريخه الثلاثة وتاريخ يحيى بن معين والأسماء والسكنى للدولابي وأمثالها من كتب الثقات أهل الصدق والأمانة والذين لم لسان صدق في الأمة ؟

(٢) ما الذي أخرج أبا هريرة من عموم قوله عز وجل ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ ؟ وما الذي استثناء من عموم قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون به ﴾ وما الذي لفتنته من حديث ﴿ لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم ملء الأرض

ذهبا ما بلغ مد أحدكم ولا نصيفه ؟

هل استثناء ما افترفته من أن كبار الصحابة جرحوه وشكوا في روايته ؟ من الذي قال ذلك قبلك من أهل الصدق والأمانة والثقة حاشا أبا جعفر الاسكافي وشيوخه من الرافضة أعداء الكتاب والسنة وخصوم حملة العلم النبوي

أذكر لنا إماما واحدا من أئمة الاسلام أهل الصدق والأمانة ذكر ما ذكرت من الاقتراء على كبار الصحابة في أبي هريرة ، وحوالتك على ما أبنت سابقا حوالة على ميثاق جائفات منخقة وموقوفة وسوائب لا خطام ولا زمام لها من ابن أبي الحديد عن أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه ، أو من مراجع ضعيفه ، لا يحتج بها في مثل هذه الأمور

وقولك (ص ١٩٦) عن علماء الكلام بأنهم أصحاب المقول الصريحة ، وإعجابك بتعجبهم من رجال الحديث الذين ينسبون شيئا إلى الكذب بقدر يحيى بن معين وعلى ابن اللديني ، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون ، ويحتجون بحديث أبي هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أكذبه عمر وعلى وعثمان وعائشة . هـ . ص ١٠ ، ص ١١ من كتاب تأويل مختلف الحديث

وجوابه أن علماء الكلام الذين هم عندك أصحاب المقول الصريحة هم ابن أبي الحديد المعتزلي الملحد عن أبي جعفر الاسكافي عن شيوخه الذين من طيئته رفضا وعداوة للحديث وأهله ولأصحاب رسول الله ﷺ

ويراجع كتاب مختلف الحديث ص ١٠ ، ١١ ، فإظن النقل عنه إلا محرفا أو منشوشا

ثم أين غاب عن أئمة الاسلام من التابعين وتابعيهم - الحسن ، وابن سيرين ، والشعبي وشريح وفقهاء المدينة السبعة ورواية حديثهم محدث الحجاز والشام الزهري ، ورواية حديث دار النبوة والهجرة مالك بن أنس ، ورواية الكوفة الثوري ، وحافظ مكة ابن عيينة ، وحافظ الشام وإمامها الأوزاعي ، وحافظ مصر وإمامها الليث ، ثم من بعدهم ابن

المبارك والحامدان والثاني وأحد وأصحاب دواوين الاسلام : البخارى ومسلم وأصحاب السنن ، أين غاب عن هؤلاء جميعا تكذيب عمر وعلى وعثمان لأبي هريرة إلى أن سقط على هذه القذارة علماءك الذين هم أصحاب العقول الصريحة ، إلا أن يكونوا أمثال الاسكافى وشيوخه ورواية قذاراتهم ابن أبى الحديد ومرحاض أكاذيبهم عبد الحسين ابن شرف الدين آخر ما لفظت الرافضة من أعداء صحابة رسول الله ، أو أبو بكر بن شهاب الذى كان يلعن أبويه من أجل أنها سمياه أبا بكر وجمع من أكاذيبه رسالته القذرة التى سماها (النصائح السكافية فى النعى عن تولى معاوية) واتعلها وتبناها تليذه فى الرفض ابن عقيل الحضرمى الرافضى الذى أترى فى سنفافورة وجاوة بالانتساب لآل البيت الذين يحبه المسلمون ولا ييخلون بعالمهم على من ينتسب اليهم ولو عمل من وراء ظهور المسلمين على هدم رسالة الاسلام بالتشكر لأهلها الأولين ، وحاملى السنة المحمدية للتقدمين

وقولك (١٩٧) : وأبو هريرة لم يكن له - كما قلنا - أى شأن فى زمن النبى ﷺ ولا فى عهد المرين الخ قد أجبتك عن هذا الزور والبهتان فيما تقدم ، فلا حاجة لاعادة ذلك وما نقلته (ح ٢ ص ١٩٧) عن ابن سعد فى ترجمة ابن عباس أسماء من كان من يلقى من الصحابة بالمدينة ومحدث عن رسول الله من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا - يعنى ولم يذكر فيهم أبو هريرة

وجوابه أنهم لم يذكر فيهم على بن أبى طالب ولا ابنة الحسن ولا الحسين ، فهل تقبل محو اسمائهم من صفة الانتماء لأن الرواية التى ذكرها ابن سعد لم تذكرهم ؟

وفضل عائشة فى الرواية والفتوى لا يتكره إلا ساداتك حمير الرافضة ، وهذا لا يبنى فضل أبى هريرة سواء أفتى أو لم يفت ، فان المسلمين على توالى العصور يحولونه ويعظمونه فى كتب الشريعة الاسلامية ويعتبرونه حافظا من أوثق حفاظ الاسلام ، ورواية للحديث النبوى من أعظم الرواة وأصدقهم

ولا يفرنك تصفيق من صفقوا لك من دعاة الانحلال الخلقى والدينى من أهل دار

للملال وغيرهم من أنصار العري والتحلل وأبواق الاستعمار الأمريكى والتبشير اللاديني ،
وإن تشجيعهم لك حجة عليك ، ودليل على وجهتك ، ولكل وجهة هو مولها

أيراده أمثلة مما رواه أبو هريرة

قال أبو رية (أول ص ١٩٨) : أخرج البخارى ومسلم عنه قال : أرسل ملك الموت
إلى موسى عليهما السلام ، فلما جاءه صكه ، فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يحب
الموت . فرد الله عليه عينه وقال : ارجع فقل له يضع يده على متن ثور ، فله بكل ما غطت
يده بكل شعرة سنة . قال : يارب ، ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت . قال : قالان ، فسأل
الله يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر . قال رسول الله ﷺ فلو كنت ثم لأريتكم قبره
إلى جانب الطريق عند الكتيب الأحمر

وفى رواية لمسلم : فلطم موسى عين ملك الموت ففققاها

وفى تاريخ الطبرى عن أبى هريرة إن ملك الموت كان يأتى الناس عيانا ، حتى أتى
موسى فلطمه ففققا عينه ، ومن بعد حادثة موسى يأتى الناس خفيا

قال أبو رية : وإن رائحة الاسرائيلية لتفوح من هذا الحديث . هـ

وجوابه : أية رائحة اسرائيلية فى هذا الحديث يا صاحب الأنف البوليسى الشاذ ؟
أمن أجل ذكر موسى ؟ فموسى أكثر الأنبياء ذكرا فى القرآن ، فليكن كل ما جاء فيه
ذكر موسى فى القرآن اسرائيليا ، فيخرج معظم القرآن بحكم شتمك اسرائيليا . أم من كون
موسى صك ملك الموت ففققا عينه التى ردها الله عليه ؟ والذين رووا الحديث من عهد
أبى هريرة إلى أئمة التدوين ، والذين شرحوا الصحيحين كالخطابى وعياض والنوى وابن
حجر والقسطلانى وغيرهم ، لم يشموا فيه رائحة اسرائيلية ، ولم ينكروا على موسى أن
يدفع عنه من ظنه صائلا ، والدفاع عن النفس مما لا ينكره عقل ولا فطرة ، وقد عرف
من خلق موسى وخلفه الشدة والأخذ بالأقوى ، فقد دفع القبلى عن الإسرائيلى فوكيز

قتفى عليه . ولما رأى عبادة قومه للمجل في غيابه أخذ برأس أخيه ولحيته يجره اليه ، وأخوه يسترحه بقوله ﴿ يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل ولم ترقب قولي ﴾ والتي الألواح حتى انكسرت ، فلا يستقرب من عرف خلق موسى وشدة أنه أن يصك وجه من جاءه معتديا . ولما عرف في المرة الثانية أنه ملك الموت سلم الأمر لله ، وطلب قربه من الأرض المقدسة التي كانت محرمة عليه وعلى قومه أربعين سنة ، ومات موسى أثناء هذه الأربعين . ومن زار بيت المقدس يعلم أن قبر موسى منه كل أميال تقطع في ست ساعات بالسيارة . فالحديث يؤيده القرآن والواقع أيها الأنف البوليبي في شم الاسرائيليات . ولو تركنا طريق من رودا الحديث ومن شرحوه ومن قبلوه واتبعنا أنفك البوليبي لضلنا سواء السبيل . أنت صاحب هوى في الاسلام وتريد أن تعرف بالشذوذ الذي تظنه عبقرية ليراك الناس ، وخصوصا مبغضو الاسلام وأهله ، فيجعلوا لك بينهم مقاما مرموقا ، وبئس ما اخترت لنفسك من حب النطق بالباطل ، ومن الناس - وأنت منهم - من يجب أن يعرف ولو بغير المعروف ، هياذا بالله

وقال (ح ١ ص ١٩٨) عن الثمالي في ثمار القلوب تحت عنوان (لطة موسى) :
وقال : ومن أساطير الأولين أن موسى سأل ربه الخ القصة . ومما قاله : إن ملك الموت أعور حتى قيل فيه :

يا ملك الموت لقيت منكرا لطة موسى تركتك أعورا

قال الثمالي : وأنا برىء من عهدة هذه الحكاية . قال أبو رية : وله الحق في هذه البراءة . هـ

وجوابه أن قول الثمالي : « ومن أساطير الأولين » دليل على جهل فاضح بأشهر كتب الحديث البخاري ومسلم إذ يقول عن حديث فيها إنه من أساطير الأولين ، ولو كان له أدنى معرفة بعلم الحديث وطرق الأخبار لما وقع في هذه الجهالة . وقوله عن ملك

الموت إنه أعور فوق كونه من نوع نواذر الحشاشين فانه جهل بما جاء في الخبر أن الله رد على ملك الموت عينه

ولو كان عند أبي رية وسلفه في الجهل بالحديث الثعالبى ذرة من إنصاف لكان لها في التأويل مندوحة عن رد الحديث الصحيح

فلوقيل إن الحديث يمثل فضل بنى آدم على الملائكة ، تفسيراً لقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۚ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۚ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾

قوة من قوى انهاء الحياة في الانسان متمثلة في ملك الموت تصطدم بقوة حب البقاء والدفاع عن النفس الانسانية تمثلها حيوية موسى فتفوز بقوة البقاء إلى حين

وتأويل حديث « ما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدى المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه » يتحقق في هذه القصة

فالحديث الصحيح يؤيد بعضه بعضاً عند من أنار الله بصيرتهم ، والذين في قلوبهم مرض يزيدهم مرضاً على مرضهم ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى ، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾

ومسألة لطم موسى لملك الموت - التي شنع بها المنحرفون عن السنة ، وتندر بها الملاحدة والخلماء ، لا غرابة فيها إذا فهمت على أنها رمز للحيوية الانسانية القوية التي متع الله بها كلمه موسى عليه السلام ، وأنها قادرة على دفع بعض أخطار الهلاك ، فيمكن أن موسى أصابه مرض مما يموت به غيره كالجلطة الدموية التي يسببها انسداد الشريان الذي يغذى القلب ، ثم تقلبت قوته الحيوية ونجا من الأزمة القلبية ، وربما تخيل له في منامه أو في يقظته صورة ملك الموت يريد قبض روحه ومثل له نجاته من تلك النوبة القلبية بصفة لتلك

الصورة المفزعة المربعة للتثنية بصورة ملك الموت ، ثم لما ضمت قوته الحيوية استسلم الأمر
الله الذى لا مفر منه ، ورضى بقضاء الله وقدره . وعليه قد يرد من الأحاديث ما قد يكون
له معنى حق ، ولكنه يملأ أحيانا على فهمنا . والله أعلم

وذكر أبو رية (ص ١٩٨) من حديث أبي هريرة ما أخرجه البخارى ومسلم
مرفوعا « تحاجت الجنة والنار - إلى قوله - فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى
رجله فتقول : قط قط ، الخ

وليت شعري ما هو استغراب أبي رية لهذا ؟ الأجل أن النار أوتيت بالتكبيرين
والتجبرين ، وهو ما يشهد له الكثير من آيات القرآن ﴿ وكذلك جعلنا في كل قرية
أكابر مجرميها ليكروا فيها وما يذكرون الا بأنفسهم وما يشعرون ﴾ ﴿ وإذا أردنا أن
نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ ﴿ وما أرسلنا في
قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون ﴾ ﴿ وبرزوا لله جميعا فقال الذين
استكبروا انا كنا لكم تبعاء فهل انتم مغنون عنا من عذاب من شئ . قالوا لو هدانا الله
لهديناكم ، سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ﴾ وأمثالها في سبأ وغافر

وإن كان استنكاره لهذا الحديث لقوله فيه « يضع الجبار رجله فتقول : قط قط »
الخ من أجل إثبات صفة الرجل أو القدم لله تعالى فليست كفر بأمثال ذلك وأشباهه في القرآن
والحديث ، ففي القرآن ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ ، ﴿ تجري بأعيننا ﴾ ، ﴿ ويبقى وجه ربك
ذى الجلال والاكرام ﴾ ، ﴿ إن الله كان سميعا عليا ﴾ ، ﴿ هو السميع البصير ﴾ ، ﴿ لما
خلقت يدي ﴾ ، ﴿ بل يده مبسوطتان ﴾ ، ﴿ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن ،
السوات على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع » ، ﴿ والأرض جميعا قبضته
يوم القيامة ، والسوات مطويات بيمينه ﴾ والآيات والأحاديث في هذا كثيرة لا تحصى
ولا ذنب فيها لأبي هريرة ، ومذهب أهل الحق فيها إثبات بلا تشبيه ولا تمثيل ،
والتعريف عن الصراط المستقيم إما مشبهة ، وأما محرقة ومؤولة

وقال (آخر ص ١٩٨) : وروى البخارى عنه « ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع » وزاد مسلم « وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام » .

وليت شعري ما وجه استغراب أبي رية لهذا الحديث ؟ أهى الشفقة على الكافر ، أم استبعاد مسافة ما بين منكبيه وغلظ جلده ؟ لم يفصح عن وجه إنكاره له إلا أن يكون من رواية أبي هريرة ، فيكفى هذا لاستنكار أبي رية له ، أو لأن عقله لا يسلم بما فيه ، وحينئذ يقول لأبي رية : لو كان الدين لا يأتي إلا بما يسوغه عقلك لما كان ثم حاجة إليه ، واكتفى الناس بعقل أبي رية . والدين يأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها ، وقد علم الله حاجة الناس إلى الدين مع العقل فتكرم عليهم بها .

وقال أبو رية (ص ١٩٩) : وروى البخارى وابن ماجه عنه عن النبي ﷺ « إذا وقع القباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم يطرحه ، فإن في أحد جناحيه داء ، وفي الآخر شفاء » .

(أولاً) حديث الذباب لم يفرد بروايته أبو هريرة ، بل رواه أيضاً أبو سعيد الخدري عند أحمد والنسائي وغيرهما ، ورواه أنس بن مالك عند البزار ، فلم يفرد به أبو هريرة ولا البخارى

(ثانياً) لا يزال جمهور الناس إلا القليل منهم يأكل ما يقع عليه الذباب ، وبشره ، وهم أصح أجساداً من الذين يتقززون بما وقع عليه الذباب ، والواقع شاهد عيان بذلك

وقد قيل إن الناس بأسريكا بدوا يمتدون أولادهم على الحياة الخسنة التي لا ترف فيها ، حتى يخرجوا أجساد الذين يقارمون الأوبئة بما في أجسادهم من المناعة

وقد ذكرت بعض الصحف أن شركة انجليزية لبيع العقاقير بالهند ذكرت أن الذباب توجد فيه مناعة لمقاومة ما يملق به من جراثيم ، وهل التطعيم ضد الجدري أو التيفوئيد ونحوهما إلا إيجاداً لمناعة الجسد ضد هذه الأمراض بجراثيمها المخدرة ؟

قال (أول ص ٢٠٠) : وروى الطبراني في الأوسط عنه عن النبي ﷺ « أتاني

ملك برسالة من الله عز وجل ، ثم رفع رجله فوضعها فوق السماء ، والأخرى في الأرض لم يرفعهما » .

ولا أدري وجه نكارتة عند أبي رية ، لعلها من عظمة خلق الملك الذي وضع رجله فوق السماء والأخرى في الأرض لم يرفعهما ، إن كان من أجل ذلك ينكر الحديث فليكن على عقله وقصره ، كيف لو طالع في عالم الماديات أن في الأبعاد الفلكية نجوما لا يأتينا ضوءها إلا في ملايين السنين ، وسرعة الضوء في الثانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلومتر ، أو مائة وثمانون ألف ميل ، فكيف يتصور ملايين السنين مضروبة ثوانها في ٣٠٠,٠٠٠ كم ؟ ووراء مجرتنا التي منها مجموعتنا الشمسية مجرات تمتد بالملايين وتبعد عنا ملايين السنين الضوئية ، فليكن أبو رية على عقله وليسترجهله بعظمة ملكوت الله ، فذلك خير له وأجمل

وقال (ص ٢٠٠) : وروى الترمذى عنه قال رسول الله ﷺ « المعجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » .

كذلك لم يذكر لنا فيلسوفنا وجه استنكاره ، الأجل أن في المعجوة شفاء من السم ؟ وليته علم أنه من عفن الخبز استخرج البنسلين الذي هو خير علاج للجروح ، ومن تراب المقابر استخرج السلفاناميد ومشتقاتها خير علاج للتهنات أيضا

إن أساطين العلم كنيوتن وجنز وغيرهما يقولون : إن العلم بحر نحن لا نزال على ساحله ، أما الذين عمت بصائرهم فهم للذين ما ظهرت حقيقة علمية إلا ظنوها هي كل شيء في عالم تزخر لجمه بما لم يظهر للآن مما هو أضعاف أضعاف ما ظهر مما لا يقاس بنسبة ذرة إلى بحار العالم

قال (ص ٢٠٠) وروى الحاكم وابن ماجه من حديثه بسند صحيح (مرفوعا) : « خروا الآنية وأوكثوا الأسقية وأجيفوا الأبواب واكفتوا صبيانكم عند الماء فان للجن انتشارا وخطقة ، وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فان الفويسقة ربما اجتريت الفتيلة فأحرقت أهل البيت »

وليت شعري ما الذي استغربه فيلسوف العصر من هذه النصائح ، ألقوله : « إن للجن انتشارا وخطفة » إن كان ذلك وجه النكارة عند الفيلسوف فليحول وجهه إلى الجمعيات الروحية في انكسارنا وفرننا وأمريكا يجد في مقررات هذه الجمعيات ما يفتقأ عيون الماديين الذين جحدوا كالحيرانات على الحسوسات ، وأنكروا بهام ما وراء المادة . في هذه الجمعيات الروحية التي أثبتت بجاربها الحسية ما وراء المادة من عالم الأرواح ، سواء كانت أرواح الموتى أو كانت من الجن العابثة بيني آدم كما قال تعالى ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا ﴾ كانوا في الجاهلية إذا نزلوا وأديا قالوا : نعوذ بكبير هذا الوادي من سفهاء قومه ، فاستطالت عليهم الجن وزادهم رهقا

إن كان أبو رية قد تعلق بأذيال الماديين فأنكر الجن وما جاء عنهم في الكتاب والسنة فقد ضل وأضاع نصيبه من الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين ونبس للظالمين بدلا

وقال (ص ٢٠١) وروى مسلم عنه أن رسول الله قال : « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة . ه . وهذه كسابقاتها لا أدري ما وجه نكارتها في عقل فيلسوفنا المبغرى

وقال أبو رية (ص ٢٠١) : وروايات أبي هريرة من هذا القليل وأدهى منه تنهق الكتب بها ولا نستطيع إيرادها هنا لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات برأسها . ه

إن النماذج التي أوردتها من منكرات أبي هريرة بزعمك رأينا فيها مخنف تفكيرك والمهوى للمستولى على عقلك ، وقد قيل : الإنسان مخبوء تحت لسانه ، ومن ألف قد عرض عقله على الناس ، فرأينا عقلك للمروض من نوع عقل ابن الطبيب الذي يشه أبوه إلى مريض يتعمر في تشخيص مرضه ، فرأى برذعة معلقة في فناء داره المريض ، وانتفاخا في عروقه فقال لهم : ذبحتم حماركم وأطعمتموه لمريضكم . فضحكوا عليه ، وانصرف بحزى القرامطة الخاطئة للضحكة . وأبو رية لا يدخل عقله ولا أيمانه ولا تسليبه أن ملكا يضع رجله الأولى في السماء والأخرى باقية في الأرض . ه

تحتاج الجنة والنار ، أو انتشار الجن الخاطفة بعد المغرب إلى العشاء ، أو شجرة في عالم الغيب يسير الزاكن في ظلها مئة سنة ، إلى غير ذلك من غرائب عالم الغيب والدار الآخرة وملكوته الله الأعظم ، وقد ذكر الله في صفة المتقين ﴿الذين يؤمنون بالغيب . . . وبالآخرة هم يوقنون﴾

رواية كبار الصحابة

أبي بكر - عمر - عثمان - علي - أبي بن كعب - زيد بن ثابت

قال أبو رية (ص ٢٠٢) : هذا هو تاريخ أبي هريرة الذي لم يصاحب النبي إلا حوالي ثلاث سنين ، ثم ترك هذه الألوف الكثيرة من الأحاديث التي ضاعت بها الكتب ، وقد أطلنا فيه لأن أمر أبي هريرة يبين أمر الصحابة جميعا . هـ

وجوابه أن هذه الثروة العلمية التي وسعها كتب الحديث والدواوين الإسلامية من أحاديث أبي هريرة هي التي ضاعت بها صدور أعداء الإسلام من الروافض فروع اليهود والمجوس وأمثال جولد زهر الذي ضاع صدره بالإسلام ونبه في كتابيه الشريعة والعقيدة - ومذاهب المسلمين في التفسير ، ومن سلك سبيلهم على جهل وهوى وبهتان كأبي رية

عقد أبو رية (ص ٢٠٢) مقارنة بين أبي بكر وأبي هريرة ، واستغرب قلة رواية أبي بكر وهو الحفظة النساب الذي لم يفارق رسول الله ﷺ لا سفرا ولا حضرا ، واستنكر الألوف التي رواها أبو هريرة الذي لم يصاحب رسول الله ﷺ إلا ثلاث سنين

ولنا أن نطلب من فيلسوفنا أن يعقد هذه المقارنة بين أبي بكر الذي صحب الرسول ﷺ قبل النبوة وبعدها أكثر من ثلاثين سنة وبين ابنته أم المؤمنين عائشة التي ما صحبت رسول الله ﷺ إلا تسع سنين ، ويذكر لنا السبب في رواية عائشة ألوف الأحاديث التي لم يروها عشر معشارها

فإن كانت كثرة حديث أبي هريرة مع قلة حديث أبي بكر موضع شك عند الفيلسوف

في أحاديث أبي هريرة ، فليخرج من مثله في كثرة أحاديث عائشة مع قلة حديث أيها
فأجوابه عن كثرة حديثها مع قلة حديث أيها فهو جوابنا على كثرة حديث أبي
هريرة مع قلة حديث أبي بكر

والجواب الصحيح أن كلا ميسر لما خلق له ، فأبو بكر الذي هياه الله بملازمه صحبة
نيه للرأسة المظلى والخلافة الكبرى والقيام بأعباء المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ ،
ما كان في وقته ولا ظروفه أن يجلس محدثا في حلقة من حلقات المسجد النبوى ، خصوصا
وأن مدته بعد وفاة رسول الله ﷺ كانت جد قصيرة سنتين وخمسة شهور

أما عائشة وأبو هريرة وأمثالهما كابن عمرو وابن عمر وأنس وأبي سعيد فقد هيات لهم
ظروفهم وفراغهم عن الاشتغال بامارة المسلمين وسياساتهم التفرغ لحل العلم النبوى وتبليغه
للناس ، وكل ميسر لما خلق له

وكذلك ما عقده من المقارنة بين عمر وأبي هريرة (ص ٢٠٣) وبينه وبين عثمان
وعلى (ص ٢٠٤) وبينه وبين أبي بن كعب (ص ٢٠٥) وبينه وبين زيد بن
ثابت (ص ٢٠٦)

وقوله (ص ٢٠٣) في قول شيخ الاسلام ابن تيمية في مشاورة عمر للسابقين الأولين
مثل عثمان وعلى وطلحة - إلى قوله - وغيرهم ممن له علم وفقه أو رأى أو نصيحة
للإسلام وأهله

علق أبو رية عليها بقوله : وانظر إلى دقة فهم ابن تيمية وواسع اطلاعه فانه لم يذكر
أبا هريرة في الذين يستشيرهم عمر ، لأنه لم يكن له علم ولا فقه ولا رأى ولا نصيحة . هـ
فياحبها لصاحب الجمل والعسى والهوى ، ألا يدخل أبو هريرة في قول ابن تيمية « وغيرهم
ممن له علم وفقه أو رأى أو نصيحة للإسلام » ؟ من الذى أخرجه من ذلك سوى هوالك
وبنيك وعصبيتك الباطلة لأعداء الاسلام من الرافضة وغيرهم . وإذا كان ابن تيمية
عندك دقيق الفهم واسع الاطلاع فانه يقبل أحاديث أبي هريرة ويحتج بها وبعده من خيان

الصحابة ، أفلا يكون ابن تيبة حجة عندك في ذلك أيضا ؟

وقال أبو رية (ح ١ ص ٢٠٤) : ذكر ذلك أبو داود بن علي في كتابه الفصل

١٣٨ . ج ٤ . ٨٠

ولا نعرف كتاب الفصل في اللال والأهواء والنحل إلا للإمام ابن حزم الظاهري صاحب المحلى وكتاب الأحكام ، واسمه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري صاحب السيف والقلم والوزارة والعلم

فيا رحمة الله للعلم من منتهليه أهل الجهالة والهوى والضلال

وقال (ح ٣ ص ٢٠٤) : وقال ابن حنبل : ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي ، وقال هو والنسائي والنيسابوري وغيرهم : لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء فيه . الخ

(أولا) نسأل فيلسوف العصر من هو النيسابوري الذي ذكره مع ابن حنبل والنسائي في ذكر فضل علي ، لعله رأى عبارة في الكتب فلم يفهمها فنقلها بغير فهم

(ثانيا) فضل علي أمر مسلم ، ولكنه لا يرفعه فوق منزلته التي أنزل الله عليها ثالث الخلفاء الراشدين دون أبي بكر وعمر وعثمان وفوق غيرهم من الصحابة وليس هو كما زعمت شيعته أفضل الصحابة ، ولا ما زعموه : علي خير البشر ، ومن أبي فقد كفر . ولا ما زعمه غلاتهم أنه الله وأنه فوق السحاب ، ولا غير ذلك من حماقاتهم . ولا ما زعمه قذورتك ومهرجك الملحد ابن أبي الحديد في قوله عن علي :

يجل عن الأعراض والأين وللي ويكبر عن تشبيهه بالناصر

وإن كان ما سطرت من الفلوفيه - وهو برى بمن غلافه - تريد به الخطوة عند

الرافضة فر بما تنالها ، والوعد الموقف بين يدي الله يوم الدين

قال أبو ريرة (ص ٢٠٧) : أحاديث مشككة

أقول : قال الله تعالى ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب . ربنا لا نزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾

آمنا بحكم كتاب الله ومتشابهه ، وكذلك سنة نبيه ﷺ ، ما عقلناه منها وما لم نقله من أمر الغيب

قال أبو ريرة (ص ٢٠٧) : إن الرواية قد حملت عن رسول الله فيما حملت أحاديث كثيرة مشككة وغريبة ، وإنا نورد هنا بعض الأحاديث على طريق المثال لأن استيعابها يحتاج إلى أسفار متعددة

عن ابن عباس : أن الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلعه نور وكتابه نور عرضه ما بين السماوات والأرض ينظر فيه كل يوم نظرة ، ويحيى ويميت ويعز ويذل ويقبل ما يشاء . رواه عبد الرزاق وابن المنذر والطبرانى والحاكم . هـ

وجوابه (أولا) : أن الحديث موقوف على ابن عباس من كلامه ، وليس مرفوعا إلى النبي ﷺ . فيظهر أن فيلسوفنا لا يعرف الموقوف من المرفوع ، على رأى اللئى كله عند العرب صابون . (وثانيا) إذا جرينا على ما يراه بعضهم أن له حكم الرفع لأنه ليس مما يقال بأمر ولا مجال للرأى فيه واستبعدناه عن الاسرائيليات فأى إشكال وغرابة فيه ؟ أمن أجل أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء ودفتاه من ياقوتة حمراء قلعه نور وكتابه نور عرضه ما بين السموات والأرض الخ ؟ إن كان من أجل ذلك فليفسكر ما فى الجنة من أواني الذهب والفضة وحليها ولباس الحرير والاستبرق والسندس وأنهار الصل للصق واللبن الذى لم يتغير طعمه والماء غير الآسن وغير ذلك مما جاء فى وصفها فى القرآن وما

لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

فإذا آمن بما جاء في القرآن من أوصاف الجنة ، فذا يمنعه أن يؤمن بغيرها من عالم الغيب مما صح في الحديث ، وكله من واد واحد ، ويسلم لخبر الوحي وإن لم يدرك العقل كنهه ويؤد عن للألف تكيفه

﴿ ويألوئك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ ولا يكون ممن قال الله فيهم ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ﴾

قال (ص ٢٠٧) وروى الشيخان وبمض السنن والمسانيد والتفسير للأثور عن أبي ذر قال رسول الله لأبي ذر حين غربت الشمس : أتدرى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتسأذن فلا يؤذن لها فيقال لها ارجعي من حيث شئت ، فتطلع من مغربها ، فذلك قوله تعالى ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ الآية

وجوابه : إن هذا الحديث إن عرفنا وجهه فيها ونسبت ، والاقلنا : آهنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب . ويخطر لي خاطر في الحديث - فإن يكن حقا فمن الله وإن يكن خطأ فممن ومن الشيطان - إن المراد سجود الملائكة للموكلين بالشمس ، وقد سعى الله للملائكة بالمدبرات أسراً ، وورد ذكر ملك السحاب وملك النبات وملك الجبال وملك الرياح وملك الرحم وملك الموت والحفظة الكرام الكاتبين لبني آدم وأن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، فيكون ما جاء في الحديث من سجود الشمس واستئذانها ونحو ذلك للملائكة الذين يدبرون أمر الله في تسخيرها ، وحينئذ لا إشكال في الحديث

وقد سمعت شيخنا الشيخ عبيد الله السندى رحمه الله يقول ما معناه : إن نظر الرسل والأنبياء إلى عالم المثال والغيب ، ونظر علماء الكون إلى ما يظهر لهم من عالم المحسوسات ، فإذا جاء عن الرسل ما لا يفهم على طريقة المحسوسات كان

تأويله على نظرم لعالم اللثال والغيب ، ولا نذهب مذاهب من زعم تعارض
الذوات والمقول

لقد جاء في فلسفة الوثنية البابلية والآشورية واليونانية أن للكواكب والشمس والقمر
حقولا وأرواحا بها تسير وتتحرك وتدير بزعمهم أمور المخلوقات

ولكننا معشر الخفاء نرفض هذه الفلسفة ، ونرى أن تدبير خلق الله بأمر الله على
يدى ملائكته للدبرات أمراً

وبعد فقد انتقلت شكوك أبي رية من أبي هريرة إلى روايات ابن عباس وأبي در ،
ولا يدري إلا الله إلى أين تنتهي شكوكه ، عسى أن لا تصل إلى القرآن .
عياذا بالله تعالى

وقال (ص ٢٠٧) وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو صاحب الزاملتين قال : ان في
البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان بن داود ، يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس
قرآنا . هـ

وجوابه : (أولاً) أن هذا الأثر من مقدمة مسلم لا من صحيحه ، ولكن فيلسوفنا
لا يعرف الفرق بين ما يرويه مسلم في صحيحه وما يورده في مقدمة صحيحه ، وهذا من أول ما
يعرفه من شم رائحة من علم الحديث ، ولذلك تمح في كتب الرجال رمزا لمسلم في صحيحه م
ورمزاله في مقدمة صحيحه مق

(ثانياً) هذا الأثر من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص صاحب الزاملتين ، فكيف
الصقته بالمشكل من الأحاديث ؟ لأنك لا تعرف الفرق بين الموقوف والمرفوع ، أم هو
الهمز والشك والرب جعلك تحمل على الأحاديث النبوية ما ليس منها ؟

وقال (ص ٢٠٧) : وروى البخاري في (باب الدواء بالمعجوة للسحر) عن عامر بن
سعد عن أبيه قال : قال النبي ﷺ « من اصطبغ كل يوم تمرات معجوة لم يضره سم ولا
سحر ذلك اليوم إلى الليل - وفي رواية سبع تمرات معجوة - وكذا لمسلم عن سعيد بن أبي

العاص . وعند النسائي من حديث جابر : المعجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم . هـ
لو علم أبو رية أن البنسلين ذلك العقار المضاد للتعفن والصديد هو من عفن الخبز - وأن
السلفا ومشتقاتها من تراب المقابر وفضلات التعفن للاموات ، وأن الخلين عقار الذبحة
الصدرية من بزر الخلة وأن بزر الخلة الشيطاني المسمى بمصر جزر الفار يخرج منه عقار نافع
لو علم ذلك أبو رية لاستحيا من الله ومن خيار خلقه بل من عقلاء الناس أن يمد
من مشكلات الأحاديث حديث المعجوة وشفاءها من السحر والسم

حدثني طبيب سورى يشتغل في الملكة السعودية واشتغل بنجد قال : إن صحة
التجديدين جيدة جدا بسبب اصطباحهم في البكور يوما على التمر واللبن الماضر

قال (آخر ص ٢٠٧) : وأخرج الشيخان عن أبي هريرة (أى مرفوعا) : إذا نودي
لصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين ، فإذا قضي التأذين أقبل حتى إذا
ثوب بالصلاة أدبر حتى إذا قضي للتثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه - قال : وقال
الملاء لثلا يسمع فيضطر أن يشهد له بذلك يوم القيامة . هـ

وليت تشعري ما إشكال هذا الحديث عند أبي رية ، لأن الشيطان لا يحب أن يسمع
كلمة التوحيد في الأذان والإقامة ، أم لأن أبارية لا يؤمن بعالم الغيب ، ويريد على
هواه وإلقه ؟

وقال (ص ٢٠٨) : وروى مسلم عن أبي سفيان أنه قال لنبى : يا رسول الله أعطني
ثلاثا ، تزوج ابنتي أم حبيبة ، وابني معاوية اجعله كاتباً ، وأمرني أن أقاتل الكفار كما
قاتلت المسلمين . . .

قال : وأم حبيبة تزوجها رسول الله وهو بالحبشة وأصدقها النجاشي ، وأبو سفيان
أسلم عام الفتح ، وبين الهجرة والفتح عدة سنين . هـ

وجوابه كما قال الملاء أن أبا سفيان أراد أن يحدد عقد زواج بنته بالنبي ﷺ إذ

أنها تزوجت بولاية أحد بنى عمومها ، فظن أبو سفيان أن عقد زواجها بولاية أيها أوثق وأشرف ، أو أراد اختا لأم حبيبة لغذف بعض الرواة لفظه أخت فحصل الاشتباه ، فالحديث لا إشكال فيه

وقوله وأم حبيبة تزوجها رسول الله ﷺ وهو بالحبشة فان قوله « وهو بالحبشة » جهالة بالسيرة النبوية ، فالرسول ﷺ لم يكن يوما بالحبشة . وعهدنا بأبي رية لعن من يقع منه الكذب في الحديث ولو عن غير عمد ، فهل هو هنا كاذب في الحديث بأن النبي ﷺ تزوج بأم حبيبة « وهو بالحبشة » ، وهل هو على استعداد لأن يتبوأ مقعده من النار على هذا الكذب ولو غير المتعمد ؟

وقال (ص ٢٠٨) : وفي مسند أحد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ صدق أمية [أبي] الصلت الشاعر المشهور في قوله :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة والا تجملد

ولا أدري ما إشكال هذا الحديث عند فيلسوفنا ، أحمر الشمس ولون نورها صباحا ، أم تعذيبها وجلدها الذي هو مجاز عن تسخيرها ؟ ليته أفصح عما استشكله في هذا الشعر حتى يضحك للناس على تفكيره

وسبق له أن يعيب على الحديثين الإدراج في الحديث ، فهل قوله « الشاعر للشهور » من إدراجه هو في الحديث ، أم من كلام ابن عباس « ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون »

وقال (ص ٢٠٨) : وروى مسلم عن أنس بن مالك أن رجلا سأل النبي ﷺ قال : متى تقوم الساعة ؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة ، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال : ان عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة . قال أنس : ذاك الغلام من أترابي يومئذ

قال أبو رية وقد مات أنس في سنة ٩٣ هـ على المشهور ، وهو ترب الغلام الذي قال
النبي ﷺ إنه لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة ، وبذلك يكون قيام الساعة قبل انقضاء
القرن الأول الهجري

قال أبو رية فاقول عباد الأسانيد ، لعل بعضهم ينبرى فيقول وما يدريك لعل هذا
الغلام لم يدركه الهرم إلى الآن

وأقول لأبي رية : والله يا عابد مبغض الأحاديث من الروافض زنادقة الفرس واليهود
إن هذا البهتان لم يحظر على بال من سميت عباد الأسانيد

وإنما الحديث من نوع حديث ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ قبل أن يموت
بليال قال : أرايتكم ليحكم هذه ، فإن كل رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض من
هو عليها اليوم أحد . فوهل الناس في ذلك وظنوه قيام الساعة ، ولكنه أراد انخرام
الجيل الذي عاش فيه . وقد فسروا قيام الساعة بثلاثة أنواع من اللراد بها : (أولها) ، قيام
ساعة القرد بالموت ، ومن مات فقد قامت قيامته . (ثانيها) قيام ساعة الأمة بذهاب عزها
واستقلالها باستيلاء أمة أخرى عليها ، وعليه فسروا حديث « إذا وسد الأمر لغير أهله
فانتظر الساعة » وأحاديث أخرى « إذا ضيعت الأمانة » ، « أن ترى الحفاة العراة العالة
ردوس الناس » ، « أن تلد الأمة ربتها أو يعلى » الخ . (الثالث) القيامة العظمى مثل
﴿ إذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة . إذا رجبت الأرض رجبا ، وبست
الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا ﴾ ، ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾

فحديث قيام الساعة في حديث الغلام ترب أنس كحديث ابن عمر في انخرام الجيل
الذي عاش فيه رسول الله ﷺ ، ولم يحظر في بال أحد من أهل الحديث ما افتربه عليهم
يا عابد الروافض أن ترب أنس لم يهرم لليوم ، وإنما هو الزور والبهتان حكك عليها الهوى
وعى البصيرة . والغلام الذي يعيش المصور ولم يمت بعد هو في عقيدة أصحابك الذين
مدعون له بأن يجعل الله فرجه ، لا في عقيدة أهل السنة

وقال أبو رية (ص ٢٠٨) : نكتفي بما أوردناه ، وهناك أحاديث أكثر شناعة تركناها خوف الإطالة ، وللإمام الطحاوي كتاب كبير في أربعة مجلدات في مشكل الحديث فيرجع إليه من أراد هـ .

وجوابه : وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
ومن يك ذا قم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

قال الله تعالى ﴿ قل هو هدى وشفاء للذين آمنوا ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ . نعم يناديهم بغضهم لحمة العلم النبوي وجهم لأعداء حمة الآثار ، فيصرفهم عن الحق والهدى والصرط المستقيم
ونقل أبو رية (ص ٢١٥) تحت عنوان (كلمة جامعة في أحاديث أشرط الساعة - وأمثالها)

كلمة في نحو صفحتين عن السيد رشيد رضا رحمه الله تعالى من تفسيره ص ٥٠٤ - ٥٠٧
ج ٩ فيما جاء من الأحاديث في أشرط الساعة وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وغيرها شكك فيها بأحاديث أشرط الساعة بأن الرواة رووها بالمعنى - يعنى ويجوز الخطأ عليهم فيما فهموه من كلام النبي ﷺ ، وأن الصحابة كان فيهم منافقون وفي الرواة وضاعون ، تظاهروا بالصالح فلم يعرف ما وضعوه إلا بعد توبة بعضهم وإقراره بما وضع الخ ما هو دفع في صدر الأحاديث الصحيحة ومجزها وإضعاف الثقة بها والاحتجاج بما جاءت به

وقول كلمة موجزة في سبب هذا التشكيك من السيد رشيد رحمه الله تعالى ، تخرج رحمه الله تعالى على أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده الذى عمير في فلسفة القرن الثامن عشر والتاسع عشر ورضما جميعا لبان فلسفة جوستاف لوبون وكانت ونش واسبير وغيرهم من أساطين الفلسفة للمادية التى تقول ببحرية الأسباب وللبيات وأن العالم بسير بنواميس لا يمكن أن تتخلف أو أن ينفك مسبب عن منببه عقلا

فلم تنسح الفلسفة للادية في تفكيرها للإيمان بالمعجزات والحوارق من انشقاق البحر لموسى والمصا له وآيات عيسى بن مريم ورفع له السماء وتزوله وخروج الدجال والذابة وطلوع الشمس من مغربها وانشقاق القمر وغيرها من الآيات

ولما لم تنسح فلسفتها - فلسفة القرن الثامن عشر - والتاسع عشر لهذه الحوارق والآيات والمعجزات أخذوا في تأويلها في القرآن والشك في أحاديثها

ولو عاش الامامان الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا رحمهما الله إلى منتصف القرن العشرين وعلمنا فلسفته التي نفت الجبرية وأنها ذهبت إلى غير رجعة ، وأن العالم مسير بحكمة فاعل مختار لا بجزئية حتمية كما أعلن ذلك مشرفة باشا في مقال له « تطور العلم » والعالم الطبيعي الفلكي الانكليزي جنز في كتابه « الكون الخفي » او المستور ورئيس الأكاديمية الأمريكية في نيورك صاحب كتاب « الانسان لا يقوم وحده » الذي يرد على هكسلي خليفة دارون في كتابه « الانسان يقوم وحده » وقد عُرِب كتاب الانسان لا يقوم وحده باسم « العلم يدعو إلى الايمان »

أقول لو عاش الامامان إلى هذا التجديد في الفلسفة القرية لكان لهما رأى آخر في آيات الانبياء وحوارقهم ومعجزاتهم ، ولكان لهم إيمان وفرح بأحاديث أشراف الساعة والحوارق ولا استفاد منها علوما نفسية من الوحي الإلهي

ولو كان لأبي ربة أن يعرف تطور العلم وانهدام مادية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحلول فلسفة القرن العشرين محلها لكان يستحي من نفسه أن يقلد نظرية خاطئة محاما الزمان وطبسا ، ويرد بها صحيح الأحاديث ويشكك فيها ، ويصير كالغراب الذي أراد مشية للقطا ففقد مشيته ولم يحسن مشية القطا ، وصار أعرج بين الطيور

أنا تلميذ السيد رشيد رضا رحمه الله ، واستفدت منه ما أشكر الله عليه ، وأشكر أستاذي على ذلك وأترحم عليه لأجله ، ولكن ذلك لا يمنعني أن أخالفه إلى ما يظهر لي من الحق كما قال أحد الحكماء عن شيخه : إنه يحبه ، والحق أحب إليه من شيخه

لم ينس أبو رية عداوته للسنة وشكه وتشكيكه فيها ، فقال (في حاشية ص ٢١٩) عند الكلام على جمع القرآن وسببه : مما يلفت النظر البعيد ، ويسترعى للعقل الرشيد أن عمر لما راعه تهافت الصحابة في حرب الجلالة تهافت للفراش في النار ، وفرغ الى أبي بكر لكي يسارع الى جمع القرآن وكتابته ، لم يقل عنهم أنهم حملة الحديث بل قال أنهم حملة القرآن ، ولم يطلب جمع الحديث وكتابته عندما فرغ الى أبي بكر ، بل جعل همه في القرآن وحده وكتابته ، ولم يقف الأمر عند ذلك فحسب بل إننا لم نجدهم وهم يجمعون القرآن ويدونونه قد اقترح واحد منهم أن يجمعوا الحديث ويكتبونه ، بل انحصرت عنايتهم جميعا في جمع القرآن فحسب ، وفي ذلك أقوى الأدلة وأصدق البراهين على أنهم لم يكونوا يفتنون بأمر جمع الحديث ، ولا أن يكون لهم فيه كتاب محفوظ ، يبقى على وجه الدهر كالقرآن الكريم . هـ

أقول : وقأت فيلسوفنا عدو السنة أن حملة القرآن عدد محدود يمكن استيفاء ما عندهم ، ولذلك خيف من قتلهم ضياع ما عندهم من القرآن . أما حملة السنة فيريدون على الإحصاء والمد ، فقد حضر منهم في حجة الوداع وحدها ما يزيد على مائة ألف فكيف بمن لم يحضرها ، وإنما كان حاضرو حجة الوداع من المدينة وما حولها بخلاف سائر سكان الجزيرة العربية الذين دخلوا في دين الله أنواعا وسبق لهم التشرف برؤية الرسول ﷺ وقادة عليه ، فكيف يمكن جمع ما مع هؤلاء يامن له عقل وفهم وانصاف . ثم إن جمهور هذه الأمة العربية في عصر النبوة كانت أمية لا تحب ولا تكتب ، كما قال تعالى ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾ وفي الحديث « نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب » وأمة أمية هذا شأنها يستحيل تدوين ما في صدورهم من علم وحكمة ، ويكفي في حفظه ما امتازت به من قوة الحفظ والذاكرة . بل إن هذا الحفظ وقوة الذاكرة هو أساس حفظ القرآن ، والكتابة والتدوين زيادة خير ونافعة ، وإلا فما يفيد كتابة آية ﴿ ان حاكم فسق سافسوا ﴾ أن لم يكن الحفظ والذاكرة أو آية ﴿ يعصم »

الحق وهو حر الفصلين ﴿ قالذى حفظ للإسلام والانسانية هذا القرآن بقرائنه وحركاته وأنتامه هو الحفظ والذاكرة والعبرية الفادرة ، وهما اللذان حفظ بهما حديث رسول الله وسنته وأيام العرب ووقائعها وشعرها ، حتى زالت الأمية عن الأمة فدونت حديثها وكتبها وأصول فقهها وتاريخ حياتها وأخبارها وسائر ما هو من لوازم الأمة للتحضرة أيها الفيلسوف الناقد على غير بصيرة

وقال (ص ٢٣٠) : فصنف عبد الله بن موسى العيسى الكوفي منذ ٥٠٠ هـ . وصوابه « عبيد الله » مصفرا لا عبد الله مكبرا ، ولكن من كان علمه من الصحف لا من التلقى كان تصحيحه أكثر من صوابه

وقال (ص ٢٣٢) وصنفوا من ذلك كتباً وكسروها ، من الكسر ضد الجبر ، ولعله يريد « كسروها » من القصر نخانه التعبير ، أو أوقعه في ذلك الإغراب في التعبير

وقال (ص ٢٣٣) : لما تركت أحاديث الرسول صلوات الله عليه بنهر تدوين في عهده ولم ينهض الصحابة لكتابتها كما كتبوا القرآن اتسعت أبواب الرواة عن رسول الله ﷺ لكل ذى هوى زائع أو دخلة سيئة من غير خوف من ضمير ولا وازع من دين ، فرووا ما شاءوا أن يرووا . هـ

ويقال لناقدنا صاحب الهوى : إن الله قد حفظ دينه في كتابه وسنة رسول الله ﷺ بحفظ التفات ورواية الصادقين ، وتميز الحق من الباطل في الرواية سواء في القرآن أو الحديث ، ولم يضر عدم تدوين الحديث شيئا في معرفة صحيحه من سقيه ، كما لم يمنع تدوين القرآن من وجود القراءات الشاذة كما هو معروف عند علماء القراءات من شذوذ مافوق العشرة . هـ

وقد جمع ابن خالويه النحوى رسالة متوسطة الحجم في القراءات الشاذة أحفظ منها قراءة من قرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ بضم اللام في لله تبعا لضمة الدال . وقراءة من قرأ ﴿ الحمد لله ﴾ بكسر دال الحمد تبعا لكسر لام لله ، وأمثاله كثير ، فيها منه تدوين

القرآن أمثال هذه الشواذ ؟

إن شواذ القراءات كضعاف الأحاديث ، لم يمنحها التدوين كما لم يجلبها عدم التدوين ، وإنما هي سنة الله في خلقه أن يوجد بجانب النور غسق ، وبجانب الأصحاء مرضى ، وبجانب الحق باطل

وقال (ص ٢٣٣) ولو أن المسلمين الأولين أو من دخلوا في الاسلام من بعد كانوا طبقة واحدة في الصدق ودرجة متساوية في العدل وكمال السيرة ، أو لو أن الرواية قد وقفت على من أطلقوا عليهم الصحة ، وربطت الكتابة ما روى في عهد الخلفاء الراشدين لكان عسى أن يكون النقل مقصورا على ما قاله النبي ﷺ بغير زيادة ولا نقص ولجأت الأحاديث كلها صحيحة لا شك فيها ، ومن ثم كانت الأمة تتلقاها بالرضا والتسليم كما تلقت من قبلها آيات القرآن الحكيم ، وبأخذها الخلف عن السلف بالفاظها ومعانيها ولا يخالف أحد من المسلمين فيها ، ثم تسير الأمة على نورها وتهتدى بهديها ، من غير تمذهب ولا تفرق كما هو الأصل في الدين الذي يقول كتابه ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا - إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾

قال : ولكن الناس هم الناس في كل عصر ، والبشر لهم طباع لا تتغير ، وغرائز لا تتبدل ، وأهواء لا تتحول ، وما كان الصحابة رضى الله عنهم بدعا من الناس ولا هم بالمعصومين . هـ

وجواب هذه للمغالطات التي يأخذ بعضها برقاب بعض ، وأملها الهوى والجهل وبغض السنن والأحاديث ، أن هذا الجيل الذي تخيله طبقة واحدة في الصدق ودرجة متساوية في العدل وكمال السيرة لم يخلق الله تعالى ولا شاء الله لبي الإنسان ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ ، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ ، ﴿ وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح

بمجدك وتقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة في الآيات

وزعمه أن الرواية لو وقفت على من أطلقوا عليهم الصحبة وربطت الكتابة ما روى في عهد الخلفاء الراشدين لكان يرجى أن يكون النقل مقصورا على ما قاله النبي ﷺ ولجاءت الأحاديث كلها صحيحة لا شك فيها . هذا كله مخالطة سببه الجهل والهوى . فالأحاديث الصحيحة هي ما كانت عن صحابة رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ بالسند الصحيح ، وما جاء عن غيره يسمى أثرا وموقوفا . وفائدته تفسير آية أو حديث أو بيان مذهب صاحب أو إمام ممن بعدهم ، فقيه من الفائدة ما لا يخفى إلا على جاهل

وسبق أن قلنا له إن التدوين للقرآن لم يمنع ورود القراءات الشاذة ، وذكرنا له ما قالوه فيما وراء العشرة وما جمعه ابن خالويه في كتابه القراءات الشاذة ، ونذكر له هنا أن خيار الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تلقوا أحاديث الرسول ﷺ بالقبول والتسليم كما تلقوا آيات القرآن الجيد ، ولم يشك في أحاديث الرسول الصحيحة إلا من في قلبه مرض وانبع غير سبيل المؤمنين من الروافض والجهمية والخوارج وسائر أهل الأهواء والبدع . وأما زعمه أن السنة لو كانت تدونت في عصره ﷺ أو عصر صحابته رضي الله عنهم لما كان ثم تذهب ولا تفرق في الدين لجهل بأسباب التذهب والتفرق في الدين ، هاهم أولاء الذين لا يدينون بالأحاديث ولا يرفعون بها رأسا من الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة تفرقوا في دينهم أيما تفرق ، وفي كتب النحل والمذاهب الكلامية ككتاب الأشعري (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) وكتاب (الفصل) لأبي محمد ابن حزم (والملل والنحل) لشهرستان وأمثالها من مذاهب الذين يزعمون أنهم لا يأخذون إلا بالقرآن ويرفضون الأحاديث والسنة من الخوارج والجهمية والروافض ما لا يحصى إلا الله تعالى ، تجرد الرجل من أهل الأهواء كالهلاف وأبي الهذيل والنظام وشيطان الطاق وأمثالهم يذهب إلى الرأي من هواه ويخالفه فيه تلاميذه وأتباعه إلى أشنع مما ذهب إليه . لقد بين الله سبحانه بسبب الخلاف الذي يمتقه ولا يرتضيه بقوله ﴿ كان الناس أمة واحدة

م — ١٦ * ظلمات أبي رية

فبث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ﴿ وقال ﴾ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ﴿ تبين أن الاختلاف في الدين الذي يبعثه الله وينهى عنه سببه البغي بعد مجيء الكتاب والبيئات ، وأما الاختلاف الذي سببه تفاوت الناس في الفهم والعلم بدون عداوة ولا بغى فهذا من طبيعة البشر وما عذرت فيه الشرائع وتجاوز الله عنه

والله در شيخ الاسلام ابن تيمية فقد بين أنواع الاختلاف - مذموه وما يعذر فيه - في أول كتابه القيم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)

وأما قول فيلسوفنا : إن الصحابة ما كانوا بدعا من الناس ولا هم بالمصومين ، فقد أوضح الله تعالى الحق في ذلك بقوله ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيام في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزراع أخرج شطاها فآزره فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليضيظ بهم الكفار ﴾ الآية . وقوله ﴿ للنهارجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ينصرون الله ورسوله أولئك هم الفلاحون . والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ والحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم » الخ ، والحديث الآخر « لا نسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » . هذا هو الحق في وصف أصحاب رسول الله ، ومن غاظه ذلك فليقف من قول الله ورسوله حيث شاء

وذكر (أول ص ٢٣٤) اختلاف الصحابة بعد موت النبي ﷺ حتى قبل دفنه ﷺ وارتداد بعضهم وحزم أبي بكر وعمر في رد المرتدين إلى الاسلام الخ ، وتلك شكاة الظالمين

عنك عارها . واختلاف الصحابة وأسبابه له موضع آخر ، وهو ليس من أغراض السنة ولا الدفاع عنها ، ومن تكلم في ذلك فليتكلم بعلم وإنصاف أو ليسكت بحلم ووقار .

وقال (ص ٢٣٤) : من أجل ذلك كان كبار الصحابة كآبي بكر وعمر وعلى لا يصدقون من يزdy لهم من الصحابة - حتى من كبارهم - حديثا إلا إذا جاء بشهيد يشهد معه أنه قد سمعه من النبي ﷺ أو يخلف أنه تلقاه عنه - قال : ولو كانوا كلهم مبرأين من الخطأ والكذب - كما قالوا عنهم - لقبلت رواية كل من يروى منهم في عهد الخلفاء الكبار بنير شاهد أو عين ، وبخاصة فانهم كانوا هم الناس الذين تلقوا الدين مباشرة من نبيهم ولا يزال نور النبوة يشرق في قلوبهم . هـ

وجوابه : إن تثبت بعض الخلفاء في رواية بعضهم بتأكيد بشاهد أو يمين وقائع جزئية اقتضاها ظرف الحديث والحديث ، وليست وقائع عامة ولا سنة مطردة . فهذا أبو بكر جاءته الجدة تطلب ميراثها وهذا عمر يخبره عمار أن الجنب يكفيه ضربه للوجه واليدن إذا فقد الماء ، وبسكت عنه عمر . وهذا حديث أنسبة الزكاة برويه عمرو بن حزم ويعمل به أبو بكر ومن بعده - والأمثلة كثيرة كلها تنسف دعوى أبي رية التي لم يبرهن عليها . وما باله تحظى عثمان عندما ذكر كبار الصحابة ؟ لأنه يقبل الحديث جزافا من دونهم ، أم أنه عنده ليس من كبار الصحابة ولا من الخلفاء الراشدين ، أم إرضاء لساداته الروافض الذين بغضهم ذكره ؟

وينصح أبو رية في ص ٢٣٤ لدارس تاريخ الاسلام بمعرفة حال العرب قبل الاسلام وما بين بني أمية وبني هاشم في الجاهلية والاسلام ، وما كان بين النبي ﷺ وبين اليهود وما تسكنه قلوب أهل الأديان والأمم الأخرى للإسلام من بغض وشتان هـ

وباليت عمل بهذه النصيحة فمرف ما يكيد للشتشرقون للإسلام أمثال جولد زهر وشبلنجر فلم يعتمد طعنهم في الحديث وأهله خصوصا حافظ سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه فأيا هريرة رضى الله عنه وعبد الله بن عمرو وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعائشة رضى الله عنهم

وذكر ما تزعمه الشيعة لبني أمية من اللجدة لبني هاشم ص ٢٣٤ م ٢١ وأنهم حاولوا إغراء بني هاشم بالمطالبة بالخلافة لكي تقع الفتنة ، لولا حزم عمر الذي أحبط كيدهم فسكتوا وطووا على ما بين جوانحهم حتى يهتبلوا فرصة تسترح لهم ، إلى أن تهيأت في خلافة عثمان رضى الله عنه : هـ

والذى يعرفه التاريخ أن ولاية أمر المسلمين دارت المشاورة حولها في سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار ، وكان الأنصار يظنون أن لهم في الخلافة نصيبا حتى قال قائلهم : منا أمير ومنكم أمير ، وقال لهم أبو بكر : ان العرب لا تدين إلا لهذا الحى من قريش ، أنتم الوزراء ونحن الأمراء ، وقام عمر وياح أبا بكر ، ورضى الأنصار وانتهى الخلاف ، ولم يكن لبني أمية ولا لبني هاشم ذكر في هذا الخلاف سوى ما اختلقت الرافضة للشوية سمعة الصعابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، وكان لى رضى الله عنه هوى فيها وظن أنه يقدم على عثمان ، ولكن إجماع المهاجرين والأنصار كان على تقديم عثمان ، فاختلق الشيعة - فروخ الزنادقة والفرس واليهود - كلمات على لسان على دسها الرضى في مجموعة سماها نهج البلاغة ، وشرحها بهذه الفتريات للحد الحبيث ابن أبي الحديد زميل ابن العلقمى في خيانة الاسلام ودولته ، وجاء باحث المصر أبو رية يرتشف من هذه الأكاذيب والفتريات ويزعم أنه يحقق تاريخ الاسلام على نحو لم يعرفه العلماء قبله

إن بنى أمية بنو عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد شمس أخو هاشم ، وليس بينهما في الجاهلية والاسلام إلا الود وصلة الرحم . أليس العباس هو الذى أجاز أبا سفيان عندما أمر في فتح مكة وحام من عمر عندما أراد ضرب عنقه ؟ أليس النبى صلوات الله عليه هو القاتل يوم فتح مكة « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فجعل داره كالمسجد الحرام في حماية من يدخلها ؟ أليس عثمان بن عفان أمويا وقد زوجه النبى ﷺ بنتيه الواحدة بعد الأخرى ولو كانت عنده نائلة لزوجه إياها ، وهو الذى جهز جيش العسرة بألنى بعير بأفتابها ورواحلها ، واشترى بثرومة من اليهودى الذى كان يبيع ماءها على المسلمين وجمل دلوها

فيها كسائر الدلاء ؟

فليس بين بنى أمية وبنى هاشم إذا أعرضنا عن فريات الزوافض إلا الحب والوثام ،
تجمعهم جامعة جدم المشترك عبد مناف . أليس الحسن بن علي هو الذي بايع معاوية
بالخلافة ، وأصلح الله به بين المسلمين ؟

ونسكت عن خروج الحسين بتغريش شيعه العراق له وخذلانهم له بعد ذلك ، وما
أصاب الاسلام والمسلمين من جرائها من فرقة ، وما أوضعه أعداء الاسلام بسببها من
فرقة ومصائب

والعباسيون وهم هاشميون نكلوا بمن خرج عليهم من بنى علي وهم أبناء عم وإخوة ،
ولكن الملك عقيم ، لا يرحم الوالد ولده إذا خرج عليه ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كبت
وعليها ما اكتسبت ، ولا تسألون عما كانوا يعملون ﴾

خرج أبو رية بعد طول ترثرته في اختلاف الأمويين والهاشميين ، وعدم تدوين
الحديث في عصر الصحابة ، وما كان من اختلاف بعض الناس في القراءات حتى جمع
عثمان المصحف الإمام وأمر بترك ما يخالفه ، خرج بعد ذلك (ص ٢٣٦) بنتيجة قال فيها :
من أجل ذلك كان الوصول إلى معرفة الأحاديث الصحيحة شاقا والبحث عن معرفة
حقيقة الرواة أشق ، وإذا علم ذلك كله بدا - ولا ريب - أن تأخير التدوين كان له ضرر
بالغ ، إذ كان سببا في اتساع آفاق الرواية ، واختلاط الصحيح بالموضوع ، وتعذر
التمييز بينهما على مر الدهور . هـ

وجوابه أن الصحيح لم يختلط بالموضوع إلا عند أمثاله ممن نظروا إلى الحديث وأهله
نظر الشك والريب ، وأساءوا الظن بعلما الاسلام وبمجاهدة النقل والنقد والتمييز وهرقاء
الامة برجال النقل وتمييز صحيح المنقول من سقيه حتى تميزت لديهم أنواع حديث رسول
الله ﷺ وعرفوا مقبوله من مردوده

وإن عدم التدوين الذي يندد به أبو رية ويزعم أنه كان سببا لاختلاط صحيح

الحديث بموضوعه ، فإن تفاديه في القرآن بتعجيل تدوينه لم يمنع ورود القراءات الشاذة ، وقد ذكرت له سابقا كتاب القراءات الشاذة لابن خالويه وما فوق العشرة عند القراء ، وإن تدوين آية (وكان له عمر) لم يحفظ ما عرف فيها من القراءتين بفتح التاء والميم على الأفراد وبضمهما على الجمع لولا حفظ الصحابة ، لحفظ الصحابة هو الذي حفظ القرآن بقراءته كما حفظ الحديث برواياته ، وضربنا الأمثلة الكثيرة لذلك ، فتدوين آية ﴿ فلعلى آدم من ربه كلاب ﴾ كيف يحفظ ما جاء في الآية من رفع آدم أو نصبه ورفع كلات أو نصبها لولا الحفظ . إن الذي أخذ قراءته من المدون بدون تلقى قرأ ورحمى وست كل شئ . ﴿ بأنسين « مى » ﴾ وقرأ ﴿ والله برى . من المشركين ورسوله ﴾ بكسر اللام عطفا على المشركين ، حتى اتبه لذلك من رأى نطق المصحف وتشكيله

فالحفظ لا التدوين هو الذي حفظ القرآن كما حفظ الحديث ، ومثله يقال في النحو واللغة وشواهدا ، والأصول والفقه وأدلتها ، والتاريخ وأخباره مما دُون عندما تهيات الأمة واستعدت لتدوينه ، قدر الله ذلك ﴿ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى ﴾ عن بينة ﴿

وكرر أبو رية (ص ٢٣٧) ما سبق له ترديده مرارا أن الأحاديث لو كانت كتبت عندما نطق بها النبي ﷺ لتلقاها الناس كما تلقوا كتاب الله بغير بحث في صحتها ولا تنقيب عن حقيقتها ، ولكن علم تدوينها في عهد صاحب الرسالة وأصحابه قد أزم العلماء أن يبحثوا في أمرها لكي يعرفوا الصحيح والموضوع منها . هـ

وسبق أن ذكرنا أنه أن تدوين القرآن وكتابته في عهده ﷺ لم يمنع مجيء القراءات الشاذة فكتابة ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ لم تمنع من قراءتها بضم اللام في لله تبعا لضم الدال في الحمد ، ولا من قراءتها بكسر الدال تبعا لكسر اللام ، فلم يحفظ الروايات الصحيحة في القرآن والحديث إلا حفظ هذه الأمة من الصحابة والتابعين لدينهم كتابا وسنة . فالتدوين لم يمنع شاذ القراءات وهي كضعيف الأحاديث ، والله في بعث رسوله في الأميين حكيم

عرفها العارفون وجعلها الجاهلون وتشوش بها الذين في قلوبهم مرض ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ والله أعلم بمن هم أصح لحل دينه من أبي رية وأمثاله من أهل الشكوك والريب ، وقد استقام دين الله الذي حملة أولئك الأميون وعمل به أهل اليقين والتقوى ، وأعرضوا عن شكوك الذين في قلوبهم مرض عن لم يرضوا عن الله ورسوله وحلة دينه

ألا فليخبرنا هذا المرتاب في حديث رسول الله ﷺ لعدم تدوينه في العصر النبوي ماذا كان يفيد التدوين لولا الحفظ في القراءات الصحيحة في قوله ﴿ لما رأى آدم من ربه كتابا ﴾ وقوله ﴿ والله بعض الحق وهو حبر العاصمين ﴾ وقوله ﴿ إن جاءكم فوسوسا فتنسوا ﴾ إلى أمثال ذلك مما يحتمله الخط الذي لم ينفط والحروف التي لم تشكل حتى قرأ بعضهم ﴿ ورحمى وسعت كل شيء ﴾ بالسين من سوء وقرأ آخر ﴿ وحمل السعة في رحل أحبه ﴾ قرأها : حمل السفينة - واحدة الفن - في رحل أخيه

فلولا الحفظ الذي خص الله به خير أمة أخرجت للناس لما أفاد التدوين في حفظ كتاب ولا سنة ، ولما كان في بعث نبيه ﷺ في الأميين المتأزين بالحفظ حكمة تنفي المبت

وقال (ص ٢٣٧) ناقلا عن الجزائري : إذ ليس كل ما يرويه من كان موموما بالعدالة والضبط يؤخذ به ، لما أنه قد يمرض له السهو والوهم والنسيان هـ

ويقال : إن الوهم والسهو والنسيان لا يصار إليها إلا بدليل ، والأصل في أخبار المدول الضابطين الصحة والقبول ، وعلى هذا جرى عمل خير القرون

إن أهل قباء - وهم في صلاتهم إلى بيت المقدس - أتاهم آت يقال : أشهد لصليت مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فاستداروا وهم في الصلاة إلى الكعبة الشرفة ، فتركوا ما كانوا عليه ييقن بخبر الآتي ، ولم يعترفم شك الوهم والنسيان في خبر هذا الآتي ، لأن الأصل في كلام الثقات الصحة والقبول ، ولا يتشكك فيه إلا من جانب طريق العقل

والفطرة . وذكرنا سابقا لهذا للرتاب أنه اذا جاءه خادمه بأن على الباب من يستأذن في الدخول فهل يتوقف في خبره لجواز الوهم والنسيان أم يقول لخادمه ائذن للمستأذن . انه يوجد في الناس سوفسطائية يشكون في كل شيء حتى في أنفسهم ، ولكن ذلك لا يضير ما عليه عمل الناس من قبول أخبار الصادقين والعمل بها ، وإن شك فيها المرتابون الذين انحرفت فطرهم عن الجادة وحادوا عن سواء السبيل

ومن مكرر القول أن نقول لأبي رية : إن تدوين القرآن لم يمنع من شواذ قراءاته ولم تحفظ به رواياته الصحيحة وأحرفه السبعة التي نزل بها لولا الحفظ الذي خص الله به أمة المسلمين .

وكذلك عدم تدوين الأحاديث والسنة لم يمنع معرفة صحيحها من سقيمها على ما فطر الله عباده من تمييز الحق من الباطل ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ ، ﴿ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ﴾ .

وقال (ص ٢٣٩) : اتفق علماء الحديث على أنه لا يؤخذ بالحديث إلا إذا كان رواه موصوفين بالعدالة والضبط . ثم قال : والعدالة وحدها غير كافية ، وقد اختلفوا في صفتها اختلافا شديدا حتى قالوا : ان من الصعب الوقوف على رسم العدالة فضلا عن حداثتها . وهذه شكوك من امتلأ قلبه بصديد الشك والريب ، ولم يعرف ما فطر الله عباده عليه من تمييز الصدق من الكذب وما جرت عليه معاملاتهم في كل زمان ومكان ، ان من اختلطت عليه معرفة ثقات الناس من كاذبهم يسقط معه الخطاب ، وأولى له دار المجانين وبيارستان المجاذيب

فالناس يعرفون بما آتاهم الله من العقل والتمييز خيار الناس من شرارهم ، وحسب أبي رية أن يشهد على نفسه بالخروج عن اتفاق علماء الحديث وأن ينضم إلى أعداء الكتاب والسنة من الروافض والجهمية والخوارج بل أعداء الاسلام من البشرين واللتشرقين إن من يتشكك في خبر خادمه الذي يخبره بمستأذن على الباب أولى أن يعد في سلك

الروسين الخبولين

وقال (ص ٢٣٩) : وليس كل ما يرويه الحافظ للمتقن صواباً لاحتمال أن يكون قد زل في بعض المواضع ، وكذلك ليس كل ما يرويه غير الحافظ للمتقن خطأ لإصابته في كثير من المواضع ، والعامل اللبيب هو الذى يسعى لمعرفة صواب كل فريق ليأخذ به . هـ .

قلت : وهذا فتح باب الفوضى واتباع الهوى بترك ما يرويه الحافظ للمتقن لاحتمال أن يكون قد زل في بعض المواضع وأحد ما يرويه غير الحافظ للمتقن لإصابته في كثير من المواضع والحكم في ذلك عند محائتنا هو عقل العاقل اللبيب

سأله : عقل من ترى ؟ عقل الجهمى أو الرافضى أو الخارجى : أو عقل جولدنبره عذر الاسلام أو من ترى ؟ ولو كان الدين مأخوذاً من عقول الناس فأى حاجة اليه ؟ وعقول الناس ينهما من الاختلاف ما لا يحصىه إلا خالقهما سبحانه

حد مثلاً هذا النور الذى تنكشف به الأشياء ، هل الباحثين فيه : هل اتفقوا على شئ . فى حقيقته ؟ أم أمواج أثرية ، وما الأثير ؟ أو هو جزيئات تنفصل من مصدره ولها هذه السرعة المدهشة ، ولماذا لم يردّها الزجاج ومحوه ؟

وقال (ح ١ ص ٢٣٨) : وصف هذا العلم - يعنى علم الحديث - عالم جليل فقال : انه علم اصطلاحى محض يوعى بكد الحافظة ، ويستنبط بقوة الذاكرة ، فلا يستلذه للفكر الغواص على حقائق المعقولات ، ولا الخيال الجوال فى أجواء الشعريات ، ولا الروح المررف فى رياض الأدب أو المحقق فى سماء الالهيات . هـ .

لم يفصح لنا علامتنا عن اسم هذا العالم الجليل أهو عبد الحسين الرافضى أو أبو جعفر الاسكافى أو للمحد ابن أبى الحديد وأمثالهم من مبغضى آثار رسول الله ﷺ . ونحمد الله أن بقيت فى أبى ربة بقية من حياء فكنتم اسم عالمه الجليل مبغض الحديث ومفضل خيالات الشعراء والمنكلمين على علم النبوة ، فقد استفدنا من إبهام اسمه أن أبى ربة لا تزال فيه مسحة من حياء يستحى مما قد يستحي منه .

وذكر (ح ٢ ص ٢٣٩) عن شيخ الاسلام ابن تيمية قوله : وأما الغلط فلم يسل منه أكثر الناس ، بل في الصحابة من قد يغلط أحيانا ، وفيمن بعدهم . ولهذا كان فيما صنف في الصحيح أحاديث يعلم أنها غلط

لم يذكر أبو رية مصدر كلام الشيخ ابن تيمية حتى نرجع إليه ، فإن أبا رية صاحب هوى غير أمين في نقله وتلخيصه

والشيخ ابن تيمية وإن جوز الغلط على بعض الناس ولكنه لا يجيز رمي الناس بالغلط جزافا بدون دليل ، تعصبا وجريا وراء الهوى ، كما جوز أبو رية تغليب الثقات وتصديق غير الثقات اتباعا لما سماه عقل اللييب ، ففتح للناس - وهو ما يريد له - باب التحلل من الأوامر والنواهي بزعمه اتباع عقل اللييب من تغليب الثقات وتصديق الكذابين والمخطئين ، وعلى هذا فلا حاجة للدين عند أبي رية ما دام ما زعمه عقل اللييب هو الحكم فيما يقبل أو يرفض من الدين

وشكك أبو رية في إفادة للتواتر لليقين بقوله (ح ١ ص ٢٤٠) : فن هذه الشبهة أنه يجوز أن تخبر جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأمر حياة فلان ، وتخبر جماعة أخرى مثلهم بنقيض خبرهم . قال : وقد أنكر المسلمون أعظم الأمور للتواتر ، فالنصارى واليهود هما أمتان عظيمتان يخبرون بصلب المسيح والإنجيل بصرح بذلك ، فاذا أنكروا هذا الخبر - وقد وصل إلى أعلى درجات للتواتر - فأى خبر بعده يمكن الاعتماد عليه والركون إليه ؟ هـ

والحمد لله إذ كشف لنا أبو رية عن سوءته ، وعن شكه في القرآن ، فأمتت شكوكه في الحديث دون شكه في القرآن ، وأبان لنا عن ارتوائه بشكوك أعداء القرآن والاسلام فتنبلا عن جهله بمعرفة التواتر ، وتاريخ الصلب ، وتاريخ الأنجيل

فتقول : (١) تجوز أن يتواتر عند جماعة حياة فلان بينما يتواتر عن غيرهم بغيره جهل منه بالتواتر الذي عرفوه بأنه إخبار جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم

حتى ينتهي الى الشاهدة ، فالجماعة التي أخبرت بحياة فلان تواترا ، والأخرى التي أخبرت بموته كذلك لا يمكن تصور وجودها إلا إذا كانت إحداها لم تتوفر فيها شروط التواتر ، وتجويز تواترها كليهما تجويز للجمع بين الضدين أو النقيضين ، كما هو بديهي لمن يعقل

(٢) مسألة زعم اليهود والنصارى صلب المسيح بن مريم وانكار المسلمين لذلك ، وزعمه أن ذلك تواتر عند اليهود والنصارى وهما أمتان عظيمتان فيكون للمسلمون قد أنكروا أعظم تواتر ، في هذا من الجهل والهوى والزور والبهتان ما سذكركه

(فأولا) أنكر المسلمون صلب المسيح عيسى بن مريم تصديقا للقرآن كتاب ربهم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

وقد نزل القرآن بذلك وسمعه اليهود والنصارى فما نسبوا بينت شقة في تكذيبه ، أما النصارى فقد كان مع المسيح ليلة هجم عليه شرطة الرومان بعض حواريه فقرأ عنه ولم يعرفوا من القضية شيئا سوى ما أشاعه أعداء المسيح من اليهود . والأنجيل الأربعة - إنجيل متى ولوقا ومرقس ويوحنا - لم تكتب إلا بعد ١٥٠ سنة ، وكتبوها لا يعرف لهم تاريخ ولا ترجمة حياة سوى أنهم تلاميذ لبولس اليهودي الذي تنصر لبفسد دين المسيح أو تلاميذ تلاميذه ، والأنجيل الصحيح إنجيل برنابا حوارى للمسيح ينكر الصلب ويسجل على بولس أنه أفسد دين المسيح

وأما اليهود فقد وشوا بالمسيح عند ييلاطس عامل الرومان على اليهود بأن المسيح يقول إنه جاء ليعبد ملك داود ، فصدقهم ييلاطس ، وما أسرع أمثاله إلى تصديق إشاعات السياسة التي يظنون أنها ترمى لتقويض ملكهم وحكمهم ، فأرسل شرطته لاحضار هذا الذى يزعم أنه جاء ليعبد لاسرائيل ملك داود ، فأمرت السلطة الرومانية القائمة بأخذه وصلبه ودلهم عليه وعلى الدار التي هو فيها أحد تلاميذه يهوذا الأسخريوطى بمقابل ثلاثين درهما ، فلما دخلوا الغرفة التي قيل إنه فيها رفعه الله اليه وأمسكوا بالتلميذ إيلياش الذى دلهم عليه فقال لهم : أنا يهوذا الأسخريوطى ، فقالوا له : فأين للمسيح إذن ؟

وأخذوا هذا التليذ وصلبوه ، وصار يصرخ : إيلي إيلي لماذا شبتنى ومعناه بتفسيرهم :
الهي الهي لماذا تركتني

وفرحت اليهود بصلب من صلب من غير أن يعرفوا شخصه ، وإنما ذلك كان شفاء
لما في صدورهم من الحقد على من خرج عن ناموسهم حتى لا يفتضحوا ويفشل كيدهم

ومثل ذلك تأمر قريش على قتل النبي ﷺ فنجاه الله منهم بالمجرة ، ولكن قريشا
كانت أعقل من اليهود القوم البهت ، فلم يقولوا إنهم قتلوا محمدا ﷺ حتى لا
يفضحهم الواقع

فأين التواتر عند اليهود أيها البهانة وهم لم يكن منهم الا وشاية نفر قليل إلى السلطة
الحاكمة وشرطة هؤلاء الحكماء لم يكونوا يعرفون المسيح وإنما اكتفوا بشخص ظنوه أنه
للمسيح بشهادة كذاب مرتش

وأين التواتر عند النصارى وقد تفرق تلاميذ المسيح عنه وقت هجوم جلاوزة الرومان
وسموا بمسألة صلب مصلوب من شرطة الرومان ومن إشاعة اليهود البهت

والسليون كذبوا ذلك كله لا بتواتر أو غير تواتر ، بل بما حكى الله في كتابه
تكذيبا لليهود بقوله ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم بل رفعه الله إليه ﴾

فاليهود لمقدم على المسيح روحوا إشاعة صلب المصلوب بزعم أنه المسيح عيسى بن
مريم ، وشرطة الرومان نفذوا الحكم في شخص ظنوه أنه هو المطلوب

فأين التواتر الذي كذبه السليون أيها المؤتم بمحمد زهير وسبرنجير وأمثالهما من أهل
الفرية والكذب والبهتان

لقد استفدنا من كلامك هذا شكك فيما أخبر به القرآن وتصدقك أعداء القرآن في أن
المسلمين يكذبون تواتر اليهود والنصارى في زعمهم صلب المسيح عيسى ، وليس ثم تواتر

ولا شبه رواية تصلح للتاريخ ولو كانت خطأ ووهماً ، والرء مخبوء تحت لسانه وقفه
تقول في حاشية ص ٢٤٠ عن النزالي : ان العدد الكثير ربما يخبرون عن أمر تقتضى
إبالة الملك وسياسته إظهاره ، والخبرون من رؤساء جنود الملك ، فيتصور اجماعهم تحت
ضغط الإيالة على الاتفاق على الكذب . هـ

ونقول لأبي رية تبعاً للنزالي : إنه إذا تطرق هذا الاحتمال سقط شرط التواتر الذى
يشترط استحالة تواطئهم على الكذب ، فإذا جاز هذا التواطؤ لم يكن تواتراً . وهذا يمكن
أن يمثل له بما ادعاه أبو رية فى دعوى تواتر صلب المسيح عند اليهود ، فقد كان رؤساء
اليهود لهم شهوة فى أن يشيعوا صلب المسيح فأشاعوا عن المصلوب أنه المسيح ، وتابعهم
الدعاة على ذلك بما ظن أبو رية أنه تواتر ، وبهت المسلمين بتكذيبهم لهذا التواتر ؟

وأما ما ذكره فى حاشية ١ ص ٢٤١ عن بعض الأصوليين أن للتواتر لابد فيه من
القرائن ، وحينئذ يتساوى عند أبي رية للتواتر والآحاد ، فكلام هراء ، ولم يفصح باسم
هذا الأصولى ، فاعلمه من ساداته الروافض أمثال عبد الحسين الكربلاوى وأبي جعفر
الاسكافى وابن أبي الحديد ممن لا اعتبار بشواذهم وغرائبهم

وأما فكاهاته الأدبية فى ج ٤ ص ٢٤١ عن أخبار الآحاد فن اللغو الذى يمر به
للزمنون كراما وينفضون ذبولهم من غباره ووحله

وذكر أبو رية (أول ص ٢٤٣) أن للتواتر يفيد العلم قطعاً ، ونسى ما شكك فيه فى
حاشية ص ٢٤٠ من أنه لا يفيد العلم وأورد شبهاً ، منها زعمه أن مسألة صلب المسيح
تواترت عند اليهود والنصارى وكذبها المسلمون ، وأورد فى آخر حاشية هذه الصفحة
قول الله تعالى عن النصارى وهى عن اليهود ﴿ ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ﴾

وهكذا فليسكن التخليط فى العلم ، ورميه جزافاً بغير علم ، والكذب بنيد
تذكر ولا احتياط

وقال (ص ٢٤٣) : حكم للتواتر والآحاد . ونقل عن الجمهور أن أخبار الآحاد

لا تنفد العلم ولو كانت مخرجة في البخارى ومسلم . قال وإن تلقى الأمة لها بالقبول إنما يفيد العمل بما فيها بناء على أن الأمة مأمورة بالأخذ بكل خبر يغلب على الظن صدقه ، ولا يفيد أن ما فيها ثابت في نفس الأمر قطعا . ومثل بالقاضى الذى يحكم بشهادة من كان عدلا في الظاهر ، قال : وليس بأمور أن تكون شهادته مطابقة للواقع

قال : وهذا ما قاله الجمهور ، وقال كثير من العلماء إن أخبار الآحاد لا تنفد العلم ولو تلقيت بالقبول . ونقل عن أحمد في رواية الأثرم عن حكم الآحاد أنه يعمل به ولا يشهد . أن النبي قاله . قال : وأطلق ابن عبد البر وجماعته أنه قول جمهور أهل العلم والنظر حتى قال بعضهم ولو مع قرينة ، أى لا يفيد العلم ولو مع قرينة ، ونقل عن الرازى في تفسيره أن رواية الواحد إنما تنفد الظن . ونقل عنه في معالم أصول الدين أن الدلائل العقلية ظنية وأن العقلية قطعية وأن الظن لا يعارض القطع

وحتى أبورية على ذلك قوله : ترى هل هذه القاعدة التى قررناها قد أمر الله بها ورسوله ؟ وترى هل مى تخرجنا من حكم اتباع الظن الذى جاء فى آيات كثيرة من مثل ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ﴾ ، ﴿ إن الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ ومثل قوله تعالى فى قول النصارى - بل هم اليهود - بصلب المسيح ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ هـ

وجوابه (١) : إن الإمام أحمد لا يمكن أن يقول عن حديث الآحاد من رواية الثقات : يعمل به ولا يشهد أن ﷺ قاله ، وهو الذى أفنى حياته فى رواية أحاديث الثقات وتدوينها ، فلا يمكن أن يقول عن شىء عاش ومات فى جمعه والعمل به وإرشاد الأمة إلى اتباعه إنه لا يشهد أن النبي ﷺ قاله ، فمن أين لك يا أبارية هذه الرواية الغريبة التى يكذبها عمل الإمام أحمد والمحققون من أصحابه . والمعروف عن أحمد وغيره من علماء الحديث أن ذلك يقال فى الضعيف الذى لم يشتد ضعفه بل يقوم بنفسه ، وهو الذى يسميه الترمذى حسنا

(٢) : قللك عن الجمهور أن حديث الآحاد لا يفيد إلا الظن ، أى جمهور تعنى

جمهور الصحابة والتابعين وتابعيهم ؟ أم جمهور الجهمية والمعتزلة والتكلمين والروافض والخوارج من لا وزن لهم في العلم والدين ، ولا اعتبار لهم في الاسلام ، بل هم من اتبع غير سبيل المؤمنين ، وجرى وراء فلاسفة اليونان والفرس والبرهمنين ، وجانب طريق الأنبياء والمرسلين . وحسبك بشكوك الرازي في الأدلة الثقلية التي نسبها الشيخ ابن تيمية في مقدمة كتاب (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول) وأن اليقينيات لا تتعارض ، وإنما يتعارض اليقين مع الظن ، وأن مجاءت به الرسل هو اليقين ، وأن خيالات التكلمين هي الظنون وهي التي تطرح

وقول للذين زعموا أن خبر الثقات الاثبات لا يفيد إلا الظن :

(١) أهل قباء الذين كانوا مستقبلين لبيت المقدس وصلى اليه المسلمون ثمانية عشر شهراً ، ثم أخبرهم آت أنه صلى مع النبي ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا عن يقين ما كانوا عليه وهم في الصلاة إلى الكعبة المشرقة بخبر واحد من الناس ، أفتركوا اليقين للظن بامن عنده عقل وإنصاف ؟

(٢) رسل رسول الله ﷺ إلى ملوك الدنيا وأمراء الآفاق لم يكونوا إلا آحاداً ، أفكان رسول الله ﷺ يدعو الناس لترك ما هم عليه من الدين الذي استيقنوا به ، بطرق ظنية من آحاد كان يرسلهم ؟

أفقال للمقوقس لحاطب بن أبي بلتعة : إن خبرك ظن ، فاذهب إلى صاحبك يرسل اليّ عدداً يصح به التواتر حتى أصدق أنهم رسل من عنده ؟ وكذلك النجاشي وهرقل وكسرى ، هل تشكك أحد منهم في خبر رسول الله بأنه خير آحاد لا يفيد إلا الظن ؟

لقد ذكرت لأبي رية سابقاً أن عمل الناس في كل زمان ومكان هو تصديق الصادق والتميز بينه وبين الكاذب بما أعطاهم الله من القطر والمعقول ، وأن خادم أبي رية إذا كان قد عرف صدقه وأمانته لا بد أن يصدقه فيما يخبره عنه من أسفار السلع والمشتريات ووسائل

منجبه وهو فرد واحد إذا كان قد عرف صدقه وأمانته

ومن غرائب أبي رية جملة ما قرآن كجمله بالسنة ، فقد جعل قول الله تعالى في آخر حاشية ص ٢٤٣ ﴿ وما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ أنه من قول النصارى في صلب المسيح ، مع أنه رد على اليهود القائلين بأنهم قتلوا عيسى بن مريم رسول الله ، فرد الله عليهم بقوله ﴿ وقولهم - يعنى اليهود - إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا ، بل رفعه الله اليه ، وكان الله عزيزا حكيما ﴾

أكثر أبو رية (ص ٢٤٠ - ٢٤٣) من النقل عن الغزالي والشاطبي والنووى وابن حبان وغيرهم في أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن - يعنى الذى لا يغنى من الحق شيئا ، ومرة يمزو ذلك إلى الجمهور ، فان كان يعنى جمهور المتكلمين فلا قيمة لهم عند علماء الأمة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان

والمعجب أن ينقل عن النووى الذى أفنى حياته في شرح الأحاديث وجمعها كشرحه لمسلم ، وجمعه لرياض الصالحين ، وغيرهما من نقائص كتبه ، أنه كان يضع جهوده في ظنون لا تغنى من الحق شيئا

وأغرب منه ابن حبان صاحب الصحيح المسنى بالأنواع والتقايم وروضة العقلاء ونزهة النبلاء وغيرهما من خيار كتبه ، وكذلك كتابه الثقات ، وكتابه الضعفاء ، وغيرهما من التراجم ، غريب أن يرى أن أحاديث الآحاد - وهى التى اشتغل بها طول حياته - أنها ظنون لا تغنى من الحق شيئا

وتعجب كذلك من قرارات أبي رية المتناقضة إذ يقرر مرة أن التواتر يفيد اليقين ، ومرة يورد شبهات على افتادته اليقين ، ويمثل بمخالفة المسلمين لتواتر اليهود والنصارى الذميمة زعمه في قولهم عن صلب للمسيح عيسى بن مريم

ومرة يقرر ان التواتر لا يفيد اليقين إلا بالقرائن ، فلا فرق حينئذ بينه وبين خبر الآحاد

وحينئذ نسجل عليه اعترافه - من حيث لا يشعر - أن خبر الآحاد مع القرائن يفيد اليقين ،
فيهدم ما بناء وأتعب نفسه في نقله أن خبر الآحاد لا يفيد اليقين ، ونسيد له ما كررناه
سابقا من ترك أهل قباء ما كانوا عليه من يقين القبلة إلى بيت المقدس إلى ما أخبرهم به
خبر واحد من صلاته مع النبي ﷺ إلى الكعبة فاستداروا كما هم إلى الكعبة .

أفتركوا اليقين الذي كانوا عليه لظن لا يغنى من الحق شيئا ؟ وكذلك رسل رسول
الله ﷺ إلى الملوك والأمراء والأقيال ، أكان خبر الواحد من هؤلاء ظنا لا يغنى من الحق
شيئا ؟ وكذلك بنت ماذ وأبي موسى إلى الين لدعوتهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا
الله ، أفكان ظنا لا يغنى من الحق شيئا ؟ وكذلك عمال الزكاة ، أفكان يرسلهم رسول الله
ﷺ عددا متواترا أم كانوا آحادا ، والمؤذنون الذين يؤذنون بدخول الوقت أليسوا آحادا
فهل لا يفيد أذاهم إلا الظن ؟

الحق أن عمل الناس في كل زمان ومكان تصديق الثقات والعمل بمنبرهم ، فإذا كانت
مع خبرهم قرائن أفاد اليقين

وحينئذ يسقط ما موه به أبو رية على كلام ابن الصلاح ليخلص بذلك إلى ما يريد
وما في نفسه وما يتقرب به إلى ساداته من الجهمية والروافض أن أخبار الصحيحين
البخاري ومسلم لا تفيد إلا الظن ، وعنى عن تلقى الأمة لها بالقبول ، ناطحا برأسه صخرة
إجماع الأمة ، فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وحسبنا من أبي رية اعتماده (ص ٢٤٦) كلام المتكلمين - من جهمية ومعتزلة
وروافض - في رد أحاديث الآحاد التي لا توافق أهواءهم وخيبالاتهم التي سموها
معتولات ، وزعمهم أن أخبار الآحاد لا تفيد غير الظن ، ولا يجوز البناء على الظن في
المطالب الكلامية ، وهذا مما خالفوا فيه سبيل المؤمنين من الصحابة والتابعين ، وخالفوا
إجماع خير القرون من الإيمان والعمل بالكتاب والسنة الصحيحة والأحاديث النبوية .
ولله در شيخ الإسلام ابن تيمية في جميع كتبه ومنها موافقة صحيح المنقول لصريح المنقول
م - ١٧ * ظلمات أبي رية

وأمثاله من كتبه النافعة ، وكتب تليذه شمس الدين بن القيم ومن سار على منهاجهم
كؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي والحافظ شمس الدين بن عبد الهادي

وأما تمثيل أبي رية بحديث محاجة الجنة والنار (ص ٢٤٦) فليت شعري ما وجه
استنكاره ؟ أمن أجل إثبات محاجة للجنة والنار ؟ إن كان ذلك منكرا عند أبي رية فليقل
لنا ماذا يقول في قول الله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو
كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ وقول الله تعالى ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله
الذي أنطق كل شيء ﴾

فإذا كان أبو رية لا يؤمن بما أخبر الله عن السماء والأرض وعن شهادة الألسن
والأيدي والأرجل والجلود فلا كلام لنا معه ، وإن آمن بذلك فليؤمن كذلك بمحاجة
الجنة والنار . أما إن كان استنكاره لإثبات قدم أو رجل لله يضعه في جهنم فيزوي بعضها
لبعض وتقول قط قط ، فليستكر ما أثبت الله لنفسه من الوجه والعين والسمع والبصر
واليدن والأصابع إلى غير ذلك ، فكفه من واد واحد : إثبات بغير تشبيه ولا تكييف ،
وتنزيه من غير تعطيل ولا تحريف ، كما هو القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأهل
الكتاب والسنة في كل زمان ومكان

قال أبو رية (ص ٢٤٧) فهذا الحديث ونظائره - وهي كثيرة - يبعد على التكلم
أن يقول بصحتها فضلا عن أن يجزم بذلك .. إلى قوله : وقد نشأت بذلك عداوة شديدة
بين المتكلمين والمحدثين يعرفها من نظر في كتب التاريخ ، حتى إن المتكلمين سمو جمهور
المحدثين بالمشبهة ، والمحدثين سموهم بالمطلة . (وقال في الحاشية) :

وكذلك يسمى المتكلمون المحدثين بالحشوية ويصفونهم بأنهم أجهل الناس بما
يحملون وأبخس الناس حظا فيما يطلبون ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

زوامل للأعفار لا علم عندهم نجيـد إلا كعلم الأباعر

لمعرك ما يدرى البعير اذا غدا بأحاله - أو راح - ما فى الغرائر
قد قنعوا من العلم برسمه ، ورضوا بأن يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث ،
وزهدوا فى أن يقال عالم بما كتب ، أو عامل بما علم . هـ

لقد أفرغ أبو ربة صديده على المحدثين ، والمحدثين أن يتمثلوا بما قيل :

وإذا أتت مذمتى من ناقص فعلى الشهادة لى بآنى كامل

ولهم أن يقرءوا لأبى ربة ومن قلدهم من أعداء السنن قول الله تعالى ﴿ إن الذين
أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . وإذا مروا بهم يتغامزون : وإذا انقلبوا إلى
أهلهم انقلبوا فكهم . وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون : وما أرسلوا عليهم حافظين .
فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون . على الأرائك ينظرون . هل تُنوب الكفار
ما كانوا يفعلون ﴾

وحسب أبى ربة أن يكون سادته فى عداوة المحدثين أمثال الجعد بن درهم والجهم بن
صفوان وشيطان الطاق والنظام وواصل بن عطاء وآخرهم الرازى

وحسبه أن يجانب طريق الصحابة وأكابر التابعين : الحسن وابن سيرين والشعبي
وقهية المدينة السبعة وتابعى التابعين الزهري ومالك والثوري وابن عيينة والحماد بن ابن
البارك ومن بعدهم أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ومن سار على نهجهم

نزلوا بمكة فى منازل هاشم ونزلت بالبليداء أبعد منزل

ولا أدرى هل تحريف ما استشهد به أبو ربة من الشعر منه أو ممن قبله ، فالخفوظ
« زوامل الأشعار » لا « الاسفار » ، و « يجيدها » لا « نجيد » ولكن أبأ ربة بسجل لنا
كل يوم ما يجعله فى عداد من قال الله فيهم ﴿ سم بكم عسى فهم لا يعلمون ﴾ فلا أمانة فيما
يحكى عن غيره ، ولا عقل فى تمييز ما ينقله

وقتل أبو ربة (ص ٢٥٠) بواسطة الأم للشافعى عن أبى يوسف قوله : فعليك من

الحديث بما تعرفه العامة وإياك والشاذ منه ، فإنه خدثنا ابن أبي كريمة عن جعفر عن رسول الله ﷺ أنه دعا اليهود فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى ، فصعد المنبر فخطب الناس فقال : إن الحديث سيفشو على ، فإناكم عن يوافي القرآن فهو مني ، وما أناكم عن يخالف القرآن فليس مني . وكان عمر فيما بلغنا لا يقبل الحديث عن رسول الله ﷺ إلا بشاهدين ، وكان على رضى الله عنه لا يقبل الحديث عن رسول الله . والرواية تزداد كثرة ويخرج منها ما لا يعرف ولا يعرفه أهل الفقه ، ولا يوافق الكتاب ولا السنة ، فأياك وشاذ الحديث ، وعليك بما عليه الجماعة من الحديث وما يعرفه الفقهاء الخ

والجواب : (١) من هو ابن أبي كريمة ؟ مجهول أو ساقط

وجعفر إن كان هو ابن زين العابدين الملقب بالصادق فهو من صفار التابعين لم يدرك عهد النبي ﷺ ، فالحديث مرسل لا تقوم به حجة

ومن الغريب العجيب أن يريد أبو رية هدم الأحاديث الصحيحة التي تلقاها الأمة بانهول وانعقد الإجماع على العمل بها بهذا الأثر المرسل الشاذ الذي لا يعرف راويه

(٢) حذر أبو يوسف في هذا الكلام من الحديث الشاذ الذي لا يعرفه الجماعة

وهذا الحديث في هذا الأثر حديث شاذ لا يعرفه الجماعة ولا يوافق الكتاب ولا

يرافق السنة

(٣) يحكم هذا الحديث على نفسه بالبطلان ، فقد عرضناه على كتاب الله فأبطله كتاب الله تعالى الذي يقول فيه ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ويقول ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ ويقول لزوجات نبيه أمهات المؤمنين ﴿ واذ كن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾

فإذا تكون الحكمة التي تتلى في بيوت النبي ﷺ مع آيات الله سوى سنة النبي ﷺ وأحاديثه ؟ فكتاب الله تعالى قد أثبت حكمة علمها النبي ﷺ لأمته مع كتاب الله تعالى

هو من سنته وأحاديثه مما يشهد لهذا الحديث المقتضى بالبطلان

وقول أبي رية (في ح ٣ ص ٢٥٠) : السنة هي السنة العلمية ، وما كانت تعرف
عندهم إلا بذلك

يقال له : السنة العلمية متى رواها الصحابة لمن بعدهم صارت قولية . مثلاً روى عثمان
ابن عفان وعبد الله بن عاصم بن عبد ربه حديث الوضوء وكيفية وضوئه عليه السلام فصار حديثنا
قولياً بعد روايتهما له

وما نقله أبو رية (ض ٢٤٩) عن سرآة الأصول وشرحها مرآة الوصول أن أبا
هريرة وأنس بن مالك خادم النبي ﷺ لم يكونا فقيمين فقلة أدب مع صحابة النبي ﷺ الذين
هم خير القرون ، والذين هم رأس خير أمة أخرجت للناس ، والذين لو أنفق من بعدهم مثل
أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم من شعير أو نصيفه

ويقال لهؤلاء الذين ورثوا عداوة صحابة النبي ﷺ عن إخوانهم الروافض الذين
رضعوا الرض وبعض خير القرون من مؤسسى هذه النحلة زنادقة الفرس واليهود يقال لم
﴿ قل موتوا بغيظكم ﴾ فدين الاسلام الذى أظمره الله على الدين كله قام باحترام وحب
أصحاب النبي ﷺ بعد احترام وحب النبي ﷺ لهؤلاء الصحابة الذين اختارهم الله تعالى
لصحبة نبيه ونصره وتعزيزه وتحمل دين الاسلام كتاباً وسنة عنه ﷺ لإبلاغه لسائر الناس ،
يقال لمبغضيههم : ماذا بقى لكم من دين الاسلام إذا انسلختم عن هؤلاء واجتنبتم ما حملوه
من أمانات الله ؟ ويقال لهم أيضاً : إذا كان صحابة رسول الله وحملوا كتابه وسنة نبيه لبسوا
حقه ولا حكماء ، فمن الفقهاء والحكماء غيرهم ؟

وأعاد أبو رية (فى ص ٢٥١) ذكر حديث : إنها ستكون بعدى رواة يروون عنى
الحديث ، فأعرضوا حديثهم على القرآن ، فما وافق القرآن فخذوا به ، وما لم يوافق القرآن
فلا تحدثوا به . وذكر أن الدارقطنى رواه وأن رجال الأثر طعنوا فيه . وهذا هو الحديث
الذى ذكره أبو يوسف عن ابن أبي كريمة عن جعفر ، وقدمنا الكلام عليه بما فيه كفاية

ثم ذكر أبو رية (آخر ص ٢٥١) حديث : ألا وإنى أوتيت الكتاب ومثله معه . قال : وهذا من أعجب العجب ، قال : لأنه إذا كان النبي ﷺ قد أوتي مثل القرآن ليكون تماماً على القرآن لبيان دينه وشريعته فلم لم يعن صلوات الله عليه بتدوينه وكتابته كما عني بتدوين القرآن ، ولم ينه عن كتابته « لا تكتبوا عن (صوابه عني) غير القرآن » وهل يصح أن يدع الرسولُ نصف ما أوحاه الله إليه يعدو بين الأذهان بغير قيد ، يسكه هذا وينساه ذاك ؟ وهل يكون الرسول - بعمله هذا - قد بلغ الرسالة على وجهها وأدى الأمانة كاملة إلى أهلها ؟ هـ

وجوابه من وجوه :

(١) العجب من عجبه هذا ، فهل هؤلاء كهؤلاء الحقى الذين يقولون لا دين إلا ما فى القرآن ، فهل يرى أبو رية الوضوء بدون استنجاء ، فأين أحكام الاستنجاء فى القرآن ؟ وهل يرى أبو رية نكاح المرأة على عمتها أو خالتها ، وليس الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها فى محرمات النكاح التى ختمت آيتها بقوله ﴿ وأحل لكم ما وراء ذلك ﴾ ، فهل يخرج الإجماع ويجوز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها ؟

جاء القرآن فى الأسرى بالملء والفداء ، وجاءت السنة بالمقل والاسترقاق ، فهل ينكر ذلك أبو رية ويخرج عن إجماع المسلمين ؟

وجاء القرآن بقطع يد السارق ، وجاءت السنة بنصاب القطع وكيفيته ، فهل يرد أبو رية بيان السنة فيقطع اليد من الكتف ويقطعها فى سرقة فلس ؟

جاءت السنة برجم الزانى المحصن ورجم رسول الله والخلفاء بعده ، فهل ينكر أبو رية شريعة الرجم لأنها بينت بالسنة ولم تثبت فى القرآن ؟

جاء القرآن باباحة الطيبات من اللباس والمطاعم ، وحرمت السنة الأكل فى صحاف الذهب والفضة والشرب فيها وخاتم الذهب للرجال والحير للرجال ، فهل ينكر أبو رية ذلك ويخرج على إجماع المسلمين ؟

جاءت السنة بتحريم ذى الثاب من السباع وذى الخلب من الطير ، فهل يبيع أبو رية الكلاب والذئاب والنور والأسود والرخم والحدأة والغربان لأنها لم تحرم في القرآن ؟

ماذا نعد لأبي رية مما جاءت به السنة زيادة على القرآن ؟ هل في القرآن أنصبة الزكاة ، وأنواع ما يركى ؟ هل فيه كيفية للصلاة وعدد ركعاتها سفرا وحضرًا ؟ هل فيه كيفية الحج إلى بيت الله الحرام والمبيت في مزدلفة ورمى الجمار والمبيت في منى الحج ؟

أما تشكيكه بأن النبي ﷺ لم يأمر بتدوين السنة كما أمر بتدوين القرآن ، فيقال له : إن القرآن نفسه قد أمر بحفظ الكتاب والسنة وهي الحكمة ، والحفظ لا التدوين هو الذى حفظ القرآن والسنة معاً والله الحمد على ذلك ، كما ذكرنا ذلك سابقاً . ونهى النبي ﷺ عن كتابة ما عدا القرآن كان في أول الأمر حتى لا يختلط غير القرآن به ، ثم أباح بعد ذلك كتابة الحديث لمن شاء - وبعث الرسول ﷺ في الأمة الأئمة التى كان حفظها كافياً عن التدوين الذى ما نهىأت له الأمة إلا بعد ذلك ، وكان في حفظها للكتاب والحديث ما يكفى عن التدوين بخط كان حروفاً بلا نقط ولا شكل ، فلو لا الحفظ ماذا كان يفيد هذا التدوين ؟ وأما رمى الصحابة بأنهم ما كانوا أهلاً لحفظ دينهم ، وعلى تعبير أبي رية بمسك هذا ما ينساه ذلك ، فجهل قاض بحال الصحابة واتهامهم لم يدم الببالاة بدينهم ، وهم الذين حفظوا كل شئ يخصهم حتى أيام جاهليتهم ، فكيف بدينهم الذى خرجوا به من الظلمات إلى النور حتى قال الله فيهم ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ أفيسكونون هكذا مع نبيانهم لدينهم وللحكمة التى عليها لم رسول الله ﷺ مع كتاب الله تعالى ؟

لقد ذكرنا أمثلة كثيرة مما جاء في السنة والحديث زيادة عما في القرآن تبياناً له وتفصيلاً ، وقد عمل بها المسلمون إجماعاً أو عمل بها جمهورهم ، فلنا أن نأل أبارية : هل يقر بها ويترك شكوكه في حديث « أوتيت القرآن ومثله معه ، فيواتى للسدين ؟ أو

ينكرها فيخرج من عداد المسلمين ويكون للكلام معه وجه آخر ولون غير هذا اللون ؟
وإنما يختاره لنفسه من هذين الوجهين لمنتظرون

وهذه المسائل ذكرنا بعضها آنفاً والعمد بها قريب في كيفية الصلاة والزكاة والحج
والحلال من الطعام والثياب والأواني الخ

ولا ينفعه أن تكون هذه سنناً عملية ، فالعملى متى روى صار قولياً

ونهمس في أذن أبي رية : ليهنك فرح دار الحلال ومجلاته الخليفة بما كتبت ، فإن
كان الروافض قد كافؤك على شتم أبي هريرة فخذ من أهل الخلاعة والتحلل المدح والثناء ،
فقد أعطيت الزنادقة وأعداء الإسلام ما يستندون عليه في التحلل من الدين والآداب
والأخلاق الفاضلة

قال أبو رية (ص ٢٥٢) : وأين كان هذا الحديث عندما قال أبو بكر للناس : يديننا
ويتنكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه ؟

قلت : كان هذا الحديث عند أبي بكر عندما جاءته الجدة تطلب ميراثها من ابن ابنها
فقال لها أبو بكر : لا أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وارجى حتى أسأل الناس هل جعل
لك رسول الله شيئاً . فسال ، فقام محمد بن مسلمة وهو من صفار الصحابة فقال : أطمعها
رسول الله ﷺ السدس ، فأنفذه لها أبو بكر ، فلم يقل لها أبو بكر : ليس لك شيء البتة ،
لأن كتاب الله ليس لك ذكر فيه بالمرّة

كان عند أبي بكر هذا الحديث حينما سأل رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى ﴿ من يعمل سوماً يحجز به ﴾ فأجابه ﷺ : أليس تمرض يا أبا بكر ، أليس .. أليس الخ

كان هذا الحديث عنده عندما قال لماثئة ابنته وهو مريض مرض موته : كنت
نخلتك جداد عشرين وسقاً ، ولو كنت قبضته كان لك ، ولكنه الآن ميراث وارث ،
فعمل في هذا بحديث « لا وصية لوارث » وحرّم ابنته مما كانت نخلها إياه - يراجع
للوطأ في ذلك

كان هذا الحديث عنده عندما قال لفاطمة وعلى وعباس لما طلبوا منه ميراثهم من رسول الله ﷺ فقال لهم : قال رسول الله ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة » فهل أبو رية مع الروافض في عداوة أبي بكر لأجل هذا الحديث ، أو مع أهل السنة والجماعة في الرضا عن أبي بكر لعمله بحديث رسول الله ﷺ وتنفيذه ؟

لقد أحالنا أبو رية في قول أبي بكر « بيننا وبينكم كتاب الله » إلى مرسل لابن أبي مليكة ، فهل يعقل أبو رية المرسل ؟ وهل يردّ بهذا المرسل ما تواتر عن أبي بكر من عمله بهذه السنن ؟

قال أبو رية (ص ٢٥٢) وعندما قال عمر حبنا كتاب الله ، ولم لم يشفق من ضياع هذا المثل وهو بزعمهم نصف ما أوحى الله به إلى النبي ، فيذكره عندما فزع إلى أبي بكر في أن يجمع القرآن ويكتبه ؟ هـ

فيقال لهذا الجاهل : كان هذا الحديث عند عمر عندما سأل عن جزية الجوس ، فروى له عبد الرحمن بن عوف حديث « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » فعمل به وأخذها منهم وكان عنده عندما اختلف الناس معه بسرغ في دخول الشام أو الرجوع من سرغ بسبب وباء الشام ، فروى له عبد الرحمن بن عوف حديث « اذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها ، وإذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه » فعمل بالحديث ورجع من سرغ إلى المدينة

وعمل به عندما حرم القاتل خطأ من ميراث من قتله كما في الموطن

وعمل به عندما روى له أبو موسى حديث الاستئذان بالسلام ثلاثا وصدقه أبو سعيد الخدري وقال عمر : ألماني الصفق بالأسواق

وعمل به حينما طعن وقيل له : استخلف يا أمير المؤمنين ، قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترك فقد ترك من هو خيبر مني - يعني

النبي ﷺ - فعلوا منه أنه لا يستخلف حينما ذكر النبي ﷺ . كان عنده عندما جاءته الجدة الثانية فقال لهما لا أجد لك في كتاب الله شيئا وكان القضاء الأول يعنى الذى عمل به أبو بكر لعيرك فان اجتمعتمافهم وبينكما الخ

وأما قوله حسبنا كتاب الله فقد كانت واقعة معينة ظن فيها خطأ أن النبي ﷺ حينما طلب كتابا يكتبه لهم لا يضلوا بعده ، ظن خطأ أن النبي ﷺ غلبته الحمى ، ورضى الله عنه وغفر له فإ كان النبي ﷺ ليكتب سوى نصيحة مما سبق له أمثاله ، ولا نقول كما قال ابن عباس المصيبة بكل المصيبة ما حال بين رسول الله وبين الكتاب ، فقد ظن ابن عباس أن الكتاب يخص بنى هاشم في الخلافة التى كانت أعناقهم تشرئب لها

وأما فزعه لأبى بكر أن يكتب القرآن عندما استحرر القتل بالقرءاء مخافة ضياع القرآن فلأن حملة القرآن كانوا معدودين قد يأتى القتل عليهم جميعا ، بخلاف حملة السنة والحديث الذين انتشروا فى عصره فى مشارق الأرض ومغاربها فلم يمت رسول الله ﷺ إلا وكانت صحابته تمتد بثبات الألوف ، وحديثك أنهم قدّروا من حضروا حجة الوداع بما يتيف على مائة ألف ، فإ بالك بغيرهم ، فكان عمر أعقل الناس ، ويعرف أنه لو حاول هو أو غيره كتابة ما عند الناس من الحديث والسنة لما استطاعوا إلى ذلك سبيلا

ولكن أبارية كالبعثاء يهرف بما لا يعرف - لو اراد الله تدوين سنة نبيه فى عصره لما بعثه فى أميين ، ولكن الله علم - وعلمه وقدره حق - أن هؤلاء الأميين هم الذين سيقومون بحفظ دينهم كتابا وسنة خير حفظ تضرب به الأمثال ويعجز الزمان أن يأتى بمثلمهم أو قريب منهم ، وكتابة القرآن - لولا حفظ الصحابة - ما كانت لتمتع شواذ للقرءاءات ، وكيف بحروف لا نقط لها ولا شكل لولا الحفظ

قال أبو رية (ح ٢٥٢) : وأين ذهبت عناية الصحابة رضى الله عنهم بهذا المثل يدونوه كما دونوا القرآن فى زمن عثمان ، إلا أنهم ياهلهم هذا إنما يكونون قد تركوا نصف الوحي بغير تدوين ويصبحون بذلك جميعا من الآثمين . ١ هـ

وجوابه ما تقدم مرارا أن الذى حفظ القرآن - كما حفظ السنة - هو حفظ الصحابة ومن أخذ عنهم ، وإلا فإذا تنقيد كتابة (ان جاءكم فاسى سافسو) أو كتابه (والله بعض الحق وهو حبر العاصين) أو كتابة (فلقى ادم من ربه كتاب) أو كتابة (ورحمى وسع كل شئ) أو كتابة (والله يرى من المتركين ورسوله) الخ لولا الحفظ والتلقى ، وصحة السند للقراءة كهصحة السند للحديث

وأما كتابة عثمان لمصاحفه فكان رد المتخلفين فى القراءة حتى كُفّر بعضهم بعضا كل يقول قرائتى هى الصحيحة لأنها عن فلان وقراءة الآخر ليست بصحيحة ، فقصد رضى الله عنه إلى جمعهم على حرف واحد من الحروف السبعة وترك ما عداها

طوّل أبو رية كتابه بما لا طائل تحته بما تعرض له فى ص ٢٥٢ فما بعدها من الاختلاف بين الأئمة فى بعض الأحاديث ، كمخالفة مالك لحديث غسل الإناء من ولوغ الكلب فيه بمعارضته بحل صيده ، وخلافه لحديث صيام ستة أيام من شوال خوفا من اعتقاد العامة وجوبها وإلحاقها بمرضان فى الوجوب ، وإنكار الأوزاعى على أبى حنيفة وجماعته عدم رفهم أيديهم فى الصلاة بما نقله عن أبى حنيفة فى تقوية ما حدثه به شيخه حماد - يعنى ابن سليمان - من تفضيله على الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر وقول أبى حنيفة كان حماد أفتقه من سالم ، إلى آخر هذا الهذيان الذى يفتح باب التعصب بالباطل أو الموى ورد الأحاديث الصحيحة بالأعذار الباطلة

ولو قرأ أبو رية رسالة شيخ الاسلام ابن تيمية المسماة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) وأن من وجد له مخالفة لبعض الأحاديث فأنما ذلك لسبب من أسباب عشرة ذكرها : من معارضته لظاهر القرآن ، أو لقياس جلى عنده ، أو لحديث يراه أقوى مما خالفه الخ . لو قرأ أبو رية هذه الرسالة لاستراح وأراح قارىء كتابه من فتح باب سوء الظن بالأئمة أو بصحيح الأحاديث التى قيل إن الأئمة خالفوها

ولو عرف ما قل عن الشافعى رضى الله عنه أنه روى حديثا ، فقليل له : أتأخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فاصفر لونه وقال : أترانى خارجا من كنيسة ؟ أترى فى وسطى زنارا ؟ يعنى

علامة أهل الكتاب ، أروى عن رسول الله ﷺ حديثا ولا آخذه به ١٩

وقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الإجماع على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها يستتاب ، فإن تاب ولا قتل

وأطال أبو رية (ص ٢٥٤ فابدها) في نقل كلام النحاة الذين لم يستدلوا بالأحاديث في قواعدهم النحوية ، وخلاف الإمام جمال الدين بن مالك صاحب الكافية والثافية والتسهيل في النحو وغيرها من مميزات الكتب

وإمامة ابن مالك في النحو لا ينكرها إلا جاهل ، ومخالفه في الاستدلال هي بن أبي من نكرات الأسماء التي لا تتعرف

وعدم استدلال قدماء النحويين كسيبويه بالأحاديث لقلّة بضاعتهم منها لا يضير الأحاديث ولا يضرها ، والاعتذار عن ذلك برواية للحنى عذر باطل ، فالذين رروا الأحاديث من الصحابة فن بعدهم أعرف بالعربية من هؤلاء الذين لم يرفعوا بالأحاديث رأسا . وجمال الدين بن مالك أعرف بشواهد كلام العرب عن مخالفه في الاحتجاج بالأحاديث ، وأنصح للعلم الذي تخصص فيه وصار به إماما - أغنى علم النحو - من هؤلاء المخالفين

وأبو رية لمرض في قلبه برهن عليه بالصريح والمدسوس من مواد كتابه أزال عنه الإيمان بسنة رسول الله والحسكة للقرونة في القرآن بكتاب الله تعالى التي علمها رسول الله ﷺ لأمته مع كتاب الله تعالى . هذا المرض الذي ورثه عن الروافض والجهمية والمبشرين أعداء الإسلام أصابه ببلهقة وجشع يجرى في عروقه ويخفق به قلبه لسكل كلمة يظنها طعنا في حديث رسول الله ﷺ والذين حفظوه وبلغوه

وما نقله عن الشيخ محمد عبده (ص ٢٥٩) في ردّ حديث السحر الذي ذكر أبو رية في حاشية هذه الصفحة أنه رواه أحمد والشيخان البخاري ومسلم والنسائي ، نقل أبي رية انكار الشيخ عبده لهذا الحديث ، ليس مما يشرفه ولا يشرف الشيخ محمد عبده ، لوجه في

(١) قوله (ص ٢٦٠) فانه إذا خولط النبي ﷺ في عقله كما زعموا وجاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا ولم يبلغه ، أو أن شيئا ينزل عليه وهو لم ينزل عليه ، والأمـر ظاهر لا يحتاج إلى بيان الخ

قول لأبي ربة ولمن قلده إن حديث السحر لم يحىء بهذه الشناعات التي ألصقوها به ، فليس فيه أن النبي ﷺ خولط في عقله ولا أنه ظن أنه بلغ شيئا لم يبلغه أو أنه ظن أنه نزل عليه شيء لم ينزل عليه الخ ما صوروه في التشنيع على حديث الحر

وإنما فيه أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، فهذا من العوارض البشرية التي لم ينزه الله رسله عنها ، ألم يقل رسول الله ﷺ « إنما أنا بشر ، فإذا نسيت فذكروني » قال ذلك في سهوه في الصلاة . وأى فرق في تخيل فعل أو عدمه ونسيانه عدد ركعات الصلاة حتى قال لهم « إنما أنا بشر ، أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكروني »

أصل المسألة هل هناك سحر أو لا ؟ فإن قلتم به خلافا لما ذهب إليه القرن التاسع عشر كان جائزا على الرسول كسائر الأعراض البشرية ، وقد قال الله تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ فإذا قلتم بالسحر كما أثبت القرآن كان جائزا على الرسول كسائر الأعراض البشرية

أما التعلق بقول المشركين ﴿ إن تدعون إلا رجالا مسحورا ﴾ في إنكار حديث السحر فما أبعد الشرق عن الغرب

المشركون قالوا عنه أنه ساحر أو مسحور أو شاعر أو صاحب أضغاث أحلام أو مفتر أو جاء بما لم يسمعوا به في الملة الآخرة إلى آخر ما بهتوه به ، وحديث سحره عرض بشري كمرضه بالحى التي هي سموم جراثيم ترفع حرارة البدن وتخل بصحته وعافيته ، وكبحرجه وكسر رباعيته في غزوة أحد ، وكسقوطه عن فرس حتى جمشت ساقه وصلى جالسا ، وكنومه عن صلاة الصبح ، ونسيانه عدد ما صلى من ركعات الخ . ففضية تكذيب المشركين في رميه بالسحر ساحرا أو مسحورا من واد ، وحديث سحره وغيره من الأعراض البشرية

من واد آخر

والذى يظهر لى أن قصة السحر التى وقعت فى المدينة لا تردّها آية مكية نزلت فى الرد على المشركين الظالمين الذين زعموا أن ما جاء به النبي ﷺ من توحيد الله تعالى وإنكار شركهم وضلالهم ، ورموا رسول الله ﷺ الذى دعاهم إلى الله تعالى وإلى الصراط المستقيم بأنه ساحر أو مسحور ، فقد قالوا عنه ما حكاه الله عنهم ﴿ وإن يروا يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ ، ﴿ ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴾ ، ﴿ وإذا يقول الظالمون إن تبعمون إلا رجلا مسحورا ﴾

فالظاهر أنهم أطلقوا المسحور وأرادوا به أنه أتاهاهم بسحر كما فى آية الأنبياء والمدثر والقمر وكما قال فرعون لموسى ﴿ وإنى لأظنك ياموسى مسحورا ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ إن هذا لساحر عليم ﴾ ، ﴿ يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾

فقد جاء فى القرآن وصف المشركين والكفار للرسول ﷺ ولموسى عليه السلام بالسحر والساحر ، فها شئ واحد أطلق اسم المفعول وأريد به اسم للفاعل حتى يصدق القرآن بعضه بعضا . وعلى كل حال فوصف المشركين للرسول بالمسحور أو الساحر فى رد ما جاء به من الحق والهدى لا يتنافى مع حادثة عرضية مما يجوز على الأنبياء من الأحوال البشرية كالمرض والحى والنسيان

وتسويلهم بأن ذلك يؤثر على الثقة بالوحى لا وجه له ؛ فراويّة الحديث أم المؤمنين تقول إنه كان يخيل إليه أنه فعل الشئ ولم يكن فعله ، وهذه حالة نفسية تعترى الإنسان فى الأحوال العادية كلهم والحزن . أما الوحى فقد تكفل الله بحفظه كما قال ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ﴿ مستقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ ، ﴿ إن علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ . فالأحوال النفسية من هم وحزن ومرض وسحر لن تتسلط على الوحى ولن تشكك فيه ، والصحابة ومنهم أم المؤمنين راوية حديث السحر كانوا حربصين على سؤال رسول الله ﷺ عما يشكك عليهم ، ولم

ينقل عن واحد منهم استغراب شيء من عبادات الرسول كصلاته بهم يومياً خمس مرات ،
منها الصلاة السرية والجهرية ، فظهر أن مسألة محره لم تكن إلا حالة نفسية كالهم والحزن
وضيق الصدر ﴿ ولقد نعم أنك يضيق صدرك بما يقولون ﴾ ﴿ فلعنك باخم نفسك على آثارهم
إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ فإذا كان حصل له ﷺ من محره تخيل أنه يفعل
الشيء ولم يفعله فلا يعدو ذلك أن يكون من هواجس النفس البشرية وخطرات نفسية
لا تؤثر في ضبط العقل وآرائه . وعلى هذا فنحن نصدق الأئمة الثقات الأتباع فيما رووه
من سنته وحديثه ، ولا نكون ممن يؤمن ببعض الحق ويكفر ببعضه

ولقد ذكرنا فيما مضى أن الأستاذ الامام - مع احترامنا لغيرته الاسلامية ونضاله عن
الاسلام - قد رضع فلسفة القرن التاسع عشر والثامن عشر التي كانت شائعة في أوروبا في
عصره ، وكان أساطينها أمثال كانت وجوستاف لوبون وسبنسر وجوته وغيرهم ،
فتعارضت عنده مع ما جاء على ألسنة الرسل من ذكر السحر والجن والشياطين وخوارق
المعجزات ، فأراد أن يجمع بين تلك الفلسفة المادية التي تجعل الكون آلة تديرها سنن
لا تنخرم ولا تتخلف ، وبين ما أثبتته الأدیان من معجزات الأنبياء والرسل ، فذهب
يؤوّلها حتى تنسجم مع ماضع من فلسفة الماديين . لقد قال جوستاف لوبون في كتابه
(العقائد) : لو صدقنا بالخوارق لرجعنا إلى عصر الخرافات . فهذا كيف يرجي منه أن
يصدق بآيات موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ؟

ولو عاش الأستاذ الإمام إلى أواسط القرن العشرين ورأى تداعى الفلسفة المادية وانهدام
أركانها ، وعرف ما قرره جنز في كتابه (الكون الغامض) وما كتبه رئيس أكاديمية
العلوم بنيويورك في كتابه (الانسان لا يقوم بنفسه) الذي رد فيه على هكسلي تلميذ دارون
في كتابه المسمى (الانسان يقوم بنفسه) وقد ترجم الأول (الانسان لا يقوم بنفسه) تحت
اسم (العلم يدعو للإيمان) - أقول - لو عاش الأستاذ الامام الى هذا العصر الذي بزغت فيه
الروحانية ، وطلعت شمس العوالم الغيبية ، لكان له في هذه الأحاديث والآيات التي
يستشكلها كلام آخر

ولا عيب على عالم إذا تأثر بفلسفة عصره ، إنما الذى يعاب أشد العيب باحث القرن العشرين أبو رية اذ لم يعرف تطور العلم وانهدام الفلسفة المادية ، فأخذ يقلد من ليس تقليده سائغا ، ويرد الأحاديث الصحاح بالجهل والهوى والعصية .

ومثل ما قلنا فى الشيخ عبده نمتذر به عما قاله شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله فى شكه فى حديث السحر تبعاً للشيخ محمد عبده . والله در امام أهل المدينة مالك بن أنس رضى الله عنه إذ يقول : كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ، وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ

ولم يضمن الله سبحانه العصمة لأحد غير رسوله وأنبيائه فيما بلغوا من رسالات الله ، وكل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون

ونقل (فى ص ٢٦٣) قول الحازمى : إثبات التواتر فى الحديث عمر جدا الخ ، وهو قول مردود بقول شيخ الاسلام ابن تيمية : ان جمهور أحاديث الصحيحين متواترة المعنى ، وقول غيره أظنه الحافظ ابن حجر : إن من تأمل حال الرواة كمالك والثورى وأمثالهما وأن الواحد منهم لأن يخر من السماء إلى الأرض أهون عليه من أن يكذب على رسول الله ، فاذا انضم اليه مثله حتى ترتفع شبهة السهو أو الخطأ خرجنا من ذلك بقرائن قوية يكون بها خبر الآحاد مقبدا للعلم عند من عرف أحوال رواة

قال أبو رية (ص ٢٦١) : وقد رد الأستاذ الإمام أحاديث كثيرة فى أمور اعتقادية وغير اعتقادية كحديث الفرائق وحديث زينب بنت جحش وغيرها مما لا نستطيع إيراد أقواله فيها هنا . هـ

ونقول لأبى رية : ليس رد الأستاذ الامام لأحاديث فى الاعتقاد وغيره بحجة يقلد فيه فيما يخالف خير القرون من الصحابة وخيار التابعين وتابعيهم ، وهم القرون للشهود لهم بالخير ، وهم سلف هذه الأمة التى هى خير أمة أخرجت للناس

وحديث الفرائق ليس بحديث ، وإنما ذكره ابن اسحاق فى سيرته من مراسلات

بعض التابعين قتادة وغيره ، فليس من الأحاديث الصحيحة

وكذلك حديث زينب بنت جحش ليس من الأحاديث للمستندة الصحيحة ، وإنما هو رأى لبعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أنه حب رسول الله لبنت عمته زينب بنت جحش ، وكانت زوجة زيد بن حارثة الذي قبله رسول الله قبل أن تنزل الآية ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ وقوله ﴿ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾

فأراد الله أن يبطل عادة الجاهلية في تحريمهم زوجة المتبني كزوجة الابن ، وقدّر الله كراهة زينب لزوجها زيد ، وأمر النبي ﷺ لزيد أن يصبر عليها ويمسكها ، وهو يعلم أن الله سيزوجه بزينب ولكنه كان يخشى الناس وقالهم في ذلك ، فعاتبه الله في ذلك بقوله ﴿ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ وقبلها ﴿ وَتَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أى من أمر زواجه بزينب

واجتهد بعض المفسرين فاختأ في اجتهاده أن الذي أخفاه رسول الله ﷺ كان حب زينب ، وأحسن الأستاذ الانام في التنبيه على هذا الخطأ ، ونشره صاحب المنار مع تفسير الفاتحة ، وقد أحسن كل الاحسان في ذلك

وليس في المسألة حديث مسند لا صحيح ولا ضعيف حتى يقول أبو رية إن الأستاذ الإمام رد أحاديث اعتقادية وغير اعتقادية ، فإن هي هذه الأحاديث التي ردها الأستاذ الإمام ؟ إنما هي آراء لبعض المفسرين قالها خطأ

ونقل أبو رية (ص ٢٦١) عن شيخنا السيد رشيد رضا رحمه الله قوله : إن بغض أحاديث الأحاد تكون حجة على من ثبت عنده وإطمأن قلبه اليها ، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها . *

وهذا الكلام يستقيم في بعض الأحاديث التي ليست في الصحيحين كالسنن والمسانيد ،

أما أحاديث الصحيحين التي أجمعت الأمة على قبولها فلا ينطبق عليها هذا الكلام ،
لخالفته لإجماع الأمة من جهة ، ولأن أحاديث الصحيحين كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية
جمهورها متواتر المعنى فلا عذر لأحد في مخالفتها ، ولذلك حاول السيد رشيد تأويل بعض
الأحاديث وهي ما كانت تشكل عليه في الجمع بينها وبين تفكيره المعصرى الذى أخذه عن
شيخه الأستاذ الإمام عن فلسفة القرن التاسع عشر وما قبله من الفلسفة المادية التي لا تجتمع
مع ما جاءت به الديانات

وإذا كان الحافظ الذهبي قال تبعاً لشيخه ابن تيمية : إن ما جاءت به الرسل لا يجتمع
مع فلسفة الصابئة من اليونان والفرس والهند ، فأولى من ذلك أن يقال في فلسفة الماديين
التي تسكفر بكل ما لا تدركه حواسهم : إنها لا تجتمع مع ما جاءت به الرسل والأنبياء الذين
من أهم ما جاءوا به الإيمان بالغيب

أين هذا من قول الإمام أبى عبد الله الشافعى رضى الله عنه حينما روى حديثاً ، فقيل
له : أناخذ به يا أبا عبد الله ؟ فاستمع لونه وقال : ترانى خارجاً من كنيسة ؟ ترانى فى وسطى
زنار ؟ أروى عن رسول الله ﷺ شيئاً ولا آخذ به ؟ ! أو ما هذا معناه

ومن قول شيخ الاسلام ابن تيمية أجمعوا على أن من استتاب له سنة رسول الله ﷺ
فلم يأخذ بها أنه يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه

وقول السيد رشيد رحمه الله (ص ٢٦١) : ولذلك لم يكن الصحابة يكتبون جميع
ما سمعوا من الأحاديث ويدعون إليها مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به وبالسنة
العملية المبينة له ، إلا قليلاً من بيان السنة كصحيفة على رضى الله عنه المشتملة على بعض
الأحكام كالدية وفكالك الأسير وتحريم المدينة كتحرير مكة الخ

جوابه أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكتبوا جميع ما سمعوه من الأحاديث اكتفاء
بمحفظها ، لأن أكثرهم أميون يقوم الحفظ عندهم مقام الكتابة سواء فى القرآن أو الحديث
ولولا حفظهم للقرآن لما قامت الكتابة فيه مقام الحفظ ، اذ ما فائدة كتابة بلا نقط ولا

شكل بدون حفظ . وقد أمرهم الله بحفظ سنة نبيهم كما أمرهم بحفظ كتابه بقوله ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وبقوله ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقوله ﴿ يعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقوله لأُمَمَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿ واذكرونا ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فها هي الحكمة المعطوفة على الكتاب سوى سنة نبيه ﷺ ؟

والسنة العملية المبينة للكتاب تصير قولية بعد روايتها عن الصحابة ، فلا فرق بينها وبين غيرها من أحاديث النبي ﷺ ، فكلمها مما حفظه أصحاب رسول الله ﷺ مع الكتاب وبلغوه لمن وراءهم لا فرق بين شيء من ذلك ولا تفاوت

وأحاديث رسول الله في بيان الصلاة والزكاة والصوم والحج والمعاملات والزبا والأطعمة وغيرها مثل أحاديثه في الفتن والملاحم وأشرط الساعة ، كلها مما يجب الإيمان به بلا فرق ولا توقف ، ومثل صحيفة علي في الديات وغيرها صحيفة عمرو بن حزم وحديث أنس في أنصبه الزكاة في الأبل والبقر والغنم ونحوها كلها من واد واحد ومن مشكاة النبوة ويجب العمل بها على من بلغته كالقرآن ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ ، ﴿ لأنذرکم به ومن بلغ ﴾

وأما قصة مالك مع أبي جعفر المنصور فإن دلت على شيء فإنما تدل على علم مالك وإنصافه ، فقد ذكر مالك للمنصور أن الصحابة تفرقوا في البلاد وأخذ أهل كل بلد باسمه من بعض الصحابة الذين نزلوا عندهم ، وليس في الموطأ إلا بعض أحاديث بعض الصحابة كابن عمر ونحوه ، فابن حديث علي وابن مسعود وغيرها من سائر الصحابة الذين بلغوا مثبات الألو في زمنه ﷺ ؟

إن الموطأ يشتمل من الأحاديث نحو ستمائة حديث ، وباقيه شيء من عمل أهل المدينة فلهذا بلغ مالكا ، والكثير منه آراء مالك الاجتهادية

فلو يحمل الناس على ما في الموطأ وحده وألزموا به وبترك ما عداه ما ذا كان

يفوتهم من الخير الكثير والحكمة النبوية التي انتشرت في الآفاق ؟

ولو لم يلمهم الله ما كتبنا أشار به على النصور أو الرشيد ، لما كان في استطاعة أحد - سواء النصور أو الرشيد - أن ينسوا الناس ما حفظوا من سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه التي انتشرت في الآفاق انتشار الشمس

لقد أراد عَمَّان رضى الله عنه بكتابة المصحف أن يرفع من الناس ما انتشر بينهم من القراءات الكثيرة من شاذة وغير شاذة ، ومع هذا لم يرتفع من الناس ما حفظوا من صحيح القراءات وشاذها

قال أبو رية (ص ٢٥٤) : ولا يزال أبو حنيفة إلى يوم القيامة بين الأئمة هو الإمام الأعظم وأنباؤه يملأون مشارق الأرض ومغاربها ولا يستطيع أحد أن يشك في إسلامهم أو يظن في عبادتهم هـ

كلام كله جهل وهوس وهوى ، فن من الأئمة اعترف لأبى حنيفة أنه هو الامام الأعظم ؟ أمالك الذى قال ان رأى أبى حنيفة هو الداء العضال ، أم الثورى الذى قال فيه إنه كاد يهدم الاسلام ، أم ابن المبارك الذى قال فيه إنه كان يتقيا فى الحديث ، أم الامام أحمد الذى قال : إن هؤلاء - يعنى أصحاب الرأى - ليس عندهم إلا الجرأة . ولما ذكر له أبو حنيفة قال : أحلتنى على غير ملى . يعنى فقره فى الحديث . أما الشافعى فهو الذى كان يقول لمحمد بن الحسن عن أبى حنيفة : صاحبك لا يزيد على هذا

إن من يقرأ كتاب ابن عبد البر (الانتقا) أو ترجمة أبي حنيفة في تاريخ بغداد يستحي من الله ومن خيار خلق الله أن يقول عن أبي حنيفة انه الامام الأعظم ، وكفى بما قاله الأئمة فيه جرحا وتحذيرا من القول بالرأى ، وقد سقت شيئا من ذلك في ردى على الكونزى الذى حاول أن يظعن على من جرح أبا حنيفة من أئمة الاسلام مالك والثورى وابن عينة والحادين ابن زبد وابن سلة وابن المبارك وأحمد والشافعى والبخارى وغيرهم وأما أن أتباع أبي حنيفة يملأون مشارق الأرض ومغاربها فهم أهل بخارى وسمرقند

والتركتان الذين تسومهم الشيوعية الدهرية سوم للماشية والأنعام ، ولا يقدر واحد منهم الآن أن ينطق بشهادة التوحيد علنا أو يؤذن للصلاة جهرا ، وقد انقضى الاسلام من بينهم وحل محله مذهب الدهريين ، فآين اسلامهم الذى لا يشك فيه أحد ؟

ولا نذكر الترك الثمانيين وما فعله معهم طاغيتهم أنارك من الإلحاد والتفرنج والاباحية تنشأ عليها. ناشئتهم منذ أكثر من ثلاثين سنة ، كل ذلك من غمرات خرافاتهم وتمسكهم بآراء صدقتهم عن الكتاب والسنة وأخرجتهم من نور الاسلام إلى ظلمات الجهل والضلال وتقليد من لا يفيد تقليده شيئا من دين ولا دنيا

ونقل أبو رية (أول ص ٢٧٦) عن الدكتور أحمد أمين قوله : ان بعض الرجال الذين روى لهم غير ثقات . يعنى البخارى

ولنا أن نسأل الدكتور أحمد أمين ومقلده أبارية : من هم من رواة البخارى غير الثقات ؟ وصحيح البخارى هو الذى قال علماء الأمة عنه إنه أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

إن الدكتور أحمد أمين الذى سبق له أن نقل عن ابن عقيل الحضرى سب الصحابة وأنهم يلعن بعضهم بعضا ، وأن عمر لم يسل أحد من لسانه ويده ، وأنه خون فلانا وفلانا من الصحابة ، لا يستغرب منه أن يقول : البخارى روى عن رجال غير ثقات ، كل هذا حتى يتجلل الناس من سنة رسول الله ﷺ وأحاديثه ويتبعوا في دين الله أهواءهم وما تمليه عليهم شهواتهم ، ومن الذى نصده ؟ أحمد أمين ومقلده أبو رية ، أم شيخ الاسلام ابن تيمية الذى قال : إن جمهور أحاديث الصحيحين متواترة للمعنى ، وإجماع من يعتد بإجماعه من أهل العلم أن صحيح البخارى أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى

قال أحمد أمين (ص ٢٧٦) وقد ضف الحفاظ من رجال البخارى نحو الثمانين . وهذا جهل بالحفاظ وبمن تكلم فيهم من رجال البخارى ، فان الذين تكلم فيهم من رجال البخارى أنهم ليسوا على شرطه من أعلى طبقات الصحيح ، وليس كما زعم أحمد أمين

أنهم غير ثقات . وقد ذكرهم عالم مصر وحافظ السنة ابن حجر في مقدمة فتح الباري وأجاب عما قيل فيهم

قال أحد أمين : والواقع أن هذه مشكلة المشاكل ، فالوقوف على أمرار الرجال محال ، ومن زل زلة واضحة سهل الحكم عليه ، ولكن ماذا يصنع بمستور الحال ؟

وجوابه أن علماء الجرح والتعديل ميزوا الثقات ، من الضعفاء ، من مستورى الحال كما هو مبين في كتبهم . ولنا مكلفين ببواطن الناس كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إن الوحي قد انقطع ، فن أبدى لنا الخير قبلناه . أو ما هذا معناه

وقال الحافظ ابن حجر عن الامام الذهبي مؤرخ الاسلام : ما اجتمع اثنان على توثيق ضعيف أو تضعيف ثقة . قال ابن حجر عن الذهبي وهو من أهل الاستقراء التام في الرجال : فهذان إمامان من أئمة الحديث وحفاظه يحزمان أن من وثقه الأئمة فهو ثقة ، ومن ضعفه فهو ضعيف

فليس في الأمر إشكال إلا عند من جهل هذا الأمر ، أو حاد عن طريق أهل الحق واتبع غير سبيل المؤمنين من الجهمية والروافض وغيرهم من أهل الأهواء

قال أحد أمين (ص ٢٧٦) : ثم إن أحكام الناس على الرجال تختلف كل الاختلاف ، فبعض يوثق رجلا وآخر يكذبه ، والبواغث النفسية على ذلك لا حصر لها . قال : ثم كان المحدثون أنفسهم يختلفون في قواعد التجريح والتعديل ، فبعضهم يرفض حديث المبتدع مطلقا كالخارجي والاعتزلي ، وبعضهم يقبل روايته في الأحاديث التي لاتصل بدعته ، وبعضهم يقول : إن كان داعيا لها لا تقبل روايته وإن كان غير داع قبلت ، وبعض المحدثين يتشدد فلا يروى حديث من اتصلوا بالولاية ودخلوا في أمر الدنيا معها كان صدقهم وضبطهم ، وبعضهم لا يرى في ذلك بأسا متى كان عدلا صادقا ، وبعضهم يترجمت فيأخذ على الحديث مزحة مزحها

وقد اخترع هذه الصور من خياله أو خيال أعداء الحديث والسنة من الروافض ومن

وأخروهم ابن عقيل الحضرمي ، إلى أن قال : إلى غير ذلك من أسباب يطول شرحها . من أجل ذلك اختلفوا اختلافا كثيرا في الحكم على الأشخاص ، وتبع ذلك اختلافهم في صحة روايته والأخذ منه

ثم ضرب للثقل بمكرمة مولى ابن عباس واختلاف الناس فيه توثيقا وتجريحا .
ونقول لأبي رية - وترك أحمد أمين بحاسبه الله تعالى على شكوكه في دين الله تعالى -
نقول لأبي رية : إن دين الله تعالى الذي جمعه حجة على خلقه كما قال تعالى ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ نقول : إن دين الله حجته على خلقه ، وهو أجل من أن تدركه شكوك أحمد أمين . وإن الذين حملوا دين الله تعالى هم خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله كآراءهم الله سبحانه ، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

فهذه الأمة الوسط المدلول ، الذين يشهدون على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا وهم خير أمة أخرجت للناس ، كيف نصدق فيهم اتهام أحمد أمين بأن منهم من يوثق رجلا وآخر يكذبه بسبب بواعثهم النفسية التي لا حصر لها عند هذا البهات يلزم خلق الله تعالى ؟ بل الذي تؤمن به وندين الله عليه ونقسم عليه أن الواحد منهم خير ملء الأرض من أمثال أبي رية وأحمد أمين . وشكوكه في اختلافهم في رواية للبتدع ، محل لا طائل تحته ، فباب البدعة في القدر والتجهم والخروج باب واحد من أبواب عداوة الدين الكثيرة فأن فيمن روى كيفية الصلاة والطهارة والزكاة والحج والمعاملات ، أين فيهم المبتدعة الذين شكك أحمد أمين وتبعه أبو رية في الاختلاف في قبول روايتهم إذا استثنينا كتاب السنة ومقابلها من القدر والتجهم والخروج يبق لنا دين الله سالما من رواية أهل البدعة والاختلاف في الاحتجاج بهم

وأما مكرمة مولى ابن عباس فذنبه عند من تكلم فيه إكثاره من الآراء في التفسير

وغيره مما لم يسموا به ، وكانوا أهل تهيب للكلام في التفسير ، فانفجرت شقة الخلاف بينهم وبينه : تزمت منهم وهيبة للكلام في تفسير كلام الله تعالى ، وكثرة منه لما هابوا . فكان منهم من أسرف في الكلام فيه وأطلقوا كلمة التكذيب التي معناها عندهم الخطأ ، كما جاء في الحديث : كذب أبو السنايل بن بهكك في قوله لمن مات زوجها ووضعت حملها بعد موته بثمانية عشر يوماً وتجملت للخطاب ، فقال لها أبو السنايل : ما أنت بنا كح حتى يبلغ الكتاب أجله ، يبقى أربعة أشهر وعشراً ، فقال لها النبي ﷺ : كذب أبو السنايل ، يعني أخطأ ، حلت فانكحى من شئت

فالذين كذبوا عكرمة مرادهم خطأه

ولو جربنا على ظاهر قولهم واطرحنا ما انفرد به عكرمة من الأحاديث لما نقصت السنة شيئاً يذكر

وإنما كانت كثرة رواياته فيما ينقله عن مولاه ابن عباس في تفسير كتاب الله تعالى ، وهذه آراء لمن شاء أن يقبلها ولمن شاء أن يرفضها ، فليست من الأحاديث المرفوعة للسند التي أصاب أبارية سعار جرى في عروقه من الشك والتشكيك فيها

وقد جاء في أمثاله من أهل الأهواء : تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه حتى لم يبق عرق إلا دخله

بالله عليكم قولوا لي : من نصدق ؟ الله للذي قال إنه جعل هذه الأمة وسطاً عدولاً ليكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليهم شهيداً ، وأخبر أنها خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، وأن مثلهم في التوراة والإنجيل كزراع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، أم نصدق أحمد أمين وتابعه أبارية بأن الجرح والتعديل فوضى يحسب الأهواء والحزازات النفسية ، يوثق هذا من يجرحه ذلك ، ويضطربون في قبول روايات للبتدعين ووردها ؟ !

يقول رسول الله ﷺ « خير القرون قرني ثم الدين يلونهم » فذكر قرنين بعد قرنه
أو ثلاثة ، ويقول « أتم تعرفون سبعين أمة أتم خيرها وأكرمها على الله » ويقول مؤرخ
الاسلام شمس الدين الذهبي الذي هو من أهل الاستقراء التام بشهادة الحافظ ابن حجر ،
يقول : ما اجتمع اثنان - يعنى من علماء الجرح والتعديل - على تضعيف ثقة أو توثيق
ضعيف . ويفسرهما لنا أحد شيوخ ديوبند بأنه في كل طبقة من رجال الجرح والتعديل يوجد
مشدد ومعتدل كيحيى بن سعيد القطان للشدد مع عبد الرحمن بن مهدي للمعتدل ، وكالك
والتورى أو ابن عينة ، وكيحيى بن معين مع أحمد بن حنبل ، وكالبخارى مع مسلم ،
وكالنسائي مع أبي داود أو الترمذى وهكذا . فاذا اجتمع المشدد والمعتدل على توثيق راو
فهو ثقة أو على تضعيف آخر فهو ضعيف ، وإذا اختلفا في راو فجرحه للشدد وقبله للمعتدل
كان وسط الحال ، يقبل في الشواهد والتأجمات ونحوها

فاذا كان علماء الأمة في القرون الفاضلة هكذا حالم بشهادة الله ورسوله وأهل
الاستقراء التام ، ويجيء أحمد أمين ليتشبه بأعداء الاسلام الذين يسون مستشرقين فيرميهم
بالفوضى والحزازات النفسية والبواغث النفسية التي لا حصر لها عنده ، ويذكر اختلافهم
في رواية أهل البدع - وما أفلها - فاذا بقى لنا محفوظا من دين الاسلام وسنة رسوله للبينة
لكتاب ولأصول الدين وفروعه ؟

إن أعداء الاسلام - من مبشرين ومستشرقين - لم يكيدوا للاسلام بأكثر مما كاده
به أحمد أمين ومقلده أبو رية

ونقول لأبي رية - أما أحمد أمين فقد قال الله له ما فيه الكفاية على ما بهت به رجال
الدين وحلة العلم للنبوى - نقول لأبي رية : إن كنت تجد ديننا أهلى من دين الاسلام
كتابه وسنة رسوله ﷺ فأعلن اعتناقك له ودع الخلداع والتلق للأعداء الاسلام

وأما التمثيل بمكرمة مولى ابن عباس فتلك شكاة ظاهر عنك عارها ، فقد ذكرنا فيما
سبق - أن سبب نقد ناقديه الكثرة الكثيرة من آرائه في تفسير كتاب الله أمثالها

عن مولاة ابن عباس - وكان أعرف الناس به وأزعم الناس له - فرماه من لم يعرف هذه الآراء ولم يمين بروايتها باطلاً الذي ذكره بعضهم بلفظ الكذب

وحسبنا - في الثقة به - ثقة مولاة حبر الأمة ابن عباس به

ذكروا أن ابن عباس توقف في أهل القرية التي كانت حاضرة البحر واعتدوا في السبت أكانت جماعتين أم ثلاثة ، فذكر له مولاة عكرمة أنهم كانوا ثلاثة : معتدين وناصحين وساكنتين من قوله ﴿ وقالت أمة منهم لم يظنون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون ﴾ فذلك الآية على أن هناك واعظين ومعتدين ولائمين للواعظين يائسين من المعتدين ، فقبله ابن عباس وكساه حله وفرح بفهمه ودقة استنباطه

حسبنا من الثقة به أنه حفظ من علوم مولاة حبر الأمة ما لم يحفظه أبناء ابن عباس وأقاربه ، ومثله مع ابن عباس مثل نافع مع ابن عمر

وقتل أبو رية (ص ٢٨٢) عن الحازمي في كتابه شروط الأئمة قوله : ذلك بأن أئمة النقل على اختلاف مذاهبهم وتباين أحوالهم في تعاطى اصطلاحاتهم يختلفون في أكثرها ، فرب راو هو موثوق به عند عبد الرحمن بن مهدي ومجروح عند يحيى بن اسماعيل (وصوابه بن سعيد) القطان وبالعكس ، وهما إمامان عايفان مدار النقد في النقل ، ومن عندهما يتلقى شأن معظم الحديث . هـ

وتفسير الحازمي هذا هو على نحو ما قدمت لك عن الذهبي ، وتفديره لأحد شيوخ ديوبند ، فلن يختلفا في توثيق مالك والثوري وابن عيينة وحماد بن زيد وابن المبارك وأمثالها ، ولن يختلفا في جرح محمد بن سعيد المصلوب وأمثاله من الهالكين

وإنما يختلفان في متوسط الحال كمحمد بن اسحق صاحب النخازي والسير وحماد بن سلمة مثلاً فيتشدد فيه يحيى القطان بينما يقبله ابن مهدي - وعلى هذا فلا اختلاف بينهما في الحقيقة ، وليس من القوضى التي ذكرها أعداء الاسلام وتبعمهم في ذلك من أراد أن يتشبه

بهم كأحمد أمين وقلده أبو رية .

ومن الغريب أن يعمد أبو رية جهلاً منه بإمام جليل كيجي بن سعيد القطان شيخ
الامام أحمد ومن مشاهير تلاميذ الامام مالك والثوري وابن عينة ، يعمد اليه جهلاً وعن
قلة تدرس بأسماء الرجال فيسميه يحيى بن اسماعيل (ص ٢٨٢ س ١٧) وهذا جهل فاضح ،
نتيجة أخذ العلم من الصحف بدون جلوس في خفقات العلم والأخذ عن أهل العلم ، وهذا
يؤدي الى التهجم بوقاحة على ما لا يعرف

ولو تحداه أدنى طلبة العلم أن يجد في أئمة الجرح إماماً اسمه يحيى بن اسماعيل يقرن بعبد
الرحمن بن مهدي وعليهما مدار النقد ومن عندهما يتلقى شأن معظم الحديث لحصر أبو رية
وبلغ وانقطع ، وعرف جهله وهجومه على ما لا يعرف

ونقل عن القاسمي (في ص ٢٨٣) تعجبه من تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل
الرأي كأبي يوسف ومحمد بن الحسن ، فقد لينها أهل الحديث كما ترى في ميزان الاعتدال
وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما بل وتقدمهما على كثير من الحفاظ . هـ

وجوابه ما قال مالك : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، لقد أدركت
سبعين عن يقولون قال رسول الله عن هذه الأساطين فما أخذت عنهم شيئاً ، وإن أحدهم
لو ائتمن على بيت مال لكان أميناً . هـ فيقال لأبي رية إن سعة أبي يوسف ومحمد وتبحرهما
كان في غير رواية الحديث ، وإنما كان في الآراء وتوليد المسائل ، وهذا غير الحديث
وروايته

ونقل أبو رية (ص ٢٨٣) عن الزين العراقي في قول أهل الحديث : هذا حديث
صحيح أن مرادهم فيما ظهر لنا عملاً بظاهر الاسناد . قال العراقي : وهذا هو الصحيح الذي
عليه أكثر أهل العلم ، لجواز الخطأ والنسيان على الثقة ، خلافاً لمن قال إن خبر الواحد
يوجب العلم ، وكذا قولهم هذا حديث ضعيف فمرادهم لم تظهر لنا فيه شروط الصحة ،
لا أنه كذب في نفس الأمر لجواز صدق الكذاب وإصابة من هو كثير الخطأ . هـ

وهذا الذي قرره العراقي هو مذهب أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة والروافض .
وأما مذهب أهل الحق من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فهو إفادة خير الواحد للعلم مع
القرآن ، وإلا فلماذا ترك أهل قباء قبلة كانوا عليها ثمانية عشر شهرا الخير من أخبرهم أنه
صلى مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة ، فتحولوا وهم في الصلاة إلى الكعبة . والرسل الذين
أرسلهم رسول الله ﷺ إلى الملوك والأقوال ما كانوا إلا آحادا ، فكيف قامت بهم الحجة
كلّ هؤلاء المرسل اليهم للدعوى إلى دين الاسلام ، وبعث رسول الله ﷺ أبا موسى
الأشعري ومعاذا إلى اليمن كيف تقوم بها على أهل اليمن الحجة إذا كان خير الواحد لا يفيد
العلم ولو مع القرآن ؟

أما تجويز الخطأ والنسيان على الثقة وتجويز صدق الكذاب فن الخيالات والأوهام
التي لا يعول عليها في فطر الناس وعقولهم ومعاملاتهم في دنياهم فضلا عن الدين

وقال أبو رية (ص ٢٨٤) : مثل غريب مما اتفق البخاري ومسلم على روايته ،
فذكر حديث ابن عمر يوم الأحزاب أن لا يصلين أحد المصير إلا في بني قريظة . قال ابن
حجر : كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري ، ووقع عند مسلم الظهر مع اتفاق البخاري
ومسلم على روايته عن شيخ واحد بسناد واحد من مبدئه إلى منتهاه . قال : ويظهر من
تغاير اللفظين أن عبد الله بن محمد شيخ الشيخين إما حدث فيه بلفظين أو أن البخاري كتبه
من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه في تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ
على اللفظ . هـ

أقول : وهذا حديث واحد من أكثر من ألفين يكتبه البخاري من حفظه فيذكره
بلفظ المصير بينما ذكره مسلم بلفظ الظهر ، وسواء كان اختلاف اللفظين بسبب رواية
شيخهما للحديث باللفظين ، أو سببه كتابة البخاري له من حفظه ، فحديث من مائة ألف
حديث يختار البخاري صحيحه منها فيخلط بلفظة واحدة في حديث من مائة ألف ، أي
حفظ في الدنيا يساوي هذا الحفظ أو يدانيه ويقاربه لولا شهرة أبي رية في التشكيك في

الأحاديث ، ولكن ما يذكره مما يزيدنا في التمسك بالأحاديث

كفى المرء نبلا أن تعد معاينة

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لى بآنى كامل

والحمد لله الذى يحفظ دينه اذ ينسى هذا أو يخطئ فيحفظه على وجهه الصحيح غيره حتى تبقى حجة الله على خلقه قائمة لا يتشكك فيها إلا من فى قلوبهم مرض ، والذين قالوا فى القرآن ﴿ ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ فقال الله تعالى ﴿ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ، الذين يتفوضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض أولئك هم الخاسرون ﴾

وذكر فى ص ٢٨٥ قول ابن حبان فى رد قول من اشترط فى صحة الحديث أن يرويه عدلان ثم قال : ثبت أن الأخبار كلها أخبار آحاد ، ومن اشترط ذلك - أى رواية عدلين - فقد عمد إلى ترك السنن كلها لعدم وجود السنن إلا من رواية الآحاد . ثم صوب أبو رية ما ذكره ابن حبان

ولكن ذلك لا يفيد أبارية فى شكه فى الأحاديث والسنن ، فإن حبان وغيره من أساطين علم الحديث وأئمة ورواته يرون أن أحاديث الآحاد هذه تقوم بها حجة الله على خلقه ، والكثير منها بل الأكثر يفيد العلم مع القرآن وتعدد الطرق والشواهد والمتابعات ، ويحكمون على من يرفضها أو يتشكك فى قيام الحجة بها بأنه مشاك لله ورسوله ومتبع غير سبيل المؤمنين فيؤليه الله ما تولى من الضلالة والزيغ . عياذا بالله من العوابة بعد ارشاد ، ومن الضلالة بعد الهدى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

وفى آخر ص ٢٩٠ قال أبو رية : وقد مر بك أنهم أعلوا أحاديث كثيرة مما رواه البخارى ومسلم ، وكذلك تجد فى شرح ابن حجر للبخارى والنووى لمسلم امتشكالات كثيرة وألف عليها مستخرجات متعددة ، فإذا كان البخارى ومسلم - وهما الصحيحان كما يسمونهما - يحملان كل هذه العمال والانتقادات وقيل فيها كل هذا الكلام - دع

ماوراء ذلك من تسرب بعض الاسرائيليات اليهما ، وخطأ النقل بالمعنى وغير ذلك في روايتهما - فترى ماذا يسكون الأمر في غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث ولا نقول للمسانيد لأنها في نفسها لا ثقة بها ولا اعتماد عليها لأن ما فيها كفتاء السيل اللهم أدر كذا بلفظك وهىء لهذا الدين القويم من يحفظ أصوله ويصون قواعده فلا يفشاهما ما ليس منها ، ولا يتصور عليها ذو دخلة سيئة لها . هـ

وجوابه (١) أن إبارية لم يرحه سماره في التشكك في حديث النبي ﷺ الذي هو الأصل الثانى لدين الاسلام الذى به بيان كتاب الله وتفاصيل عبادات الاسلام ومعاملاته (٢) قوله مر بك أنهم أعلوا أحاديث كثيرة مما رواه البخارى ومسلم ، بهتان بين ، فلم يمر بنا سوى كلام من قلدهم في رد حديث السحر والذباب ومحاجة الجنة والنار ونحوها بما يمد على أصابع الرجل الواحدة بجانب ألوف الأحاديث في بيان شرائع الاسلام وأحكامه من عبادات ومعاملات

(٣) قوله تجد في شرح ابن حجر للبخارى والنووى لم استشكلات كثيرة ، هو من أمثال نهوره وبهته ، فشرح البخارى لابن حجر المسمى بفتح البارى يخونى ثلاثة عشر مجلدا ضخما تزيد على مائة ألف صفحة إذا طلبنا من هذا المرتاب أن يعد لنا منها مائة إشكال فيكون لكل ألف صفحة إشكال واحد ، لو طالبناه بذلك لمعجز وبلح وأبدع به

(٤) وقوله فاذا كان البخارى ومسلم - وهما الصحيحان كما يسمونهما - يحملان كل هذه الملل والانتقادات وقيل فيها كل هذا الكلام دع ما وراء ذلك من تسرب بعض الاسرائيليات اليهما وخطأ النقل بالمعنى وغير ذلك في روايتهما . هـ

هذا كلام من لم يردعه ورع ولا انصاف ، فهذان الديوانان الجامعان لجمهور شرائع الاسلام من عبادات وعقائد ومعاملات يقول فيها هذا البهات المفقري انما يحملان عللا سوانتقادات بالدعوى بلا دليل ، والافتراء على كتب الحديث التى تبين كتاب الله تعالى وتشرح شرائع الاسلام من عبادات وعقائد ومعاملات . فاذا أخذنا بهتان هذا البهات

ورفضنا كتب الحديث لمفتريات هذا المفتري فكيف نعبد الله في صلاتنا وزكاتنا وحجنا وصيامنا، دع معاملات الاسلام من البيع والنكاح والأطعمة والقضاء والشهادات . فإما اتباع بيان النبي ﷺ لكتاب الله ولشرائع الاسلام ، وإما الأهواء والبدع والقوانين الوضعية فرنسية أو بريطانية أو غيرها

فليختر المسلم أحد الطريقين : طريق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل المؤمنين ، أو طريق الشيطان والآراء والقوانين الوضعية

وقد مهد أبو رية لطريق الشيطان واتباع سبيل الطاغوت بتشكيكه في أحاديث النبي ﷺ وفي أصبح ودواوينها صحيح البخارى ومسلم بل غيرها

وقوله (ص ٢٩١) : فترى ماذا يسكون الأمر في غير البخارى ومسلم من كتب الأحاديث ، ولا نقول المسانيد لأنها في نفسها لا ثقة بها ولا اعتماد عليها ، لأن ما فيها غثاء كغثاء السيل . هـ

وجوابه : ان فيما عدا البخارى ومسلم - فضلا عنها - الهدى والنور وأحكام الاسلام وشرائعه في قل هو الله الذي آمنوا به وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد في صدق الله العظيم . فهذا أبو رية وأمثاله يجذبهم عن الاسلام ما تغذوا به من شبهات الروافض والجهمية والمعتزلة وغيرهم من ركبوا رهوسهم وجروا وراء آراء اليونان والفرس والهند ، ولم يرفعوا بما جاء عن الله ورسوله وطريق خير القرون رأسا

وتكرر ما ذكرنا سابقا لأبي رية وأمثاله ممن يرفضون السنة والأحاديث : كيف يصلون بسجود أو بسجودين ، ويسجدون قبل الركوع أو بعده ، وكى ركة يصلون للصبح والظهر والمغرب والمغرب والمشاء في الحضر والسفر ، وهل يصلون باستنجاه أو بلا استنجاه ، وكيف تعمل دولة الاسلام بالزكاة وأنواعها وأنصبتها ، وكيف يحجون وبصودون ، وكيف يتعاملون بالمعاملات الاسلامية ، وكيف وكيف ؟

ليس هناك إلا الصراط المستقيم ، صراط القرآن والسنة وطريق خير القرون . أو سبل الشيطان والطاغوت والأهواء والبدع وآراء اليونان والفرس والهند وقوانين فرنسا وسويسرا وغيرها

وانا لندعو الله تعالى بدعاء أبي رية (ص ٢٩١) أن يدركنا الله بلطفه ويهيئ لنا لهذا الدين التبريم من يحفظ أصوله وقواعده فلا يفسدها ما ليس منها ، ولا يتصور عليها ذو دخله سيئة بها ، ونحمد الله تعالى للغيور على دينه الذي جعله حجة على خلقه ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾ وقد وعد الله باظهار دينه على الدين كله ، وهو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وقد وفى سبحانه بوعده ، ومن أصدق من الله قيلا ؟

وقال تعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ فالحمد لله على كمال دينه وإتمام نعمته ورضاه لنا بدين الاسلام ديناً ، وقال ﴿ ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾

ودين الاسلام هو الكتاب والسنة من أحاديث النبي ﷺ وأعماله وتعليمه وإقراره وعمل خير القرون للشهود لها بالخير عند ذوى القلوب السليمة والفطر المستقيمة ، بخلاف أهل الشكوك والريب ، ودعوى التفرقة بين الأحاديث القولية والسنة العملية دعوى يردّها أن السنة العملية متى رواها من رآها تصير حديثاً قولياً ، فالتابعون لم يروا عمل النبي ﷺ وإنما عرفوه برواية الصحابة لهم ما رأوه من عمله ﷺ

وقوله آنفاً إن في شروح الصحيحين استشكالات وانتقادات ، أجبتنا على ذلك سابقاً وأن ذلك يعد على الاصابع

وتقول له الآن : ان الله تعالى أخبر عن القرآن بقوله ﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب ﴾ منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله - والراسخون في العلم

يقولون آمتا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الأبواب ﴿

فاذا كان في كتاب الله للتشابه ، فأى غرابة أن يوجد في الأحاديث ما يستشكله بعض الناس ، وكلاهما من بشكاة واحدة من الله لهداية خلقه ﴿ فأمّا يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتى فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أمرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴿

قوله (ص ٢٩١) : ولا نقول للمسانيد لأنها في نفسها لا ثقة بها ولا اعتماد عليها ، لأن ما فيها كثناء السيل . وقوله عن المسانيد : إن العلماء قد تكلموا فيها وقضوا بأنه لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التعويل عليها ه . كلام متهور لم يعصه ورع ولا تقوى ولا انصاف ، فانه سيأتى نقل كلام العلماء في هذه المسانيد وثقاؤهم عليها ومكانتها من تراث الاسلام . فكيف يكون ما فيها غناء كثناء السيل ، وهام أولاء الحفاظ الأئمة كالشيخ ابن تيمية وابن حزم والذهبي وابن القيم وابن حجر يقولون من هذه المسانيد ويحتجون بما هو حجة منها ، قليست عندهم لا ثقة بها ، ولا هى غناء كثناء السيل ، ولا هى لا يسوغ الاحتجاج بها ولا التعويل عليها

فن ترى تتبع ، هؤلاء الأئمة الاعلام العلماء بدين الله تعالى ، أم هذا المتخبط المجازف الذى لم يعرف قرين عبد الرحمن بن مهدي وشيخ الامام أحمد وأشهر تلاميذ مالك فيسيه يحيى بن اسماعيل تقليدا للنسخة المحرفة التى وقعت في يده من شروط الأئمة للحازمي وهذا الامام الجليل هو يحيى بن سعيد القطان

فجازف غريب عن علم السنة مثل أبى رية يأتينا في القرن الرابع عشر ليشككنا في ثانى أصول الاسلام ، في سنة رسول الله وأحاديثه ، والله يعلم غرضه من ذلك والذي حمله عليه . فهل نترك ما جاءنا به رسول الاسلام لشكوك هذا الجاهل الأفك الملقب ١٩

وختم أبورية (في آخر ص ٢٩٨) مانقله عن مسند أحمد من أول (ص ٢٩٣ الى آخر م — ١٩ * ظلمات أبى رية

ص ٢٩٨ بقوله : هذا ما رأينا نقله مما قاله الأئمة الكبار في مسند أحمد ، وهو كاف في التعريف به ويان قيمته في نفسه لا فيما هو مشهور عنه ، وأنه من المصادر التي لا يعول عليها أو يحتاج بها شأنه شأن سائر المساند . هـ

والذي تقدم نقله عن كبار الأئمة في شأن المسند - ككلام شيخ الإسلام ابن تيمية وابن الجوزي والعراقي وابن كثير وغيرهم - أن في المسند أحاديث ضعيفة لا يشتد بها الضعف إلى حد البطلان ، ولم يقل أحد منهم ولا من غيرهم أن كل أحاديث المسند ضعيفة لا يحتاج بها

ولم يزل الأئمة ابن تيمية وجده المجد ابن تيمية في كتابه منتقى الأخبار وابن كثير في تفسيره وتاريخه وابن حجر في مسانيد العشرة وبلوغ المرام وفتح الباري والذهبي وابن حزم وغيرهم من كبار العلماء وأئمة الدين يحتجون بما هو حجة من مسند الإمام أحمد وبينون ما هو ضعيف فيه إذا احتج به أحد لا يعرف ضعفه ، فدعوى أبي رية في المسند أنه من المصادر التي لا يعول عليها أو يحتاج بها دعوى كاذبة صدرت من جاهل لا يخاف الله تعالى

وعلق أبو رية (ص ٣٠٠) ط. سهو النبي ﷺ في إحدى صلاتي العشي - الظهر أو العصر - وقول أبي هريرة ولكنني نسيت أنا ، بقوله في ج ٢ : وكيف ينسى وقد زعم أن النبي ﷺ أمره أن يبسط ثوبه ثم أفرغ فيه ما أفرغ حتى لا ينسى شيئاً سمعه أبداً . هـ

وهذا أبو رية بعيد عن أساليب العرب كأنه أعجمي ولم يسمع حكاية مالك والشافعي ، فقد جاء رجل إلى مالك وقال له : إني حلفت بالطلاق أن هذا القمري لا يترك الصياح أو التفريد أبداً ، فقال مالك : طلقت امرأتك ، فانه لا بد أن ينأى أو يأكل فيترك التفريد ، فقال الشافعي وكان في حلقة الدرس بين يدي مالك : لا تطلق امرأته ، فإن هذه العبارة أراد بها الكثرة ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال عن رجل « لا يضع عصاه عن عاتقه » مع أنه يصلي ويأكل وينام ، وإنما يريد الكثرة من أحواله ، أو ما هذا معناه

فإذا قال أبو هريرة : لم أنس شيئاً ، ونسي كلمة في حياته في أكثر من خمسين ألف

حديث فلا يكون كاذبا في ذلك أيها الأعرجي الذي لا يعرف أساليب العرب التي تطلق على الكثرة الحكم الكلي كما قال عليه السلام « لا يضع عصاه عن طائفة » يريد في أكثر أحيانه وفي (ص ٣٠١) قولهم إن صحة السند لا تقتضي صحة المعنى الواقع ونفس الأمر حتما ، وعدم صحة السند لا تقتضي وضعه في الواقع ونفس الأمر حتما . هـ

هذا فتح لباب القوضى ورد الأحاديث بالأهواء والتعصب ، ولو سلم هذا لا كابر العلماء وأهل البصيرة في الدين فإن يسلم لأدعياء العلم أمثال أبي رية الذي لا يعرف اسم يحيى ابن سعيد القطان الامام الجليل فيسميه في موضعين من كتابه يحيى بن اسماعيل تبعا لتحريف طبعة شروط الأئمة للحازمي ، مثل هذا الجاهل بيدهيات علم الحديث وأسماء الرجال كيف يسلم له زمام رد الأحاديث وقبولها

وأما حديث أبي هريرة عند مسلم في خلق السموات والأرض في سبعة أيام فقد تكلمنا عليه سابقا وأنه ليس مخالفا للقرآن بل زائدا عليه ، وأن السبت الذي خلقت فيه التربة سبت أسبوع سابق على أسبوع خلق هذا العالم كما سبق ذلك مشروحا . وحديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش ، فالظاهر - والله أعلم بمراد نبيه - سجود للملائكة الموكلين بها ، والأنبياء والرسل تتوجه الى عالم الملكوت بخلاف أهل العلم والتجربة للذين يتوجهون إلى عالم الملك ، ولكل وجهة هو موليها

وإذا قلنا للذين يستنكرون حديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش : أين العرش ؟ هل تقولون بهيئة بطليموس الباطلة ان الأرض مركز العالم ثم فوقها فلك القمر ثم فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المشتري ثم زحل ثم النجوم الثوابت ثم السكروسي ثم العرش فلذلك تستنكرون ذهاب الشمس للسجود تحت العرش ، ولكن الذين يخالفونكم في نظرية هيئة بطليموس هذه لا يستنكرون سجود الشمس ولا النجوم والشجر وغيرها ، ويؤمنون بقوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبيل والشجر والدواب وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب ،

ومن ينه الله فإله من مكرم ، إن الله يفعل ما يشاء ﴿ وقوله ﴾ والنجم والشجر يسجدان ﴿
على ما أراد الله

وقال (ص ٣٠٢) إن أمثال هذه المشكلات في الروايات لا يهتدى إلى تحقيق الحق فيها
إلا الذي يعطى لمقله حرية الاستقلال فيما قاله أصناف العلماء ، فعلماء الرواية هم أعلم من علماء
الأصول الاعتقادية والفقهية بنقد رجال الحديث ، وهؤلاء أعلم من المحدثين بنقد المتن وما
يرافق المقول وأصول العقائد منها وما لا يرافقها

وهنا نسال أبارية : أى عقائد ؟ عقائد الجهمية والمعتزلة ، أم عقائد الرافضة ، أم عقائد
الخوارج ؟ ولكل من هؤلاء أصول وعقائد ، فما وافق أصولهم وعقائدهم قبلوه وما خالفها
ردوه ، فان كان من القرآن استحووا من رده فتأولوه بركيك التأويل ، وان كان من
الحديث لم يستحيوا من رده بدعوى أنه آحاد وظن لا يفيد اليقين . ومن طالع كتب
شيخ الإسلام ابن تيمية - خصوصاً كتاب العقل والنقل - يعلم مصارعهم وتهاقهم وتخاذلهم

حجج كالزجاج نهافتن فكلهن كاسر مكسور

وقال (ص ٣٠٢) : وقد اتفق الفريقان على أنه ليس كل ما صح سنده من الأحاديث
الرفوعة يصح متنه ، لجواز أن يكون في بعض الرواة من أخطأ في الرواية عدداً أو سهواً ،
وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه باطلاً ، بل قالوا إن للوضع من حيث الرواية قد
يكون صحيحاً في الواقع ، وإن الصحيح السند قد يكون موضوعاً في آقع . وإنما علينا
أن نأخذ بالظواهر مع مراعاة القواعد ، فما صح سنده قبلنا روايته ، وحقاً قواعد الاعتقاد
ودلائل نل في متنه إن كان مشككلاً ، وما كان غير صحيح السند لا يجوز لنا أن
نسميه حديثاً نبوياً وان كان معناه صحيحاً . اهـ

وأقول غفر الله لشيخنا السيد رشيد رضا ، فقد فتح الباب لدعى في العلم كآبى رية
لا يعرف يحيى بن سعيد القطان فيسببه في موضعين من كتابه تبماً لتحريف طبعة شروط
الأئمة للحازمى يحيى بن إسماعيل ، ويقرنه بعبد الرحمن بن مهدي ، ويصفه مع ابن مهدي

بأن عليهما مدار علم الحديث ، يفتح السيد رشيد رضا رحمه الله لهذا الدعوى فى علم السنة
الجرأة على رد الأحاديث بالجهل والهوى والباطل

ثم دعوى شيخنا أن الفريقين المحدثين والأصوليين اتفقوا على أنه ليس كل ما صح مسنده
يكون صحيحاً ، من الذى قال ذلك من المحدثين ؟ مالك ، أم الثورى ، أم ابن عبيته ، أم
الشافعى ، أم أحمد ، أم البخارى ، أم مسلم ، أم أبو داود ، أم الترمذى ؟ إن قال ذلك أحد
منهم كان عملهم فى جمع الأحاديث التى لا يثقون بها عبثاً ولهواً ولعباً وضياًعاً للوقت . ومن
من الفقهاء والأصوليين يريد ؟ أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، أم أهل البدعة
من الرافضة والجهنية والمعتزلة والخوارج ؟

وتجوز خطأ بعض الرواة الثقات عمداً أو سهواً بدون دليل كخيالات الحشاشين
وأوهام المبرسمين ، مفسد لفطر الناس ومعاملاتهم فى دينهم ودنياهم ، ولا يشاء أحد أن
يتخلص من شهادة شاهد عليه فيقول إنه أخطأ عمداً أو خطأ - على هذا - إلا قال ذلك ،
إذا فتحنا هذا الباب

ولماذا لم يقل أهل قبا للآتى الذى قال لهم - وهم يصلون إلى بيت للقدس - إنه صلى
مع النبي ﷺ إلى الكعبة : إنه أخطأ عمداً أو خطأ ؟ ولماذا لم يقل الملوك لرسول الله
ﷺ إنهم أخطأوا عمداً أو خطأ فيما بلغوا عن رسول الله ﷺ ؟ فلماذا جوزنا ذلك على
المحدثين الذين هم خيار خلق الله ، وأغلاط من غلط منهم معروفة منبه عليها - أليس هذا
التجوير قادحاً فى قول الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وأى حفظ للذكر
إذا لم يحفظ بيانه وشرائعه وأحكامه وأعماله وقوانينه والأمة التى عملت به ؟

أراد أحد الشيوخ أن يقدم شيئاً من آداب الإسلام ومحاسنه للروس الشيوعية بعد
إسقاطهم ، فقالوا له : هذا جميل ، فأرونا أمة تعمل بهذا على وجه الأرض الآن لتكون
أول من يعتنق هذا الدين ، فلم يقدر أن يرشدهم إلى أمة تتمسك بهذا الدين الآن على
وجه الأرض

أما إذا قيل لنا : من الذى عمل بهذا القرآن ؟ ذكرنا لم رسول الله ﷺ وصحابه بشهادة سنته وأحاديثه وسيرة أصحابه ، فذلك تاريخ العمل بالقرآن ، ومن شك فى أحاديث الرسول ﷺ وسيرة أصحابه فقد جعل القرآن غير تاريخى ، وأسطورية من الأساطير كما قال عنه للشركون ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ اكتبها فى تلى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ﴿

إن من يقرأ كتاب أبى ربة الذى سماه أضواء على السنة الحمديّة والذى يتعجب من عدم تأليف مثله من نحو ألف سنة ! يراه قد جمعه كحاطب ليل من مطالعات لم يحسن فهمها من نحو توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري ومن شروط الأئمة الخمسة للحازمى ، حتى إن الأغلاط الطبيعية فى هذه الكتب تحكم عليه فيقع منها فى أغلاط بديهيّة لا يقع فيها طالب علم مبتدئ فضلاً عن باحث يضع كتاباً لنقد كتب السنة والحديث !

خذ خطأ واحداً لا يقع فيه طالب فى السنة الثانية عندنا من طلبة دار الحديث بمكة : الإمام يحيى بن سعيد القطان شيخ الامام أحمد ومن كبار تلاميذ مالك يفرق الطلبة عندنا بينه وبين شيخ الامام مالك بأن تلميذ مالك جده فروخ ولقبه القطان وشيخ مالك جده عبد ربه ولقبه الأنصارى ، فيجيبه باحث القرن الرابع عشر - جهلاً منه وتقليداً لتحريف مطبعة شروط الأئمة الخمسة - فيسميه فى موضعين من كتابه يحيى بن إسماعيل القطان ص ٢٨٢ س ١٧ وص ٣٠٨ س ٢ ، ولو كان فى موضع واحد لقلنا سبق قلم ، ولو لم يذكر يحيى بن سعيد القطان فى الصفحة التى قبله ص ٣٠٧ س ١٥ موها أنه غير يحيى بن إسماعيل القطان كما أوحى إليه بذلك جهله وأخذه علمه من الصحف ، وقديماً قيل : من كان علمه من الصحف كان جهله أكثر من علمه

ولعلنا فى آخر هذا الرد نوفقى إلى ذكر متناقضات أبى ربة التى لم يفتن لها وحشاً كتابه وفرح بها ظناً منه أنها تنصره فى غرضه من شكوكه فى السنة والحديث وذكر أبوزرية (ص ٣٠٦ وص ٣٠٧) تنافى من الجرح والتعديل فلا عن كتاب

الكامل لابن عدى الذى لم يره بعينه وانما اعتمد على ما ذكره عنه الشيخ طاهر الجزائرى
فى توجيه النظر فقلناه عنه ابرورية مطالعة بدون فهم ، كقوله فى ص ٣٠٧ « ومن تلامذة
يحيى بن معين أحمد بن حنبل » فهذه الكلمة لا يقولها طالب علم شىء رائحة من علم
الحديث ، فأحمد بن حنبل ويحيى بن معين قرينان وصنوان من شيوخ البخارى ومسلم
ومن تلاميذ يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، فليس أحمد تلميذا ليحيى بن
معين وإنما هما صنوان وقرينان

(لطيفة) دخل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مسجد للنصور ببغداد وقصاص يقول
حدثنى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين بكذا وكذا ، فذكر طامة من طوام القصاص ،
فقال أحمد لابن معين : أنت حدثته بهذا ؟ قال : لا . قال : قم اليه فانصحه . فقام اليه
أحدهما فقال له : أنا أحمد بن حنبل وهذا يحيى بن معين ، متى حدثاك بهذا ؟ فقال بسماجة :
ما زلت أسمع بمحافتكما حتى رأيتكما ، هل لا يوجد فى الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين
غيركما ؟ لقد رويت عن ألف أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما . فوضع أحمد كفه على
فمه وقام يضحك . والغرض من هذه الحسكاية ترافق أحمد ويحيى لا تلمذة أحمد ليحيى
. وأما نسية أبى رية ليحيى بن إسماعيل القطان فى ص ٢٨٢ و ص ٣٠٨ تبعا لتحريف
الطبعة لنسخة شروط الأئمة الخمسة للحازمى فأمر يوسف له ويضحك منه ، وقد تقدم لنا
التنبيه عليه وأن علم أبى رية من مطالعات للصحف لا يفهمها ، ورحم الله امرءا عرف
قدر نفسه

وأما ما ذكره أبى رية آخر ص ٣٠٧ و ص ٣٠٨ و ص ٣٠٩ من اختلافهم فى الجرح
والتعديل تبعا لما فهمه من كتاب توجيه النظر للجزائرى لجوابه ما قدمنا من كلام الإمام
الذهبي مؤرخ الإسلام - وهو من أهل الاستقراء التام فى هذا الشأن بشهادة الحافظ
ابن حجر - قال الذهبي : ما اجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف ، ولا
على تضعيف ثقة . هـ

وفسرها لنا أحد شيوخنا من علماء ديوبند أنه يوجد في كل طبقة من علماء الجرح والتعديل معتدل ومشدد مثل الثوري ومالك ، ومثل عبد الرحمن بن مهدي ويحيى القطان ، ومثل أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، ومثل مسلم والبخاري ، ومثل للترمذي والنسائي . . وهكذا .

فإذا اجتمع المعتدل والمشدد على توثيق راو فهو ثقة ، أو على تضعيفه فهو ضعيف ، وإذا اختلفا قبله المعتدل وجرحه المشدد كان وسطا يقبل في الشواهد والمتابعات

فن لم يعرف قاعدتهم وأصولهم اشتبه عليه اختلافهم وظنه تناقضا ، ومن عرف مرادهم سهل عليه الجمع بين اختلافهم والاتفاق بما روى عنهم

وأنى لأبي رية الذي يحمل أحمد بن حنبل تلميذا ليحيى بن معين ويسمى يحيى بن سعيد القطان يحيى بن إسماعيل القطان تبعا للأغلاط الطبيعية أن يعرف اصطلاح القوم وهو أنما ينظر اليهم بمنظار الجهل والهوى الأسود الذي يهلك الألوان الناصعة ويظلم أنوار النهار فيحيلها في نظر صاحبه ظلمات فوق ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، ومن لم يحمل الله له نوراً فما له من نور

وقل أبو رية ص ٣٠٩ عن صاحب العلم الشامخ اختلاف آراء الناس واجتهاداتهم في التعديل والتجريح ، فترى الرجل الواحد تختلف فيه الأقوال حتى يوصف بأنه أمير المؤمنين وبأنه أكذب الناس أو قريب من هاتين العبارتين . هـ

وهذا ادعاء يرده ما عرف من انصاف رجال الجرح والتعديل وتقواهم لله تعالى ، ولم يذكر القبلي مثلاً واحداً يشهد لما ادعاه عليهم ، وإنما هي دعوى بلا بينة ترد على قائلها كما يرد الاستقراء والتنبع لأقوالهم وشهادة العارفين بأقوالهم كالإمام الثقة شمس الدين الذهبي ، وحسبك بكتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال

ونقل ص ٣٠٩ عن السيد رشيد رحمه الله قوله : إن توثيق كل من وثقه المتقدمون

وإن ظهر خلاف ذلك بالدليل يفتح باب الطعن في أنفسنا بنذ الدليل والأخذ في مقدماته بالتقليد ، ومخالفة هداية القرآن المجيد

وقوله « إن كل من قال جمهور رجال الجرح والتعديل المتقدمون بمداتهم فهو عدل وإن ظهر لمن بعدهم فيه من أسباب الجرح ما لم يظهر لهم . ان المستقلين في الرأي لا يقبلون هذا »

ويقال لها : ما هي الأسباب التي ظهرت لكم ولم تظهر الأولين ؟ أوحى أو كهانة أو سوء ظن بفهم الأولين ، أو أحاديث قبلوها ولم تقبلها عقولكم كحديث السحر وسجود الشمس تحت العرش ، وقد قدمنا من الكلام ما يسوغ قبولها مع حديث خلق الله القربة يوم السبت

وليس من الانصاف ولا من الحكمة أن كل ما لا يقبله عقل الانسان من وحى النبوة يرد ، فالوحى يأتي بمحارات العقول ، أى بما يحيرها ، لا بمحالاتها أى المستحيل فيها

فالسحر مثلا من الأعراض البشرية التي تجوز على الأنبياء ، وليس فيه مس جن ولا مخالطة عقل كما صوروه لتثنيهم . وسجود الشمس تحت العرش يستنكره صاحب الهيئة البطليموسية التي تجعل فلك الشمس تحت الفلك الأعظم الذى يزعمه العرش - بخمسة أفلak ، أما الذى يؤمن بالعرش على ما أخبر الله ، ولا يعرف نبة الشمس منه ، فهو يسلم بسجود الشمس كسجود القمر والنجوم والشجر والدواب وغيرها بكيفية يعلمها الله سبحانه

لقد اخترع المتأخرون لتوصيل الضوء والحرارة ما سموه الأثير مادة تملأ الكون وتنفذ في كل شيء ، ويفسرون الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة بأمواجها ، ويسلم كثير من الناس لم هذا الخيال وهذا القرض ، فإذا جاء فى الوحى عن علام الغيوب سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغيرها لله رب العالمين استنكروه فأولوا الآيات وردوا الحديث ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ، كذلك كذب الذين من قبلهم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴾

ثم أليس في هذا فتح باب لجاهل مثل أبي رية لا يعرف إن كان أحمد بن حنبل زميلا ليحيى بن معين أو تلميذا له ، ولا يعرف إن كان يحيى بن إسماعيل القطان هو يحيى ابن سعيد القطان ، يفتح الباب لمثل هذا الغريب عن علم السنة ليتجهجم على الأحاديث الصحيحة بحججه وهواه ، وتعلقه لأعداء الدين من الملاحدة والمارقين والجهمية والروافض والنحلين . اللهم اشهد أنا نؤمن بالغيب كما ورد في كتابك وسنة نبيك وحديثه ، ما عرفنا منه وما لم نعرف ، ونعرف أن في كتابك متشابهها ، وفي الحديث مشكلا لك الحكمة البالغة فيها . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ونمود بالله ممن يكذب بما يحيط بعلمه ولم يأت به تأويله

ولسنا مع هذا نعدى العقل وتجارب الأمم ، ولكننا نقف بها عندما من الله بها على عباده من خدمة المعاش ، وترفيه أمور دنيا الناس ، من غير أن تغطي على دينهم أو تعارضه أو تتقدم عليه

وفيما نقله في ص ٣١٤ أسرف صاحب العلم الشامخ في الخط على الحديث ، ورمم بالانحراف عن الجادة ، وعذر علماء الكلام بما لا يعذر الحديث فيه ، ولا غرابة فأصل عقيدته عقيدة المعتزلة وأصل فروعه الأحناف وأهل الرأي ، وعداوة المعتزلة وأهل الرأي لأهل الحديث معروفة من قديم الزمان من حين اعتزل وأصل بن عطاء مجلس الحسن البصري ونشأ فيهم أمثال النظام والعلاف وأبي الحسين البصري ونبزوا أهل السنة والحديث بأنهم حشوية ومشبهة وأهل ظواهر ولا معقول عندهم ولا يحقول لهم ، وانصلوا بخدمة للولك فحسنوا لهم بدعهم وحلوا الناس عليها بسلطان الدولة وعذبوا أمثال الإمام أحمد في محن صبر فيها من صبر ، وأجاب فيها من أجاب ، والموعود الله

وسبب ذلك ترك الكتاب والسنة ، واتباع الأهواء والآراء ، اتباعا لفلسفة اليونان والفرس والمند ، وخروجا عن هدى الكتاب والسنة وسيرة خير القرون للشهادة لهم بالخير

وأما الإمام أحمد فاعترف المقبلي بحفظه للسنة وتجرده نفسه لله (ص ٣١٥) فقد حط عليه - تبعاً للمعتزلة - في تشده في مسألة خلق القرآن ، وتركه رواية من أجاب فيها كهلى بن المدينى واسماعيل بن علي (ص ٣١٥ ، ٣١٦) . ومسألة خلق القرآن ليس الذنب فيها ذنب الإمام أحمد ، فانما الذين اخترعوها هم خصوم السنة كابن أبي دؤاد ، وقد سول للخليفة المعتصم حمل الناس عليها وامتحانهم فيها ، وعلم الإمام أحمد بمرادهم منها وأنهم لا يقولون إن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه وحروفه ، وإنما تكلم به جبريل أو خلقه الله في الهواء فليس هو كلام الله وإنما خلقه في نفس جبريل أو محمد أو الهواء أو نحو ذلك فهو مخلوق . فأصر محققو أهل السنة ومنهم الإمام أحمد على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ألفاظه ومعانيه وحروفه تكلم الله بها ، وليس لجبريل ولا لمحمد غير البلاغ . فليس على الإمام أحمد لوم ولا ذنب - إذا علم مراد من اخترع هذه البدعة أن القرآن مخلوق بأنه كلام جبريل أو محمد وليس كلام الله وإنما خلقه الله في نفس أحدهما - أن يصبر على رفض هذه البدعة . ومن قال بها كائناً من كان ، على بن المدينى أو ابن علي أو أكبر منهما ، ما دامت تؤدى إلى نفي كلام الله تعالى كما يزعم هؤلاء الجهمية بدعوى أنه يؤدى إلى الحدوث أو التشبيه أو التجسيم ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

وأما قول المقبلي إن أحمد لم يرو عن يحيى بن معين لأنه قال بخلق القرآن فلم يرد ذلك لغير المقبلي ، وابن معين زميل لأحمد ليس عنده أزيد مما عند أحمد حتى يحتاج أحمد للرواية عنه ، وهذا كقول أبي رية إن أحمد تلميذ يحيى بن معين ، كلاهما من واد واحد ولدى الجهالة بطبقات الرواة . والانكار على أحمد في روايته عن عامر بن صالح بن عبد الله ابن عروة بن الزبير كالانكار على مالك في روايته عن عبد الكريم بن أبي الخارق ، وكالانكار على الشافعى في روايته عن إبراهيم بن أبي يحيى .

فلمؤلاً . الأئمة عذرهم واجتهادهم في ذلك ، فان أخطأوا كان لهم أجر الاجتهاد وليسوا ممن يعتمد للنفس وعدم النصح ، ساشام من ذلك

وإذخال عائشة أم المؤمنين وبعض الصحابة والتابعين (ص ٣١٦) في نفي رؤية الله تعالى - بمعنى في الآخرة - مغالطة واضحة ، فعائشة ومن وافقها تقول بنفي رؤية محمد ربه ليلة المراج كما هو صريح حديثها : من حدثكم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، والله يقول ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ . فانتصب لها الأسود سائلا : أليس الله يقول ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ قالت : أنا أول أحد سأل رسول الله ﷺ عنها ، فذكرت أن رسول الله رأى جبريل على حقيقته مرتين هذه منها أو ما هذا معناه . فالموضوع كان في رؤية للنبي ﷺ ربه ليلة المراج ، عائشة تنفيه وابن عباس يثبتها ، فنقل هذا الخلاف - كما غALT القبل - إلى رؤية الله في الدار الآخرة التي يثبتها أهل السنة جميعا من الصحابة والتابعين وتابعيهم وينفيها أهل البدعة من الجهمية والمعتزلة مغالطة فاضحة

وأما ورع المحاسبي عن أخذ ميراثه من أبيه كما ذكرها القبلي (آخر ص ٣١٦) فمن الورع الذي يسل لصاحبه ، كمن يتورع عن صلات الأسماء ، وعما يشتهه فيه من معاملات الناس

ونقله (ص ٣١٧) عن يحيى بن معين أنه قال عن عمرو بن عبيد إنه دهرى إن صح النقل - ولا أظنه يصح - يكون من المبالغات التي يحمل عليها الغضب والحمية ، وليس هذا بأكثر مما وقع ممن هو خير من يحيى بن معين في خصومهم في وقت الغضب أو الخصومات السياسية

وتوثيق يحيى بن معين لعتبة بن سعيد بن العاص بن أمية (ص ٣١٧) ، وكذا قال النسائي وأبو داود والدارقطني وروى له البخاري ومسلم ، قال القبلي : وهو جليس الحجاج ابن يوسف . فليت شعري متى كانت مجالسة الأسماء جرحا ترد به الأحاديث ، وهؤلاء الأئمة يحيى بن معين والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والدارقطني أعلم من القبلي للمعتزلي بمن تقبل روايته أو ترد ، ولم يعد الذهبي ولا ابن عدي ولا العقيلي ولا ابن حبان في جرح الرواة مجالسة الأسماء ، وقد كان الزهري - وهو شيخ محدثي الحجاز والشام

ومصر - من شرطة هشام بن عبد الملك ، ورد الذهبي على من تكلم فيه لأجل ذلك
وفي ص ٣١٧ إنكاره لرواية البخارى عن مروان وإتهام مروان بما اتهمه به ،
ودفاع ابن حجر بأنه إن ثبتت محبته لم يضره ذلك ، تهم ضئيلة ودفاع أضعف .
ورواية البخارى له في حديث شروط صلح الحديبية مقرونا بالسور بن مخرمة متابعة
للتقوية لا اعتراض على البخارى فيها متى علم صدقه وقرنه بمنابع قوى ، والمدار فى الرواية
على الصدق والأمانة فى أداء ما سمع

والعمومات التى جاءت فى فضل الصحابة كقوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه
أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم
فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج
شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله
الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرأ عظيما ﴾ وأمثاله كثير فى القرآن
والحديث تشملهم شمولاً كلياً لا يخرج عنها منهم أحد إلا من جاء نص صحيح
بإخراجه وأنى هو

وإذا استثنينا من شوشوا به مثل مروان بن الحكم وبسر بن أرطاة والوليد بن عتبة
ونحوهم بقى لنا من الصحابة الكثير الأكثر الطيب من أمثال أصحاب بيعة الرضوان وأهل
غزوة بدر وأحد والخندق وخيبر وغزاة ٢٧ غزوة و ٧٣ برية وأهل حجة الوداع الذين
قليل فيهم إنهم يزيدون على مائة ألف

وإذا قيل فى الصحابة منافقون ، قيل : الآيات فضحت المنافقين فى البرة وآل عمران
والنساء والتوبة والنور والحديد والمنافقين بما لم يبق للشك مجال فيهم حتى عرفت صفاتهم
ودخائلهم وبطائنتهم ومجالسهم ومن يتمون إليه وشياطينهم من رؤسهم ومن اليهود ،
فلم يعد فيهم شك

وقول أبي رية ح ٢ ص ٣١٧ في حديث « لا تسبوا أصحابي » أنه في مناسبة خاصة ، قول جاهل بالعلم لم يشتم منه راحته ، ولم يمر عليه قولهم : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وأكثر النصوص الشرعية من قرآنية وأحاديث وردت على أسباب معينة ، فلذلك قرر علماء الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فأين أبو رية من هذا !

وليس الصحابة بمنزلة واحدة عند أهل السنة كما ادعى ذلك عليهم المقلبي ص ٣٨٨ وهم يقرأون قول الله تعالى ﴿ لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحشيش ﴾ وقوله تعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ وليس الصحابة بمعصومين من الخطأ ولا من الذنوب ، ولكن لهم من محبة الرسول والجهاد معه وتحمل الأذى في نشر الاسلام ما ينفع ما كان من بعضهم إن صح ذلك ، بخلاف مفتريات الروافض والشيعة والجهمية وأعداء الاسلام

ونشكيه في أن الصحابي من رأى الرسول أو رآه الرسول بأن لفظ صحب لا يدل عليه فقد استدلوا عليه بحديث « يفزرو قوم فيقال هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ فيفتح لهم » الخ

وأما من ثبت عليه ارتكاب كبيرة كشرب خمر ولم يثبت عنه توبة منه فليس له من العدالة ما لسائر الصحابة وأكابر المهاجرين والأنصار ، وباستثناء بسرين أرطاة والوليد ابن عقبة يبقى لنا من الصحابة الكثير الأكثر الطيب

وقول المقلبي آخر ص ٣١٨ : وما لا يحصى مما سكت عنه رعاية لحق النبي ﷺ ما لم يلجىء اليه بلجىء . ديني يجب ذكره هـ : روى الكلام على عوانه وإطلاق لعدم الإحصاء في هنات معدودة لا تتجاوز نصف أصابع يد واحدة . وإذا طلب من المقلبي أن يفتضح عما أبهمه فما سكت عنه رعاية لحق النبي ﷺ لأدركه الى والمصر - ألا برد عليه هذه التهمة النكراء . قوله تعالى ﴿ لا تأخذم في الله لومة لائم ﴾ وقوله ﴿ كنتم خير أمة

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴿ هذه الأمة التي قال أحدها خليفة رسول الله : اتق الله ، فيلومه لأنهم ، فيقول الخليفة : دعه ، لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها . ويقول الآخر لعمر : لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بالسيف . ولم يسمعوا منه حيناً رأوا عليه قيصين حتى بين لهم أن أحدها لولده عبد الله . فهؤلاء كيف يكتون على ما لا يحصى رعاية بجانب النبي ﷺ وقد قال له أحدكم في غنائم حنين : اعدل ، فقال : ويلكم من يعدل إذا لم أعدل الخ . ولكنها الديسة الرافضية التي ورثوها عن أعداء الاسلام اليهود والفرس . ومروان والوليد اللذان دنا بهما في أول ص ٣١٩ إذا حذفنا روايتهما من الدين فلن ينقص الدين شيئا ، وأنا لا أعرف للوليد رواية أصلا ، فليرم في البحر ، ودين الاسلام هو دين الاسلام الذي أكمله الله وأنعم به علينا

وأعرف لمروان رواية مقرونة بالمسور بن مخزومة في كتاب الشروط من صحيح البخارى في صلح الحديبية ، وحديث عروة عنه عن بسرة فيمن مس ذكره فليتوضأ ، وإذا لم يكن له غيرها فالعمدة في حديث صلح الحديبية على المسور بن مخزومة ولا يضره متابعة مروان له ، وحديث تقض الوضوء بمس الذكر معارض بحديث « إن هو إلا بضعة منك » واختلفت فيهما اجتهادات الأئمة

وفي ص ٣١٩ يميلنا للقبلى على كتب الجرح والتعديل لنجد بزعمه ما لا يحصى من الحفاظ العباد الذين تجنبهم البخارى ، يعنى في صحيحه

ونقول له : إن كتب الجرح والتعديل محصاة معدودة ، وإذا رجعنا إليها كما طلب منا للقبلى فلن نجد فيها من الحفاظ العباد الذين ليس حديثهم في صحيح البخارى إلا نزرا يسيرا اكتفى البخارى بأخراج حديث أقرانهم أو من هم خير منهم ، ولم يلتزم بإخراج حديث كل الحفاظ العباد ، وإنما جعل صحيحه نموذجا لأعلى الصحيح ، كما قال زميله مسلم : ليس كل الصحيح أخرجته في كتابي الخ

وكان الأليق بالقبلى في كتاب علي ككتابه العلم الشامخ في التنفير من اتباع الآباء

والشايخ أن يتجنب المبالغاة الشعرية كقوله « سكثوا عما لا يحصى » يعنى من ذنوب الصحابة ومعاصيهم ! وقوله « تجنب البخارى ما لا يحصى من الحفاظ والعباد »

وأما تجنب البخارى لحديث حماد بن سلمة فقد وجد فى حديث قريبه حماد بن زيد ما يعنى عنها مع أو هام عند ابن سلمة ليست عند ابن زيد

وتجنب مسلم لعلى بن المدنى فاحترام لموقف شيخه أحمد بن حنبل فى مسألة خلق القرآن وعنده من أحاديث أقران ابن المدنى ما يعنيه عنه

ومن مبالغاته الشعرية الخيالية التى لا واقع لها قوله ص ٣١٩ : وقد اختلفت عقائد المحدثين ، فترى الرجل الواحد تختلف فيه الأقوال حتى يوصف بأنه أمير المؤمنين وبأنه أكذب الناس ه . وأين هذا أيها الراى لكلام على عواهنه بلا زمام ولا خطام ؟

وقوله : وانظر الصحيحين كم تحامى صاحباهما من الأئمة الكبار الذين يتطلب النعم عليهم تطلبا ، ولو نظر تجنب أفضلهم لا ضمحل ، ولما أثر فى ظن صدقهم إلا كقطرة دم فى بحر يم ، وفى رجالهما من صرح كثير من الأئمة بجرهم وتكلم فيهم من تكلم بالكلام الشديد ، وإن كان لا يلزمهما إلا العمل باجتهادهما . ه

ولم يفصح القبلى عن الأئمة الكبار الذين تجنبهم صاحبنا الصحيح ، وكأنه يشير إلى أبى حنيفة وأصحابه زفر وأبى يوسف ومحمد بن الحسن

ويحط على البخارى ومسلم (ص ٣٢٠) روايتهما عن المستورين مثل حفص بن غنيم ومالك بن بجير الرمادى ، وينقل عن الذهبي أن ابن القطان (وهو أبو الحسن على بن الحسن الأندلسى) تكلم فى كل مالم يقل فيه إمام عاصر ذلك الرجل أو أحد من عاصره ما يدل على عدالته وهذا شئ كثير ، ففى الصحيحين من هذا النمط خلق كثير مستورون ما ضعفهم أحد ولا هم مجاهيل

وقال فى ترجمة مالك بن بجير الرمادى : فى رواية الصحيحين عدد كثير ما علمنا أن أحدا نص على توثيقهم . قال القبلى : فانظر هذا المعجب ، يروى عن حاله ما ذكر ويترك

أئمة مشاهير مصنفين ، لأنهم قالوا بخلق القرآن أو وقفوا أو نحو ذلك . والمعجب هنا من جملة الذهبي بقوله : ولا هم مجاهيل ، فمن لم يعلم عدالته لم تشمله أدلة قبول خبر الآحاد الخاصة بالعدول ، والاصطلاح على تسميته مستوراً لا يدخله في العدول الذين تتناولهم أدلة قبول الآحاد ، فهذا تفريط وإفراط . يترك أبا حنيفة ومحمد بن الحسن وابن إسحق وداود الظاهري ومنهم من أذعن له للناس في المغازي ومنهم من تبعه شطر أهل البسيطة ، ثم يروى عن مستور لا يعلم من هو ولا ما هو . هـ

وجوابه : أن روايتهما عن المستورين غير المجرحين في اللاتبات والشواهد غير الأصول أمر لم تمنعه الشريعة ولم تنفخ آية ﴿ ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ما داموا غير فاسق ولا متهمين . ولما جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يشهد برؤية الهلال قال له رسول الله ﷺ « أشهد أن لا إله إلا الله » قال : نعم . فصام رسول الله ﷺ وأمر الناس بالصيام بشهادة من شهد أن لا إله إلا الله ، ولم يطلب توثيقاً له أكثر من شهادة أن لا إله إلا الله وحمل العلم أكبر توثيق للحديث « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله »

وأما فقد القليل بعدم رواية الشيخين عن أبي حنيفة ومحمد بن الحسن وابن إسحق فهذا هو بيت التصيد في ثقته عليهما ، فنقول له : ماذا عندهم من الأحاديث لم يروياها غير حديث الفقهية في الصلاة تبطل الوضوء ، وحديث تبطل الصلاة بخروج الدم قدر الدرهم البغلي ، وحديث من كان له إمام فقرأه الإمام له قراءة ، فهل يريد القليل أن يفش الشيخان المسلمين بادخال أمثال هذه الموقوذاة في صحيحهما ؟ دع عنك ما قاله الأئمة مالك والنوري وابن عينة والحارثان في أبي حنيفة وتلاميذه . واتباع شطر البسيطة لأبي حنيفة لا يوثق روايته ، وما كانت الكثرة في أي زمان علامة الحق . وأما ابن إسحق فقد جرحه مالك وغيره من الأئمة واتهموه بتلفيق الروايات الشرعية في مغايرته وسيرته ، وليست المغازي والسير هي الأحاديث

وفي ص ٣٢١ أنكر القليل في كتابه الأرواح النوافخ على أهل السنة قولهم بالصحة

لمن رأى رسول الله ﷺ أو رآه بأن كلمة « صحب » لا تدل على ذلك . وفاته ما ذكرنا من حديث « يغزو قوم فيقال : هل فيكم من رأى رسول الله ؟ فيفتح لهم » الخ . وعموم قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ والحديث « خير القرون قرى » الخ . ولوترنا مع جدل للتبلي فلم قبل إلا بصحبة من صحب النبي ﷺ وأسقطنا من ليس له إلا الرؤية لبقى لنا من صحابة النبي ﷺ الكثير الطيب الذين عليهم مدار تبليغ الدين كتابا وسنة ، وتجدد في كتب الصحابة كالإصابة ونحوها من يقال فيه « له رؤية » لا رواية ، وأمثال هؤلاء في حكم كبار التابعين

وبسرين أوطاة ومروان بن الحكم والوليد بن عتبة باسقاطهم من الصحابة لانحسار شيئا . والتمك باجتهاد معاوية في سب علي يقابله مثله من سب علي لمعاوية ، ففتح بابا عليه غباره ، والله يغفر لهم جميعا . وأما أخذه البيعة لولده فانسكار اجتهاده في ذلك نزعة شيعية ، ومعاوية قرشي وابنه كذلك ، كعلي وآله ، وشهادة محمد بن الحنفية ليزيد بالصلاحي والاستقامة فضحت دعايات الزيريين التي استغلتها الشيعة بأكاذيبها ومبالغاتها ، وفي بني أمية من هم خير ممن يسمون أنفسهم شيعة آل البيت الذين دخل فيهم الرفض والزندقة ومنهم انشعبت النصيرية والاسماعيلية والدرزية والبهائية الخ

وذكر أبو رية بحاشية ص ٣٢٢ أن من الصحابة من لمز النبي ﷺ في الصدقات ، ومنهم آذاه بأنه أذن ، ومنهم من اتخذ مسجدا ضاررا وكفرا الخ ، ومنهم من كان في قلبه مرض ، ومنهم الموقون ، ومنهم المعتذرون في غزوة تبوك وزل فيهم ﴿ سيحلفون بالله لكم إذا اقلبتم اليهم لتمرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم لأنهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ . وفي هذه الغزوة هم أربعة عشر مناققا أن يشكروا رسول الله ﷺ في ظلمات الليل عند عقبة هناك ، وخالفوا أمر النبي ﷺ في القيا من ماء نهام عنه فلعنهم ، وفي القرآن سورة تسمى سورة المنافقين . ٥١

ومحمد الله على أن لم يفرغ أبارية جميع ما في صدره من الضغن على صحابة رسول الله

ﷺ فيقول انهم كلهم منافقون وكلهم لمز النبي ﷺ في الصدقات وكلهم قال عنه إنه أذن وكلهم تأمروا على اغتياله في غزوة تبوك

نحمد الله أن قال أبو رية منهم ومنهم ، فسورة التوبة التي سماها بعضهم الفاضحة صارت تقول : ومنهم ومنهم في المنافقين ، قال حتى ظنوا أنها مستسيهم بأسمائهم . نطالب إبارية أن يطالع أو يطالع على ما كذب في تراجم الصحابة كأسد الغابة لابن الأثير والاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر ، ويذكر لنا واحدا من المنافقين له رواية في كتب الحديث أو المساند أو السنن فضلا عن الصحاح أو حامت حوله شبهة النفاق من قريب أو بعيد ، فالصحابة هم الصحابة ، والمنافقون هم المنافقون ، وهؤلاء غير هؤلاء ، وليجنبنا رواية الشيعة والروافض من أمثال أبي جعفر الاسكافي وابن أبي الحديد وعبد الحسين الكاظمي وأضرابهم ، فهؤلاء عندهم أن خيار الصحابة الذين قام الاسلام على أكتافهم منافقون

وجاء في حديث عتيان بن مالك - في الصحيح - لما دعا رسول الله ﷺ ليختار له في بيته مكانا يتخذونه مصلى لما ضعف بصره وكان إمام قومه ، فذهب اليه رسول الله ﷺ لما تعالى النهار هو وأبو بكر وعمر ، وصلى رسول الله في المكان الذي أشار إليه . قال : ثم حبسناه على حريرة ، فلما سمع أهل الحى برسول الله ﷺ تسلموا إلى دار عتيان

فقال قائل : ما بال مالك بن النخشم أو النخشم لم يبعي . ؟ فقال آخر : ذاك منافق يحب المنافقين ، فقال رسول الله ﷺ : لا تقل ذلك ، أليس يشهد أن لا إله إلا الله ويتنقى بذلك وجهه ؟ قال : بلى ، ولكننا نرى وجهه إليهم . . الخ الحديث

ففي هذا الحديث أنهم كانوا يحصون المنافقين ، ومن وجهه إليهم

قال ابن حجر في فتح الباري في شرح هذا الحديث : ان مالكا هذا كان ممن أرسله رسول الله ﷺ لهدم مسجد الضرار ، فلعل مجالسته للمنافقين كانت لمصلحة دينية ، أو كان فيه شيء من النفاق فتأب الله عليه منه

فترى من هذا أن رسول الله ﷺ كان لا يثق بالمنافيين في أعماله من إمارة أو تنفيذ

غرض ، فكيف يهزم أبو رية الصحابة وهذا شأنهم في الاحتياط لدينهم والشك فيمن يجالس المنافقين بأن منهم ومنهم ومنهم ؟

وقد قال الله تعالى في شأن المنافقين للنبية ﷺ ولو نشاء لأرينا كههم فلعرفتكم بسيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول ﷻ فملق معرفتهم بسيماهم بالمشيئة ، وأكد معرفتهم بلحن القول وغواء وما يدل عليه باشاراته وما يسميه الناس : ما بين السطور

وهزم أبو رية صحابة رسول الله ﷺ أن منهم من ارتد بعد موته ، ونقول له : إن الردة كانت من أعراب في البادية شعاب الزكاة ، وإن خيارهم ردوا هؤلاء الأعراب إلى حظيرة الدين بقوة الاسلام ، وهم الذين دكوا حصون كسرى في العراق وفارس وحصون الروم في الشام ومصر والمغرب ، وهم الذين حملوا مشاعل الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وهم الكثير الطيب الذين لم ير التاريخ ولن يرى بعينه أمثالهم

وأما لمزهم بالحروب التي جرت بينهم فالفتنة التي هاجت على عثمان كثرتهم من غوغاء البصرة ومصر الذين خدعوا بابن سبأ والسبئية . . .

والتي كانت بين علي وأصحاب الجمل نسكت عنها ، وهي لم تهلك الحرث ولا النسل كما زعم أبو رية ، بل إنها كانت على خير ما يكون عليه الصالحون الأخيار ، حتى أنشب القتال قتلة عثمان فيما دبره ابن سبأ ، كما قرر ذلك أعلام السنة ومحققو التاريخ . وأما التي بين علي ومعاوية فقد ذهب جميعا إلى الحكم العدل والله يقفر لهم جميعا

وشك أبو رية ص ٣٢٤ - ٣٢٧ تبعا للمقبلي والسيد رشيد رضا في عدالة جميع الصحابة ، وارتضوا أن الآيات والأحاديث في فضلهم هي للأغلبية منهم

ومع تنزلنا إلى مخالفتهم مذهب أهل السنة والجماعة ، ورأيهم في أن العدالة إنما هي لأغلبية الصحابة كما زعموا ، يبقى من عدول الصحابة الكثير الطيب ، فأغلبية يقرب عددها من مائة ألف فيهم السكافية في حفظ الدين وتبليغه كما ضمن الله لكتابته ومبرهته وحبته على خلقه

وإذا واقفناهم على استثناء بسر بن أرطاة والوليد بن عتبة والذين زلت فيهم آيات التوبة وغيرها من المنافقين وهم معروفون بأعمالهم وأقوالهم وانحرفهم عن جادة الاسلام، فهل يطلبون منا الشك في تعديل ابن عباس وابن عمر وأنس وعائشة وأبي سعيد الخدري بله الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأكابر المهاجرين والأنصار؟ لقد كان عليهم بدل أن يلتقوا هذا الكلام المشوش للمائع على عواهنه أن يعددوا إلى صحابي اعتمد حديثه صاحب ديوان من دواوين الاسلام - من الصحاح والسنن والمسانيد - ويقولوا لنا: هذا الصحابي يحتاج إلى توثيق وتعديل، حتى نبحت معهم في ذلك الصحابي

أما إلقاء الكلام غير المحدد ولا المبين: هل الصحابة عدول كلهم أو جلهم، وهل الآيات الواردة في فضلهم والأحاديث تشملهم شمول أفراد وإحصاء، أم هي للأغلبية منهم؟ فابحث خالية من الجدوى، ومحلها كتب الجدل البيزنطي واليوناني وكتب الخيالي والسيالكوتي وأمثالها

وفي حاشية ص ٣٢٢ حرف أبو رية آية ﴿ سيحافون لسمك إذا انقلبتم إليهم ﴾ الخ فحذف منها فان تعرضوا عنهم (س ١٧) كما سبق له في كتابه

وفي ص ٣٢٨ عزا كتاب زغل العلم للذهبي، والحق أن الذهبي يرى منه، وإنما نسب إليه كذبا وافقراء بدليل أنه: (١) لم يذكره أحد من ترجم الذهبي في مؤلفاته، (٢) لم ينقل عنه أحد بعد الذهبي شيئا مع عزوه للذهبي، (٣) حظه فيه على شيخه شيخ الاسلام ابن تيمية مما يخالف ما ذكره عنه في سائر كتبه كالمعجم المختص وتذكرة الحفاظ والتاريخ الكبير وغيرها. ولو كان لهذا الكتاب أصل في زمن الذهبي - فضلا عن الذهبي - لما أغفل النقل عنه مثل الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي. دع عنك ابن السبكي وابن الزملاكي وغيرهما من المنحرفين على شيخ الاسلام ابن تيمية، فلم نرم من نقل عنه من يوافق ابن تيمية أو يخالفه - ويقال إنه للسيوطي ونسبه من نسبه للذهبي ترويجا له

وقوله آخر من ٣٢٩ ، ولا كؤدنة الثقلة صوابه « النقلة » بالنون جمع ناقل

وقوله ح ٢ ص ٣٣٠ « ومن ضربهم عمر على ذلك أبا هريرة » نحن نحوى أو على لغة « وأبا أباه ». أما فرية ضرب عمر لأبي هريرة على التحديث ، تلك الفرية الراضية ، فقد أجنبناه عليها سابقا ، وقصارى الراضية منها الخط على عمر أكثر من جرح أبي هريرة

وما نقله ص ٣٢٨ - ٣٣٠ من ابن عبد البر والذهبي والشيخ عبده والثوري وغيرهم من الشكوى ممن يطلبون الحديث لغير العمل به فكلمة حق أريد بها باطل ، فلم يرد هؤلاء الأئمة إبطال الحديث ولا ذم طلبه وطالبه ولا الشك والتشكيك فيه ، وإنما يريدون السكال لأهله وخلص النية في طلبه وابتغاء وجه الله في تحصيله ، بخلاف ما أردت أنت أيها الشاك المشكك في حديث رسول الله ﷺ المتصيد لكل مانحبه طعنا فيه وتشكيكا بالحق أو بالباطل . ولقد قال إمام منهم : طلبنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا الله تعالى

وختم أبو رية كتابه (ص ٣٣١ فما بعدها) بنقل فصول من مقدمة حكيم المؤرخين ابن خلدون ، وهي موضوعة لنقد الأخبار التاريخية لا الأحاديث النبوية ، فإصول المادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران وأحوال الاجتماع الانساني وقياس القائب على الشاهد والحاضر بالذهاب ، ما لهذا كله والوحى السماوى والحديث النبوى ؟

هل عهد العمران عصا تنقلب حية ثم تعود عصا ؟ أو ناراً تصير بردا وسلاما على من يلتقي فيها ؟ أو مولودا يغير أب ويتكلم في المهد وكهلا ويبرئ الأكمة والأبرص ويحيى الموتى بأذن الله ؟ أو صاعا من شمير وعناقاً تكفى أكل ثمانمائة جياح ؟ أو مزادتين يرتوى منهما جيش برواحلهم ولا تنقص للزادتان شيئا ؟ أو قعبا من لبن يشرب منه أهل الصفة كلهم حتى يشبعوا ؟ أو بقية من تمر وأقط تجمع وتقس على الجيش فتؤمنهم كلهم حتى يرجعوا إلى المدينة ؟ أو بقرة تتكلم فيؤمن بهذا رسول الله وأبو بكر وعمر ؟ أو ذئبا يقول للراعى الذى استرد منه حمله : من لها يوم لا راعى غيرى ؟ أو يوم يحدث الرجل سوطه ونعله بما فعله أهله فى داره ؟ أو يوم يحسر الفرات عن جبل من ذهب ويقتل الناس عنده ؟

أو يوم تطلع الشمس من مغربها ؟ أو يوم ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل الجزية ولا يقبل من الناس إلا الاسلام ؟ أو الدابة التي تكلم الناس ان الناس كانوا بآيات الله لا يؤمنون ؟ أو المراج إلى السموات السبع في ليلة واحدة والإسراء إلى بيت المقدس في تلك الليلة من مكة والرجوع إليها ؟

ماذا تعمل طبيعة العمران في هذا كله وأضعافه وأضعاف أضعافه ؟ وما يفيد فيه قياس الغائب على الشاهد والحاضر على الداه ؟

الحق أن نقل شروط ابن خلدون لنقد أخبار التاريخ إلى نقد الأحاديث النبوية ظلم وافتراء على ابن خلدون الذي لم يضع شروطه إلا لنقد أخبار التاريخ ، وهو يعلم أن علم الحديث له رجال برعوا فيه ووضعوا علما لنقده سموه مصطلح الحديث ، وقد اعترف أبو ربة في أول كتابه أنه نضج حتى احترق ، فباله يحتاج إلى شروط ابن خلدون التاريخية لعلم الحديث ؟ ما هذا الخبط والخلط والضلال المبين ؟

وقوله ص ٣٣٤ عن أبي حنيفة : وإنما قلل منهم من قلل من الرواية - يعني إلى ١٧ حديثا - لأجل المطاعن التي تعترضه فيها ، والعلل التي تعرض في طرقها ، لاسيما والجرح مقدم عند الأكثر فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد ، ويكثر ذلك ، فتقل روايته لضعف في الطرق . والإمام أبو حنيفة إنما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل وضعف رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسي فقل حديثه . . لأنه ترك رواية الحديث متعمدا ، فخاشه من ذلك . وأما غيره فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم والسكل على اجتهاد

وينحو ذلك اعتذر عن مالك في قلة أحاديثه التي ذكر أنها نحو ٣٠٠ حديث

والذي يقرأ هذا الكلام يخرج منه بأمرين لا ثالث لهما : أولهما أن شيخ المؤرخين ابن خلدون جاهل بما قيل في أبي حنيفة أنه يقيم في الحديث ، وأنه غريب عما كان - يعني الكتاب والسنة - ومن أعلمهم بما سيكون ، يعنون الفروض وتوليد المسائل ،

وأنه لم يجلس في حلقة محدث ولا أخذ العلم عن عالم ، وأن ابن خلدون لو قرأ ما قيل فيه في تاريخ البخارى الكبير والأوسط والصغير وكتاب الضعفاء للعقيلي والضعفاء للنسائي وتاريخ بغداد للخطيب وتاريخ الأئمة الثلاثة لابن عبد البر لكان له في أبى حنيفة كلام آخر غير هذا الكلام

(الثانى) أن يكون ابن خلدون قد داهن أصحاب أبى حنيفة ، وله من أمثال ذلك هنات وهنات ذكرها مؤرخوه في مقابلاته لتيمور لنك وغيره ، والله أعلم بمقصده

وأما مالك فقد أبان بنفسه للنصور عن قلة روايته عندما أراد حل الناس على موطنه بأن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلدان ، وفي كل بلد ما ليس عند الآخر

وعلى ذكر دعوى ابن خلدون شروط أبى حنيفة وتشده فيها فاعرف الناس له شروطا ولا رواية ، وإنما افعل بعض متعصبيه روايات له

ومالك لم يخرج من المدينة ، فليس عنده إلا حديثها ، وفاته حديث أهل مكة والبصرة والكوفة والشام ومصر واليمن وغيرها ، فلذلك راجع النصور في حل موطنه على سائر الناس

وبمناسبة خطأ ابن خلدون هذا ، الظاهر صدق من قال ان من توجه إلى علم ونهج فيه يقع منه غير ذلك فيما سواه ، وهكذا تجد ابن خلدون يغلط الغلط الذى يعرفه طالب مبتدئ لعلم الحديث

ونقل ص ٣٤٧ عن القاسمى أن الوجوب يستند على أمر قطعى كالكتاب أو الحديث المتواتر ، يعنى فاته وفاته وهو ينتمى للأحناف أن وجوب الوضوء من القهقهة في الصلاة ليس حديثا صحيحا فضلا عن التواتر ، وأن إعادة الصلاة من خروج الدم قدر الدرهم البغلى لا أصل له في حديث صحيح ولا ضعيف ، وأن حديث من كان له إمام قراءة الإمام له قراءة ضعيف لا صحيح ولا متواتر . ومن طالع تخريج أحاديث المذهب الحنفى للزيلعى عرف أن مبنى الكثير من أحكام هذا المذهب على الضعاف والناكيز وما

لا أصل له ، وإعما عمدتهم في المذهب الآراء والأقضية

وذكر أبو رية ص ٣٤٨ حديث عبد الله بن أبي أوفى عند الشيخين « أوصى بكتاب الله » ، وقول الحافظ ابن حجر في شرحه : أى التمسك به والعمل بمقتضاه ، ولعله أشار إلى قوله صلوات الله عليه « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم (لن) تضلوا : كتاب الله » واقتصر على الوصية بكتاب الله لكونه أعظم وأهم ولأن ما فيه تبيان كل شيء أى بطريق النص أو بطريق الاستنباط ، وإذا اتبع الناس ما فى الكتاب عملوا بكل ما أمرهم به . ٥١

وذكر أبو رية أن الحديث الذى أشار اليه ابن حجر رواه مسلم فى سياق حجة الوداع يوم عرفة « تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله » وفى الموطأ « وسنتي » ولكن أبا رية لم يذكر رواية الموطأ لأنها غصة فى حلقه !

والوصية بكتاب الله تشمل الوصية بالسنة لأن القرآن أمر بها فى قوله ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ وقال لأمهات المؤمنين ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ فإمى « الحكمة » التى عطفت على الكتاب فى تعليم النبي ﷺ لأمته ، وفى أمره لأمهات المؤمنين بذكر ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة ؟ فإهذه الحكمة ؟ وقوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فإهو بيان النبي ﷺ لكتاب الله تعالى للنزل اليه من ربه سوى سنته وأحاديثه القولية والعملية ؟ وعمل صحابته الذى أقرهم عليه ؟

قال أبو رية (أول ص ٣٤٩) : وعن أبي الدرداء مرفوعا « ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا ، وما كان ربك نسيا » رواه البزار وابن أبي حاتم والطبرانى . ٥٢

يقال له : هل رأيت كتب البزار وابن أبي حاتم والطبرانى ؟ وأنت مدلس تنقل

عن ثقل عنهم موها أنك ثقلت عنهم ؟ (٢) هل هذه الكتب صحيحة عندك ؟ وما فيها حجة عندك ؟ بخلاف الصحاح والسنن فتحتج بكتب البزار والطبراني لتبطل أحاديث صحيحي البخاري ومسلم والسنن ؟ أو هو الخبط والضلال وعدم الثبات على مبدأ يعرف ؟ (٣) هل تقول بما يدل عليه هذا الحديث من أحكام البول والغائط والاستنجاء وأكل لحوم الوحوش والكواسر من الطير والخنافس والضفادع والجمع بين المرأة وعمتها وللرأة وخالتها وأكل الحشيشة والأفيون وسائر المخدرات وشرب بول الآدمي وأكل العذرة . إن كان بلغ بك تحقيقك العلمى إلى التزام ما ألزمتك سقط الخطاب منك

ومثل ذلك يقال فى مرسل ابن أبى مليكة عن أبى بكر الصديق ، ان كنت تعرف ما هو المعروف ، ونفيد عليك لوازم حديث أبى الدرداء مرة أخرى . وتزيد على ذلك حديث الجدة التى جاءت تسأل ميراثها ، فلو كان هذا المرسل المزيل لليت صحيحا عن أبى بكر لطرده هذه الجدة بنف - أو بلطف - وقال لها : لا ميراث لك فى كتاب الله ، وأنا لا أحكم إلا بما فى كتاب الله فقط ، اذهبي . ولكنه خلافا لذلك سأل عن سنة رسول الله ، فقال له محمد بن مسلمة : أطعمها رسول الله ﷺ الدس . فأغذاه لها . فأين عمل أبى بكر من هذا الأثر الثبت « فمن سألكم تقولوا له ينننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه » فلم يقل أبو بكر هكذا للجدة ؟

وأما حديث عمر (ص ٣٤٩) فى قوله « هجر رسول الله » حينما قال ﷺ « اثبتوا بكتاب أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا » وما نقله عليه من الشراح ابن حجر والنووى ، فكان خيرا له أن لا يذكر الحديث فقد قال ابن عباس : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابة الكتاب ، وإن كنا لانوافق ابن عباس فى أن فى ذلك رزية ولكنه من اجتهادات عمر التى قد يخالف فيها النص والله يغفر له وله من الحسنات ما يغفر ذلك . وقد ذكرنا سابقا شيئا من اجتهاداته التى تخالف النص وخالفه الناس فيها ، كمنه من مئة الحج وكمنه الجنب أن يقيمهم وأمثالها كثير

وأما فهم أبي رية من هذا الحديث أن عمر كان لا يعمل بالحديث ويكتفى بالقرآن ففهم خاطيء مخطيء وإنهم مأثوم ، نعم ما رجع من سرغ بعد ظهور الوباء بالشام إلا بعد أن روى له عبد الرحمن بن عوف « إذا ظهر الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا ، وإذا ظهر بأرض فلا تدخلوها » . فرجع عمر من سرغ بمن كان معه من المهاجرين والأنصار . ولا أخذ الجزية من مجوس هجر إلا بما روى له عبد الرحمن بن عوف « ستوا بهم سنة أهل الكتاب » . ولا أشرك الجدة الثانية في السدس مع الأولى إلا بالحديث الذي رواه محمد بن مسلمة لأبي بكر . ولا ترك الاستخلاف إلا اقتداء بالنبي ﷺ وصدق أبا سعيد الخدري حينما حضر مع أبي موسى يشهد أن الاستئذان بالسلام ثلاثا فإن أذن له وإلا رجع ، وصدق حسان بن ثابت حينما قال له : كنت أنشد فيه - أي في السجد النبوي - وفيه من هو خير منك ، يعني النبي ﷺ . واستشهد حسان بأبي هريرة عدو أبي رية فشهد أبو هريرة وقبله عمر . ونهى عن نكاح المتعة عملا بالأحاديث الناسخة لها . إلى غير ذلك مما حوته بطون الدفاتر

وقد كتب ولي الله الدهلوي رسالة سماها « مذهب عمر » أنكر فيها على من يزعم أن عمر كان لا يقبل الحديث إلا من صحابين ، وقال : هذا كان منه أحيانا عند الاشتباه وإرادة التوثق

وقوله (ص ٣٥٠) : وسنن الرسول للتواترة - وهي السنن العملية - وما أجمع عليه مسلمو الصدر الأول ، وكان معلوما عندهم بالضرورة ، كل ذلك قطعى لا يسم أحدنا جعده أو رفضه بتأويل ولا اجتهد ، وكسكون الصلاة المعروفة خمسا وكون الفجر ركعتين والمغرب ثلاثا والبواقي أربعة أربعا ، وكون كل ركعة تشتمل على قيام وقراءة قرآن فيه وركوع وسجودين إلخ ما هو معروف بالعمل من عهد الرسول إلى اليوم . هذه هي سنة الرسول العملية ، أما إطلاقها على ما يشمل الأحاديث فاصطلاح حادث . هـ

ونسأله : عمل أى طائفة من المسلمين يعتمد ويجعله السنة العملية ؟ عمل الشيعة الذين

يجمعون - دائما سافرا وحضرا - الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء ، أو عمل أهل السنة الذين لا يجمعون إلا في سفر أو عذر شديد من نحو مطر أو مرض ؟

وعمل الشيعة في متعة النساء ، أو عمل أهل السنة في منعها لأنها منسوخة ؟ وعمل الأحناف الذين لا يرون الرفع من الركوع ولا الجلوس بين السجدين ، أو عمل غيرهم ممن يرون وجوب ذلك ؟ وعمل المالكية الذين يبيعون أكل السباع من الوحوش والكواصر من الطير ، أو عمل غيرهم ممن يحرمونها - حتى المثال الذي ذكره من القراءة في قيام الصلاة منهم من يوجبها ومنهم من يمنع منه للأمر ، فأيهما السنة العملية عنده ؟

وقولك « الذي أجمع عليه مسلو للصدر الأول » هل هذا من غير طريق الحديث والرواية ؟ فإذا أهدرت الأحاديث وشككت فيها لم يبق لنا طريق غيرها نعرف به ما كان عليه الصدر الأول إجماعا أو خلافا

قال أبو رية (ص ٢٥١) : أحاديث الآحاد التي لم يعمل بها جمهور السلف هي محل اجتهد في أسانيدنا ومتونها ودلائلها ، لأن ما صحح سنده منها يكون خاصا بصاحبه

قال : ومن صح عنه شيء منها رواية ودلالة عمل به ، ولا نجعل تشريعا عاما تلزمه الأمة تقليدا لمن أخذ به

وقال : الحديث الصحيح لا يعرف برواته فقط ، وإنما يعرف بالفهم والحفظ . وكمن حديث ليس في إسناده إلا ثقة وهو معلول واه

وقال : الأحاديث الصحيحة مفيدة لغلبة الظن الذي عليه مدار الصحة . . . ما كل ما صح سنده يكون متنه صحيحا ، وما كل ما لم يصح سنده يكون متنه غير صحيح

وهذا هو فتح باب الانحلال والتحلل من الأوامر والنواهي ، فإذا نهيت أحدا عن عدم الاحتراز عن بوله وذكرت له أحاديث النهي عن ذلك وأن عامة عذاب القبر من عدم التستر من البول أجابك : إن هذه أحاديث آحاد ، وإن أبا رية أعطانا قوانين صارمة في أحاديث الآحاد : أنها ظنية ، وأن ما صح سنده لا يلزم أن يصح متنه ، وأن

الأحاديث الصحيحة إنما تفيد غلبة الظن ، ولا يعمل بها إلا من غلب على ظنه صحتها ، وأنا لم ينلب على ظني صحتها فلا يلزمي أن أعمل بها كما حققه محقق القرن الرابع عشر في أضواء ظلماته

وهكذا يقول لك من رويت له أحاديث النهي عن الإسبال والتبختر والخيلا.

وكذلك يقول لك من يتعاطى ربا الفضل واليسير من ربا النسبة

وكذلك يقول من رويت له شيئا من المنهيات ، فانه يردها عليك بطواغيت أبي رية الشيطانية ومن قلده في رد السنن الصحيحة واعتبارها آحادا ظنية

وخير ما نرويه في رد طواغيت أبي رية الانحلالية ما جاء عن شيخ الاسلام ابن تيمية قال : أجمعوا على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ فلم يأخذ بها أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل

وما جاء عن الشافعي أنه قيل له عندما روى حديثنا : أناخذ بهذا يا أبا عبد الله ؟ فامتنع لونه وقال : أتراني خارجا من كنيسة ؟ أتراني في وسطى زنار ؟ أروى عن رسول الله ﷺ حديثا ولا أقول به ؟

قال أبو رية (ص ٣٥١) : لا يلزم من إجماع الأمة على العمل بما في البخاري ومسلم إجماعهم على القطع بأنه كلام النبي ﷺ ، ولا على أن ما فيهما مجزوم بصحة نسبته إلى النبي . ثم شكك في الحاشية في هذا الإجماع بأن الشيعة وغيرهم وهم فرق كثيرة لا يستهان بهم لا يلزمون أنفسهم بالعمل بما فيهما . اهـ

ونسأل عن دليل عدم اللزوم هذا . فإن الناس لا يعرفون وجوب العمل إلا بما جاء عن النبي ﷺ ، وابن تيمية لما حكى الإجماع وعلى استنابة من لم يأخذ بسنة رسول الله بعد استنابته لم يحك الإجماع إلا على أنها كلام رسول الله ﷺ ، والشافعي لما امتنع لونه عندما قيل له : أناخذ بهذا ؟ لحديث رواه ، فقال : تراني خارجا من كنيسة ؟ تراني في وسطى زنار ؟ إلا لاعتقاده أن ما رواه هو كلام النبي ﷺ حقا . فمن أين عدم اللزوم

الذى انتجده فيلسوف القرن الرابع عشر أبو رية ؟

وأما خلاف الشيعة لوجوب العمل بما فى الصحيحين فكخلافهم فى أن مصدر التشريع فى الاسلام ومحل المصصة فى التبليغ هو النبى ﷺ وحده أم مع اثنى عشر رجلا آخر بعده ؟ وكخلافهم فى إيمان الصحابة وعدالتهم ، وكخلافهم فى خلافة أبى بكر وعمر ، وكخلافهم فى خيار خير القرون فى كل زمان ومكان ، وكخلافهم فى أن طغلام لم يثبت ولادته ووجوده هو مصدر تشريع ، وهو حتى باق من أحد عشر قرنا ، ويرجى منه ما لا يرجى إلا من الله - خلاف يخرجهم من جماعة الاسلام ، ويدخلهم فى عداد أعدائه ومناوئيه

وقال أبو رية (ص ٣٥٢) : ولم يظهر البخارى ولا غيره من كتب الحديث إلا بعد انقضاء خير القرون ١٠ هـ

ويقال له : أيها الجاهل بتاريخ الاسلام وأهله ، إن أحاديث خير القرون هى التى رواها البخارى وغيره من كتب الحديث ، وليس للبخارى وغيره فيها غير التبويب والترتيب ، فالبخارى وغيره لم يحتجوا شيئا لا يعرفه خير القرون ، وإنما تلقوا عن شيوخهم ما رواه خير القرون عن أولهم صحابة النبى ﷺ ، فليس فى البخارى وغيره شئ لا يعرفه خير القرون

وقال (ص ٣٥٢) : اتفق علماء الأصول وعلماء الكلام على هذه القاعدة : إن طرؤه الاحتمال ، فى المرفوع من وقائع الاحوال ، يكسوها ثوب الإجمال ، فيسقط به الاستدلال

والقاعدة : طرؤه الاحتمال ، للمعجل من الاستدلال ، يكسوه ثوب الاحتمال ، فيسقط به الاستدلال

وكم لأبى رية من تحريفات فى بقوله لتوافق هواه !

وقال أبو رية (ص ٣٥٢) : يعذر من لم يصدق رواية بعض الأحاديث لشبهة عنده

في المتن والسند، فكذب مضمونها، أو خالفها لذلك، وإن صح ويرد عليه بالتى
هى أحسن. هـ

ويقال لبخاتنا : إن علماء النحو أو الصرف أو الأصول - فضلاً عن الطب أو الكيمياء
أو الطبيعة أو غيرها من الأصول - لا يتفرون للجاهل أن يتهجم على علومهم بالجهل والغباء
والهوى . فما الذى أخرج علم الحديث من هذا القانون وجعله فى كتابك لعبة للاعبين
ومهزلة للمازليين ، يهجم عليه حتى من لا يعرف أن أحمد بن حنبل قرين يحيى بن معين أو
تلميذه ، يزعم أن يحيى بن اسماعيل القطان هو يحيى بن سعيد القطان ، مقتدياً
بتحريف المصدر الذى نقل عنه ، فلم يؤت من العلم ما يصحح به غلط المطبعة فى بديهيات هذا
العلم وأوليائه ، ثم يفتح هذا الباب لأمثاله من كل متهور لا يعرف قدر نفسه ، ولا قدر
العلم ، ولا يستحي من الله ولا من خلقه ، فيبيح له أن يرد من الأحاديث ما يشاء بحجة
أنه اشتبه فيها ، فأى تمزيق للعلم وللدين فوق هذا ، وأى انحلال من الشريعة غير هذا ؟

وقال (ص ٣٥٢) : الأمة ما تعبدوا إلا بخبر يقلب على الظن صدقه ، وإنما أمروا
بالاستناد الى ما ظنوا صحته ، والحكم يقع بالظن الغالب ، ولا يلزم من ظنهم صحته فى نفس
الأمر ، وكذلك لا يلزم من الإجماع على حكم مطابقتها لحكم الله فى نفس الأمر . ا هـ

هوس كرده ، وكررنا الرد عليه ، وسبق له أن حكم على هذا الظن أنه لا يغنى من
الحق شيئاً ، وطبق عليه الآية ﴿ إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً ﴾
فأباه هنا رضى عن العمل بهذا الظن الذى سبق له أن قال إنه لا يغنى من الحق شيئاً ؟
ما هذه المتناقضات !

ومن أين له نفي لزوم صحة الشيء فى نفس الأمر ، إذا ظنت الأمة - المعصومة من
الخطأ - صحته ؟ ومن أين له عدم لزوم الإجماع لمطابقة الحكم فى نفس الأمر ؟ هل يجوز
اجتماع هذه الأمة المعصومة من الخطأ على الخطأ ؟ وقد ذم الله من يتبع غير سبيل المؤمنين
فدح بذلك متبع سبيل المؤمنين ، فهو الصراط المستقيم الذى لا يتطرق اليه الخطأ ، فتجوز

خطأ إجماع المسلمين شك فيا مدح الله من اتباع سبيل المؤمنين ، وقدح فيا أمرنا الله أن ندعوه صباحا ومساء في صلاتنا أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الدين أنعم الله عليهم غير المنضوب عليهم ولا الضالين

وقال آخر (ص ٣٥٢) : ان السلف لم يوجبوا صلى أحد - ولو كان منقطعا لتحصيل العلم - أن يبحث عن جميع ما روى من هذه الأحاديث ويعمل بها ، كيف والصحابة لم يكتبوا الحديث ، ولم يتصدوا لجمعه وتلقيه للناس ، بل منهم من نهى عن روايته . هـ

ويقال له : إن القرآن الذي هو دين الله العام قال الله فيه ﴿ لأنذركم به ﴾ ومن بلغ ، وما أوجب أحد حفظ القرآن ولا التفتيش عما لم يبلغه منه ، وأركان الاسلام والإيمان هي الواجبة على كل مسلم ، وما بلغه من تفصيلها وجب عليه قبوله ، سواء من القرآن أو الحديث . وكون الحديث لم يكتب فذلك شكاة ظاهر عنك عارها ، فالحفظ له وللقرآن هو الكفيل بحفظهما ، وليس كل الصحابة اطلع على ما كتب من القرآن ، وإنما كان سيلهم سماعه من حافظيه . ونهى من نهى عن رواية الحديث إن صح ذلك عن بعضهم كان لظروف خاصة زالت بزوال أسبابها

وذكر (أول ص ٣٥٣) اختلاف عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان في الجرح والتعديل ، وهنا سماه يحيى بن سعيد ولم يقل بن إسماعيل كما سبق له مرتين ، وسبق لنا كلام الذهبي في هذا أنه لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشأن على توثيق ضعيف أو تضعيف ثقة ، والذهبي هو الذهبي علما واستقراء كما شهد له بذلك خاتمة الحفاظ ابن حجر

وحينئذ فإذا اختلفت أنظار ابن مهدي وابن المديني في رجل كان محل نظر كابن اسحاق وأمثاله ، وحاشاهم أن يختلفوا في مثل مالك والثوري وابن عينة والحامدين وأمثالهم

وقول الرازي (ص ٣٥٣) إن الدلائل النقلية ظنية كذب على الله وعلى رسوله وعلى خيار المؤمنين . فإذا كان كتاب الله تعالى لا يفيد عند الرازي إلا الظن فكان عدمه خيرا .

من وجوده ، وحيث لم يكن هدى للتقين ، ولم يكن نورا وشفاء لما في الصدور ، ولم يخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور

إن الظنون هي أوامير المتكلمين من جميعية وتمتازة وأشاعة وروافض ، هي التي أفادت على الأمة دينها وفرقتهم شيئا وأحزابا وجعلت بأسهم بينهم ومكنت أعداء الاسلام منهم : التار والمسيحيين وغزاة أوربا . ولا عزة للسدين إلا بمراجعة دينهم وحرق ترهات الرازي وأمثاله . الرجوع إلى الكتاب والسنة على ما فيه منها خير القرون المشهود لهم بالخير

وقوله (ص ٣٥٣) نقلا عن السيد رشيد رضا : إني لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول عالم صحابي يخالف ظاهر القرآن وإن وثقوا رجاله ، قرب راويون للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن هـ

وجوابه : أننا مكلفون بالظواهر وأمر البواطن موكول إلى علام الغيوب . وإذا كان رسول الله ﷺ يقول لم أوص بسكين أشق بها عن قلوب الناس ، فمن نحن حتى نقول في بعض الرواة إنه مسمى الباطن ، ومخالفة ظاهر القرآن أمر يختلف باختلاف الأنهام . هذه أم المؤمنين - وهي من هي - تظن معارضة حديث « من نوقش الحساب هلك » مع آية ﴿ فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ حتى بين لها النبي ﷺ أن المراد بالآية العرض ، ولكن من نوقش الحساب فقد هلك

وهذه حفصة تفهم من آية ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ دخول جهنم ، حتى بين لها ﷺ أن ذلك المرور على الصراط . وهذا أبو بكر الصديق نقض مضجعه آية ﴿ من يعمل سوءا ﴾ . يحز به حتى بين له ﷺ أن من الجزاء الأمراض والهموم والأكدار وغيرها . فسأله مخالفة الحديث لظاهر القرآن تختلف باختلاف أفهام الناس

قوله (ص ٣٥٣) : ونحن نجزم أننا نسينا وضيعنا من حديث نبينا حظا عظيما لعدم كتابة علماء الصحابة كل ما سمعوه . هـ

وجوابه أن علماء الصحابة وغير علمائها كان عندهم من الحفظ ما يفي عن الكتابة ،
هذه هي الحكمة في بث نبيه في أمة أمية يفي حفظها عن كتابتها

ولو كان الصحابة ضيعوا شيئاً من دينهم لما كان ثمة فرق بينهم وبين من قال الله فيهم
﴿ ففسوا حظاً مما ذكروا به ﴾ وحينئذ تنساوى خير أمة أخرجت للناس بشرار خلق الله .
وأى فرق بين ما هو بيان للقرآن الذى استناده وبين ما حكم بضياعه بغير حجة ولا برهان
ويعد قلاباً بغير ضياع باليتهم يقبلونه ولا يقيمون في وجهه الراقيل : من قولهم
آحاد ، وظنى ، ومخالف للمعقول ، والظاهر القرآن ، وأمثال هذه التمثلات

وقال أبو رية (ص ٣٥٣) : كانت عائشة ترد كل ما كان مخالفاً للقرآن ، وتحمل
رواية الصادق من الصحابة على خطأ السم أو سوء الفهم . هـ

ونقول لأبى رية : هل ما رددته عائشة يكون مردوداً حقاً ؟ ألم تردّ عائشة حديث
« من نوقش الحساب هلك » لظنها أنه يعارض قوله تعالى ﴿ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾
حتى أفهمها النبي ﷺ أن ذلك - يعنى معنى الآية - المرض ، وأن من نوقش
الحساب هلك

هل ضمنت لعائشة العصاة من الخطأ وهى من الصحابة الذين لا تقول أنت بعد التهم
فضلاً عن زعم العصاة لم من الخطأ والنسيان ، فهل كان قتال عائشة لعل يفيد أن عليها كان
يستحق القتال ؟ وهل كان كسرهما لصحفة صفية غيرة منها صواباً أو خطأ ؟ وهل كان
تكريمه رسول الله ﷺ فى العسل الذى كان يشربه عند زينب حتى حرمه على نفسه
وأُزيل الله فى ذلك صدر سورة التحريم - وفيها ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾
وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاة وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى
ربه إن يطلعكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ الآية

فهب أن رد عائشة لبعض الأحاديث اجتهد مخطيء منها من هذه الاجتهادات التي
يفغرها الله لها في حسناتها الكثيرة التي تغمر ذلك وتمحوه . فإياك تتعلق بأخطاء العلماء
لتتأيد بها في ضلالك الذي فارقت به سبيل المؤمنين ؟ !

ونتم ملاحظتنا لأضوائك يا أبارية بما وصف به شيخ الاسلام ابن تيمية محصل
الرازي ابن خطيب الري ، فأضواءك جديرة بهذا البيت :

محصل في أصول الدين حاصله من بعد تحصيله جهل بلا دين

والحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الأسئلة الفروسيه تصويب

طبع هذا الكتاب بمبدأ عن مراجعة مؤلفه ، فور ت فيه هذه الأخطاء :

صفحة	سطر	خطأ	مرواب
٦	٦	به زرعاً	زرعاً
١١	٩	أبو	أبي
١٤	١٢	فأزره	فأزره فاستغلظ
١٦	١٧	المتكلمون	المتكلمون القائلون
١٧	١٢	إلا أن يأتيهم الخ	إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك
١٨	١٧	بالحديد	بالجرید
٢٩	١٠	ألا لله / ألا لله	والله / والله
٣٦	٨	ليشتروا	وما هو من عند الله ليشتروا
٣٦	١٣	الأمثال	أمثال
٤٠	١٨	ثم إلى	إلى
٤٢	١٢	أبي ذر	أبو ذر
٤٦	٢٠	منها	منع
٥٣	٥	كنت فيه	كنت أنشد فيه
٦٢	٥	أو قائلًا	أو ناقلًا
٦٢	١٥	الكافية	النصائح الكافية
٧١	٧	حروف	حروف مدّة
٧١	١٥	وسعت كل شيء	وسعت كل شيء
٧٦	١٩	حسبه	حسبیه
٧٨	٣	منهم	منهم إلا قليلاً منهم
٨٧	٧	ولقد	ولقد
١١٩	١٦	المتقين	المقتنعين
١٢٠	٧	وهذا كأنه	وهذا كله
١٣٦	١٠	منهم	منها
١٦٣	١٠	بجز	بجز

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٦٨	٥-٤	ونضله الخ	ونضله جهنم وساءت مصيراً
١٧٨	٨	(وجعلنا	(وكذلك جعلنا
١٨٠	٢٢	واتقوا)	واتقوا الله)
١٩٢	١٦	وصلى	صل
٢٠٥	١	صنيعة	صنيعة
٢١٤	١٠	نصيعة	نصيعة
٢١٧	٢٠	فآزره	فآزره فاستغلظ
٢٢١	١٠	مبعضو	مبغضى
٢٢٢	٢٢	القبيلة بصفعة	القبيلة بصفة
٢٢٣	١١	فقال الذين	فقال الضعفاء للذين
٢٣٥	٧	صميم	صميمهم
٢٣٧	١٥	تقسية	تقسية
٢٤٢	١٣	فآزره	فآزره فاستغلظ
٢٤٩	١	الوسوسين	الموسوسين
٢٥٨	٥	السماء	السماء وهى دخان
٢٦١	٥	عبد ربه	زيد
٢٦٢	١٤	بالمقل	بالتقل
٢٦٧	١٤	سليمان	أبى سليمان
٢٧٠	١٢	بالسحر	بالمسحور
٢٨١	٢	تعرفون	توفون
٢٨٣	١٤	عن	عند
٢٩١	٣	الواقع	فى الواقع
٣١١	١٠	شروط	نقل شروط
٣١٢	١٨	يعنى فاته	...

رَفَعُ
عبد الرحمن النخعي
أُسْلَمَةُ النُّبَيْيْ (الفروسي)
فَهْرَسُ
لَا هُمْ مَطَالِبُ الرَّدِّ عَلَى أَبِي رِيَّةَ

ص

- ٣ تحقيره للحديث النبوي بدعوى عدم اشتغال الأدباء به
- ٦ لزوم الحديث لبيان القرآن والدين
- ١١ الكلام على حديث « من كذب على متعمدا »
- ١٣ رواية الحديث بالمعنى
- ١٥ جمع القرآن وتدوينه دون الحديث
- ١٥ رد المتكلمين والاصوليين لأحاديث الآحاد ، والرد عليهم
- ١٩ قيام الحجة بالصحيح ولو كان آحادا
- ٢١ احتقاره لأصحاب الكتب الستة وإنكاه عليهم
- ٢٤ النهي عن كتابة الحديث ، وكذبه في ذلك على الرسول وأصحابه
- ٢٥ شبهاته في ذلك ، وحكمة ما جاء من النهي في أول الامر ونسخ النهي بعد ذلك
- ٣١ ما جاء عن عمر في ذلك
- ٣٤ ما جاء عن علي وابن مسعود
- ٣٦ رد دعواه أن أحاديث النهي أقوى من غيرها
- ٣٩ الصحابة ورواية الأحاديث وبيئاته عليهم
- ٤٣ كذبه على عمر في ذلك ، وعلى ابن مسعود ، وغيرهما
- ٤٩ وجه تشديد الصحابة في قبول الأخبار وبيئاته في ذلك عليهم وعلى عمر
- ٥٤ الكذب على النبي ﷺ في حياته وبعد موته
- ٥٦ رواية الصحابة بعضهم عن بعض وعن التابعين
- ٦٠ التشويش على الصحابة بزعم نقد بعضهم بعضا
- ٦٢ نقله لبيتان ابن عقيل الحضرمي الرافضي ، وطلعه على عمر والصحابة عموما

ص

- ٦٧ افتراء الرافضي على التاريخ في ثلب الصحابة وذمهم ، وجراءته على ذم الصحابة
٦٨ زعمه تحريف أحاديث النبي ﷺ وأنه ﷺ نهي عن الرواية عنه
٧٠ بهته للصحابة بالخلط والتحريف للحديث ، وأنهم لا حفظ لهم ولا ضبط
٧٢ غلطه في عد طرق الحديث اختلافا واضطرابا ، وتمثيله بحديث : نضر الله امرأ سمع
مقالتي ، الخ
٧٤ زعمه مناقضة حديث : إذا لم تحلوا حراما ، الخ لحديث : نضر الله امرأ ، الخ وجوابه
٧٦ كلام العلماء في إباحة رواية الحديث بالمعنى
٧٧ الحكمة في تنوع العبادات
٧٨ حكمة تنوع الأذان ، ودعاء الافتتاح ، وألفاظ التشهد
٨١ أمثلة من رواية المعنى : حديث الاسلام والايمان الخ
٨٣ خلطه بين ابن أيوب وأبي أيوب وأيوب السخيتاني بحيث لا يعرف المراد منهم
٨٣ إذا تعدد الرواة والسائلون فلا ضرر من تنوع رواياتهم
٨٤ تشكيكه في حديث الواهبة نفسها بتعدد ألفاظه ، وعدم فهمه لتنوع القراءات المشهورة
٨٥ تشكيكه في حفظ الامام البخاري وجوابه
٨٧ السنة بيان للقرآن ، وتاريخ للعمل به ، وقساد طريقة القرآنيين المطرحين للسنة
٨٩ اختلاف بعض الرواة في ألفاظ بعض الأحاديث والجواب عن ذلك
٩١ رد زعمه ضرر رواية الحديث بالمعنى ، وتعلقه بكلام البطليوسي في ذلك ، وخبطهما معا
٩٤ حفظ الله الاسلام من كيد كائديه ومن المنافقين ودسائسهم
٩٥ تعلقه بشكوك الطوفي الرافضي في سنة رسول الله ﷺ
٩٩ رد دعواه اللحن والخلط في الحديث بسبب رواية المعنى
١٠٠ التساهل في رواية الفضائل
١٠٢ أسباب وضع الحديث ، وحفظ الاسلام من شرها
١٠٣ بهتانه تبعا لأحمد أمين في اتهامهما لاسلام عبد الله بن سلام الصحابي الجليل ولا بن
جريح من خيار التابعين

- ص
- ١٠٥ هتانه في رمى الصحابة بالغباوة حتى انخدعوا في زعمه بكعب الاحبار ووهب بن منبه
- ١٠٦ تكذيبه لكعب الاحبار وعبد الله بن عمرو الصحابي في روايتهما صفة النبي ﷺ من التوراة ، وجوابه
- ١٠٧ حديث الاستسقاء ، ورد دعوى تهرب الاسرائيليات اليه
- ١١٢ حديث المعراج وكيفية فرض الصلوات الخمس ، ورد دعواه تهرب الاسرائيلية اليه
- ١١٥ حديث طعن الشيطان في جنب كل مولود الا عيسى بن مريم ، ورد شكوك أبي رية فيه
- ١١٨ حديث نزول عيسى بن مريم من السماء آخر الزمان وشكوك أبي رية فيه وردھا
- ١٢٠ أبو هريرة وطعن أبي رية فيه بكل فحة وبذاءة
- ١٢٢ عدم حفظ بعض الصحابة للحديث ليس ردا له
- ١٢٣ أبو هريرة الاختلاف في اسمه ونشأته وهتان أبي رية عليه
- ١٢٦ جرحه بالمزاح وكثرة الأكل
- ١٢٧ شكه في كثرة أحاديثه
- ١٣٠ رد رميته له بالتدليس
- ١٣١ أنه أول راو اتهم في الاسلام
- ١٣٦ أخذ العلماء لأحاديث أبي هريرة وان توقف بعضهم في بعضها
- ١٤٠ اعتياده لظمن جلد زهير اليهودي في أبي هريرة
- ١٤٢ رد تهمة دائرة المعارف الاسلامية دعواها اختلاف علماء الجرح والتعديل
- ١٤٣ رد اتهام أبي هريرة بسبب روايته عن كعب الاحبار
- ١٤٤ دعواه أن كعبا استغفل أبا هريرة
- ١٤٦ تمنته في رد بعض أحاديث أبي هريرة بالجهالة والهوى كحديث خلق الله آدم على صورته وحديث طول آدم
- ١٥٠ تكذيبه لأبي هريرة في روايته خلق الله التربة يوم السبت وجوابه على ذلك
- ١٥١ توقف من توقف في هذا الحديث بسبب أحد رجال منده لا بسبب أبي هريرة
- ١٥٥ اختلاف علماء الحديث في هذا الحديث قبولا وردا مع اتفاقهم على صدق أبي هريرة ، والحديث غير مخالف للقرآن

ص

- ١٥٨ زكاه في شبه الاسرائيلية في حديث « من عادى لي وليا ، الخ
- ١٦٠ تكذيبه لأبي هريرة في حديث « ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ،
- ١٦١ نهكه بذاكرة أبي هريرة وحفظه
- ١٦٤ حديث لا عدوى
- ١٦٦ حديث امتلاء الجوف بالشعر
- ١٦٧ نسيان أبي هريرة
- ١٧٠ حديث جفظة وعامين
- ١٧٣ سفاهة أبي ربة على أبي هريرة
- ١٧٦ أبو هريرة وبنو أمية
- ١٧٧ عيه على فقر أبي هريرة
- ١٧٩ الطقطقي وأكلات معاوية
- ١٨٠ صراع بني أمية مع الهاشميين
- ١٨٢ الجوع نقبصة في أبي هريرة وفضيلة في علي
- ١٨٤ اكرام الامويين لأبي هريرة
- ١٨٦ رمية أبا هريرة بالكذب على علي لأجل معاوية ، وفضل عثمان
- ١٨٨ فضل عثمان في كتابة المصحف
- ١٨٩ مزود أبي هريرة
- ١٩١ بهته في وضع أبي هريرة أحاديث على علي وفدومه العراق
- ١٩٣ اجماع خيار الأمة على صدق أبي هريرة
- ١٩٤ سيرة أبي هريرة
- ١٩٦ عود على حديث التربة
- ١٩٨ افتراؤه على أبي هريرة
- ٢٠٠ كذبه على عمر في تهديده لأبي هريرة لروايته الحديث
- ٢٠١ نقله لكلام اليهودي جولد زيهر في كذب أبي هريرة

ص

- ٢٠٢ أربعون شاهدا من كلام أبي رية على كذب نفسه
 ٢٠٦ فريته عليه أنه قدم لمعاوية أكاذيب من الحديث
 ٢٠٨ حال ابن أبي الحديد وشرحه لنهج البلاغة
 ٢١٠ كذبه على التاريخ في بهت أبي هريرة
 ٢١١ قيمة الصحابة عند أبي رية
 ٢١٢ عوده لبهت أبي هريرة
 ٢١٣ عوده لمجرح صحابة رسول الله ﷺ ورميهم بالكذب
 ٢١٤ عصمتهم من الكذب ، لا من السهو والغلط والنسيان
 ٢١٦ رميهم بالتفادى والردة والفسوق والعصيان
 ٢١٧ لإخراجه لأبي هريرة من عموم فضل الصحابة
 ٢١٩ عوده لتكذيب أبي هريرة
 ٢٢٠ أمثلة من رواية أبي هريرة
 ٢٢٠ حديث لطم موسى لملك الموت
 ٢٢٣ حديث محاجة الجنة والنار
 ٢٢٤ حديث الذباب وعدم تفرد أبي هريرة به
 ٢٢٥ رده لحديث الملك الذي رفع رجله فوضعها فوق السماء ، ولحديث العجوة ، وحديث
 تخمير الإناث
 ٢٢٧ قلة رواية كبار الصحابة أبي بكر وعمر وعلى الخ مع كثرة رواية أبي هريرة
 ٢٣٠ (أحاديث مشككة) حديث خلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء - حديث سجود
 الشمس تحت العرش
 ٢٣٢ كلام عبد الله بن عمرو في الشياطين المسجونة في البحر - حديث العجوة - حديث
 إدمار الشيطان عند الآذان
 ٢٣٣ حديث أبي سفيان في عرضه على النبي ﷺ زواجه بأمة حبيبة . حديث تصديق النبي
 ﷺ لأمة بن أبي الصلت

ص

٢٣٤ حديث إن عمر هذا لم يدركه الحرم حتى تقوم الساعة ، وجوابنا ، أحاديث قرب قيام الساعة

٢٣٧ أسباب تشكك السيد رشيد وشيخه الشيخ عبده في بعض الأحاديث

٢٣٨ حكمة عدم تدوين الحديث في العصر النبوي اعتمادا على الحفظ

٢٤٠ تخيله في الصحابة عدم الحفظ والضبط والاتقان

٢٤١ تدوين القرآن لم يمنع ورود القراءات الشاذة

٢٤٣ ثبت الصحابة في رواية الحديث ليس ردا للحديث

٢٤٤ زعمه عداوة بني هاشم لبني أمية وأنها سبب للكذب في الحديث

٢٤٦ الحفظ لا التدوين هو الذي حفظ القرآن والسنة

٢٤٨ شك في ضبط العدالة وعدم كفايتها لحفظ الحديث

٢٤٩ ذمه لعلم الحديث ، وأنه ليس فيه ما يلد للعقول

٢٥٠ شك في التواتر ، وشك في عدم صلب المسيح

٢٥٢ دعواه تواتر عدم صلب المسيح عند اليهود والنصارى ، وأن المسلمين يكذبون تواترها

٢٥٤ زعمه أن العمل بالحديث الصحيح اتباع للظن الذي ذمه الله في القرآن ، والرد عليه

في ذلك

٢٥٧ اعتماده لرد الجهمية للأحاديث ، وعدم تصديقهم لها وذمهم لأصحاب الحديث

٢٦٠ كلام أبي يوسف في النهي عن الشاذ وعرض الحديث على الكتاب

٢٦١ نقله عن مرقاة الوصول أن أبا هريرة وأنسا ليس فقيهين

٢٦٢ رد تعجبه من حديث « أوتيت القرآن ومثله معه » ، وأن عدم تدوين ما زاد على

الكتاب لا يقدح فيه

٢٦٤ عمل أبي بكر وعمر بما بلغهما من الحديث زيادة على القرآن

٢٦٨ عدم استدلال النجاة بالحديث ليس بحجة

٢٦٩ حديث سحر رسول الله ﷺ صحيح وليس فيه ما شنعوا به ولا هو مخالف للقرآن

٢٧١ شك الشيخ عبده في حديث السحر لا يرد ، وعذر الشيخ عبده في هذا الشك

رد الشيخ عبده لقصة الغرائب وقصه زيد وزينب ليس ردا للأحاديث الصحيحة

ص

- ٢٧٤ دين الله لا يتفق مع المادية والصابئة والفارسية والهندية وأمثالها من قلعفات
- ٢٧٥ قصة مالك مع المنصور ليست رداً لأحاديث الرسول
- ٢٧٦ ليس أبو حنيفة بحجة في رد الأحاديث
- ٢٧٧ ليس في رواية البخارى منهم ولا كذاب ، ومن تكلم فيه منهم ليس بضعيف
- ٢٧٨ خلط أحد أمين في كلام أهل الجرح والتعديل وكلامهم في عكرمة
- ٢٨٢ وجه كلام الحازمى في الجرح والتعديل
- ٢٨٣ لا عجب من عدم رواية البخارى ومسلم عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن
- وإن تعجب من ذلك القاسمى
- ٢٨٤ اختلاف الشيخين في حديث لا يصلين أحدكم العصر - أو الظهر - إلا في بني قريظة ،
- ليس مما ترد به الأحاديث
- ٢٨٥ ابن حبان إمام من أئمة الحديث ، ولا يتوقف في قبول الصحيح منه
- ٢٨٦ كذب أبي رية في نسب الاسرائيليات إلى الصحيحين
- ٢٨٧ شك في الصحيحين فضلا عن غيرها ، وضلال من لم يعمل بالسنة القولية والعملية
- ٢٨٩ مشكلات الحديث لا ترد سائرهما ، كما أن متشابه القرآن لا يرد محكمه ، المسانيد ليست
- غشاء كما زعم
- ٢٩٢ الشك في الأحاديث يفتح باب الانحلال والمروق من الدين - عمل الصحابة وخير
- القرون بالصحيح ولو آحادا
- ٢٩٤ السنة تاريخ العمل بالقرآن في خير القرون
- ٢٩٥ زعمه أن أحد بن حنبل تليذ يحيى بن معين جهلا وهوسا
- ٢٩٧ ليس من الحكمة والانصاف رد مالا يفهمه الانسان من القرآن والسنة
- ٢٩٨ تخطيط المقبلى في علمه الشاغل وهواه
- ٣٠١ أمثلة من تحامل المقبلى على علماء الحديث ، ورد هجومه عليهم وكذبه عليهم وتشويشه
- بمروان وبسرين أرطاة
- ٣٠٩ رسالة زغل العلم ليست للذمى وإن كذبت عليه ، وإنما هي للسيوطي - الشك في
- عدالة الصحابة كلهم

ض

- ٣١٠ شروط ابن خلدون لنقل التاريخ لا تصلح لرواية الحديث
٣١١ أبو حنيفة ليس حجة على الحديث
٣١٢ اشتراط القاسمي التواتر للاحتجاج للحكم
٣١٣ حديث تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ، الخ
٣١٣ حديث ما أحل الله في كتابه فهو حلال ، الخ
٣١٤ قول عمر هجر رسول الله ﷺ الخ
٣١٥ السنة العملية
٣١٦ رد قوله : ما كل ماصح سنده يكون صحيحا
٣١٧ رد قوله : اجماع الأمة على الصحيحين ليس دليلا على أنهما عن النبي
٣١٨ رد قوله : ولم يظهر البخاري وغيره إلا بعد خير القرون
٣١٩ رد اعتذاره لمن رد حديثا صحيحا
٣١٩ تشكيكه في صحة حديث الآحاد وفي دلالة الاجماع
٣٢٠ أوجب الله العمل بما بلغنا من الكتاب والسنة
٣٢٠ شبهاته في اختلاف علماء الجرح والتعديل
٣٢٠ رد قول الرازي : إن الأدلة النقلية ظنية
٣٢١ رد اتهام الثقة بسوء الظن بباطنه ، مخالفة الحديث للقرآن أمر نبي تختلف فيه الافهام
٣٢٢ دعوى نسيان الصحابة لشيء من دينهم باطلة ، والباقي لنا عنهم فيه الكفاية ، ورد
عائشة لبعض الأحاديث مردود
٣٢٣ الخاتمة

ظلال السيرة النبوية
أمام أضواء السنة المحمدية

تأليف
محمد عبد الرزاق حمزة
مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة
والدرس بالهرم المكى الشريف

القاهرة

١٣٧٩

المطبعة
الملكوتية

تحت الطبع :

مَوَازِيَا الضَّائِقَاتِ

إلى زوائد ابن حبان

للمحافظ نور الدين عايش بن أبي بكر الهيثمي

يقوم بتحقيقه ونشره

فضيلة الامتاز العلامة

الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة

مدير (دار الحديث) بمكة المكرمة

والمدرس بالحرَمِ المكي الشريف

المستقى

منهاج الاعتدال

في نقض كلام أهل الرِّفْض والإِعْزَال
وهو

مُخْتَصَرٌ "مِنْهَاجِ السُّنَّةِ"
تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

٦٦١ - ٧٢٨

اختصاره

الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي

٦٧٢ - ٧٤٨

حققه. وعلق حواشه

محمد بن أبي الخطاب

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

الشواهد والنصوص من كتاب الأيمان على ما فهم من نفي وكفر ضلال بالعقل والنقل

بقلم

محمد عبد الرحمن النجدي

المدرس بالمحرم المكي الشريف

قدم له وعلق عليه

محمد احمد الصمراوى

مؤلف « النقد التحليل » و « فى سنن الله الكونية »

قال الله تعالى (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان
فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه
فمثل كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين
كذبوا بآياتنا فانقص القصاص لهم يتفكرون) سورة الاحراف

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِيُّ
السُّلَيْمِيُّ (نَبِيُّ النَّوْزِيسِ)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وعلى آله
وأصحابه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

وبعد فهذا كتاب في الرد على كتاب « هدى هي الأغلال » كتبه
أخي في الله الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة المدرس بالحرم المكي الشريف ،
تأييدا وتتميما للرسالة المفنعة الممتعة التي كتبها علامة القصيم الشيخ
عبد الرحمن السعدي في نقد نفس الكتاب ، والتي سماها (تنزيه الدين
وحماته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله)

وكتاب الأغلال ألفه شاب نجدى مغمور وطبعة ونشره في مصر فلم
يكن له من الأثر إلا ما يكون للحصاة يلقي بها في اليم : مقالات قليلة
كتبت هنا وهناك أكثرها كان في تحقير الكتاب وتسفيه صاحبه ،
وأقلها كان في جانبه من بعض من يذهب مذهبه في الدين ونشوته .
وقد أفنعتني جميعها بتفاهة الكتاب وسخفه ، قصدتني عن قراءته
فضلا عن الاهتمام بنقده رغم رجاء أحد تلامذتي وزملائي إياي أن أنقده
لأنه كما قال كتاب سوء يحارب الاسلام بكل وسيلة ومن كل سبيل .

لكن الموقف تغير حين طلب إلي أخي وصديقي الشيخ محمد

عبد الرزاق حمزة أن أعلق على كتابه وأن أقدم له إن أمكن ، وحين ارسل إلى مع كتابه رسالة الشيخ السعدى هدية من نبيل جدة ووجهها الشيخ محمد نصيف .

قرأت رسالة الشيخ السعدى ثم قرأت كتاب الشيخ حمزة فاذا بي أمام أمور فظيعة منسوبة إلى صاحب الأغالل ، ونصوص شنيعة منقولة عن كتابه لم يذهب بي الخيال يوما إلى أن مثلها يمكن أن يصدر عن مسلم كان له يوما في الاسلام قدم ، بل كان له في سبيل الاسلام عند أهل بلده جهاد . ولم أجد بدا حين قرأت الكتاين من أن أقرأ كتاب الأغالل من أوله إلى آخره لأعرف حقيقته عن غير واسطة إن كنت كاتباً مقدمة رد عليه . قرأته فاذا الأمر أفظع حتى مما يبدو من خلال الكتاين .

وجدت كتاباً ينبض بالضعف ويفيض بالقدح في الاسلام وأهله فقد نقض صاحبه ما وصلت إليه يده من كتب المتقدمين حتى إذا وقف على بعض أقوال لا يقول بها أحد بعثه اليوم - ولا يخلو من مثلها تاريخ مة حتى في هذا العهد الحديث - اتخذ تلك الأقوال ذريعة إلى الطعن في المسلمين أجمعين في عشرة القرون الأخيرة من تاريخ الاسلام ، مؤكداً لقارىء والناس أن المسلمين جميعاً عاشوا طوال تلك الحقبة لا يرون الاخذ بالأسباب معتقدين أن التوكل على الله معناه النوم وترك التدبير اتكالاً . إلى أن الله سيرزقهم من غير سعى ولا عمل ويحميهم من غير إعداد عدة لا جهاد ، واكتفاء في ذلك كله بالدعاء والانقطاع لعبادة الله من نحو يوم أو صلاة ، فتأخروا في زعمه عن ركب الانسانية ألف عام ناموها

وسارها غيرهم من مختلفي الشعوب والاديان .
ولو اقتصر الأمر على مثل هذا الزعم لكان على شناعته ؛ فكل عارف بتاريخ الاسلام يعلم أن المسلمين لم يكونوا كلهم أو جلهم يعتقدون ذلك يوماً من الأيام ، ولعل فترات عزمهم في الألف عام الأخيرة كانت أكثر من فترات ذلهم ، بعكس الغربيين الذين يسبح صاحب الاغلال بمحمد وحمد مدنيهم ويقدم لها ولهم . وعلى فرض أن المسلمين كانوا كما وصف طوال تلك القرون العشرة فليسوا هم كذلك الآن فكلامهم يريد الأخذ بالأسباب ؛ وكلهم يدعو إلى الأخذ بأسباب النهوض والعزة ، وإن اختلفوا في الاسباب ذاتها اختلف آية أمة ناهضة أو شعب في كل عصر وعلى الأخص في هذا العصر . فقيم إذن الهمز واللمز والطمع والذم والاستهزاء والسخرية وقد انقضى سببها المزعوم إن كان قد وجد يوماً من الأيام ؟ أليس من الحق والعبادة ، أو من الفرور وتلمس شهوة المال والشهرة من أسوأ طريق ، أن يفترض صاحب الأغلال وجود ما لم يوجد أو استمرار ما قد انقطع وانقضى ليجاهده وينازله كما كان كويشوت في كتاب سرفنتيس يجاهد وينازل طواحين الهواء يظنها مرده وعماليق تقطع على الناس الطريق ؟ ثم أليس من الفرور والحق ما أن يعتقد صاحب الأغلال أن الاربعمائة المليون المسلم على حد تعبيره - خاضعة اليوم لسلطان تلك الخرافات التي يزعم ، ثم يطمع أن يرحلها هو عن ذلك بسفاهته وبذاته التي بثها في كتابه ، والتي يستصد عنه كل من يقترب منه كما تصد الرائحة الخبيثة عن مكان الجيفة ؟ فلو أن إنساناً أحسن الدعوة من وجهها

وجاء إلى المسلمين يدعونهم ليقودهم بزمام دينهم — والاسلام كله مقاد إلى
الخير والعز والفلاح — لكان عجبا مع ذلك أن يطمع بمفرده في تحريك العالم
الاسلامى وقد قعد عن العمل بالاسلام ، طالت مدة القعود أو قصرت ،
فكيف بهذا المغرور الضال الذى لا يرى سبيلا إلى نهوض المسلمين إلا
أن يكفروا بماضيهم كله ، وينزلوا عن ميراثهم كله ، ويحتقروا كل ما ألف
في ألف سنة في أى علم أو فن لأنه صورة من كتاب واحد ألف في علمه
أو فنه قبل أن تبدأ الألف أو بعد أن بدأت الألف ، وأن ينزلوا أى
رواية أو رأى يجمع عليه أو عليها مؤلفو تلك الكتب الكثيرة منزلة رواية الفرد
الواحد ورأى الشخص الواحد ، هكذا يدعى وإلى ذلك يدعو هذا المغرور
المفتون في إعادة وتكرار ومبالغة وتوكيد واقراء له إن شئت لترى إلى
أى مدى يذهب الغرور بصاحبه : ولتحكم أعن عقل يصدر فى كلامه أم
عن تخليط . قال من ص ٣٠٦ من كتابه : (والخطوط من عندنا)

« إتنا نعد في علم التاريخ مئات الكتب وألوفها ، وكذا في الحديث
والفقه والتفسير وفي كل علم ، ولكننا عند التحقيق لا نجد إلا كتابا واحدا
فإنسان ألف منذ ألف سنة مثلا مؤلفا في علم من هذه العلوم وأودع فيه
ما أودع من أباطيل وأكاذيب وغيرها ، فإذا جاء بعده ألف مؤلف في هذا
العلم فأنهم جميعا سيأخذون علومهم وحقائقهم عنه وعن كتابه بلا نظر أو تفكير
وهذا هو الشأن في جميع المؤلفات التى أعص بها المكتبات والفهارس العامة
اليوم والتي يفوت إحصاؤها .

« وعلى هذا فمن الخطأ الذى يقع فيه الجميع أن نجد رواية أو رأياً فى مئات الكتب لمئات المؤلفين فنزعم أن تلك الرواية أو ذلك الرأى قد قال به ورواه هذا العدد العديد . والصحيح أن نقول إنها أو إنه «رواية أو رأى» إنسان واحد فى مؤلف واحد نقله هؤلاء الجاهلون المقلدون بلا بحث وبلا عقل ؛ فلا نخدع ونخدع بالكثرة ونقول : كيف لا تكون تلك الحكاية أو الرواية صحيحة وقد رواها وصدقها عشرات العلماء أو مثاهم ؟ وكيف تكون كذبا ثم يخفى حالها على كل هؤلاء ؟ إن من السهل على الإنسان ألا يثق برواية إنسان واحد وبرأيه ، ولكن من العسير عليه أن يشك فى رواية العشرات ورأيهم ولا سيما إن كانوا ممن يحلّ ويحترم »

دعوى يلقبها هذا الأحمق كأنه قرأ تلك الألوف المؤلفة فى جميع العلوم فى عشرة قرون فجاء يعلن نتيجة بحوثه ويزين له شيطانه أن يسمع له الناس والحق والغرور الظاهران من هذه الفقرة التى نقلناها لك من كتاب الأغلال ، هما الطابع الذى طبع به على الكتاب كله ، لا يكاد يخلو من أماراتهما صفحة من صفحاته . فأنت إذا تناولت الكتاب وجدت ذلك الطابع على غلافه الخارجى إذ تقرأ :

« سيقول مؤرخو الفكر انه بهذا الكتاب

قد بدأت الامم العربية تبصر طريق العقل .. »

كأن الامم العربية عامية عن العقل وطريقه وستبدأ تبصرهما ولكن

على يد صاحب الأغلال !

فإذا أنت قلبت الغلاف وجدت نفس الطابع مرة أخرى إذ تقرأ

على الغلاف الداخلي :

نورة في فهم العقل والحياة . دراسة عميقة للعوامل
النفسية والاعتقادية والتاريخية والخلقية التي قضت
بأحلال المسلمين عربهم وعجمهم وذهابهم في طوفان
الغرب الطاغى .. ثم كيف يمكن أن ينحصر عنهم هذا
الطوفان ..

أرأيت إلى هذا الأحمق المغرور ؟ إنه يثور لا على المسلمين وحدهم ، ولكن
على الإنسانية جميعا فيما يبدو ، يثور عليهم وعليها في فهم العقل ! ثم في فهم
الدين ! ثم في فهم الحياة !

وكأنه أراد ألا بدعك في شك من مدى غروره وفجوره في ثورته
ودعوته فكذب لك في أول صفحة تلقاها داخل الغلاف : —

« إن ما في هذا الكتاب هو من الحقائق الأزلية الأبدية التي تفقدها
أمة فتهوى لأنها فقدت حقيقة من حقائقها الطبيعية ، وتأخذ بها أمة أخرى
فتنهض لأنها قابلت الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة . . . ولن يوجد مسلم
واحد بين الأربعمئة المليون المسلم يستغنى عن هذه الأفكار إذا أريدت له
حياة صحيحة طبيعية »

يعنى أنه هو وحده من بين المسلمين أو من بين البشر يأتي بثورة
في فهم العقل والدين والحياة ثم لا يكون ما يأتي به — في كل الكتاب
لابعضه — إلا حقائق أزلية أبدية صادقة منذ القدم قبل أن يوجد
الإنسان ، صادقة إلى الأبد بعد أن يفنى الإنسان ؛ فليت شعر العقل إن كان

بافى كتابه كذلك فكيف يكون ثورة فى فهم العقل أو الدين أو الحياة؟
أفلم تهتد الانسانية بنفسها أو برسل ربها إلى مقومات الحياة والدين
الأزلية الأبدية قبل عبد الله بن على القصيمى أو قبل كتاب هذى هى
الأغلال ؟

وإذا كان كتابه ثورة فكيف يكون كله حقائق ، وحقائق أزلية
أبدية ؟ لو كان بعضه حقا جديدا يضاف إلى ما بيد الناس دهمهم
وعلمائهم من الحق فيما يتعلق بالعقل والدين والحياة لكان عجا من القصيمى
وفتحا للقصيمى لا للناس ، لأن كل حق جديد يكشف عنه يجب أن يتفق
مع ما بيد الناس من حق معروف من قديم كى يثبت أنه حق ؛ إذ المحك
الذى يعرف به الحق من الباطل فى العلم وعند البحث هو أن يتفق الجديد
مع كل المعروف من الحق حتى يمكن أن يفتح له الباب ليدخل فى حظيرة
الحق . ان الحق لا يتناقض ولا يمكن أن يتناقض ، إنما الذى يتناقض مع
نفسه ومع غيره هو الباطل .

والناس فى العلم وفى غير العلم يستعملون ما يدم من الحق محكا لكل
جديد يأتيهم بزعم أنه حق : إن اتفق مع المعروف من الحق قبلوه وضموه
إلى ما يدم من الحق ، وازدادت به ثروتهم من الحقائق قليلا أو غير قليل ،
حسب مقدار المكشوف الجديد ، وكان تقديرهم للكاشف عن الجزئية
الجديدة من الحق فى هذه الحالة تقديراً صادقاً ، صغرت الجزئية أو عظمت .
أما اذا كان الشئ الجديد منافياً لشيء من الحق المعروف فان هذا يكون
دليلا لا يرد وشاهداً لا يكذب على أن الجديد زائف باطل ليس من قبيل

الحق في شيء ، فكيف إذا نافت القضية أو القضايا الجديدة كثيراً من الحق المعروف للناس علمائهم وجهلائهم على السواء ؟ إنها عندئذ تكون لا تستحق النظر وإن نادى عليها صاحبها من الصبح إلى المساء .

فصاحب الاغلال حين وصف كتابه بأنه ثورة في فهم العقل والدين والحياة ، وأنه في الوقت نفسه حقائق أزلية أبدية قد دل على نفسه أنه دعى في أهل الحق ، لا يدري ما الحق ولا ما علامات الحق ، إنه قد دمع كتابه بالبطلان حين طبعه بطابع الثورة على المعروف للناس أجمعين في أمر العقل والدين والحياة . فإن كان في الناس من يصدقه مع جمعه بين النقيضين فهو مثله لا يدري ما الحق ولا ما التفكير

ثورته على الحياة والدين

ثورته في فهم الحياة هي في الواقع ثورته على الاسلام وأهله ، فهو لا يفهم الاسلام كما فهمه المسلمون ويفهمونه ، ولا يحب أهله ، يرى المسلمين ضعفاء فيحتقرهم لضعفهم وفقرهم ، لأن القوة والمال والجاه عنده هي الجديرة بالاحترام ، وبالسعى فيها والعمل لها ، أما المروءة وأما فضائل الأخلاق فهو إن سواها بالقوة المادية والثراء فقد تساهل معها في الحساب

ثم هو يرى أن ضعف المسلمين ليس من تركهم الدين ؛ ولكن من اتباعهم إياه ، فهو لذلك يحارب الدين ويسهزئ بقوانينه التي وضعها للناس كلما وجد إلى الاستهزاء سبيلاً ، أي كلما أمن عواقب الاستهزاء ، فإن لم يأمن وظن أن رأيه الذي يعتقده ويود لو اتبعه الناس يعرضه لسخطهم ولرميهم إياه بما لم لا بد رآموه به من الزندقة والاحاد أو ما هو أكبر منها لف ودار ، وقرر رأيه بجميع الصور ، ثم تبرأ في الهامش أو في الصلب

أن يكون قصده كفرًا أو إلحادًا ولكنه قصد تقرير الحقيقة ، أو أنه فعل ما فعل وأورد ما أورد للاعتبار ؛

ولا نجد شيئًا إسلاميًا سلم من سلاطة هذا الرجل وبذاته ، لا الدهماء ولا العلماء ، لا الفقراء ولا الأغنياء ، لا الملوك ولا السوقة ؛ لا الأمم ولا الأفراد ؛ لا العرب ولا العجم . لا معاهد العلم ولا جهود المسلمين في سبيله في الماضي والحاضر . لا شيء من ذلك للإسلام يلقى من صاحب الأغلال إلا القل والضغن ، كأن ذلك كله حال في الماضي وبحول في الحاضر بين صاحب الأغلال وبين ما يبتغيه من جاه وقوة وثناء

ولو كان هذا الرجل ينبض قلبه بشيء من الحب للإسلام وأهله لكان سبيله في تنبيههم غير سبيل تجاهل المحاسن وتلمس المساويء والمعايب ، الموجود منها والموهوم ، واتخاذها وسيلة للتحقير والتسفيه والزراية والتشهير ، ولدعاهم إلى مادعاهم ربهم إليه من العمل بدينه كما في كتاب الله وسنة رسوله ، بدلا من أن يحاول صرف ذلك كله عن وجهه وصرفهم عنه تارة بسوء التأويل الذي لا يمكن أن يكون كله راجعاً إلى الجهل ، وتارة بالكتمان الذي لا يمكن أن يكون كله راجعاً إلى النسيان ، وتارة بالتشكيك في الأصول وتارة بالإنكار حتى لما هو معروف من الدين بالضرورة كفضل الدعاء وأثر طاعة الله في حياة الإنسان هنا في الدنيا ، وفضل التوكل على الله حتى مع الأخذ بما شرع من أسباب ، ثم ما هو أدهى وأمر من إنكاره تصرف الله المطلق في ملكه يفعل فيه ما يشاء

وليس بهما هنا إثبات شيء من هذا على هذا الرجل المفتون فستري

ما يـمكنى فوق ما يـمكنى لهذا فيما أورده الشيخ حمزة فى رده البليغ من
نصوص ؛ إنما الذى يهمنى الآن هو الوقوف على سبب تطور نفسية هذا
الرجل ذلك التطور الذى نقله من آخر مراكز البندول فى اليمين إلى آخر
مواقف البندول فى اليسار — من التطرف فى الدين إلى التطرف فى
التنكر للدين.

وتطرف الرجل فى الدين فى الماضى يحدثنا به الرجل نفسه فى فقرة عجيبة
من كتابه لعلها من أغرب الاعترافات . إنها تدل على حاضـر الرجل وماضيه
معاً فاقراها : « إن ذكرى تفيض بالمرارة والحسرة تعاودنى كلما مر بخاطرى
عصر مشنوم قضيته مسحوراً بهذه الآراء ، كنت أفر من الحياة ومما يعلى
من قيمة الحياة ، فقد كنت لأجد ما يحملنى على أن أرفع قدمى لو علمت
أنى إذا رفعتها تكشف ما تحتها عن أعز ما عليه يتقاتل الأحياء ! وقد ضاعت
على من أجل ذلك فرص كان يمكن الاستفادة منها ، لا يمكن استرجاعها !
كان الغرور الدينى قد أفسد على كل شعور بالوجود وبجماله ، وكنت
مؤمناً بأن من فى المجتمع لو كانوا يرون رأيي وبزهدون زهدى لوقفـت
الأعمال كلها ، ولما وجد العالم بداً من أن يخرب ا كنت أنظر إلى من
يهتمون بالحياة وبمن فيها ، ومن يعملون لها ويجهلون ويخالفون من أجابها ،
بعض أقل ما فيها الاحتقار والاستصغار ! وكنت لا أبالى بأحد مهما كان
عظيماً ومهما كان قادراً على النفع والضر . وما كنت أفكر فى أن أجد فرصة
للقائه أو لأقرب منه أو للاتصال به ! وكنت لا أخالق إنساناً رغبة فى
يتخالق الآخرون من أجله . وكان شمارى فى تلك الفترة قول ذلك المذرور

المخدوع مثل :

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك رضى والآنام غضاب
وليت الذي ينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
فعم كنت أعتقد أن الكل هين ؛ وأن جميع ما فوق التراب وما فى
العالم من جمال وطيبات وحاجيات ، ومن أقوام وأمم وشعوب ، تراب ا
وكنت لأبالى أن يحلولى شىء من ذلك أو يمر ، ولا أن يرضى أو يفضب ،
ولا أن يعمر أو يخرّب ، كما يقول هذا الشاعر المسكين . وكنت أرى أنى
ابذلك أَرْضَى الله ، وانى إذا أَرْضِيته فلن يضيرنى شىء .. وكانت الدنيا كلها
تدور من حولى من غير أن أدور معها أو أحس دورانها ا وكان يخيل إلى
وإلى غرورى الدينى الأعمى أنه لاقوة كقوتى ؛ لأن الله معى واهب القوى ا
« التعجب من عند صاحب الأغلال » فليقو العالم كما يشاء ، وليجمع من
لأسباب ما طاب له ، وليحاول من أجل نفسه ما يحاول ، فان ذلك كله
لا قيمة له ولا خطر بالنسبة إلى قوة من استقوى بطاعة الله ، ومن ترك
الاسباب جملة مستمسكا بأسباب الله وحدها . وكان يبدو لى أنه بقدر
إيمان الانسان بذلك ، وبقدر كراهته العالم والوجود والدنيا والانسانية
كلها ، وبقدر استصغاره لها واحتقاره إياها وكفره بها ومغاضبتها ومجانبتها
— بل سبها ولعنها — يكون قربه من الله ورضاه عنه ودلاله عليه .. وكانت
هذه الاعتقادات او الخيالات تهبط لى وتعلو ، وتجعل لى وجوداً خاصاً ،
وعالمًا خاصاً ودنيا خاصة ، تدور من أجل واحد وتوجد من أجل واحد .

ايضاً - واحد أَرْضَى الله ووهب له كل معانيه فوهب الله له على حسب ما يظن ، كل ما يريد ولو كان في جملة ما يريد إعزاز الامم وإذلالها ،

هذا ملك كان هذا الرجل فيه من غير شك ، دونه ملك الثراء والقوة والجاه . ان هذه العزة النفسية التي تملأ جوانب كل متدين متوكل على الله حق توكله ، و تملأ نفس من يكون مع الله بالقلب والنفس والروح والبدن ، هي أقصى ثمرة الملك المادى في الدنيا ، ثم لا ينالها كثير من أهل المال والسلطان ، ومع ذلك فقد استبدل بها ذلك الرجل طامعاً مختاراً حالاً الله أعلم بها وبه فيها ، فما اظنه نال من القوة والمال كثيراً ، وسيداً وينصب في سبيلها من غير ان ينال ما يصبو اليه منهما كل من يرى المادة هي كل شيء . وأن ليس بعد الدنيا شيء ، وسيجد نفسه مضطراً إلى النزول على حكم الدنيا وأهلها وأسبابها التي يرى أنها طبيعية حتمية لا مفر منها . فيبذل في سبيل النجاح والمال من ماء وجهه ما كان يصونه حين كان فقيراً مع الله ، ولم يكن الرجل فيما بلغنا مع الفقراء حقاً إلا بالنسبة إلى ما يطمع اليه . ويطمع فيه الآن ، فقد كان له راتب من الحكومة السعودية لعله كان أربعين جنيهاً في الشهر ، ولعله لا يزال يأخذه إلى الآن من غير أن يرضى عن الحياة ويستشعر من القوة والعزة فيها ما كان يماؤه حين كان مع الله بالصورة التي وصف وانك لتجد مفتاح ضلال هذا الرجل فيما قصص علينا من أمر حياته الدينية قبل أن يفتن عن الدين . لقد أراد أن يسلك سبيلاً من الزهد في الدنيا ليس هو من رجاله ، فشدد على نفسه وعصى الله ورسوله بتشده ،

فقد نهى الرسول ﷺ عن التشدد والتنطع في الدين في أكثر من حديث كريم قال « لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه » وقال « ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهراً أبقى » وقال « بمن رغب عن سنتي فليس مني » في حديث مشهور نهى فيه رجلاً عن حرمان انفسهم مما احل الله لهم من الطيبات ، ولما بلغه تشدد عبدالله بن عمرو في الصيام والقيام نهاه وقال له « لا صام من صام الا بده » وكذلك امر الله سبحانه في مواطن كثيرة من كتابه بالآخذ من الطيبات التي احل لعباده (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين ، قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق) وقال سبحانه (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم) وقال سبحانه (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان من عمن وشمال ؛ كلوا من رزق ربكم واشكروا له : بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم)

فصاحب الأغلال لم يطع الرسول فيما أمر من القصد ، وأوغل في الدين بغير رفق ، ففسر الرحل والراحلة وانقطع به الطريق .

حرّم على نفسه الطيبات ، وبالغ في حرمان نفسه رجاء الدرجات العلى عند الله ، وما كان عليه في ذلك من بأس لو أنه كان من رجاله ، لكنه لم يكن هنالك .

وكانه لما عجز عما يكلف به نفسه مما لم يكلفه الله ، وبرم بالزهد ومطالبه ، صادف أن قرأ بمض ما نقل إلى العربية من مذهب السلفاء بين

في الحياة، وبعض النظريات القديمة في النشوء، وبعض محاولات من يحاولون تعميم نظرية نشوء الأحياء على النفس والعقل والروح والدين، فلا يرون هناك إلا المادة، ويرون الدين نتيجة طبيعية لتطور الإنسان، لا شريعة إلهية من عند الله بالمعنى المعروف في الأديان. صادف المسكين هذا فقراً ولم يهضم، وغره نسبة تلك الآراء إلى العلم فأثر لها كلها من الثبوت منزلة واحدة، وقبلها كلها من غير تمييز ولا مقدرة على التمييز. ولقد كان ينده وسيلة التمييز لو أراد ولم يكتسحه سبيل الشك الذي فتح على نفسه، كان ينده القرآن الذي كان يوقن عندئذ أنه من عند الله، وأنه كلام الله الذي أنزله على رسوله محمد بن عبد الله؛ فكان يستطيع أن يعرض ماقرأ على مااستيقن من كلام الله، فلم يمكن التوفيق بينه وبين كلام الله بنده من غير تردد لو كان يقينه وإيمانه إذ ذلك قائماً على أساس من البرهان، إذ ليس ممايجوز في عقل تكذيب كلام الله عند من يؤمن به؛ وتصدق نظريات الناس، لكن تدينه فيما يبدو كان أساسه التقليد رغم أنه كان فيه من المتشددين الحس. فأخذت الشكوك تنوشه، وصر المسكين في فترات من المذاب النفسى يستطيع أن يتصوره الإنسان، حتى استقر أمره تدريجياً على مااستقر عليه ولو لينجو من ذلك المذاب

ولو أنه أطاع الله فلم يقف ما ليس له به علم من تلك الآراء والفروض المنسوبة إلى العلم والتي يعلم العلم أنها ليست من الحقائق ولا من سنن الفطرة ولكنها تفسيرات لوقائع يقول بها العلم اليوم ويميزون عليها أن تنبذ غدا، لو أنه اهتدى بهدى الله في هذا لتجأ من الشك وآثاره، لكنه في اللحظة

- ف -

التي استيقن فيها ما يجيز العلم بطلانه من النظريات أصبح مستحيلًا عليه التوفيق بين كل تلك النظريات المتضاربة - حتى فيما بينها - وبين يقينيات الدين ، إذ من المستحيل التوفيق بين الحق والباطل مهما اجتهد الانسان . وقد سلم صاحب الأغلال فيما بينه وبين نفسه بباطل تلك النظريات ، فلم يبق أمامه إلا التخلي عما كان يعرف أنه الحق من الدين ، لأن تدينه كان قائما على التقليد لا على البرهان

وقضى الأمر ، وصدق إبليس ظنه على عبدالله بن علي القصيمي فاتبعه . ومن المستحيل أن ينقلب متطرف في الدين متطرفا ضده مرة واحدة ؛ كما يستحيل أن ينتقل البندول من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار دفعة واحدة ؛ لا بد من التدرج ولا بد من الاستدراج . ويستطيع الانسان أن يتصور استدراج الشيطان لهذا المسكين قبل وبعد إيمانه بما يناقض القرآن . يستطيع أن يتصور كيف زين إليه أن يقبل من أحاديث الرسول ونبذ ، لا طبق أصول علم الحديث ولكن وفق الهوى . ينبذ ما صحح علماء الحديث إذا ناقض الحديث هواءه ، وقد يقبل ما رفضوا إذا وافقه . وستجد أمثلة من ذلك في الكتاب الذي بين يديك نبه اليها مؤلفه المفضل تنبيه محدث خبير ، وبين كيف أن صاحب الأغلال ينبذ من الأحاديث ويقبل ، وطريق ما نبذ هو عين طريق ما قبل . وليس لذلك من تعليل إلا ما ذكرت لك ، ولو كان يصدر في ذلك عن عقل لنبذ الجميع أو لقبل الجميع ما دام الكل قد اتحد في الاسناد . وأكبر الظن أن صاحب الأغلال قد صار إلى الحال التي لا يقبل فيها من الحديث شيئا ولكنه يحتاج

بما يظن أن فيه حجة له عند المؤمنين بالحديث
مزين لصاحب الأغلال التحلل من الحديث أول الأمر فيما نظن ؛
والاقتصار على القرآن رغم تحذير الرسول أمثاله في قوله ﷺ « لا ألفين »
أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري ، مما أمرت به أو نهيت عنه ،
فيقول لا أدري ! ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »^١ وكما كان الأخذ
في الحديث بالهوى سبيلا إلى نبذ الحديث ، كان كلاهما سببا إلى القول في
القرآن بالرأى وبغير علم رغم تحذير الرسول أمثاله في قوله ﷺ « من قال
في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار »^٢

وهذا الرجل يقول في القرآن بغير علم بل وبغير عقل ، لأن أقل
ما ينبغي على المتعرض للقرآن بعد التزام أصول اللغة أن يراعى سائر القرآن
فلا ينقض بعض آيه ببعض ؛ أي لا يفهم بعض آياته على وجه منافي
لبعض آياته الأخرى . لكن صاحب الأغلال لا يراعى اللغة ولا يراعى
امتناع التناقض في القرآن . فالحمد لله سبحانه يقول (قل لن يصيبنا إلا ما كتب
الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وصاحب الأغلال يقول
« ثم لنعلم أنه لا خير يمكن أن يصيبنا إلا ما تقدمه لنا أنفسنا وأيدينا
وأعمالنا ، تدفعنا أنانيتنا الخالصة الخاصة إليه » . هو لم يذكر الآية ولكن
نص عبارته يدل بوضوح أن في ذهنه وهو يكتب كأنما هو يريد أن

(١) رواه الشافعي في رسالته ص ٨٩ تحقيق القاضي أحمد شاكر

(٢) رواه الامام ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير من مطبوعات دار

الأنوار طنية يدمشق وتحقيق الشيخ جميل افندي الشطبي مفتي الجنبالة فيها

يورد تقييض الآية في توقع واجراء
وينكر على الناس فهمهم للقضاء والقدر ، ويزعم أن القضاء معناه
الفراغ والانتها ، لا معنى له في القرآن غيره ، وأن القدر يحملته وجمله
استعملاته في القرآن وفي الشعر أيضاً « يراد به التقدير أى جعل الشيء
ذا مقادير معلومة ، أى يراد به جعل الشيء منظماً في كنهه وكيفه .. » وكل
الآيات التي جاء بها تفيد هذا ولكنها تفيد أيضاً التقدير من ناحية الزمن
مقداراً وتحديد أجل ، ولو قال هذا لما كان بينه وبين المسلمين خلاف ،
لكنه يرى أن اعتقاد المسلمين في القضاء والقدر من أقوى أسباب تأخرهم
فأراد أن يصرفهم عما اعتقدوا بتأويله آيات القرآن لهم تأويلاً يتناقض
مع آيات أخرى في القرآن كآية التي أشرنا إليها آنفاً ، وتعمد من غير ذكر
لها أن يتناقضها بقوله « لاخير يمكن أن يصيبنا إلا ماتقدمه لنا أنفسنا » الخ
وكآية الكريمة التي احتج عليه بها الاستاذ الناقد في رده : آية سورة
الحديد (ماأصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير) وصاحب الأغلال لا يمكن إلا أن
يكون حفظ الآيتين فيما حفظ من القرآن أيام زهده وتبته ، فهو يكتسبهما
عمداً لأنه لا يجد لهما تأويلاً لا ينقض مذهبه الذي يدعو اليه ، ولا مذهب
اليه في فهم آيات أخرى مثل بعض الآيات التي نزلت في غزوة أحد .
ويلتحق بهذا الباب تجاهل الرجل الآيات القرآنية التي يعلم أنها
تنقض مذهبه في مسألة الأسباب وخضوعها لمسببها سبحانه ، ومسألة
الطاعة والمعصية وأثرهما في هذه الحياة

الطاعة والمعصية : فعنده ان طاعة الله ومعصيته لا أثر لهما مطلقا في نتائج السعي والكدح لهذه الحياة . إن كان لهما أثر فأثرهما سيكون في الآخرة ، أما في هذه الدنيا فالفعل كله للأسباب المادية والقوانين الطبيعية المسيطرة على الحياة ، والتي يستوى أمامها المؤمن والكافر والطائع والعاصي . بل هو يتجاوز هذا ويزعم أن الله جل جلاله لا يكون عادلا إن هو فضّل في الدنيا من يطيعه على من يعصيه إذا ما استويا في العمل ، فكيف إذا برّ العاصي المؤمن في الكدح والجهاد ؟

وليس مهماً أن يعتقد صاحب الأغلال هذا أو ما هو شر من هذا ، فهو حر في ذات نفسه إن شاء آمن وإن شاء كفر . لكنه يزعم للمسلمين أن من أسباب تأخرهم وتفوق الأجنبي عليهم اعتقادهم ان طاعة الله تقدم ، وأن معصيته تؤخر في هذه الدنيا ، وأن اعتقادهم هذا يخالف القرآن . والقرآن الكريم ينقض زعمه هذا ، وهو يعلمه . يعلم أن الله قص علينا في كتابه خبر الأمم الماضية الذين أهلكهم الله لما كفروا به وعصوا رسله : في سورة يونس وهود والشعراء وغيرها من سور القرآن الكريم : أهلكهم بنفس العوامل التي يقول هذا الرجل إنها طبيعية . سنة لا تخضع لسلطان ولا تتأثر بطاعة ولا بمعصية - بالخسف والرجم والأعاصير والسيل والظوفان - وأهلكهم بغير هذه العوامل الطبيعية كالصيحة والطير الأبايل ، فكيف أمكن لهذا الرجل أن يتجاهل تلك السور وأمثالها وينهكم بمن يسترشد بها ويقيس عليها ، إن كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر كما يقول في آخر الكتاب ؟ وإن كان لا يؤمن بكتب الله ولا

بالقرآن فكيف أطمعه شيطانه الغرور - حين زعم المسلمون ما زعم -
أنهم سيصدقونه ويكذبون القرآن ؟

ومن عجب أن يحتج صاحب الأغلال لرأيه السخيف بآيات في القرآن
لم ترد إلا لتوكيد أن الكفر والمعصية يهلكان وأن الإيمان والطاعة ينجان.
احتج لا طراد ما سماه الأسباب الطبيعية بقوله تعالى (ولن تجد لسنة الله
تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) وأبى عناده وأبت خيافته للبحث وروح
الحق أن ينظر في مساق هذه الآيات في القرآن . ولو كان مخلصاً يريد الحق
لرجع إلى مواضع تلك الآيات الكريمة ولعرف أنها كلها سيقت لا لتقرير
اطراد السنن التي يسميها طبيعية ولكن لتوكيد أن هلاك الأمم بالكفر
والمعصية سنة اجترارية لله ليس لها تبديل ولا تحويل . ففي سورة فاطر
(ولا يحق المكر السىء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن
تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا . أو لم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان
الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا)

وفي سورة الفتح (وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها وكان
الله على كل شيء قديرا . ولو قاتلكم الذين كفروا لوكّوا الأدبار ثم
لا يجدون ولياً ولا نصيراً . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا) وفي سورة الأحزاب (إئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا .
ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقُتلوا قتيلاً . سنة الله في الذين خلوا من

قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

إن الله قد علم أن من السهل أن يؤمن الناس كما آمن صاحب الأغلال بأن الظواهر الطبيعية تجري على سنن ليس لها تغيير ولا تبديل ؛ لكن من العسير الصعب أن يؤمن الناس أن الله في الاجتماعيات سنناً لا تتغير أيضاً ولا تبدل ، منها هلاك الناس بالكفر والمعصية ، ونجاتهم بالإيمان والطاعة . فاقترض حكيمته ورحمته سبحانه أن يلفت الناس إلى هذه السنن المتعلقة بها مصيرهم في الدنيا قبل الآخرة ، وأن يجعل توكيده عدم تخلف سننه مُنصباً على الاجتماعى منها لا على ما يسميه الناس بالطبعى عالم يؤمنون ويعملون بمقتضى إيمانهم قبل أن يمسه من الله عذاب لا ينفعهم معه إيمان

وكما أن تلك سنة الله في الأمم فكذلك هى سنته في القرى وفى الافراد وآيات القرآن فى هذا الباب كثيرة لتحذير الناس من عاقبة الكفر والطغيان مثل (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين . فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون . لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تستلون . قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين . فذالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) سورة الانبياء

(ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه ، وجعلناهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فآغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون . فلولا نصرهم الذين اتخذوا من

دون الله قربانا آلهة ، بل ضلوا عنهم ، وذلك إفكهم وما كانوا يفترون)
سورة الاحقاف .

وصاحب الأغلال يدعو المسلمين إلى عبادة القوة والمال والانقطاع
لها ؛ وطلب العلم من أجلها لا من أجل الدين ، حتى يكونوا في القوة أنداد
الغرب وفي المال أنداد اليهود ، متجاهلا كل هذه الآيات وأمثالها رغم
علمه بها وترديده لها أيام كان يقطع الليل تسبيحا وقرأنا

والافراد شأهم في الطاعة والمعصية وأثرهما شأن الجماعات ، يعلم
ذلك أيضا صاحب الأغلال ، لانه قرأ خبر قارون في سورة القصص ،
وكيف أنكر أن يكون لله عليه نعمة ، معللا قوته وغناه بما يعلل به
صاحب الأغلال اليوم قوة القوى ، وغنى الغنى (قال إنما أوتيته على علم
عندي ! أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة
وأكثر جمعا ؟ ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) (نفسنا به وبداره الارض ا
فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) قرأ صاحب
الأغلال هذا من غير شك كما قرأ نتيجة الحوار بين الكافر والمؤمن اللذين
ضربهما الله مثلا للناس في سورة الكهف (وأحيط بشمره فأصبح يُقلب
كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك
بربي أحدا . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا)

قرأ هذه الامثلة الخاصة كما قرأ المثل العام في قول الله سبحانه من
سورة الزمر (وإذا مس الانسان ضر دعانا ، ثم إذا خولناه نعمة منا قال
إنما أوتيته على علم ، بل هي فتنة ، ولكن أكثرهم لا يعلمون ، قد قالها الذين

من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فأصابهم سيئات ما كسبوا ؛
والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين .
أولم يعلموا أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ؟ إن في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون)

ولو شئنا لضاعفنا لصاحب الأغلال الآيات عليه يتذكر ويرجع إن
كان يؤمن بالقرآن حقاً كما يقول ، أما إذا ركب رأسه واتبع هواه وحاول
تحرّفها كما حرف غيرها من الآي ليثبت أن الله سبحانه لا يتدخل في
الأسباب ، ولا يكشف الضر بالدعاء ، ولا ييسط الرزق أو يقدره كما يشاء ؛
ولا يسلب النعمة من أحد ينسبها إلى عامه هو لا إلى الله ، كما ينسب صاحب
الأغلال مال ذوى المال وقوة ذوى القوة ، وكما يريد من الناس أن ينسبوا -
أما إذا فعل ذلك فإنه يكون قد حقت عليه كلمة الله التي قررّها في قوله سبحانه
(وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)

مسألة الأسباب

إن مسألة الطاعة والمعصية وأثرهما في حياة الإنسان فرع من مسألة
عامة هي مسألة الأسباب ، وكان من الممكن أن يخرج صاحب الأغلال من
مازق الشك الذي لا بد أن يكون وقع فيه في تطوره الاعتقادي ، بتوفيق
مبدئي بين اعتقاده الديني القديم واعتقاده الطبيعي الجديد لو أنه اعتبر طاعة
الله سبباً من الأسباب الفعالة في هذه الحياة - وهذا طبعاً قبل أن يتطرق
في تفسير التطور ويعتبر الروح نتيجة لتطور المادة والطاقة ، ومظهراً من

مظاهرهما ، أى فى الوقت الذى كان يعتبر فيه الروح أهم ركبتى إنسانية
الانسان وأن المادة لا اختيار لها . فى ذلك الوقت حين عرضت له مسألة
الأسباب الطبيعية وعدم تخلفها كان يستطيع أن ينزل الروح منزلة المادة
فى وجوب طاعتها لله ، لانه يقر بأن المادة لا محيص لها من اتباع السنن
التي سنّها الله لها وإلا هلكت . كذلك الروح لا محيص لها من اتباع
السنن التي سنّها الله لها وإلا هلكت . ولا بد أن تختلف سنن الروح عن
سنن المادة بقدر الاختلاف بين طبيعة المادة وطبيعة الروح ، وبقدر امتياز
الروح على المادة بأن لها اختياراً وعقلاً ، وأن المادة لا اختيار ولا عقل لها .
وسنن الله التي سنّها للروح تتمثل فى الدين الذي أنزله الله لهداية الانسان .
فلم يكن للانسان بد من أن يطيع الدين طاعة لله وإلا هلكت روحه كما
يهلك النجم والشجر لو لم يطع الله ، غير أن الهلاكين لا بد أن يتميزا ويختلفا
باختلاف الطبيعتين ومراعاة لعامل الاختيار العقلى فى الروح . لذلك كانت
المادة وما إليها يعجل لها وله جزاء المعصية رأى العين فى الدنيا ، أما الروح
فالحكمة فى منحها الاختيار تقتضى تأجيل الجزاء تأجيلاً قليلاً أو كثيراً
حسبما تقتضيه حكمة الله ورحمته ، وإلا فأى فرصة تكون هناك للانسان
لو عجل له العقاب أو عجل له الثواب ؟ إذاً لا جبر على الايمان إجباراً لانه
يرى الكفر والمعصية تتبعها العقوبة فوراً ، ويرى الايمان والطاعة يتبعهما
الثواب ، وإذا تعطلت الحكمة فى منح الروح الاختيار . وهذا الفرق
بين الجزاءين من ناحية التعميل والتأجيل هو سبب خفاء الأثر المادى
للطاعة والمعصية الروحيتين وإن كان أثراً حتمياً كأثرهما فى عالم المادة

من غير تفريق

فطاعة الله هي إذن السنة العامة في ملكوت الله في عالمي المادة والروح ، لا بد منها للنجاة والسعادة وإلا كان الهلاك الحتمي الذي ليس منه فكاك . وعالمو المادة والروح تتساند قوانين الله فيهما ولا تتناقض ؛ أي لا بد للانسان من طاعة الله سبحانه فيهما جميعاً قبل أن تتحقق سعادة الانسان كاملة . ومن هنا جاء تعطل النجاح المادي لبعض المؤمنين الذين هم أكثر طاعة في عالم الروح منهم في عالم المادة ، وتكثر نجاح بعض الكافرين والمعاصين الذين هم أكثر طاعة في المادة منهم في عالم الروح . وطبعاً هناك درجات كثيرة لا تحصى من الطاعة والمعصية في كل من العالمين وفيما بينهما وفي نتائج ذلك كله . فمن الخطأ الكبير التعميم مما يبدو للانسان على سطح الحياة أو في باطنها لأن الانسان لا يمكن أن يرى إلا جزءاً صغيراً جداً مما يجري ، كما أنه لا يفهم إلا جزءاً مما يرى . ولو فهم كل ما يرى لما أمكن أن يفهمه حق الفهم ؛ لأن ما يراه جزء من كل خاضع لله تجري فيه سنته وتجرى عليه إرادته .

وصاحب الاغلال ومن لف لفه يؤثرون من ناحية العجز عن التوفيق بين سنن الله التي يرون انها يجب أن تكون صارمة ، وبين إرادته التي يرون أنها تستتبع التنقص من الصرامة ، والتدخل في السنن بالتغيير والتبديل . وهم حين يرون هذا يقعون في نفس الغلطة التي يرمون بها خصومهم : غلطة قياس الله سبحانه على الانسان . هم يرمون المؤمنين بالله بأنهم يقيسون الله على أنفسهم فينسبون اليه من الصفات ما يجدونه في أنفسهم وفي عالمهم

ويقعون هم في نفس العيب الذي يعيرون به المؤمنين بقياسهم لإرادة الله على إرادة الناس ، ويخلقون لأنفسهم الصعاب والمشاكل الروحية والنفسية والعقلية بتوهمهم أن إثابة الطائع ومعاقبة العاصي في هذه الحياة وبعدها تستلزم المحاباة واتباع الهوى بالمعنى الذي عرفوه في أنفسهم وفي الناس . أفمن المستحيل أن يعاقب الله ويثيب كما يشاء طبق العدل وطبق الحكمة ؟ وإذا لم يكن ذلك مستحيلاً فقد انحل الاشكال لو كانوا يفقهون .

الواقع أن العيب الذي يرمى به المؤمنون من هذه الناحية هو عيب خصوصهم وحدهم لا عيب المؤمنين . إن المؤمنين يصفون الله سبحانه بما وصف به نفسه في كتبه ، في القرآن والإنجيل والتوراة . ولولم يصف سبحانه نفسه بصفات الكمال لوجب أن يصفه بها العقل . عند من يسلم طبعاً بوجود الله . إن من غير الممكن ولا الجائز في العقل أن يكون المخلوق مريداً مختاراً أو يكون خالقه مجرداً عن الإرادة والاختيار . ومثل الإرادة والاختيار بقية صفات الكمال . فالغلطة ليست في أسناد الصفات لله ، ولكن في تصورهما . والفصل بين الحق والباطل في ذلك هو تحقيق الكمال المطلق اللائق بذات الله سبحانه .

وتقييد الله سبحانه بالقوانين الطبيعية بالمعنى الذي فهمه ويفهمه أمثال صاحب الأغلال هو في حقيقته ونتيجته تجريد لله سبحانه من الإرادة والاختيار . إنه تقييد لا يمكن أن يكون إلا نفي الوهم قياساً على فهمهم المدل في تطبيق قوانين الإنسان في حكوماته ، تلك القوانين التي يجب أن تطبق على جميع رعايا الأمة الواحدة ذات الحكومة الواحدة من غير محاباة

ومن هنا القياس الآخر الذي قاس به صاحب الأغلال حكومة الله على حكومة الناس حتى قال في كتابه : « وإن حكومة يعامل شعبها هذه المعاملة فلا تسوى بينهم على مقتضى الأسباب والأعمال ، بل تفرق بينهم وتفرق بين نتائج أشغالهم وأعمالهم لأنها تفرق بينهم في الحب والبغض ، لأن منهم الموافقين ومنهم المخالفين على حسب الأحزاب والمبادئ ، والأشياء الأخرى - إن حكومة تفعل ذلك معدودة من شر الحكومات وهي حكومة لا يصح الاتكال عليها ولا الاعتماد على حكمها ولا الإيمان بحكمتها . فكيف يسوغ للعاقل أن يصف الله بهذه الصفة ؟ »

إن صاحب هذا الكلام يرى المتدينين أو المسامين بداهة وينسبهم بمرمهم بأنهم يقيسون الله على قدر أنفسهم وقيس هو حكومة الله على حكومة الناس - أهواء وأحزاب وشيع إلى آخر ما هنالك . ثم هو مع ذلك لا يحسن القياس . فالقياس ينبغي أن يكون أساسه الطاعة - طاعة القوانين - والجد والإخلاص في العمل . فإذا كانت القوانين توجب احترام الحاكم وتعاقب من يطلق اللسان فيه كان من الواجب معاقبة من يخالفها في ذلك من غير تفریق . وإذا كانت القوانين تقرر عقوبات على مخالفيها في كل حكومة راشدة كان من الظلم ومن الفوضى أن يسوى بين الطائع والعاصي في المعاملة فلا يعاقب العاصي ولا يقدر المطيع . فلو كان صاحب الأغلال يعقل ما قاس حكومة الله على حكومة البشر ، أو على الأقل لأحسن القياس

إن قوانين الله في ملكونه يجب أن تطاع . وأهم هذه القوانين هي

حِبُّ اللَّهِ وتوفيره واتباع أوامره واجتناب نواهيه — هي عبادته كما ينبغي أن يعبد فيما بين الإنسان وربه ، وفيما بينه وبين الناس .

هذا هو القانون العام . أما التفصيل فيجده الإنسان في الدين الذي أنزل الله ، وفي الفطرة التي أمر الله الإنسان أن يلتزم أسرار الله فيها ، فهما باحيتان متتامتان لكن شتان ثم شتان بينهما ، فالمادة مادة والروح روح ؛ والتسوية بينهما كالتسوية بين المعصية والطاعة : خرق وظلم وعبدوان

هما مصدران للحق ليس لهما ثالث ولا يمكن أن يكون : دين الله والفطرة . والاسلام هو دين الفطرة ، بل هو بالنسبة للإنسان فطرة الله نفسها كما وصفه الله في كتابه ، وهو وصف لا يمكن أن يكون جاء عن خيال إنسان : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تتبدل خلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ودين الله المتمثل في القرآن أعم وأوسع من العلوم الطبيعية كما نعرفها ، لأنها جزء منه شملها بعض آياته اجمالاً وتركبت تفاصيلها يطلبها الإنسان بأمر الله . فمن المعجب أن يتصور متصور أن يقع بين الاسلام وبين الحق من العلم — طبيعي أو غير طبيعي — تناقض . ومن الخذلان — ونعوذ بالله من الخذلان — أن يتكلف مسلم ما ليس له به علم ، فاذا عرض له فيما تكلف ما لا يتفق مع الاسلام ، لزم ما تكلف وشك في الاسلام !

إن استباحة الشك في كل شيء بدعة أجيبت بها شباب هذا الزمان يظنونها حربة في فكر وانطلاقاً من الإغلال . وقد أصيب صاحب الإغلال بهذه الآفة فكان نتيجتها كتابه وإن لم أجد أشار إليها فيه الا بقوله

— ب ب —

ولا يمكن أن تبلغ أمة من الأمم مبلغاً من الحضارة ما لم تشك وما لم تفهم . فالشك والفهم شرطان ضروريان في تحصيل الحضارة والعلم والقوة . والذي لا يعرف أن يشك لا يعرف أن يفهم « وصاحب الكتاب لا يعرف أن يشك لأنه لا يعرف شروط الشك السليم ، شروط الشك العلمي المبني على أساس من التفكير العلمي . أما الشك للشك طلباً لحرية فكرية مزعومة وتحللاً حتى من قيود التفكير ، فخير منه سهولة التصديق .

إن التصديق بالباطل كالشك في الحق ، كلاهما بالغ الضرر بالإنسان . فالتفكير الذي يقبل شيئاً من الباطل على أنه حق يفسد على نفسه كثيراً من الحق الذي لديه ، لأن كل تفكير يدخل في قياساته ذلك الباطل القليل سيؤدي حتماً إلى نتيجة باطلة تعتبر هي أيضاً عند المفكر حقاً من الحق ، فتدله باطلاً آخر بالتزواج مع الحق أو الباطل الذي عنده — وهكذا مداوليك . والشك في الحق يفقد المفكر قوة هائلة كانت لديه ، بانتقاص جزئيات الحق عنده فلا يستطيع في التفكير تحليلاً ، كالطائر الذي تنف من جناحيه الريش ؛ لكن ضرر الشك في الحق لا يقف عند هذا ، لأنه يستتبع حتماً الاعتقاد في باطل أدى إلى ذلك الشك ، أو باطل هو ضد الحق الذي شك فيه .

فضرر الشك في الحق مزدوج ؛ لأنه يعطل الحق فلا ينتفع به في تفكير . ويكثر سواد الباطل عند الشاك فيفسد عليه التفكير . والمسارع إلى التصديق يشترك والشك في عاقبة . تتكثر سواد الباطل ، لكنه يظل على أي حال متفقاً بالحق الذي لديه ، والذي لم يفسده الشك عليه .

وأشوأ أنواع الشك هو الشك الديني ، خصوصاً في المسلمات التي أجمعت عليها كل الانسانية في جميع الأديان مثل وجود الله سبحانه وبمته الرسل ، وبمته الانسان بعد الموت . وأقل الشاكين في الدين عذراً مسلم نشأ على الاسلام وقرأ القرآن ولو ببعض فهم ، لأن الاسلام أكثر الأديان احتضاناً للعلم وأوثقها اتصالاً به ، وأشدّها احتراماً للعقل واعتماداً عليه . فلو أن المسلم حين تعرض له الشبهات يتمسك بمجمل الإسلام كما يتمسك الفريق بمجمل النجاة ، ويتطلب من الشبهات مخرجاً ، إذن لو وجد المخرج من غير أن يخالف العقل أو اليقيني الثابت من العلم . لكن الشرط الضروري لهذا ألا يقبل مطلقاً شيئاً غير يقيني الثبوت حتى ولو قال بذلك الشيء . فريق كبير من العلماء ، فإن وجود فريق من العلماء وإن قل لا يقول به ، دليل كاف على احتمال بطلانه . وقد يكون في ذاته باطلاً فلا يتفق مع الثابت من الدين فيضل المسلم به كما ضل صاحب الأغلال .

وصاحب الأغلال لا يقتصر على قبول كل ما وصل إلى سمعه من أكثر الآراء العلمية تطرفاً ولكن يزيد عليه ويتوسع فيه ما استطاع . فهو مثلاً يقبل نظريات التطور بخلافها من غير أي نقد لها فيما يبدو وإلا - وهو يتناول صريح القرآن بما لا يتفق مع صريح اللغة ولا مع سائر القرآن - لوجب أن يشك في نظريات تطور الانسان لأنها أولى بالشك لأنها لا تعتمد في الغالب إلا على بعض أجزاء هيكل الانسان - جمجمة هنا ، أو بقايا هيكل هناك . وأحياناً لا تعتمد إلا على سن واحدة . يبتنى العلماء عليها بقية الهيكل - فهل من أجل هذا يستريح مسلم أن

يشك في القرآن إذا أعوزته التوفيق بين آياته ونظريات التطور في خلق
الإنسان ؟ على أن التوفيق بين مبدأ التطور العام وبين القرآن سهل
مستور . وعلى أي حال فالتطور جملة أدل على فعل الله سبحانه لا كما
يتصوره الطبيعيون .

وبجاوز صاحب الاغلال تطور الاحياء إلى الجماد فيقول بتطوره
ولم يقل به أحد ، ويذهب في ذلك إلى أبعد الحدود ، فيحاول أن
يفسر البعث بالتطور بعد أن يؤكد اطراد الترقى التطوري ، واستمرار
التطور من غير انقطاع ولا انتكاس ؛ مع أن هذه نقطة كثير فيها الخلاف
بين التطوريين . وقد يستقيم له تخيل سموات غير السماوات وأرضاً غير
الأرض عن طريق التطور كما حاول في تفسير (يوم تبدل الأرض غير
الأرض . والسموات) لكن التطور المطرد الترقى حتى في الجماد ان استقام
مع هذه الآية فلا يستقيم مع آيات نسف الجبال وانفطار السماء وانتشار
الكواكب . وحتى لو استقام مع هذه فلا يمكن أن يستقيم مع بعث الأموات
فرداً فرداً معها اتسع خيال القائل بالتطور الآلى الناشئ عن طبيعة المادة
وطبيعة الوجود الذي يقول به صاحب الكتاب

صاحب الاغلال والامانة العلمية :

ومعها يكن تاريخ التطور الاعتقادي لصاحب الاغلال فقد تطور فعلاً
إلى ما تطور إليه مما يمثل في كتابه ويتبدى من خلال الرد عليه . لكن
بقيت نقطة لها أهميتها بنى التساؤل عنها ، إذ على نتيجة بحثها يتوقف
الشيء الكثير من الحكم على بواعث صاحب الاغلال .

هل كان صاحب الأغلال مخلصاً فيما يدعى من طلبه الحقيقة بما كتب ؟
إن الانسان قد يؤتى من ناحية الخطأ في التفكير أو من ناحية قلة العلم
بل قد يبالغ في الشك من غير مبرر فلا يلحقه من ذلك عار ، لان اخلاصه
في طلب الحق يشفع له . فلنتظر أين صاحب الأغلال من الاخلاص
إن أول مانلقى من دلائل عدم اخلاصه في طلب الحق تجاهه الكثير
من آيات القرآن المضادة لمذهبه . ان الرجل جاءه المسلمين بشيء كثير فلا
يمكن تعليل تجاهه تلك الآيات بالخوف من عاقبة بحثها وعرض مذهب
عليها أو تفسيرها تفسيراً يوافق مذهب الذي ساقه في الكتاب . وقد
كان يستطيع إذا عجز عن التوفيق ان يعرض الأمر من طرفه في كتابه
مبيناً موقف القرآن الكريم والحجج التي تشهد للرأى الذي لم يستطع
التوفيق بينه وبين القرآن ، ثم يطلب إلى أهل العلم والرأى حلاً للمشكل
الذى وقع فيه . هذا إذا كان يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر كما ذكر
في آخر صفحة من الكتاب .

لقد أنكر أن يكون لله سبحانه سلطان على العوامل الطبيعية من
نحو تسخيرها لقوم إذا أطاعوه أو إرسالها على قوم إذا عصوه . وقد رد
عليه مؤلف هذا النقد الجليل بالآيات القرآنية المقررة لمعجزات الرسل ،
وذكرت هذه المقدمة غير ذلك من الآيات القرآنية في اهلاك الأمم التي
أصرت على عصيان الرسل ، وكلا الضريين من الآيات أغفلها صاحب الأغلال
لكن هناك آيات أخرى تتصل بحياة البشر ولها نفس دلالة الصنفين السابقين
فمن آيات التخويف قوله سبحانه في سورة الاسراء : (ربكم الذي

يزجى لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا . وإذا
مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ، فلما نجاكم إلى البر أعرضتم
وكان الانسان كفورا ، أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم
حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ؟ . أم أنتم أن يعيدكم فيه نارة أخرى
فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيفرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا
به تبيها ؟)

ومن آيات المن و اظهار القدرة : قوله سبحانه من سورة النور : (ألم
تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من
خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه
عمن يشاء ، يكاد سنا برقه يذهب بالابصار)

ومن سورة الروم (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم
بالبينات فاتقمنا من الذين أجمعوا ، وكان حقا علينا نصر المؤمنين . الله
الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً
فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم
يستبشرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر
إلى آثار رحمة الله .) الآيات

فهذه آيات نص في موضوعين على الأقل من المواضع التي خالف فيها
صاحب الاغلال اجماع المسلمين ، وهو طبعا يعرفها وكان عليه أن يعرض
عليها مذهبه الذي ذهب اليه إن كان لا يزال يؤمن بالقرآن
لكن لا يزال هناك احتمال بعيد ضعيف أن صاحب الكتاب لم يكن

يعرف هذه الآيات وأمثالها ومواضعها من القرآن . فهناك آيتين لا يمكن أن يتطرق اليهما مثل هذا الاحتمال ، لأنه استشهد باحدهما وأختها تنقض مناه الذي استشهد عليه، وهما آيتا الأحزاب خطاباً منه سبحانه لزوجات الرسول (وقرن في يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقم الصلاة وآتين الزكاة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . واذكرن ما يتلى في يوتكن من آيات الله والحكمة، إن الله كان لطيفاً خبيراً) . فقد فسر (واذكرن) بمعنى علّم الرجال والنساء ما يتلى في يوتكن من آيات الله والحكمة ولم يتعرض لقوله تعالى (وقرن في يوتكن) بصرف النظر عما في معناه الذي ذهب اليه في (واذكرن) من غرابة وتكلف وبعد .

وهناك شاهدا آخر أظهر من هذا . فقد زعم صاحب الاغلال أن الاسلام يسوى بين المرأة والرجل في كل شيء ، وأورد دليلاً على زعمه قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وسكت عن بقية الآية (وللرجال عليهن درجة) وهو سكوت ينطق بقلة حظ صاحبه من الأمانة والاخلاص .

على أننا إذا جاوزنا استشهاده بالقرآن إلى استشهاده على سوء رأى بعض أئمة الدين وجدناه يخون في الاستشهاد هنا كما خان في الاستشهاد هناك . لكننا لن نستطيع أن نشير إلا إلى مثلين مما كتب في أمر التوكل على الله وما افتراه فيه على المسلمين .

أول المثلين ما نقله عن عوارف المعارف للسهروردي من حكاية يشنع

بها على التوكل والمتوكلين : حكاية القنبرة العمياء التي لما شاهدها أخذ المتوكلين في البادية تنشق لها الأرض عن سكرجة فيها سمسم وماء فأكلت وشربت رجع هو عن السمي والطلب . والحكاية موجودة في السهروردي حقاً لكن موجود بعدها غير بعيد منها حكاية المتصوف الذي خرج إلى البادية وأقسم ألا يسأل أحداً شيئاً حتى كاد يهلك فنودي أن وعزني وجلالي لا رزقتك حتى تدخل الأمصار ، فدخل فرزق فنودي مرة أخرى : أردت أن تبطل حكمتي في الأسباب ، ألم تعلم أن رزقي المباد على يد العباد أحب إلى من أن أرزقهم بيد القدرة ؟ هذا أو قريب من هذا هو خلاصة الحكاية الثانية، وهي ضد مراد صاحب الأغلال من الحكاية الأولى على خط مستقيم؛ وقد كانت الأمانة تقتضي أن يذكرهما معاً أو يتركهما معاً، لا أن يقتصر على ذكر ما يلائم مراده من التشنيع .

والمثل الثاني هو ما افتراه على الامام الغزالي في أمر التوكل، فقد اقتبس جملة انتزعها من موضعها فدلّت على غير مراد الامام وترك آراء الغزالي في التوكل وشروطه ومراتب أهله الى آخر ذلك التحليل العلمي الدقيق مما تجده في باب التوكل في الاحياء، ومما هو وما رماه به صاحب الأغلال على طرفي نقيض . لكن صاحب الأغلال لا يكتب ابتغاء الحق ولكن ابتغاء التشنيع . ولا بأس عنده في سبيل تحقيق غرضه من التلبيس والتعريف

والشواهد على عدم أمانة الرجل كثيرة في كتابه نقتصر مما بقي منها على ثلاثة قصيرة ولكنها كبيرة الدلالة .

- طط -

الأول قوله في باب التوكل أيضاً :

« وفي قواميس اللغة . توكل على الله وانكل استسلم » وإذا رجعت إلى القاموس وجدت « استسلم إليه » لا استسلم لحسب . وحذف « إليه » يوم الاستسلام لغير الله؛ وذكرها يقيده بأنه إلى الله ويذهب بكل ما أراد صاحب الأغلال الاستشهاد به عليه، إذ لا حرج على المسلم - بل الفخر - كل الفخر - أن يستسلم إلى الله إذ هذا من المعنى الأساسي للإسلام . هذا واحد .

الثاني أنه أراد أن يتهم أهل الحديث النبوي بالوضع على النبي ما لا يمكن أن يكون عليه السلام قد قاله، فأورد فيها أورد حديث « أكثر أهل الجنة البئله » ونقل معناه عن قاموس النهاية لابن الأثير وأسقط ما نص عليه ابن الأثير في آخر شرحه إذ قال « فأما الأبله وهو الذي لا عقل له فغير مراد » . واستباح صاحب الأغلال هذا الاسقاط ليوم قارئه أن المعنى على المتبادر من اللفظ .

لكن لعل من أظهر الدلائل على خيانة الرجل في البحث يتكأ استشهد به فغيره لفظه لو ذكرها على أصلها ما أسعفه البيت بما يريد من النعي به على قوم يزعم أنهم يعبدون قبور أناس بعد الموت وقد كانوا لا ينصفونهم في الحياة : قال « وقد قيل في هذا المعنى أو ما يشبهه :

لا ألفينك بعد الموت تعبدني وفي حياتي ما زودتني زاداً

والبيت « تندبني » كما هو معروف، لكن لا بأس فيما يظهر من مثل هذا التحريف والتليس بالحذف والتبديل في مذهب صاحبنا الجديد

والآن لا بد من وقفة عند هذه الظاهرة في هذا الرجل الغريب .
لا فطن الرجل كان يستبيح مثل هذا الغش والكذب في أيامه الأولى التي
حدثنا هو عنها - أيام كان يحذر الآخرة ولا يبالي بالدنيا ، وأيام كان يرجو
الله ويخشاه ولا يرجو ولا يخشى سواه . أما بعد أن صار سبياً محضاً ومادياً
يرى المادة غاية الحياة ، فقد انقلب عن فضائله الأولى التي عاقلته عن بلوغ
حظ الناس من الدنيا ؛ وأخذ يسلك إلى الدنيا سبيلها غير متقيد بقيد عليه
يختصر الطريق إلى ما فاته منها ، فكان هذا الذي قصصنا عليك من خيائته
في النقل وفي التفكير . والغاية تبرر الوسطة عند من يتحلل من قيود
الدين ، على ما في الغاية عند هذا الرجل من سقوط .

* * *

وبعد فقد طالت هذه المقدمة فوق ما كنا نريد ، لكن لا بد لنا من
ذلك من أن نتلمس وجه العبرة في هذا المثل الفذ من أمثلة الانقلاب الديني
- مثل هذا الرجل الذي كان بالأمس من المؤمنين الحُسن فأصبح يرى
التدين لا يأتي بخير ، ويرى الدين لا فائدة فيه

أما فرق ما بينه اليوم وبين نفسه بالأمس من حيث السلوك فقد
رأيت طرفاً منه فيما قصصنا عليك . ولوقرات كتابه لرأيت سُحق ما انقلب
إليه : تقرأ له فتقول دهري يتكلم ؛ ثم تقرأ فتقول صبيوني يتكلم ، ثم تقرأ
فتقول شيوخى يتكلم . ولعل في هـ - هذا ما يفسر طلبه الدنيا عن طريق
مناصبته الاسلام العداوة ، ومبالغته في ذلك حتى ليخيل إليك أنك إزاء
كلب أو ذئب عقور يحاول أن يعقر من الاسلام كل ما يرى لولا أنك ترى

أحياناً من خداعه وختله ، ودورانه ولفه ؛ ما يندرك أنك تجاه عدو يكيد
ولكن كيد مفتون مغرور .

فلنترك الرجل وما اختار لنفسه ، ولننساءل كيف أمكن أن يقع مثل
هذا الانقلاب ؟ كيف أمكن أن يأتي الرجل بمصر متديناً زاهداً متشدداً
كما يقول ثم ينقلب فيها إلى ما انقلب إليه ؟ أى وسط وأية بيئة مصرية
أثرت في الرجل ذلك التأثير ، ونقلته تلك النقلة ؟

إن المشتغلين بالإصلاح في مصر لا يستغنون عن كشف تلك البيئة
والعوامل فيها ، فإنها إذا كانت قد أثرت ذلك التأثير في ذلك الزاهد
الاحمر على حد وصفه لنفسه في طوره الاول ، فأى تأثير يكون لها في من
يتعرض لها من شبابنا وليس لهم من الوقاية الدينية ما كان لذلك المسكين ؟
على انه سواء عرفنا تلك البيئة أو لم نعرفها فلا مناص لاولى الامر
القوامين على المسلمين في مصر وفي غير مصر من أن ينظروا بمجد في هذا
المشكل ، مشكل صيانة النشء الاسلامى ووقايته مما استجد في البيئة
الاسلامية من العوامل الهدامة للدين في النفوس . والعبرة في صاحب
الاغلال من ناحيتين : ناحية تربته الدينية الاولى فهذه ثبت أن مثلها
لا يصون ولا يقي . فيجب أن تتجنب مثلها في تربية نشئنا . والاخرى
ناحية البحث عن تربية اسلامية صالحة تصون وتقي وتكفي على الأقل لرد
عادية الشبهات الحديثة التي لا بد أن تعرض للمسلم في هذا العصر الحديث
حتى إذا وجدوها - ووجودها ميسور - اتخذوها ونفذوها على الوجه
الذي يكفل تحقيق الغرض منها في يثبات التعليم والتربية على اختلافها .

- ليل -

ولابد من اختلاف في صور تلك الترية يناسب الاختلاف في تلك
البيئات . لكن الروح يجب أن تكون واحدة . روح القرآن وروح
العلم الطبيعي : علم الفطرة التي دينها الإسلام .

وإلى أخوي في الإسلام اللذين أتانا لي فرصة التعبير عن هذه الآراء
خالص تيمني وشكري ، ثم خالص دعائي أن يجزيها الله عن الإسلام
وأهله خير الجزاء .

محمد أحمد النمرودي

شعبان سنة ١٣٦٧

يونية سنة ١٩٤٨

نأسف لوقوع بعض أخطاء في هذه المقدمة ، فقد وقع في صفحة (س) في
السطر الرابع كلمة (رجال) وصوابها (رجالاً) وفي السطر العاشر منها كلمة (الرسول)
وصوابها (الرسل) .

كلمة الأستاذ الأديب سيد قطب

نشرت بمجلة السوادى

هذى هى الاغلال

لم أكن أنوى أن أكتب شيئاً عن هذا الكتاب ، لا خيراً ولا شراً . فلعل صاحبه أن يصل إلى أهدافه الحقيقية من طريق الشر والخير سواء .

والكتاب وصاحبه معى قصة ما كنت لأفشيها للناس لولا أنها تكررت مع غيرى فلم تعد سرّاً .
أهدى إلى الرجل كتابه ، ومضت فترة لم أكن قد فرغت فيها لقراءته . ثم تفضل فزارنى مع صديق كريم عزيز أحمل له فى نفسى ودّاً مكيّناً ، وسرّ لى الصديق ثم أعلن أنه وافد إلى فى مهمة . إن حرية الفكر فى خطر .

فهذا الرجل صاحب الكتاب قد عنت له أفكار وآراء جريئة فأودعها كتابه ، وخصومه من الرجعيين والنفعيين فى الحجاز يدسون له هناك وأنه على وشك أن يستدعى لها كته ، وربما لشنقه ! وأن على كتابه يقدر رسالة الفكر أن أشارك فى الذود عن حرية الفكر الموشكة على الاختناق .

ولم يكن بد من أن أتحمس في أول الأمر فعزيز على صاحب فكر وقلم أن يسمع ويرى خنق حرية الفكر ولا يتحمس أو يشور، ووعدت أن أفعل في حدود ما أستطيع .

وجلس الرجل وأخذنا بأطراف الحديث - في داري - وشيئا فشيئا بدأت أشم رائحة في الحديث . رائحة ليست نظيفة .

هذا رجل يريدني على أن أفهم أن الانجليز في الشرق قوم مصلحون لا مستعمرون . وأن وسائلهم في الشرق أرقى وأكرم من وسائل المسلمين عند ما استعمروا الشعوب .

وليس - المسلمين - هم الأتراك مثلا فأجد عذرا ؛ ولكنهم أصحاب محمد بن عبد الله وعمر بن الخطاب . بل القرآن الذي أباح التخريب والتمثيل .

وكان ذلك كله رداً على ما قلته له : من أن الاستعمار لا قلب له ولا ضمير . وأن الحضارة الأوربية الحديثة تستخدم وسائل غير إنسانية في الحروب وغير الحروب .

إن المسلمين صنعوا تلك الشناعات وبعد ما صنعوها جاء القرآن ليبررها لهم ، « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله » ، ولم يرد أن يستمع إلى حديثي عن وصايا النبي للقواد ، ولا إلى وصايا خلفائه الانسانية الرحيمة .

فليكن ! فقد تكون تلك عقيدة يجاهر بها صاحبها ويتحمل تبعاتها ونتائجها ! ثم ماذا ؟

ثم يجب أن تنفى العنصر الاخلاقى من حياتنا . فالحياة لاتعرف العناصر الخلقية ؛ ولا قيمة لها فى الرقى والاستعلاء . هذا والمسلمون لم يكونوا فى أى عصر من عصورهم حتى أيام محمد إلا فساداً فجاراً . وهم الآن فى البلاد المحافظة أفسق وأجور ، ولا عبرة بهذا كله . فقد كانوا أقوياء وهم فساد فجار لأنهم آخذون بوسائل الحياة المادية ، وهم ضعفاء اليوم — مع فسقهم وفجورهم — لأنهم لا يأخذون بوسائل الحياة المادية .

والمعول على هذه الوسائل ، لا على بر أو فجور !

فليكن أيضاً ؛ فقد تكون تلك عقيدة الرجل ، وأنا مستعد أن أستمع لكل عقيدة يجاهر بها صاحبها ، ويتحمل تبعاتها ونتائجها .

وطال الحديث . وأنا — بعد هذا كله — لا أزال معتماً أن أقرأ الكتاب ، فإن وجدت فيه حرية رأى حقيقية وفكرة ناضجة قوية . دافعت عن الرجل ولو خالفته فى فكرته كل المخالفة !

ثم عدت إلى الكتاب . وهنا تحول شعورى إلى استمزاز عميق . هذا رجل يناق يريد أن يطعن الطعنة فى صميم الدين خاصة ثم يتوارى ويتحصن فى الدين وينكر ما قد يفهمه القارىء من بعض النصوص ومن روح الكتاب كله ، وراء النصوص .

ثم هذا رجل يفسط ولا يأتى بشىء «دون كبشوت» جديد يطعن فى الهواء ويحارب أفكاراً لم يعد لها وجود منذ خمسين عاماً على الأقل . ثم هذا رجل يسرق أفكار غيره بالنص ، وينكر أن يكون قد قرأ شيئاً عن هذه الأفكار .

ثم - وهو الأهم - هذا رجل صريخ !

١ - « فطبيعة المتدين - غالباً طبيعة فآرة ، فاقدة للحرارة المولدة للحركة المولدة للإبداع »

« ورجع لتكرار مرة أخرى أن الدين نفسه لا ذنب له ولكن الذنب ذنب النفوس البشرية التي لم تستطع أن توجد التعادل بين الكفتين والتوفيق بين الروحين : روح الدين ، وروح العمل الحياة »

هكذا : طبيعة « المتدين » غالباً طبيعة فآرة فاقدة للحرارة . الخ . ثم « الدين نفسه لا ذنب » وأمثالها في كل موضع كثير : والحديث عن الخلق كالحديث عن الدين ، فهو دائماً ضد العنصر الأخلاقي براه قيداً معجزاً وضعفاً زرياً . ثم يتوارى بعد هنيهة وينكر ما تنطق النصوص .

هذا رجل تنقصه الجرأة على أن يقول ما يريد أن يقول ، وإذن فلا حرية فكر ، ولا خطر على حرية الفكر ! إنما هي دعوة خبيثة ملتوية ضد المتدين ، وبخاصة الاسلام وضد الروح الخلقية في النفس والضمير !

٢ - من من الشعوب الاسلامية الآن يكتفي في مجاهدة الفريين بالدعاء بأن يحرق الله ييونسهم ويديم أطفالهم ؟ الخ

قد تكون هذه بعض دعوات المنابر التقليدية ولكن الشعوب هذه هي نجاهد وتقاوم وتكافح وتثور وتسيل دماؤها في كل مكان . ولكن المثلث لا يرى في المسلمين إلا هؤلاء الداعين على بعض المنابر ويجيء بكتابه ليقول : إنكم جميعاً - سواء - أخطأتم الطريق

بالاقتصار على هذا الدعاء .

وهكذا معظم كفاحه لتصحيح أفكار المسلمين « دون كيشوت »
يطعن في الهواء وينازل الأشباح ، ويحارب الأفكار التي حاربها الزمن
منذ خمسين عاماً أو تزيد

٣ - وفصل ضخم - هو أحسن فصول الكتاب - عن الإيمان
بالإنسان وهو عنوان كتاب للاستاذ عبد المنعم خلاف ، ولا يشك
إنسان في أن مؤلف الأغلال انتفع بهذا الكتاب انتفاعاً كاملاً تاماً ، وليس
في هذا من حرج . ولكن الرجل حينما سمع منى اسم الكتاب أبدى أنه لم
يسمع به أصلاً . . لم أحترم هذا التجاهل ، لأنه ليس سمة الباحثين
المخلصين .

٤ - « نؤمل اليوم أن نحمينا بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو
المحيط المالحق (الغزو الصهيوني) مع انها هما الحصان ! إننا نخدع أنفسنا
كثيراً ونضلها حينما نظن أن في حولنا - لو تخلت هاتان الدولتان - أن
نحمي أنفسنا بقوانا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها ، فالصهيونيون
مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العلمية والصناعية والمالية والفكرية
والدولية ؟ أما نحن فنكاد نكون مجردين من كل ذلك »

وإذن فعلينا أن نبدأ في الاستعداد لحماية أنفسنا وإلى أن نستعد
يجب أن نحافظ على بقاء قوة أنجلترا بجانبنا لتحمينا من الغزو الصهيوني !
هنا راحة ما !

هذا رجل لا يخاف عليه من اعتقال ولا شبق ولا سواهما ، انه رجل

- من ض -

يعرف طريقه جداً فلا داعي للخوف الشديد !

وعلمت أن الاسطوانة التي أدبرت على أذني أدبرت على آذان
الكثيرين واستنهضت بها أريجية الكثيرين ، وقد تحمس الأستاذ اسماعيل
مظهر فكتب كله قوية في الكتلة عن الكتاب . وأنا واثق أنه لم يقرأه إلى
نهايته . وإلا فلن تفوت فطنة الأستاذ اسماعيل أن تتبين في ثنايا الكتاب
شيئاً غير نظيف !

وكنيت بعد هذا كله على نية أن أسكت لولا أن وجدت بدء ضجة
مفتعلة تعطى الكتاب أكثر من قيمته وتصور المسألة في غير صورتها
ولابد أن الأستاذ السوادى وأنا أعرف أريجته - قد تأثر بالاسطوانة
المثيرة ففتح صدر جريدته للدفاع عن حرية الرأى المهددة بالشنق ، لقد
كنت على استعداد أن أدافع عن الرأى المخالف لو وجدت شيئاً ذاقيمة ،
ولو وجدت إيمانا حقيقياً بفكرة ، ثم لو لم اشم هنا وهناك رائحة شئ ما ؛
شئ غير نظيف ؟

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(السُّنَنُ) (الْفُرُقُ)

الحمد لله كما حمد نفسه ، والصلاة والسلام على خير خلقه المصطفين
خصوصاً خاتم المرسلين محمد وعلى أصحابه بدور الهداية وشموس الرشاد
وأهلهم ومن تبعهم على صراطهم المستقيم الى يوم الدين .

(وبعد) فلما ألف علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رسالته المسماة (تنزيه الدين وخملته ورجاله مما افتراه القصيمي في اغلاله)
لم يذكر فيها نصوص كتاب « هذه هي الاغلال » بألفاظها ونصوصها بل
اكتفى بذكر معانيها اختصاراً ، مشيراً إلى أرقام صفحاتها استقذاراً لها
واحتقاراً ، ولكن دعت الحاجة لذكرها نصاً لأمرين (أولهما) قطع
شغب المشاغب وجدل المجادل والمعاقد ، بدعوى أن الشيخ لم يفهم تلك
النصوص فغلط فيها (ثانياً) أن تكون عمدة لمن ليس عنده الكتاب
« الاغلال » في حكمه عليه وعلى صاحبه بنفسه .

وربما زدت شيئاً يوضح غرض الكتاب ومراعى مؤلفه وأهدافه
التي يرمى إليها بعبارة المتنوية ونفاقه المنع وجبنه عن الصراحة والصدق
الذين هما أهم سند الدعاة المصلحين الذين يريدون الخير لأنفسهم وللناس
اجمعين . وهاك نصوص نصوصه وما أردت نقله وردّه .

آخر صفحة ١٥٦ وأول ١٥٧

(ويشهد لذهابه - يعنى النبي ﷺ - فى حب الجمال مذهب الكمال أنه كان دائماً يحتضن الطبيعة ويحنو عليها ويعمل على اجتلائها وعلى الخلوة بها)
فهذا هو فهم الماديين الذين ينكرون ما وراء المادة من عالم الغيب كرب العالمين وملائكته ووحيه لصفوة خلقه وتصويرهم للنسوة والرسالة والوحى السماوى الذى يؤمن به أهل الأديان جميعا وينكره الماديون الدهريون.
لخص الكاتب فكرهم بعبارة مقتضبة مهمة مبرقة - وسيأتى تبسيط فكرته فى غضون كتابه وإسفار وجهها مما لا تحتاج معه إلى استنتاج ، بل نقل النصوص بألفاظها كاف واف للحكم على صراى الكاتب وأغراضه وأهدافه .

ثم وصف خروجه ليلا إلى البقيع لزيارة قبوره ووصف حاله حينئذ فقال (ص ١٥٧)

« انه فى الصحراء انه ينادى الكون والظلام والنسيم والسماء . . . انه يخاطب ماحوله بلغة هى فوق الحروف والالفاظ . إنها لغة تموت عندها الالفاظ والحروف . . انه يرى فى السكواكب فوق الاشراق والارتفاع والنظام والدوام فتمتلىء نفسه الكبيرة بهذه المعانى . ويذهب تصوره لها إلى أن رسالته يجب أن تشرق إشراقها وترتفع ارتفاعها ، وتدوم دوامها ، وتتنظم انتظامها ، انه يفهم من هذا الاشراق والانتظام والدوام ما يرفع عن نفسه الحدود والقيود والعوائق والموانع انه يقفل من هذا المشهد الزائم معتقداً أنه لا شىء يستطيع أن يقف فى طريق الجمال الذى تزود به مما شهد ورأى والذى قفل به ، عن أن يتم وعن أن يأخذ طريقه إلى الوجود ، انه رأى قرأ واحداً وسع نوره الكون ، وشهد

سماء واحدة قد أغلقت الوجود وأنه الآن يرى قلباً واحداً يستطيع أن يتسع للوجود وأن يملأه ضياء وحرارة

انه لا يستطيع فراق الطبيعة لانه لا يستطيع فراق الجمال . . . إن الليل والنهار والظلام والضياء والشمس والقمر والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف والرعد والبرق والغيمة والصحو والرياح والنسائم والجبال والسهول والانهار والغدران وكل النبات والحيوان وكل ساكن ومتحرك ان كل شئ من هذا ليأخذ بلبه وببصره ويلهمه الجمال»

أما وحى السماء ونزول الروح الأمين على قلبه وقرآن منزل عليه من رب العالمين لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله أو بسورة منه ما فعلوا ولن يفعلوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، فهذا كله ليس له موضع في تفكير كاتب الأغلال ولا يستحق قليلاً ولا كثيراً من جهوده وعنايته التي وجهها لتقرير المذهب المادى وتوضيحه في كل مناسبة من كلامه وفي غير مناسبة كما سيأتى ذلك مبسطاً موضحاً .

أول ص ١٥٨

« لقد بدأ رسالته بالخلوة بالطبيعة ومناجاتها فوق غار حراء وختمها بمناجاتها أيضاً وهو في حجر عائشة بينما كان يجود بأنفاسه فلقد كان في تلك الساعة شاخصاً ببصره إلى السماء لا يحوله عنها هول ولا أهل ويقول (اللهم الرفيق الأعلى) ونقول للكاتب : الرفيق الأعلى ليس هو الطبيعة ، وقصة زيارته ﷺ للبقيع كانت لزيارة القبور والسلام على الأموات المؤمنين فيه . وسؤاله الله تعالى الرفيق الأعلى كانت دعاء لله تعالى أن يلحقه بأهل الرفيق الأعلى من

الملا الأعلى في أعلى جنات الفردوس التي هزأ بها الكاتب وبالمؤمنين بها آخر كتابه ، فرويداً حتى تمر به في حينه .

لهج الكاتب بذكر الطبيعة وتفريقها بين الانسان والحيوان (ص ٥٥- ٥٧) وقرر نظرية دارون الطبيعي الانكليزي « أن الانسان متزي عن الحيوانات التي دونه كالقروذ ونحوه » وليس مخلوقاً من تراب وطين مستنون كما أخبر الله بذلك في كتابه ، فقال (ص ٤٧)

« لا محالة من أن نتصور الانسان في بداية وجوده عارياً من كل معرفة كما كان عارياً من كل لباس ... »

واستنتج ذلك من حال الطفل يأتي إلى هذه الدنيا حينها يأتي عارياً من جميع المعارف فقال

« وجاء إلى هذه الحياة - ولا مجال للجدل كيف جاء^(١) - كما يجيء الأطفال اليوم على أحسن تقدير على أن من الواجب أن نعتقد أن هنالك فرقاً عظيماً من حيث الاستعداد والطاقة بين أطفال اليوم والانسان الأول لأن أطفال اليوم يحملون في دماهم تراث الآباء والاجداد كله بخلاف الانسان الأول الذي جاء لا يحمل معه سوى ماورث من منبته^(٢) إن كان فيه ماورث : نعم جاء إلى الحياة كما يجيء أطفال اليوم من حيث التجرد من كل معرفة ومن كل لباس لا يعرف لغة ولا كتابة ولا إشارة دلالة على الكلام »

ثم سار في وصف جهالات الانسان الأول ، وعدم فهمه للأمور

(١) لم يفصح الكاتب بما يعتقد في كيفية مجيء الانسان الأول - أبي البشر

جينا منه عن الافصاح وإن كان قد لوح بذلك تلويحاً هو كالتصريح (٢) يريد أصله الحيوانى الذى ترقى عنه

حواله ، وفزعه من الرعد والبرق والريح ونزول المغار وجريان الانهار .
ورعبه من الظلام ، وتخيله الاشباح المؤذية المهاجمة . الخ إلى أن قال (ص ٤٨)
« فراح يعبد كل ما يرى أو يسمع عبادة ساذجة حقيرة ، فكان الانسان إذ
ذاك يتلخص في شيئين : في الجهل المطلق لكل شيء وفي عبادة كل شيء . متقلب
مضطرب ونعود فنقول مرة أخرى أن أحسن وأصدق صورة ترسم للانسان في
ذلك العهد هو الطفل من حيث العرى من كل لباس علمي وبدني »
ثم سار في شرح نظرية تطوره من الحيوانية إلى أن قدر أن يتفاهم
بالاصوات التي لا مقطوع لها ولا معاني كالأطفال سواء حينما يلحون في
طلب حوائجهم بالبكاء والصراخ فقال (ص ٤٩)

« ثم ترقى بقصد أو بغير قصد ^(١) بأن ذعب يتخذ لنفسه طريقة للتفاهم
والتخاطب أفضل من التصويت المبهم فذهب يتخاطب بالإشارات والحركات -
إلى أن ظفر بعد مالا يمكن تخيله من العناء والمشقة والزمان بما يصح أن يسمى
أول لغة انسانية ذات مقاطع وحروف مثبوتة . . . »
ثم شرح كيف اهتدى للكتابة والصناعات الخ ، بما هو تطبيقي لنظرية
النشوء والارتقاء ، وخروج الانسان الاول آدم الذي خلقه الله بيديه وأسجد
له ملائكته ، وعلمه أسماء كل شيء ، خروجه من نحو القردة لا يفهم ولا
يتكلم ، ويفزع من كل شيء ، ويعبد كل شيء مما حوله . الخ واقرأ من
(ص ٤٧ - ٥٤) من أغلاله

هذا ومنافضة هذه النظرية لنصوص الديانات لا تخفى على من تأملها ،

(١) يعنى ولا دخل للعناية الالهية ولا لهداية الرسل ، فأبن قول الله تعالى (لو لو لا
فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء) (وعلم
آدم الاسماء كلها)

وعرف ماجاء على السنة الرسل كلهم في كيفية خلق أبهم وأينا آدم ﷺ
واسمع كلام أهل العلم الحديث الآن في هذه النظرية على لسان عالم من
علماء الأحياء هو «لو كنت دى نوى» مؤلف كتاب «مصير الانسان» الذى
قرظه الدكتور «روبرت ميليكن» الحائز لجائزة «نوبل» في علم الطبيعة بقوله
«يأتى بالبراهين العلمية على زيف الفلسفة المادية، ولست أعرف أحداً
سبقه إلى هذا، وما من أحد يستطيع حمل هذا العبء ما لم يتمرس بأحدث
مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الأحياء ووظائف الاعضاء.
إنه رجل يبنى للحق في العلم والدين، وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يتيسر
مثله أكثر من مرة أو مرتين في قرن واحد» اهـ

ويقول فيه «ملتون أورشفر» من كتاب صحف أمريكا الشهيرة «منذ
وضع «دارون» نظريته في التطور أخذ الشك في قواعد الدين المسيحى
— قلت: والاسلامى (١) والموسوى — ينتشر وفتن الناس بأن يعدوا
الانسان وليد المصادفة في عالم الأحياء؛ وأن ينكروا وجود الروح وحريتها
في أن تختار بين الخير والشر، وأن يروا الحياة شيئاً لا غرض له ولا معنى،
وأصر أهل الشك أن العلم قد صرع الدين

«يبد أنا نسمع اليوم صوتاً جديداً. صوت عالم ينادى بأن العقائد
القديمة صحيحة كلها، والداعية الجديد إلى الايمان بالله هو عالم من علماء الأحياء

(١) مع الفارق الكبير، ان الشك الذى ترتب على نظرية دارون في الدين
الموسوى والمسيحى كان عاماً أو شبه عام، أما في الدين الاسلامى فكان خاصاً ببعض
مقلدة الغرب من المسلمين (غ)

اسمه الدكتور «لو كنت دى نوى» وقد كان من قبل أحد علماء معهد رو كفلر ومعهد «باستور» وقد كشف فى كتابه العجيب (مصير الانسان) عن نظرية جديدة للتطور ، وحاول من طريق العلم والمنطق أن يثبت ما كان مثاراً للجدل من المعانى السامية التى تافت اليها نفوس البشر منذ أول عهدهم بالحياة كحرية الارادة ومعنى الحياة والخلود ، ووجود الله سبحانه وتعالى ، فيجعلها حقائق لا مراءاة فيها

« يستهل عالم الاحياء «دى نوى» كتابه باعترافه بأن العلم عرضة للخطأ فينبغى لنا أن نتق به ثقة عمياء ، فليس فى هذه الدنيا شىء نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة : وخواسنا الخمس يشوبها نقص ، وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال فى دقتها (تأمل)

« وليس فى طاقتنا أيضاً أن نعرف الحقيقة ، فاذا مزجت الدقيق بالسناج (١) كان لك منعها مسحوق أغبر : فلو سارت حشرة دقيقة بين حبيبات هذا المسحوق الأغبر لكانت هذه الحبيبات فى نظرها صخوراً ضخمة بيضاء وسوداء ، فلا وجود لهذا المسحوق الأغبر كما نراه نحن فى تقدير هذه الحشرة : ونحن نعيش فى كون لا يحيط به إدراكنا ، فكل رأى نراه فى شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبي فى هذا الكون الجبار (تأمل) نجد العلم يعيث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ، ولكن المهاوى التى تفصل بين ما نعرفه من الحقائق إنما هى مهاو رحبة عميقة ، ونحن نعيش على كرة عمرت حوالى أثنى مليون سنة وعلى هذا المسرح العظيم تمت روائع التطور ولكن

(١) الهباب أو غبار الفحم أو الدخان

كيف رفع الستار عنها ؟ لقد استحال علينا حتى اليوم أن نعرف معرفة دقيقة كيف بدأت الحياة ؛ بل لا نرى أحداً قد تمكن من أن يشرح لنا أصل الحيوانات الفقارية التي ننتمي نحن إليها (اسمع)

إن تاريخ التطور كله مشوب بالأسرار الغامضة ، فكل خطوة كبيرة خطاها الأحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنواميس الاحتمال العلمي المحكمة . وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاء بعيد الاحتمال

خذ - مثلاً - تلك اللحظة التي بدلت فيها الحياة نهجها في التناسل ، فقد صرت ملايين من السنين وخلايا « البروتوبلازما » تتكاثر بالانشطار كأن فيها حياة خالدة (١) ثم ظهر فجأة أسلوب جديد ، فذ في التناسل - هو الزواج - ومن أدعى الأمور إلى العجب أن الموت (١) جاء قريباً للتناسل الجنسي حين طرأ هذا التناسل على الحياة

إلى أن قال : إن الثلوج التي تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وأنهاراً متدفقة وهي في طريقها منحدرية إلى البحر ، وهي تنحدر استجابة لناموس لا يرد وهو « ناموس الجاذبية » أما في التطور فإن الحياة لم تنحدر إلى أسفل بل ترفعت صعداً يستحثها ناموس لا يرد كناموس الجاذبية

(١) يرى بعض علماء الأحياء أن البكتريا أو الجراثيم لا تموت لتكاثرها بالانشطار كل جرثومة تنشط إلى جرثومتين وهلم جرا . فلوهيأت لها الظروف لظلت تنشط هكذا إلى الأبد ، ويغفلون عما تمت (لو) هذه من القيود الهائلة : فإن البكتريا تموت إذا جفت وبالتعقيم وبالحرمان من الغذاء . هذا إلى أن كل شطر من الاضطراب ليس هو عين البكتريا قبل الاضطراب . فالقول بخلود البكتريا قول بعيد عن الدقة كما ترى (غ)

ومنذ كان العالم صعدت الحياة في هذا المعراج فبدأت مادة لا شكل لها،
ومضت غلوًا حتى صار إنسانا له عقل وضمير

فهل عمى العلم عن الينبئات التي تدل على التهج والنظام في التطور ؟
كلا فان الحياة في رقيها المتواصل كثيراً ما خالفت نوااميس الاحتمال الثابتة
حتى لندى أبشده الماديبن عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة ..

ولم يكن للماديبن بد من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة لكي
يتمكنوا من أن يدخلوها في نطاق تفكيرهم . ولما كانت جوانبهم منطقية
على نفور من اسم الله وصفوها بقولهم «عدو المصادفة» وما داموا يعترفون
بوجودها فليس سموها ماشاءوا . وقد ظلت الحياة تعمل ألف مليون سنة
إلى أن صار الانسان مخلوقاً مفكراً وهي خاضعة لسيطرة حافظ أصيل هو
حافظ البقاء ، ثم ظهر خالق جديد من البشر ظهر أنه خاضع لقوة جديدة
— فكرة الخير والشر — التي يبذلون المهج في سبيلها . ثم يقول « من
الواضح أن زمام التطور في المستقبل سيكون في أيدي الاخيار من الناس ،
ولكن ماهو الخير وماهو الشر ؟ أما الماديبن فينكرون وجودا لخير والشر
وأما « دى نوى » فلا يكتفى بتوكيد وجودها بل يرمى إلى تعريفها أيضاً
— إلى أن قال — فالخير ينبغي أن يكون أيضاً احتراماً للشخصية البشرية ،
والشر هو ما كان احتقاراً لها

وإذاً فينبغى أن لانيأس إذا كان الاخيار ندرة في هذه الدنيا ، فان
هذه القلة هي التي ستسير بالارتقاء قدماً شأنها اليوم كشأنها في ملايين
السنين وهذه القلة سوف تكون طليعة سلالة جديدة ، وأسلاف

الانسان الذى بلغ كمال النمو الروحاني - إلى أن قال
« إن كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثة كأنها دلائل
الحضارة الحق . بيد أن مثلنا الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر
لا راحتهم . أساء البشر الاختيار بين الخير والشر ، فالعقل يشير بالمطابقة
للمألوف والملاءمة والتراضى . ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطور ؛ وانك
لا تجد في تاريخ البشر رجلاً ذهب شهيد الرأي المتزن . ولذلك ترى الذكاء
وحده خطراً ، فهو وحده الذى صنع القنبلة الذرية ، وإذا الناس يدركون
أن ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامتهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ
الاخلاقية مسألة موت أو حياة للناس
ومما يؤسف له أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الانسان
حيواناً راقياً لا أكثر ، ولذلك نراهم لا يثبتون سوى حلول حيوانية
لمشكلات البشر .

وضرب مثلاً بسياسة الطغاة الذين يخذلون الناس ويعبثونهم
كالخشرات .. ثم قال « ومن هنا ترى الرجل الذكي محيراً لانه لا يستطيع
أن يدرك الله الذى لا تدركه الابصار على صورة يفهما : أهو جبار ذوولية
على صورة الانسان ؟ ففي هذا العصر عصر العلم يسهل الرد على السؤال ،
فمن ذا الذى يستطيع أن يتصور الالكترون (١) وكل عالم يقول لك : إن
الالكترون شيء لا يمكن تصويره ، ولا يسمعك أن ترسم شكله وليس ثمة
رجل قد رآه ، فالالكترون الذى لا يرى موجود وإن تمذر علينا أن

(١) هو الكهربي أو ذرة الكهربائية السالبة

تصوره؛ فما ظنك بالله الذى لا تدركه الابصار، والذى ليس مثله شيء..
« إننا نعرف قوانين الأخلاق وفى وسعنا أن نلتزمها، وأنهم من هذا
نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم،
فالكفاح من أجل المستقبل ينبغي أن يبدأ فى المدرسة، لأن التعليم سلاح من
أساحة التطور، ونحن نرى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدى
أما الأخلاق التى لا غنى عنها فيمرون بها صر الكرام، فكأنك
تعلم الزراعة أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الأرض،
فلم لا يفكر أحد فى تعليم الخلق للصغار؟ إن العالم كله يدرك حقا عظمة
المزايا التى تعود عليه يوم يكون أكثر السكان فى الدنيا أهلا للثقة بهم
إن ناموس التطور اليوم كما كان منذ الأزل كفاح نحو العلا والكفاح
لم يفقد شيئا من حدته وعنفه لأن ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح، وفى
البشر نفحة من روح الله، ونحن أحرار فى أن نهملها ونخمدوها أو أن نقرب
من عرش الله بما نبديه من رغبة فى طاعة أمره »
انتهى ما أردت نقله مما خصه عدد المختار (مايو ١٩٤٧) من كتاب
(مصدر البشر) للكونت « دى نوى »

وقد استفدنا منه أنه ليس فى طاقتنا أن نعرف الحقيقة، وأن العلم (١)
عرضة للخطأ، فينبغى أن لا تثق به ثقة عمياء، فليس فى هذه الدنيا شيء

(١) يراد بكلمة العلم فى لسان أهل العصر واصطلاحهم: الإنكار والآراء التى
تثبت بالتجربة والاختبار العملى كالكيمياء والطبىة والميكانيكا، ويخرجون
من ذلك علوم الدين وكذلك علوم الرياضيات والفلسفة

نستطيع أن نعرفه معرفة كاملة مطلقة ، فحواسنا الخمس يشوبها نقص ،
وأدواتنا العلمية لن تبلغ الكمال في دقتها ، وأتينا نعبش في كون لا يحيط به
إدراكنا ، فكل رأى نراه في شأن الحقيقة إنما هو رأى نسبي ، وإنه في
هذا الكون الجبار نجد العلم يعبث بأجزاء ضئيلة من المعرفة ولكن المهادى
التي تفصل بين ما نعرفه وبين الحقائق إنما هي مهو ورغبة عميقة

وإن تاريخ التطور كله مشوب بالأمرار الغامضة ، وإن كل خطوة
خطاها الأحياء إلى الأمام قد تمت على رغم مناقضتها لنوااميس الاحتمال
العلمي المحكمة ، وكل تقدم من أدنى إلى أعلى كان ارتقاء أبعد الاحتمال
واستفدنا منه أيضاً أن المثل الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر
لا راحتهم كما يظن كثير من الناس أن المخترعات الحديثة هي دلائل
الحضارة ، وأن الذكاء وحده — يعنى بدون الأخلاق والضمير — خطر ،
فهو الذى صنع القنبلة الذرية فأدرك الناس من ذلك أن ظفر العلم يهدد أمنهم
وسلامتهم ، فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ الأخلاقية مسألة موت أو
حياة للناس فإن أحيوا أخلاقهم عاشوا بسلام

واستفدنا أسفه أن هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الإنسان
حيواناً راقياً لا أكثر . وقوله إنه يجب أن نعرف قوانين الأخلاق وأن
نلتزمها . وأهم من ذلك أن نرجع إلى المادة القديمة ، عادة تهذيب الشباب
وتقويم أخلاقهم ، وأن يبدأ ذلك في المدرسه ، وذلك بالتزام الخلق والدين .
وتألمه من حشو عقول الشباب بتفاصيل لا تجدى ، وأما الأخلاق التي لا غنى
عنها فيمرن عليها من الكرام كتعليم الزراع أن يزرعوا الأزهار ون

تعليمهم كيف بحرثون الارض للحبوب والثمار ، واستقهم منكراً لم لا يفكر أحد في تعليم الصغار الخلق ؟

وجزم قائلاً : إن العالم كله ليدرك حقا عظيمة المزايا التي تعود عليه يوم يكون أكثر سكان الدنيا أهلاً للثقة ، يعنى بالأخلاق الطيبة التي معدنها الدين والايان بالله تعالى

فلاستفدنا منه جملة عدم الغرور بما يسمونه العلم ، والعناية والثقة بالدين والأخلاق ونشرها بين الناس خصوصاً الشباب حتى يكون للناس مستقبل زاهر بالأمل والثقة والارتقاء والسلام والصفاء (١)

فتأمل هذا كله ثم ارجع إلى ما فتى به صاحب الأغلال إذ اغتر بالفتات الذى وقع عليه من آراء المتخربين فى هذا الكون الرحب الفضاء الغامض الأسرار ؛ فأعجب بها وحقر من أجلها الدين والخلق والعمل الصالح والايان بالله واليوم الآخر والقدر والملائكة الخ . وأخذ يهزأ بذلك وبالمؤمنين به بسخرية تدل على العجب والزهو وقصر النظر كما سترى ذلك فى كتابه فى مواضعه إن شاء الله تعالى

ثم أعاد الكاتب صاحب الأغلال نظرية تطور الكائنات من المادة السديمية الدخانية إلى التجمع وتكوين الشمس ثم السيارات ثم الأقمار —

(١) واستفدنا قبل ذلك وفوق كل ذلك استدلال (دي نوى) على وجود الله بنفس التطور الذى ضل به من ضل ، وباتخاذ من الكهيب دليلاً على خطأ من أنكر وجود الاله حين لم يستطع تصويره فان الكهيب موجود ولا يمكن تصوره لانه تارة يكون موجياً وتارة مادياً كما يبدو من التصوير الضوئى لآثاره (غ)

كل ذلك بطبيعة المادة وقوانينها (ص ٢٨٧ - ٢٩٠) إلى أن قال (ص ٢٩٠) « أما الإنسان فليس هناك شك في أنه كان منذ ثلاثمائة سنة (يريد ثلاثمائة ألف سنة فسقطت لفظ ألف كما صرح به في صفحة ٢٨٨) دع أكثر من ذلك أضعف منه اليوم أجساماً وعقولا ومعارف (يعني أنه كان في الحالة القردية أو ما يشبهها) وليس هناك من يرتاب في أنه في هذه الثلاثة المائة [الألف] السنة قد تحسن من ناحيته الصورية ومن ناحية التفكير ومن ناحية القوة البدنية تحسناً عظيماً »
يعني بتحسّن صورته أنه صار منتصب القامة لا شعر على بدنه ، بعد ما كان يمشي على أربع ، مغطى البدن بالشعر ، ذا مخالب وأنياب بارزة حادة ثم صار إنساناً مفكراً متكلماً بعد ما كان حيواناً أعجم . ثم استدل بتطور الحضارة على تطور الإنسان وبقوله تعالى (وقد خلقكم أطواراً) غير ملتزم بما قاله بعض الشيوخ في تفسير الأطوار قال :

« وانما نطلق ما أطلقه الله وأن نحمله على أحسن الوجوه »

يعني نظرية تطور الإنسان من حيوان قرد أو شبيه به إلى إنسان آدمي . وأما النصوص في الديانات كلها في خلق الإنسان الاول (آدم) من تراب ثم من صلصال كالفخار ثم نفخ الله فيه من روحه ، فلا وزن لها عند الكتاب ولا قيمة له فضلاً عن الأحاديث كحديث « خلق الله آدم طوله ستون ذراعاً في السماء وأن الصالحين من ذريته يدخلون الجنة على أحسن صورة كصورة أبيهم آدم » الخ وتشريف الله لآدم بخلق يديه ، وتعليمه أسماء كل شيء وإسجاد الملائكة كلهم له

وقد سمعت كلام أحد العلماء المصريين صاحب كتاب (مصير الإنسان) ورأيه في نظرية التطور ، وفيما يسمونه العلم وعدم الاغترار به ، وان

التطور جرى على نهج لا مجال للعلم به . الخ.

قول الكاتب « إن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين ويضعفهم ، وأنه يجب عليهم ترك ذلك ، وأن التوكل على الله هو العلم بنظام الطبيعة ، وكذلك الإيمان بالقضاء والقدر (ص ٢٧ ، ٢٩٠ ، ٢٦٨ : ٣١٥) في آخر (ص ٢٦) وأول ٢٧ يقول :

« إن الشعوب تمتاز بالإيمان بالترء الانسان الطبيعى ولهذا تحاول الظفر ككل شئ ، والوصول إلى كل شئ ، والتغلب على كل شئ . . . وتنقل الانسان في وجوده وحقيقته من طور إلى طور أعلى وأرقى . . .

ثم مثل بالاغريق والرومان والمصريين القدماء والعرب وأوربا الحديثة وأمريكا طبعاً وغيرهم

« ممن أوجدوا التاريخ الانسانى وصنعوا الحضارات - على أقدار مختلفة متفاوتة - بفيض من هذا الايمان »

« وكل شعب يكفر بالانسانية - الانسانية المطلقة انسانيته هو وإنسانية غيره - ويكفر بمواهبها وثرواتها الذاتية الطبيعية ويؤمن بأنها مقيدة بقيود وحدود لا تتعداها ولا تتخلص منها وإنما ليست مطلقة القوى وليس متروكاً لها الطريق ، الطريق الذى ليس له نهاية تحده ولا غاية تلزمه الوقوف عندها - لاحالة أن تفتر همه ويضعف عمله وأن يقف عاجزاً عن التحليق في سماء اللانهاية وأن يرضى من زمنه بالتافه الحقير والنصيب اليسير »

وفي آخر (ص ٢٨ وأول ٢٩) يقول

« فالأسم والرجال الذين وثبوا استازوا كما ذكرنا بهذا الايمان والأسم والرجال الماجزون القاعدون - وكذلك الاطفال لم يرزقوا هذا الايمان بل رزقوا

- وأخبت به رزقاً - بالاعتقاد اللازم المسيطر بأن الإنسان خلق عاجز محدوداً مبيناً حقيراً لا قدرة له على التحكم في الطبيعة القاهرة الغالبة، ولا يد له تستطيع الامتداد إلى تغيير هذا العالم الذي أوجده الله ولا إلى تغيير صبغته التي صبغها الله بها ثم مثل بالفقر والمرض والبطالة والجذب والجهالة والاخلاق والاستقلال والسيادة الوطنية وكل مشكلة، وإن هذا الفريق - يعنى المؤمن بقدر الله - ليس أهلاً لحل مشكلة منها .. إلى أن قال (آخر ص ٢٨ وأول ٢٩)

« وما عليهم إلا أن ينتظروا من الله أن يضعها لهم كما يشاؤون ويشتهون وكل ما يجب عليهم في هذه الحالة أن يطيلوا الدعاء والبكاء وأن يصدقوا الضراعة والمسكنة وأن يحملوا الانتظار . . . أولئك الذين يريدون كل شيء من السماء ومن الآلهة المتعددة الأخرى أما هؤلاء فيعلمون أن عليهم أن يرجعوا إلى أنفسهم وأن يعملوا عليها وأن يطلبوا منها كل شيء، وأن في استطاعتها أن تهبهم ما فقدوا وما احتاجوا فيبدعون في الأعمال ويسرون في الطريق . أما أولئك فقصاراهم النحيب والدعاء المذل ثم الانتظار الممل . .

ومعلوم أن الدعاء أضعف وسيلة يلتجئ بها عِدو عدوه بل أنه ليس بوسيلة وليس له من فائدة سوى أنه يقوم بعملية تعويض (لعله يريد تعويق) وتصريف خبيثة (رمثل بخطباء الجمع) الذين يقرعون مسامعنا كل يوم جمعة بهذه الضراعات الكاذبة والابتهالات الوقحة الدلية داعين على الآخرين سائلين الله أن يسقط عليهم السماء أو يخفف بهم الأرض . . . ولكن الله لن يصنع ذلك أبداً

(وفي ص ٢٦٨ يقول) « لست أريد أن أقول إن التوكل هو الإخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله قد يدخل فيها فيجعلها إن شاء أسباباً ويجعلها إن شاء غير أسباب أو مع الاعتقاد بأنه تعالى قد يفعل من غير الأسباب فإن هذا هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها »

فليعلن غوستاف لوبون في قبره فقد وجد له خليفة ينق بأصواته

الحق في كتابه (الآراء والمعتقدات) من إنكار القدر والرب ؛ وما وراء الطبيعة والمادة والملائكة ، وليس ثم موضع بط دماسله وذكر عباراته بنصوصها وأرقام محالها ، ولعل لذلك فرصة أسنح وأوسع .

« فالإيمان بقدرته يوجب بأن ما جعله سبباً لشيء فسيبقى كذلك . لن تبطل سببته بحال ولن يوصل إلى ذلك الشيء بشيء آخر غيره ويوجب الإيمان بأن ذلك الشيء الذي جعله سبباً لن يوصل إليه بدونه فيوجد السبب يوجد المسبب وبفقدته لا يوجد »

وقال في ص ٢١٥ وص ٢١٦ بعنوان (مشكلة لم تحل)

« فالمشكلة التي ما أنان أحداً قد درسها دراسة صحيحة وافية هي ان فكرة التدين قائمة على الإيمان بسبب ترجع إليه جميع الأسباب لأنه هو خالقها المهيمن عليها ، المتصرف فيها كيف شاء وهذا السبب الذي هو سبب الأسباب أي الله على اختلاف كبير بعيد بين أصناف المتدينين فيه وفي حقيقته - لا يحتاج هو إلى سبب في وجوده وقيامه بنفسه وفي فعله وصنعه فاذا وصلوا إلى الإيمان بهذا السبب وإلى الإيمان بقدرته الكاملة التي لا يعجزها شيء ولا يسند عن سلطانها وقبضتها أمر شكوا في الأسباب الأخرى التي هي دونه والتي هي من خلقه وصنعه . وإذا ما صاروا إلى هذا الشك في الأسباب تراخوا فيها وفي الأخذ بها وفي العمل على اتقانها والتعويل عليها وحينئذ تصاب قواهم كلها بالضعف وبالعجز عن الابداع والتبريز وعن الانتاج والعمل البارع العظيم فإن الإنسان لن يكون سببياً محضاً إلا متى آمن بأن هذا الوجود كله مربوط بأسباب آلية طبيعية تسير إلى نهاياتها وتنتجها سيراً آلياً طبيعياً ليس لقوة من القوى أن تقف في سبيلها وأن تتحكم في نهايتها وهو - أي الإنسان - لن ينجح النجاح المرجو إلا إذا كان سببياً محضاً فالإيمان بسبب الأسباب - يعني الله تعالى الرب الخالق - يمنعه على حسب ما تصور وبلغ - من أن يكون سببياً وشهدم كونه

سببياً يمنع من النجاح - هذا هو كل ما استطاعت مدارك البشر الدينية أن تبلغ وأن تعرف ، تلك لعمر الله هي المشكلة الحقيقية الكبرى التي لم يوجد لها حل حتى اليوم »

« وقد يقال بعبارة أخرى - على حسب تصور المتدين - الأسباب إما أن تكون كافية للآخذين بها أو غير كافية فإن كانت كافية فأين الإله وأفعاله وألطافه ؟ فهي إذن غير كافية وإن كانت غير كافية فهي إذن غير خليفة بأن يعول عليها المؤمن تمويلاً صحيحاً ولا أن يلتفت إليها ومن هنا يصبح غير سببي » اهـ

وأقول أنا محمد بن عبد الرزاق حمزة - هذه لعمرى هي فلسفة القرن الثامن عشر وما قبله وما بعده إلى نصف التاسع عشر ، فلسفة الحاد والكفر والدهرية لخصها غوستاف لوبون في كتابه الآراء والمعتقدات ومنه استقى الكاتب فعب منها ونهل ، وقاءها في أغلاله دما وصديدا من قرحات باطنه وقلبه . وسأفرد مقالا للجمع بين الأصل وفرعه من كتاب غوستاف وكتاب الأغلال ان شاء الله تعالى . ولا بأس بسوق نبذة منه على سبيل النموذج حتى لا يظن اتهامه بغير بينة من كلامه .

قال في كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩

« ومع أن علم الحياة الحديث أصاب في نقضه مبدأ علة العلل - يعني الخالق سبحانه - فالتنازى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ - يعني إثبات واجب الوجود الخالق سبحانه - يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التي أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة في الكون »
أقول : لا تقدر ولن تقدر مادامت تنكر أشرف ما في الوجود وأعلى ما فيه وعلاه الروحية وخالقه الأكبر سبحانه وتعالى

ثم قال (ص ٤٧) « لا أهمية لارتباط الاشياء والحوادث ببعض عند أولى النفوس الدينية ؛ فالارتباط المذكور في نظر هؤلاء إن هو إلا أمر يختص بموجودات علوية نعالى عزائمها فقط »

وقال (ص ١٤٨) « لعل أهم ثورة ظهرت في عالم الفكر هي الثورة التي أدى إليها العلم بآبائاته ان الحوادث تصدر عن نوااميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة ؛ إذ بهذا الاكتشاف تبدلت الكيفية التي تنظر بها إلى الكون دفعة واحدة ؛ وهذا الاكتشاف العظيم الذي أخرج الناس من دائرة المعتقد إلى دائرة المعرفة لم يعم بعد ؛ إذ أن كثيراً من الناس يعتقدون أن قوى ما بعد الطبيعة تسيّر الحادثات وتقدر على تغيير مجراها عند ما يستغاث بها إلى أن قال : والانسان بتركه مبدأ الوجوب في تسلسل الحوادث يعود إلى المبدأ الذي قضى عليه بعد عناء كبير والقائل إن مصدر الحوادث هو الآلهة ذات الأهواء ، فلو أن الحادثات التي يخبر بها أولو الكرامات في الوقت الحاضر ، مكنة لتفهم العلم طائعا إلى قرون الاساطير حيث مصير الحروب بيد الآلهة — إلى أن قال :

إن نفس الانسان الدينية تهيم عليه في كل وقت فترغمه على الالتجاء إلى ما بعد الطبيعة وإن كان البحث الدقيق في خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت في نفوسنا » الخ اه
وليس هنا موضع مناقشة هذا الجاهل في دعواه إن علم الحياة نقض مبدأ علة العلل ، ولا أن خوارق ما بعد الطبيعة أوهام ، وان نقي وجوب تسلسل الحوادث يرجع بنا إلى عصر الخرافات ؛ وإنما قصدنا أن نريك

أصول كتاب صاحب الاغلال ومادة ارتوائه واستقائه ومادة تفكيره التي انتقضت برمتها، وانقلبت رأساً على عقب، وصارت تفكير المعجزة عند مفكرى القرن العشرين، وكاتبنا هذا وأمثاله استقوها من كتب غوستاف لوبون وأضرابه كما رأيت، وسنقل بطلانها والضحك من مفكرينها عن أقطاب العلم في هذا العصر الحاضر مثل السير جنز العالم الرياضى الطبيعى الفلكى الانكليزى من كتابه (الكون الغامض) ومثل الاستاذ مصطفى مشرفة باشا عميد كلية العلوم بجامعة فؤاد الاول من محاضرة له نشرت في المقتطف. ومن رسالته «النسبية الخاصة» مما يدل على تلاقى آخر سير العقلاء ونهاية سبلهم مع ما جاء فى الدين من أن الله هو الفاعل المختار لا تحكمه أسباب ولا تتحكم فى فعله نواميس، وليس العالم مسيراً بعلم طبيعية آلية كما قرره هذا المأفون الناقص الفهم والاطلاع تبعاً لمقلديه وأصنامهم، فيتوافق العقل الصريح والدين الصحيح كما قال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أَوَلَمْ يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) وقال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقال (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) (إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون)

جاء فى محاضرة للدكتور مشرفة باشا عميد كلية العلوم الآن بعنوان

(الاضافات الحديثة) (العلوم الطبيعية وأثرها في تطور الفكر الحديث) نشرت بمقتطف يوليو (١٩٣١) ابتدأها بتصوير تطور الفكر عند الانسان في مختلف أطواره من طفولة إلى شباب إلى كهولة ، ثم خلاص من ذلك إلى تشبيه تطور العلم عند المجتمع بتطوره في الفرد ثم قال « فالتفكير العلمي إذاً حي متطور تؤثر في تطوره الخبرة العالمية ، أو بعبارة أخرى الاضافات التي يضيفها العلماء إلى المعرفة البشرية . ثم قال :

« ونحن اليوم — أيها السادة — نعيش في عصر يشهد تطوراً عنيفاً في التفكير ، بل انقلاباً بليغ الأثر في مجملنا العقلي ، فوجهة نظرنا اليوم نحو ما يحيط بنا من الكائنات تختلف اختلافاً ينفياً عنها في أواخر القرن الماضي بل تكاد تناقضها مناقضة صريحة »

ثم ذكر أن سبب هذا التطور الاضافات العلمية إلى العلوم الطبيعية في نحو ثلث قرن كما سيصفها . ثم استحسن أن يلقى نظرة على موقف العلوم الطبيعية وحالة التفكير العلمي في أواخر القرن الماضي فقال « الكون آلة »

ثم شبه فلسفة القرن الماضي بفلسفة رجل ناجح في عمله راض عن فلسفته مؤمن بنفسه ثم تلخص فلسفة العلوم الطبيعية في آخر القرن الماضي بقوله « فالكون مؤلف من المادة المحسوسة التي نراها ونلمسها وهي موزعة في الفضاء الذي يحيط بنا ونحكم بوجوده بالبداهة ، ثم ان الاجسام المادية تتحرك في هذا الفضاء بناء على قوانين ثابتة كشف عنها وطبقها الرياضيون وعلماء الفلك فحصلوا على نتائج ضرب بها المثل في الدقة والضبط - إلى

أن قال - فالكون إذاً في نظر علماء القرن التاسع عشر هو آلة هائلة تستغل طبقاً لقوانين ثابتة ، هذه الآلة مصنوعة من المادة التي لا تقبل الخلق ولا الفناء .

وتقوم بالمادة أو ترتبط بها حالات كالحرارة وما أشبهه هي مظاهر لشيء واحد هو الطاقة والطاقة كالمادة لا تقبل الخلق ولا الفناء . ومهمة العلم هي معرفة القوانين التي تنظم سير الآلة وترتبط الطاقة بالمادة ، والعلماء جادون في هذا السبيل يضيفون القانون تلو القانون .. فإذا استمرت الحال على هذا المنوال فلا شك أن الإنسان سيصل إلى معرفة أسرار الكون فيهيمن عليه ويسيطر على أجزائه

مواطن الضعف

ثم ذكر ما حيرهم في الضوء الذي ينتقل في الفضاء العادي من المادة ، فهو إذاً مستقل عن المادة قائم بذاته لا يمكن أن يوصف بأنه حالة من حالات المادة .

ومثله الحرارة وإشعاعات أخرى ، فليست هي كالحركة هذه الأشعة الضوئية والحرارية وغيرها حيرت ألباب العلماء في أواخر القرن التاسع عشر وناقضت فلسفتهم مناقضة صريحة . فالتجأوا إلى فرض وجود نوع مستحدث من المادة سموه الاثير لكي تقوم به هذه الأشعة وهو ليس بالمادة التي نعرفها ؛ إنما له خاصية أساسية من خواص المادة هي التكيف حتى يصح أن تقوم به حالة كالضوء والحرارة . ثم خُص الموقف في أواخر القرن الماضي المادة ذلك الجوهر الذي لا يقبل الخلق ولا الفناء ، والطاقة عرض

يقوم بالمادة ولا تتصور وحدها عارية عن المادة ، والزمان والمكان بديهيان
ثم هناك فوق هذا كله القوانين الطبيعية ، وهى التى تنظم حركة المادة وما
ينشأ عنها من التغيرات ، كما أنها ترتب أمور الطاقة أيضاً وأهمها قانون بقاء
المادة ، ويليه فى خطورة الشأن قانون بقاء الطاقة ثم قوانين نيوتن فى الجاذبية
ثم قال « وهنا أصرحكم القبول بأن وجهة نظر العلم اليوم : » فى هذه
الفلسفة تشبه وجهة نظر الرجل إلى فلسفة الطفل فى حياته ثم وصفها لـ كعبه
وهى أهم شئ عنده فى الوجود ، والمنزل والخدمة والطاهى والأطفال الذين
يلاعبهم وقواعد اللعب التى يتبعها والام والاب
فما هى الخبرة التى اكتسبناها والتى حولت نظرنا إلى الأمور عما
كانت عليه فى أوائل القرن؟

الحقائق المقلقة

أولاً - إذ علمنا تركيب المادة فالذرات التى تتركب منها جميع المواد
انحلت إلى الالكترونات والبروتونات التى هى كهرباء خالصة ، فانقلب
الموقف فصارت المادة حالة تقوم بالكهرباء بدلاً من أن الكهرباء حالة تقوم بالمادة،
والالكترونات والبروتونات (١) تنشئت كالضوء إذا مرت فى ثقب
ضيقة فهى ذات خاصية موجية كأنها مؤلفة من أمواج كأموال الضوء كما تنبأ بها
« دى بروى » العالم الفرنسى سنة ١٩٢٦ وحققها عملياً طمسون وجرمرو وغيرهما

(١) الالكترون السكهرب السالب . والبروتون الأبيىب الموجب أو
نواة ذرة الهيدروجين ومنهما تتكون ذرات بقية العناصر : نواة فى قلب الذرة
تدور حولها كهرباتها الخاصة فى أفلاك كأفلاك السيارات حول الشمس

فالمادة إذاً قد فقدت جوهريتها وصارت كالضوء عرضاً يقوم بغيره
لا جوهرأً مستقلاً بذاته . ثم شرح كذلك زوال قانون بقاء الكتلة ، فجميع
الأجسام تتغير كتلتها بتغير سرعتها

« ولم يقف الحد عند الكتلة والطاقة بل تمدها إلى الزمان والمكان
فقد أصبحا في نظر علماء الطبيعة ظليين زائلين لا إطلاقاً لحقيقة وجودهما »
ثم شرح ذلك وضرب له الأمثلة توضيحاً وأشار إلى نظرية أينشتاين التي
تخلط الزمان بالمكان

« الحالة الآن »

« والآن وقد اختلط الزمان بالمكان وزالت معالم المادة واختلطت
بالنور ماذا تظنونه حادثاً للقوانين الطبيعية . ان الزمان والمكان لا يسمحان
لي بشرح هذه النقطة الشرح الذي تستحقه ولكن سأذكر لكم وجهة
النظر الحالية

اننا نقسم القوانين الطبيعية إلى قسمين . قسم نسميه القوانين
الاحصائية وهي لا تعبر إلا عن قوانين الصدفة والاحتمال أمثال قانون
بويل للغازات ، فها هو إلا نتيجة وجود عدد كبير من جزيئات الغاز في
اضطراب مستمر بحيث لا نظام إلا نظام الصدفة . (القسم الثاني) نسميه
القوانين التطابقية ومثاله القانون الذي اكتشفه جفا في الحكاية المشهورة
فأنه كان يسوق عشرة حمير فوجد انه إذا ركب واحداً منها ثم عدها كانت
تسعة وإذا نزل ومشى ثم عدها كانت عشرة وهكذا اكتشف جفا قانوناً
من القوانين الطبيعية لا يختلف في كنهه عن كثير من قوانين الطبيعة

وربما كان خير وسيلة لختام محاضرتي ان أقرأ على حضراتكم ترجمة ماختم به السير « جيمس جنز » كتابه (الكون الغامض) .

قال : لقد حاولنا أن نبحث فيما إذا كانت العلوم الحديثة عندها ما تقول عن مسائل صعبة وربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العقل البشرى ولا نستطيع أن ندعى أننا أكلنا أكثر من بصيص ضئيل من النور وربما كنا واهمين تماماً في لمح هذا البصيص فأننا ولا شك قد اضطررنا أن نجهد أعيننا إجهاداً عظيماً قبل أن نظفر بشيء ما ولذا فليس مغزى كلامنا أن العلم عنده قول فصل بل بالعكس ربما كان خير ما نستطيع أن نقوله « ان العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال فان نهر المعرفة قد تخرج في اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لا يسمح لنا أن نحكم بالناحية التي فيه امصبه . اهـ

هذا ما أردت تلخيصه من محاضرة الأستاذ مشرفة باشا عميد كلية العلوم وقد أطلت في تلخيص المحاضرة المذكورة لما فيها من بيان حال التفكير في القرن الماضي وهو الذي حشا به القصص كتابه « الاغلال » مبعجها به يريد هدم الدين والأخلاق بذلك وقد وسع الأستاذ مشرفة باشا بأنه كفلسفة الطفل ولعبه بالنسبة للرجل العاقل عند مفكرى القرن العشرين وإن قوانين الطبيعة التي يريدنا القصص أن نكفر بالله واليوم الآخر لأجلها كما كفر بسببها من قبل غوستاف لوبون ما هي إلا كحمار جحا الذي ينسأ حين يركبه ويعده ويتذكره إذا نزل عنه

ثم استشهد سعادة العميد بكلام السير جيمس جنز أننا نلزم من الحقيقة إلا بصيصاً ضئيلاً بعد إجهاد الأعين وإن العلوم الحديثة ليس عندها ما تقول

عن مسائل صعبة ربما كانت إلى الأبد بعيدة عن منال العقل البشرى. وان العلم ليس عنده قول فصل بل بالعكس خير ما يقال إن العلم قد عدل عن إلقاء الأقوال لأن نهر المعرفة قد تخرج في اتجاه سيره مراراً وتكراراً بما لا يسمع لنا بالحكم على الناحية التي فيها مصبه

والسير جيمس جنز مؤلف كتاب (النجوم في مسالكها) و(كتاب الكون الغامض) هو دكتور في الآداب ودكتور في العلوم وعضو المجمع العلمي البريطاني وقطب من أقطاب العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية من الانكليز الذين يطربهم القصيمي ويتغنى بهم ، وسأقول لك نبذاً من كتابه (الكون الغامض) الذي استشهد سمادة عميد كلية العلوم مشرفة باشا بنجاحته يتبين منها جهل كاتب الأغلال بما وصل إليه الفكر العلمي في هذا العصر في مشكلته التي لم تحل وكتابه كله في الكفر بالله والإيمان بالأسباب التي لا تتخلف عند الكاتب وأن المؤمن بها لا يمكن أن يؤمن بالله الفاعل المختار الذي يسميه قوة مجنونه خرقاء سفهاء (١). وييد منا أن نكفر بديننا ودين الرسل كلهم لأجل أفكار تركها أهلها وعدوها صبيانهم مجونية هذيانية جحوية قلدها كافرين بالله واليوم الآخر هو غوستاف لوبون قال السير جيمس جنز في كتاب (الكون الغامض) ص ١٦٩ س ١١ وما أكثر ما يغيب عنا أننا لا نستطيع إلا أن نبحث هذه المسائل في صيغ الاحتمالات ، وما أكثر ما يعير رجل العلم بأنه يبدل آراءه على الدوام ، وفي هذا ما يشعر بأنه ليس من الضروري أن يؤخذ بقوله جدياً. على

أنه لا لوم في الحقيقة على العالم الذي يرتاد نهر المعرفة إذا انحرف أحياناً إلى مجرى جانبي فرعى ولم يستمر سائراً في المجرى الأصيل : ذلك بأن المرتاد لا يستطيع أن يتأكد من طبيعة المجرى الجانبي إلا بعد أن يسير فيه ، وأخطر ما في الأمر وأبعده عن سيطرة المرتاد أن نهر المعرفة ملتوى يجرى آتاً نحو الشرق وآتاً نحو الغرب ، وقد يقول المرتاد في وقت ما « إني أسير مع التيار » وبما إني متجه نحو الغرب فأكبر الظن أن يجرى المعرفة — أي الحقيقة — كأنني في الجهة الغربية فإذا تحول اتجاه النهر بعد ذلك نحو الشرق قال « كأنني بالحقيقة الآن واقعة في الجهة الشرقية » وأكبر الظن أنه ليس من العلماء الذين عاشوا في الثلاثين عاماً الأخيرة من يستطيع أن يثبت برأي قاطع في اتجاه نهر المعرفة في المستقبل أو في مكان الحقيقة أين يكون ، ذلك أن تجاربه الخاصة تدل على أن النهر لا يتسع مجراه على الدوام فحسب بل تدل أيضاً على أنه دائم الالتواء . ولذلك ينصرف العالم بعد أن يلاقى ضروباً من الخيبة متعددة عند كل التواء عن الظن بأنه قد انتهى « إلى مجرى الحقيقة اللانهائي وأحسن معالمة »

« ويلوح أننا على حق إذا قلنا مع هذا الاحتراس السابق إن نهر المعرفة قد انحرف انحرافاً شديداً في السنوات القليلة الماضية ، فقد كنا نظن أن نفترض من ثلاثين عاماً أننا سائرون صوب حقيقة نهائية من النوع الآلي ، وأن هذه الحقيقة تتكون من خليط مهوش من الذرات قدر عليه أن يقوم زماناً ما برقصات خالية من المعنى طوعاً لتأثير قوى عمياء ليس لها غرض معين ، ثم يرتد ليكون منه عالم ميت لا حياة فيه . وفي

هذا العالم الآلى المحض ظهرت الحياة مصادفة (١) بتأثير هذه القوى العمياء نفسها، واتفق أن ناحية ضئيلة واحدة على الأقل من نواحي هذا الكون الذرى - وقد تكون عدة نواح منه - قد أصبحت واعية برهة من الزمن ولكنها مقدر عليها آخر الأمر بتأثير القوى العمياء أن تنجمد عن آخرها ثم تترك هذا العالم مرة أخرى لا حياة فيه » اهـ

هذا ملخص آراء الماديين فى القرن الماضى لخصه لك المؤلف فى عبارة وجيزة وهو الذى يدعونا اليه كاتب الاغلال فى فصله الأخير من كتابه تحت عنوان « مشكلة لم تحل »

فاسمع الآن رأى السير جيمس جينز فيما تطورت إليه أفكار القرن العشرين فى ذلك قال ص ١٧٠ س ١٨ « أما الآن فان الآراء متفقة إلى حد كبير يكاد فى الجانب الطبيعى من العلم يقرب من الاجماع على أن نهر المعرفة يتجه نحو حقيقة غير آلية وقد بدأ الكون يلوح أكثر شبيها بفكر عظيم منه بآلة عظيمة ولم يعد العقل بعد دخيلا ألفت به المصادفة فى عالم المادة، بل بدأ يحول فى خاطرنا أن من واجبتنا أن نحياه ونعده خالق العالم المادى المسيطر عليه - ولسنا نقصد بهذا العقل بطبيعة الحال عقولنا الفردية بل

(١) من أكبر أغلاط العلماء الطبيعيين فى الماضى هذا القول الذى أدركوا خطأه الآن من أن الحياة ظهرت فى الارض مصادفة . إنهم لم يقولوه استنتاجاً من قرآن حملتهم عليه ولكنهم لما عجزوا عن تفسير ظهور الحياة بعلمهم قالوا بظهورها مصادفة ! وهذا طبعا ليس بفرض علمى ولا بتفسير فكل إنسان يستطيع عند المعجز أن يحيل أى ظاهرة على المصادفة . فالقول بالمصادفة والاعتراف بالمعجز من التفسير سواء (غ)

نعني ذلك العقل الكلى الذى توجد فيه على شكل فكر تلك الذرات التى نشأت منها عقولنا (١)

« وتلك المعرفة الجديدة تضطربنا إلى أن نعدل رأينا السابق الفطير وهو أننا قد أتى بنا مصادفة فى كون لا يعنى بالحياة أو أنه عدو لها بالفعل ويلوح أن من المحتمل أن يخفى من الوجود ثنائية العقل والمادة القديم الذى كان من أكبر أسباب هذه العداوة » الخ اهـ

واقراً ما كتبه أول الكتاب من غرور طبيعى القرن التاسع عشر ورياضيه فى فهم هذا العالم وهو ما يدعونا إليه صاحب الأغلال وكيف انقلب عليهم التفكير رأساً على عقب بعد اكتشاف « بلانك » نظرية الكمة حتى أبطلت قانون السببية الحتمية الذى يدعونا إليه القصصى تبعاً لغوستاف نكفر بالله ونؤمن به، وأتينا لانكون سببيين ناجحين فى الحياة حتى نكفر بالله وقدرته واختياره ونؤمن بالأسباب التى يعجز الله عن إبطالها أو التدخل بينها وبين مسبباتها وأنه إن فعل كان سفياً ومجنوناً أو كالمجنون إلى آخر ما قرره فى فصله الأخير من كتابه بعنوان « مشكلة لم تحل » وقد نقلنا لك خلاصته فيما مضى قريباً بنصه

قال جينز ص ٢٠ س ١ « وقد أظهر اينشتين فى عام ١٩١٧ أن النظرية

(١) المهم فى هذا الكلام وأمثاله مما كتب جينز أن علمه الطبيعى جعله يدرك وجود الخالق سبحانه من خلال السنين المتعقبة فى الفطرة بصرف النظر عما يرد فى كلامه من تصوير وتمثيل قد لا يتفق مع ما ينبغي للخالق سبحانه من تنزيه عن مشابهة المخلوقات . فالاسلام من ناحيته قد احتضن العلم ، والعلم من ناحيته بدأ يتصل بالدين إذ بدأ يدرك وجود الخالق سبحانه (غ)

التي وصفها بلانك - نظرية الكم أن الاشعاعات تسير دفعات متقطعة في قفزات واهتزازات - تظهر في أول نظرة على الأقل أنها تنطوي على نتائج أبعد أثرًا من فكرة عدم الاتصال وظهر أنها ستناقض ما كان لقانون السببية من الشأن في توجيه العلم الطبيعي في مجراه . لقد كان العلم القديم يقرر تقرير الواثق أن الطبيعة لا تستطيع أن تسلك إلا طريقاً واحداً وهو الطريق الذي رسم من قبل لتسير فيه من بداية الزمن إلى نهايته في تسلسل مستمر بين علة ومعلول ، وأن لامناص من أن الحالة (ا) تتبعها الحالة (ب) أما العلم الحديث فكل ما يستطيع أن يقوله حتى الآن هو أن الحالة (ا) يحتمل أن تتبعها الحالة (ب) أو (ج) أو (د) أو غيرها من الحالات الأخرى التي يخطئها الحصر .

نعم في استطاعته أن يقول إن حدوث الحالة (ب) أكثر احتمالاً من حدوث الحالة (ج) بل إن في مقدوره أن يحدد درجة احتمال حالة من الحالات (ب) و (ج) و (د) بعضها بالنسبة إلى بعض ولكنه لا يستطيع أن يتنبأ عن يقين أي الحالات تتبع الأخرى لأنه إنما يتحدث دائماً عما يحتمل . أما ما يجب أن يحدث فأمره موكول إلى الأقدار مهما تكن حقيقة هذه الأقدار . ثم ضرب مثلاً مادياً بذرات الراديوم وغيرها من المواد ذات النشاط الاشعاعي أنها تنفك بمجرد مرور الزمن عليها وتختلف وراءها ذرات من الرصاص والهليوم فينقص حجمها باستمرار ويحل مكانها رصاص وهليوم . قال والقانون العام الذي يتحكم في معدل التناقص غريب غاية الغرابة شبهها بعدد الوفيات أو القتلى في كتيبة ترى بالرصاص

اعتباطاً من غير قصد لمن يصاب، فليس لكبر السن أثر في ذرة الراديوم الواحدة بل تموت بمنية تخطيط خبط عشواء ولا يدري بأى طريق تختار تلك الذرة المعينة لا بأكثرية اصطدام ولا بشدة حرارة فليس في الاستطاعة تفكيك الراديوم أو تعجيل التفكيك بضغطه أو تسخينه بل الموت يصيب على الأرجح في كل عام ذرة واحدة من ألفين. ويرجو المؤلف في ص ٢٢ أن التاريخ قد يعيد نفسه فتعرف قانون العلة والمعلول أى فيما بعد أما الآن فلا يعرف

ثم ضرب مثلاً آخر بانبعاث الضوء من المصباح الكهربائى العادى وشرح كيف يشع النور فقال ص ٢٥ س ١٦ « وقد بين اينشتين أنه لا بد من وجود نوع آخر من القفزات وان هذه القفزات لا بد وأن تحدث من تلقاء نفسها كما تفكك ذرة الراديوم من تلقاء نفسها ومعنى هذا بالاختصار انه لا بد لنا من أن نلجأ مرة أخرى إلى فرض وجود القدر » وقال ص ٢٧ س ٣ « ومع أننا لا نزال بعيدين عن القول الفصل في هذا الموضوع فقد نحيل إلينا أن ثمة عاملاً من العوامل لم نجد له بعد اسماً خيراً من القدر يعمل في الطبيعة ليمحو أثر قانون السببية القديم الصارم . وقد لا يكون المستقبل كما تعودنا أن ننظر إليه قد حدده الماضى تحديداً غير قابل للتغيير بل انه قد يكون إلى حد ما على الأقل متروكاً لتصريف الأقدار مهما تكن هذه الأقدار » وهناك اعتبارات أخرى توجه افكارنا في هذا الاتجاه نفسه

مثال ذلك أن الأستاذ هاينز نبرج أوضح أن ما تصوره نظرية الكم

الحديثه ينطوى على مايسميه هو « قاعدة عدم قابلية التحديد » . ولقد ظللنا من قبله زمناً طويلاً نعتقد أن أعمال الطبيعة هي غاية مايمكن الوصول إليه من الدقة والاحكام ، ومع اننا نعلم أن الآلات التي يصطنعها الانسان بعيدة من الدقة والكمال ، فقد كنا نصرّ على الاعتقاد بأن أعمال الذرة الداخلية هي المثل الأعلى للدقة والاحكام ثم جاء هابز نيرج فأوضح الآن أن أكثر ماتمقته الطبيعة هو الدقة والاحكام (١)

وقال ص ٢٢ س ٣ بعد ما ضرب مثلاً لتناثر الذرات بغير نظام ومثله يرى ا مليون طن من قطع النقود في الهواء وسقوط مايسقط منها على وجهه وما يسقط على الوجه الآخر اتفاقاً فقال « ومن هذا يرى كيف كان من السهل أن يتسلل وهم الجبرية إلى العلم ان كانت الجبرية وهماً » وليس لدينا حتى الآن معلومات موثوق بها عن أية مسألة من هذه المسائل على أن هناك عدداً من علماء الطبيعة وإن كنت أظن أن هذا العدد آخذ في التناقص بسرعة كبيرة يتوقع ان قانون السببية الصارم سيستعيد في نهاية الأمر مكانته القديمة في العالم الطبيعي بطريقة ما ولكن الاتجاه الحديث في تقدم العلم لا يقوى مركزهم في ذلك ، ومهما يكن من شيء فإن السببية الصارمة ليس لها الآن مكان في صورة الكون التي يعرضها علينا علم

(١) العلم الطبيعي في موقفه الحاضر يدرك الدقة والاحكام في سنن لفطرة التي تجزى على السكتل والمقادير المحسوسة من المادة والطاقة ولكنه إذا تعداها إلى عالم غير المحسوس أشكل عليه الأمر وتبلبل وقال قائله بمثل هذا القول . ولن ينجو من هذا التبلبل حتى يعبد خالق الذرة مع العابدين (غ)

الطبيعة الحديث . وقد نتج من ذلك أن صار في هذه الصورة أكثر مما كان في صورة الكون الآلية القديمة متسع للحياة والشعور يقومان فيه مع الصفات الأخرى التي تقرأها عادة بهما مثل الإرادة الحرة، والمقدرة على تغيير الكون إلى حد ما بوجودنا فيه وذلك في حدود الصورة نفسها . ومبلغ علمنا أو مبلغ ما يستطيع العلم الحديث أن يناقض به علمنا أن الأقدار المسيطرة على ذرات مخنا قد تكون هي عقولنا نحن وقد تكون هذه العقول هي التي تؤثر بوساطة هذه الذرات في حركة أجسامنا فتؤثر بذلك في أحوال العالم الذي يحيط بنا . ولم يعد العلم اليوم قادراً على ألا يميز هذا الاحتمال ، فليس لديه حجج دامغة يرد بها على ما هو متأصل فينا من الاعتقاد بأن لنا إرادة حرة . على أن هذا العلم لا يشير أبداً إشارة إلى ما قد يكون تقدم السببية أو الجبرية من معنى ، فإذا كنا نحن والطبيعة بوجه عام لا نستجيب بطريقة فذة للمؤثرات الخارجية فما الذي يحدد مجرى الحوادث ؟ فإذا كان ثمة مؤثر أياً كان نوعه فإن هذا يلقي بنا في أحضان الجبرية والعلية وإذا لم يكن ثمة شيء من ذلك فكيف يستطيع حادث أن يحدث (١) »

(١) لم يبق إلا خطوة حتى يتدين العلم مضطراً . ان العلم منكسر الجبرية والعلية كما رأيت وانكاره هذا يضطره الى نفي الاحتمال الاول : احتمال تجدد مجرى الحوادث بمؤثر خارجي من عالمها ، فلم يبق للإجابة على سؤاله الاضطراري : كيف يستطيع حادث أن يحدث ؟ الا جواب واحد هو ما أجمعت عليه الأديان وما توحى به فطرة الانسان في كل ما عرف من تاريخه الى الآن (غ)

وفي رأبي أنه ليس من المحتمل أن نصل إلى نتائج قاطعة في هذه المسائل إلا إذا فهمنا جيداً طبيعة الزمن الحقيقية خيراً مما نفهمها الآن. ثم أبان صعوبة فهم الزمن وأن قوانين الطبيعة الأساسية لا تقول لم يمر الزمن بلا انقطاع بل مستعدة لتجوز احتمال بقاءه ثابتاً لا يتحرك بقدر تجوز احتمال رجوعه القهقري. وذلك أن تقدم الزمان إلى الامام بلا انقطاع وهو جوهر الصلة بين العلة والمعلول إنما هو شيء أضفناه من تجاربنا الخاصة إلى قوانين الطبيعة المحققة. وليست هي متأصلة في طبيعة الزمن وإن كانت نظرية النسبية تهم أن تسم الرأي القائل بتقدم الزمن تقدماً مستمراً وبوجود الصلة بين العلة والمعلول بمسمى الوهم والخداع «

إن ماهية الزمن وما يكتنفها من غموض هي التي تمنع أفكارنا من التقدم وتقف بها عند حد محدود. وإذا كان الزمن من المسائل الأساسية وإذا كان فهمه على حقيقته سيظل انه فوق مستوى مداركنا، فأكبر ظننا أننا سنظل أعجز من أن نقضى برأى حاسم في النزاع الطويل الآن بين الجبرية والقدرية (١)

« على أن احتمال إلقاء مبدأ الجبرية وقانون السببية من علم الطبيعة بعدد إلى حد ما من التطورات الحديثة في تاريخ نظرية الكمية (الكونتم) ثم ذكر قوانين بقاء المادة والكتلة والطاقة، واغترار علماء القرن التاسع عشر بذلك. ثم قال ص ٥٩. « وكان من عادة علماء الطبيعة في القرن

(١) يعنى القول بقانون السببية والجبر وعدم تخلف المسبب عن سببه، والقول بانحرام قانون السببية وتدخل القدر الالهى والارادة الحرة في نظام الكون والخلق.

التاسع عشر أن يتحدثوا عن هذه القوانين كأنها هي المسيطرة على الخليفة. وعلى هذا التفكير وضع الفلاسفة قواعدهم التي فرضوها على طبيعة الكون الأساسية. غير أن هذا كان يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة »

ثم ذكر كيف هبت العاصفة بالبحث النظري الذي قام به السير ج ج طمسون بتغيير كتلة أى جسم مكهرب إذا ما حرك. الخ

وقال ص ١٤٠ « وقد يرى كثيرون من الناحية الفلسفية العامة أن أهم ما أنتجه علم الطبيعة في القرن العشرين ليس هو نظرية النسبية وما أدت إليه من إدماج الفضاء والزمن معاً ، ولا هو نظرية الكم وما يبدو منها في الوقت الحاضر من إنكار لقوانين السببية ، ولا هو تمزيق الذرة وما كشف عنه هذا التمزيق من أن الأشياء ليست كما تبدو في ظاهرها. بل أهم من هذا كله إقرارنا العام بأننا لم نلمس بعد الحقيقة النهائية ، فكأننا كما قال أفلاطون في تشبيهه الشهير لانزال محبوسين في كهفنا مستدبرين الضوء ، ولا نستطيع أن نشاهد غير الظلال على الجدار ، وكل ما يطلب إلى العلم الآن هو أن يدرس هذه الظلال ؛ وأن يبوبها ويفسرها بأسهل طريقة مستطاعة »

انتهى ما أردت نقله من كتاب الكون الغامض للسير جيمس جنز العالم الفلكي الرياضي الطبيعي الانكليزي المصري الذي مات من بضع سنين. وقال (ا. ن . داس أندريه) في مقدمة كتابه « من أسرار الفطرة »

تمريب الاستاذين النصاراوى والكرداني ، بعد ما لخص نظريات الطبيعة في الذرات في نصف القرن الماضي ونظريتها في أول هذا القرن ، وأورد

سؤال ناقد عالم الطبيعة إذ يقول: منذ نحو نصف قرن أخبرتنا أن الذرات صلبة لا تقبل انقساماً ولا انكساراً، مُخلقت كاملة أول الخليقة واستمرت منذئذ في كمال غير منقوص. واليوم نخبرنا أن الذرات بنيات متفككة يسهل جداً كسرها. فأنت تتحدث عن ذرات شماعة تتكسر وتحول إلى ذرات أبسط، بل وتبحث في احتمال أن تكون الذرات الأثقل قد تكونت في الأصل من الذرات الأخف. فأى قوليك نصدق؟ إن نظريتك التي يقبلها جيل ينبذها الجيل الذي بعده؛ فمن أين لنا أن نتق أنك هذه المرة على صواب؟ فأجاب بقوله: إن الجواب الصحيح في رأيي هو أننا لا نزع لنظرياتنا أى صدق مطلق، إن الذى نزعُه إن نظرية مثل نظريتنا الذرية الحديثة لها مزايا عظيمة - إلى أن قال:

والنظرية تكون أحسن وأفضل كلما قل ما تستلزمه من افتراضات أساسية لتفسير ما يراد تفسيره. ولسنا نزع لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجوه؛ فقد نفاجاً بكشف جديد يرغمنا على تعديل كثير من تفاصيلها. ثم قال: من هذه الوجوه تكون أية نظرية علمية خاصة مجرد أداة وقتية نتخذها لنقتطع بها من كتلة الفطرة معرفة لنا بالعالم المادى، وقد تحمل محلها في أية لحظة نظرية جديدة.

ثم قال: فالفرق إذاً بين أى اعتقاد دينى، وبين نظرية علمية أن الاعتقاد فيه عند معتقديه عنصر من الحقيقة المطلقة، أنه لهم علم يثبتون حوله أو يسقطون. وفى التخلّى عنه العار والاثم. أما النظرية العلمية فهي عند أهلها صحيحة مادامت نافعة، ويعتبر رجل العلم حتى أحسن نظرياته

وسيلة مؤقتة تعينه على طريقه ، ولا ينفك ينظر حوله منقباً لعله يجد شيئاً
خيراً منها وأشمل . اهـ

فهذا عالم طبيعي يكتب رسالة في نظريات الطبيعة الجديدة على ضوء
ما اكتشف في أول هذا القرن وآخر الماضي يقول : لا نزع لنظرياتنا أى
صديق ، ولنا نزع لنظرية أنها نهائية بوجه من الوجوه فقد نفاجأ بكشف
جديد يرغمنا على تغيير كثير من تفاصيلها ، ويعتبر رجل العلم نظرياته حتى
أحسنها وسيلة مؤقتة ، ويرجو خيراً منها (١)

وقصدى بهذا هو الرد على هذا المغرور الذى يريدنا على الكفر بديننا
لأجل ماسماه العلم والأسباب تبعاً لصنمه وغوستافه فى كتابه « الآراء
والمعتقدات » فهذا كلام أهل العلم العصري فيه ، وهذا كلامهم فى الأسباب
التي يريد منا أن نعتقد عجز الله تعالى عن تعطيلها إذا شاء عطلها ، وأنه لا يوجد
مسبب إلا بسبب ، وأنه من يؤمن بالله فاعلا مختاراً لا يكون سببياً فلا
يكون ناجحاً كما قرره فى فصله الأخير ، ونقلنا لك نصوص عـ آرائه
الشيعة فى ذلك الفصل الذى يشكك فيه فى وجود الله تعالى

ولست أكتب هذا لأهل الإيمان بدينهم ، وبكتاب ربهم وبما جاء
فيه من أوصاف الله تعالى وكلماته وقدرته وحكمته واختياره ، وما اتفقت
عليه الديانات فى الإيمان بالله واختياره . وإنما كتبت هذا للذين اغتروا
بكلام صاحب الأغلال فتشككوا فى كلام الله وكلام نبيه ، وآيات الله التى

(١) فكيف يمكن أن يبنى عاقل على النظريات المادية مهما كانت ، نقداً يشكك
به فى أصل من أصول الدين اليقينية (غ)

التي أيد بها رسله ، وأكرم بها أوليائه ، بل تشككوا في الله سبحانه الفاعل المختار . وقد كشف عن اعتقاده أن المؤمن بالله فاعلا مختارا لا يمكن أن يكون سببياً مؤمناً بالأسباب ، ولا أن يكون ناجحاً ، وقد أشاد بالأسباب في كتابه وعقد لها فصلاً خاصاً ، فأبان بهذا أنه لا يؤمن بالله العظيم رب العالمين خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يقول الدهريون علواً كبيراً الذين قلدهم بغير عقل ولا بصيرة ولا فهم كلوبون وقد ثقلت لك من كتاب الآراء والمعتقدات ما تعلم منه أصول كتاب الأغلال . فالرجل الذي يصف أنبياء الله ورسله في كتابه « حضارة العرب » ص ٣٤ بأنهم من ذوى الهوس ، ويقول فيه آخر « ص ٣٣ » « حقا إن من عجائب التاريخ أن يلي نداء ذلك المهوس الشهير - يعنى النبي ﷺ أعلى الله قدره وصانه من هذا الشين - شعب جامع شديد الشكيمة لم يقدر على قهره فاتح ، وأن تنهار أمام اسمه أقوى الدول ، وأن لا يزال يمسك وهو في جأشه ملايين من الناس تحت لواء شرعه » الخ

فهل مثل هذا الجاهل الوقح يقلد ويجعل أصول دهريته مواد لتحريف دين الأنبياء إليها ؟

فاسمع كلام صاحب الأغلال في المتدين ومن يؤمن بالله واليوم الآخر واقرأ من وسط « ص ٣١٦ » إلى وسط ٣١٧ كيف تهكم بالمتدينين وبإلههم وشبههم وشبه إلههم أقبح تشبيهه إلى أن قال « ص ٣١٧ »

« اننا اذا تصورنا ذلك كله لم يعسر علينا أن ندرك كيف عجز المتدينون

- على اختلاف ديارهم وأزمانهم وأنبيائهم^١ وأمزجتهم وأجناسهم - عن أن يهبوا الحياة شيئاً جديداً ، وأن يكونوا فيها مخلوقات متألقة (وأمر آخر) ذلك أن المؤمنين يرون دائماً ان الله حينما خلق العالم وخلقهم قد ضمن أرزاقهم وكفلها وتعهد بحمايتهم ورعايتهم في كل أمورهم أو جلها . . . فيصيدهم هذا الاعتقاد بمثل ما يصاب به الطفل المدلل المكفول بين والدين مدللين رحيمين ثرين أى يصاب بالتواكل والاعتماد على القوى الخارجية وحينئذ لا يصنعون لأنفسهم ما يجب أن يصنع وما لن يظفروا به إلا اذا صنموهم ولا يمكن أن يكونوا في أفكارهم مثل الذين يرون أنهم متروكون موكولون لقوام ولا تقسيمهم .

ومثل بالطفل المدلل مع ذلك الرجل العصامي الذى يعمل ويناضل يعيش وإلا فلا سبيل له إلى البقاء .

ثم قال فى آخر « ص ٣١٧ »

« ثم ان المؤمن يعتقد عادة - بأن الله تفضل عليه وأوجده من صميم الدم فمن الواجب عليه أن يشغل بخدمة ذلك الرب المتفضل وبالانقطاع لعبادته . . . وأن يصرف - ان استطاع - كل قواه وأعماله وأوقاته أو أكثر ذلك الى القيام بشكر ذلك المنعم الخالق المتفضل . . . وحينئذ يحىء عاجزاً فى تناوله الامور والحياة ويكون دون ذلك الذى صرف جميع قواه وأوقاته فى سبيل الانتصار فى معركة الوجود والبقاء »

(١) تأمل ذكر « أنبيائهم » لتعرف ثقافته حينما يذكر أنه يريد الدين الباطل فما كان الأنبياء ليأتوا الا بالدين الصحيح فهم عنده لم يهبوا الحياة شيئاً جديداً ولم يكونوا فيها مخلوقات متألقة يعنى كالملاحدة والزنادقة الذين وهبوا الحياة وتألقوا فيها بزعمه ، وباليته أعلن دهريته صراحة بدل هذا النفاق المفضوح وهاجم بطلا لا نعلباً صراوغاً محتالاً

هذا هو رأيه في الايمان بالله والمؤمنين به لا يحتاج إلى تعليق ؛ تكفى قراءته للحكم عليه .

أما رأيه في الايمان باليوم الآخر ركن الايمان في كل الأديان السماوية كلها ، والذي قرنه الله مع الايمان به في غير آية ، فقد مهد لذلك بذكر الآمال والأهداف ، وان المؤمن هدفه الأكبر وأمله الذي يملأ قلبه هو الايمان بالآخرة . ثم رتب الحكم على ذلك فقال (ص ٣١٨)

« على أن هنالك ما هو أكبر وأظهر في ايجاد الاختلاف بين المتدين وغيره في هذه القضية

ثم ذكر أنه لا بد للانسان من أمل وأنه لا يحيا إلا بأمل ، واختلاف الناس بحسب اختلاف آمالهم . إلى أن قال آخر هذه الصفحة

« على انه لا خلاف في أن أسمى هذه الآمال وأقواها في الاجتذاب والتوجيه والسلطان هو ذلك الامل الضخم الابدى في تلك الحياة الفخمة الابدية التي ينال فيها المرء الخلود وكل ما يرجى من حاجات الجسم والنفس بدون أن يكدر ذلك شيء من المكدرات المعروفة التي تشوب لذائذ هذه الحياة الاولى القصيرة ، فاذا استطاع إنسان أن يتمثل هذا الامل وأن يغنى ويتغنى به ، فلا محالة من أن يشغله ذلك عن كل شيء في هذا الوجود وقد يطغى عليه وعلى وجوده حتى لا يدع لهذه الحياة شيئاً وقد يدع شيئاً قليلاً أو كثيراً ، وقد يغنى عن هذه الحياة وينيب عنها لأنه ليس من أهلها لا ينافس ولا يغضب ، ويصير كذلك الرجل الورع الطيب (يعنى عبد الله بن عمر) الذى صرفه ورعه ودينه عن كل ما هنا حتى قال فيه معاوية بن أبى سفيان ، وهو يضع خطوط الطريق لابنه يزيد ، أما فلان (يعنى ابن عمر) فقد أعجزه الورع فدفع له دينه يدع لك دنياك فاذا لاحظنا على المتدينين - أفراداً وشعوباً - عجزاً عن ايجاد الحياة وعن

التحليق بالصناعة والزراعة أو التجارة أو العلوم المادية الانسانية ، أو عن أى شئ مما من وسائل الحياة وأسبابها فلتعلم أن أحد أسباب هذا العجز هو التصور لهذا الامل العظيم (أمل الايمان بالآخرة وسعادتها) والانصراف اليه بأكثر العقل وأكثر الامل وأعظم الاهتمام

ثم مثل بعلى بن أبى طالب وجيوشه وانهزامهم وانهيارهم لايمانهم أمام معاوية وجنوده - بمعنى لعدم إيمانهم - ثم قال ص ٣١٩

« وإذا ألفينا الرجل التقي الورع المحافظ على فروضه وعباداته ينهزم شر هزيمة فى كل عمل يتناوله أمام ذلك الذى جعل فرضه ودينه وعبادته هو التحليق بتجارته أو صناعته مصيراً ذلك إلهه المطاع المعبود وربّه

فالمؤمنون يشتغلون اذن بأملهم فى الآخرة عن أن يصنعوا لهم فى الدنيا أملاً جسيماً عظيماً فيأتون عادة عاجزين عن اللحاق بالآخرين الذين صنعوا لهم هذا الامل ثم أعطوه كل نشاطهم وإبداعهم فأصبحوا فيها السادة الغالبين

ثم مثل بأوربا أيام كانت مؤمنة بالكنيسة فى ظلها وهوانها ، وضعفها وعجزها . ثم قال :

« فلما أن مرقت من إيمانها وتنازالت عن ذلك الامل الاخرى وجعلت الصناعة والتجارة والحياة الكبيرة القوية هى آلهتها التى وحدتها وأبت الاشرار بها صعدت بالحياة الصمود الذى أعجز أبصارنا بنوره والنظر إليه . وقد قال أحد فلاسفة الانجليز المعاصرين ^(١) المدرسين اليوم فى إحدى الجامعات البريطانية - وهو ملحد كما هو الظاهر - إن أوربا لم تستطع أن تكون أوربا إلا بعد أن اعتقت نفسها من رق الايمان بالآخرة وبالله »

(١) الظاهر أن العبارة هى لغوستاف لوبون فالمعاصرة هى له لالكاتب خوف ما توهمه عبارته وسرقته التى لم يعز فيها الكلام لصاحبه . ولعله يريد سبنسر فيلسوف الانجليز

ثم مثل بروسيا القيصرية المسيحية منذ أقل من ثلاثين عاماً أنها كانت مثلاً طيباً للفقير والضعف والمسكنة والجهل حينما كانت مسيحية متدينة صالحة . فلما أن مرق بها البلاشفة وصنعوا لها أرباباً أخرى وعبادة أخرى صارت هي روسيا اليوم قاهرة ألمانيا التي لم تكن تقهر . الخ .. والواقع يكذبه . فروسيا الدهرية الشيوعية ليست خيراً الآن من روسيا القيصرية المسيحية في الفنى والقوة ، ولا روسيا الشيوعية الدهرية هي التي كسرت ألمانيا وحدها بقومتها ودهريتها ، وأسباب هزيمة ألمانيا معلوم لأطفال السياسة ، فمقدمات استدلال الكاتب كتناجها سفسطة وكذب على الواقع ولكن الهوى في احتقار الدين ورميه بكل باطل يعنى ويصم ، وما الحيلة فيمن يخرق (١) ثم يستدل بخرقه يبهتان يفضحه الواقع المشهود ؟

ثم مثل بتركيا اليوم وكل الأمم الحديثة والقديمة وباليابان والصين ، ثم بالهند واختلاف الديانات فيها . إلى أن قال ص ٣٢١

والعقلاء يعلمون اليوم جيماً أن الهند لن تظفر بالحياة المرتجاة ما لم تغير أديانها أو تغير فهمها لها أو تتركها .

وقد أكذبه الله في كذبه على العقلاء ، والهند اليوم تسلمت مقاليد حكمها ، وصارت دفة البلاد بيد أهلها ، هندوسها ومسلميها كل في بلاده بدون تغيير دينهم . فأعجب بالجرأة على الله وعلى غيبه ومستقبله

ثم مثل بإبداع الاغريق والرومان والمصريين القدماء (٢) وغيرهم لمبايقهم في حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها وصيروها كل أملهم ورجائهم المنشود

(١) خرق كذب واختلق ومنه قوله تعالى (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم)
(٢) المعروف أن مدينة قدماء المصريين ورقبهم إنما كانت بدافع الايمان بالآخرة

« وهوت الأمم الأخرى التي انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد ، إلى ما لا تحس ولا تجد ولا ترى ، حتى ان رجلا فيلسوفا عظيما هو الدكتور غوستاف لوبون لما لاحظ هذا قال في كتابه الموسوم (بالآراء والمعتقدات) « إن الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر » لأنه على ما زعم قد وقف بالحضارة عن التقدم إلى الامام . قال « ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة إلا في عهد الوثنية وعبادة الأصنام » (١)

تبرأ الكاتب في حاشية سفلى هنا من كل زيغ وإلحاد ، وأن غرضه من هذه الأقوال الاعتبار وطلب الفائدة ، لا الايمان بها ، مع أنه قررها أولا وأعاد وكرر في تقريرها ، فما استشهد بكلام غوستاف لوبون إلا بعد ما قرره في عمل الاغريق وما عطف عليهم وإبداءهم لعبادتهم ما تحس . الخ ثم إذا كانت في هذه الأقوال فائدة واعتبار فلم لا يؤمن بها ؟ هل يستفيد الانسان ويعتبر الا بما يؤمن به ؟ وأي فرق بين قول غوستاف وقول الكاتب « وهوت جميع الأمم التي انصرفت بآمالها عما ترى وتحس وتجد إلى ما لا تحس ولا تجد ولا ترى »

أليس هذا هو الكفر بعالم الغيب الذي هو أحد أركان الايمان في الديانات السماوية كلها ، فالله وملائكته واليوم الآخر والجن وخبر الرسل المتقدمين : كل ذلك من الغيب الذي يجب الايمان به والذي امتلأ به كتاب

(١) لم يكن يخطر ببال أن يصل السفه والشطط بملحد أيا كان إلى تفضيل الوثنية على الاديان السماوية ، وعبادة الأصنام على عبادة الله ، وعقل ينزل به السفه إلى هذا الدرك جدير ألا يؤبه بأي قول يقوله في أي ميدان من ميادين القول لأن يؤتم به ويحتج بقوله في نقد دين ما ، بله دين الاسلام (غ)

الله تعالى حتى ان أول وصف للمؤمنين في أول سورة البقرة قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) فاذا قرر الكاتب أن الامم التي تترك ما نجد وترى ونحس إلى ما لا ترى ولا نجد ولا نحس ، تهوى . فهذا هو قول غوستاف : ان الایمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الاصنام

فهل يظن الكاتب أن القراء لا عقول لهم فيقرر كلام لوبيون أعظم قدير ، ويستدل به ثم يذر الرماد في العيون بهذا الحاشية التهافت التي ينقضها ما في أعلى الصحيفة

ثم مثل بملاحظات فردية بنجاح غير الاتقياء فقال ص ٣٢٢

« ومن الملاحظات الفردية في هذه القضية أن الآحاد الذين نراهم ينجحون في التجارة أو الصناعة أو العلوم أو غيرها من الجوانب الانسانية هم دائماً من غير الاتقياء الورعين وأنه لا يقدر على المنافسة القاصمة إلا أولئك الذين تركوا الاوامر الدينية جانباً وراءهم حتى اتنا إذا حاولنا أن نلتبس في تاريخنا نفسه مكان أولئك الافذاذ القلائل الذين بلغوا في سماء الشعر والادب الخالد أو قاموا بنظريات علمية لها بقاء وخلود أو جاؤوا بفلسفة ذات شأن معترف به بين الفلاسفات لم نجد لهم إلا بين أولئك الذين وصفوا بالتمرد والانحلال الديني أمثال المتنبي وأبي العلاء وابن الرومي والمجاهظ وابن سينا والرازي والفارابي وابن رشد وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وسواهم . ولا يزال حتى اليوم نرى أنه لا يقوم بتصريف شؤون الدولة الكبيرة كالوزارة والسفارة وأمثالها الاجامات تختار من غير الاتقياء حتى امنا (يريد أمتنا يعني السعودية) التي شهرت بالتدين وبتأسيس ممالكها وحكمها على أوامر الله نجدها تعرف هذا وتعترف به وتكل أمورها الرسمية ذات الشأن إلى غير المتدينين ، وهذا لانها تعلم بالاستقراء والتجربة

أن هذه الشؤون اذا أسندت الى جماعات الصالحين لم يحسنوا ولم يستطيعوا القيام بها »

ثم استشهد بقول عمر « لوددت انى وجدت رجلاً قوياً تقياً مسلماً أستعمله » وبقوله « إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الورع » الذى لم يفهم الكاتب مراد عمر منه فلم يكن عمر يوماً ما دهرياً حتى أيام جاهليته بل كان يعرف الله ويخافه بالغيب ويقدم فى حكومته المؤمنين ويرضاهم ويأثمهم ويبعد الفسقة بله الكفرة بله الدهرية ، وحكاية إنكاره على عامله أبي موسى الأشعرى استكتابه لنصرانى معروفة .

وهنا نسأل الكاتب سؤالين نرجو جوابهما صريحاً بدون مداورة أو روغان .

(الاول) مؤسس المملكة العربية جلالة الملك عبد العزيز بن سعود هل هو مع نجاحه الباهر تقي ورع صالح أو فاجر متمرّد تارك لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول انتقضت قاعدته رأساً على عقب ، وان قال بالثاني - ولا أظنه يقول به وان اعتقده - كذبته الواقع الملموس المحسوس . فهو مخالف للواقع على كل حال

(ثانياً) عمر بن الخطاب ذلك العبقرى الناجح الذى فتح الشرق والغرب هل كان متديناً تقياً ورعاً متبعاً لدينه مصلياً مسبجاً عابداً أو كان فاجراً فاسقاً تاركاً لدينه وراء ظهره ؟ فان قال بالاول تبعثر كتابه شذر مذر ، وتبخرت بحوئه وجهوده ، وتناثرت أفكاره وذهبت أدراج الرياح وانمحى ما يدعو اليه ويشير به من الكفر بالله واليوم الآخر والفجور والالحاد .

وإن قال بالتأني باهت التاريخ والواقع ، وصار مفتريا كذابا أفاكا ، قليل العقل والحياء .

ثم نسأل عظماء رجال المملكة السعودية من وزراء وسفراء وغيرهم : هل هم حقيقة فجار فساق ليس لهم دين ولا تقوى ولا ورع ، فلذلك نجحوا وأسندت اليهم هذه المهام لعدم دينهم ولفسقتهم وفجورهم ، وعدم تقواهم وورعهم ؟ ثم نسأل الحكومة السعودية نفسها : هل هي حقا وثقت بمن لا دين له لعدم دينه ، وأنها لا تثق بالمتدينين من أجل دينهم ؟ وهل حقا ما قاله ذلك الكاتب فيها وفي رجالها ؟ نريد أجوبة صريحة في ذلك كله

المتدينون لا عقل لهم بتجربة الكاتب وحكمه عليهم . قال ص ٣٢٣

ثم انه قد علم بالتجربة أن المتدينين يفقدون الميزان الفكري الذي توزن به الأمور في الغالب ^(١) ويصبحون من الناحية النفسية أناساً طيبين خيبرين فاقدين لكل مناعة عقلية مستعدين استعداداً غريباً للوقوع في جبايل المشعوذين والبدعة المضللين ، عمين عن كل الحقائق التي يراها ويستفيد منها الآخرون ويرتفع لديهم سعر التبريح والدجل ارتفاعاً عجيباً وتلبت أرضهم الدعاة الكثيرون - دينيين وغير

(١) فإن أردت الأصول التي فرعها الكاتب من كلام غوستاف في كتابه (الآراء والمعتقدات) فاسمع لقولة لوبون ص ١٤٦ « المعتقد هو إيمان لا يتطلب لثبات أمره أدلة - إلى قوله « وبراهين المؤمنين في الغالب صبيانية بالنسبة للعقل ومع ذلك فليس من خصائص العقل أن يقضى فيها لاشتقاقها من عناصر دينية أو عاطفية لا صلة بينه وبينها . ولما كان العقل غير مشترك في تكوين المعتقدات فإنه لا حد لسرعة التصديق في المؤمن ، ولا يتخيل أن المؤمن يعاقد الأشياء من غير برهان بدليل أنه يستشهد بالبراهين على الدوام ، غير أن هذه البراهين التي يقنع بها تدل على ما فيه من سذاجة متناهية ، وسرعة تصديق متأصلة »

دينين .. ويصيخون لكل ناعق ويهبون بسخاء نادر جيوبهم وقلوبهم وعقائدهم لكل سائل لأنهم بعد أن عزلوا^(١) العقل وتنازلوا عن تحكيمه عجزوا عن أن يعرفوا الحق من الباطل ، والصادق من الكاذب ، والقائد من الصائد ، فصدقوا المستحيلات والمتناقضات ، وآمنوا بأشنع الترهات ، لأن العاصم من كل ذلك وهو العقل - قد أبعاد وعزل »

ثم مثل لانهار عقل المتدينين بتصديقهم لما كان يشاع في الحرب الماضية ثم استطرد فعمم عدم العقل عند المتدينين قديماً كما هو الحال الآن ، واستشهد بأشعار من ذلك ثم كلف نفسه تعليل ذلك فقال ص ٣٢٥

« ومن الواجب أن نعرف سبب هذا الاستسلام والضعف الفكري لدى هؤلاء المتدينين والذي يظهر لنا كثيراً أن من أسبابه أنهم ينكرون أن يكون بين أحداث هذا الوجود ترابط عقلي وتعليل ثابت بل يرون أن الوجود كله - بما فيه من حوادث وأحداث محكوم بقوة مجنونة - أو هي كالمجنونة - في أفعالها وتصرفها (أنظر كيف يعبر عن الله الفاعل المختار) ولهذا فلا قوانين ولا ضوابط للمعجزات والخوارق - تأمل شكه في آيات الانبياء ومعجزاتهم - فكل

(١) من الذي قال ان المؤمنين المتدينين عزلوا العقل وتنازلوا عن تحكيمه ؟ وأي قيمة لقول كهذا مادام مصدره الهوى والتجنى على الدين وأهله ؟ ومن الذي قال إن الاسلام يعزل عن العقل - والرجل يكتب للمسلمين لاليهود ولالهندوس والاسلام يحكم العقل ويأمر بحسن تصرفه واستعماله في مئات الآيات ان الرجل يكذب ويفترى ويتخذ من افتراءاته حججاً على الناس ممن يكرهه ؛ وللناس ممن يود أن لو كان مثلهم في الدنيا . ولقد كان يستطيع أن يقلد أهل الدنيا في أخلاقهم وسننهم ويحربها في نفسه لننظر أين تقضى به من غير أن يطمع في أهل الدين كل هذا الطعن المنكر المكذوب (غ)

شئ، جائز وكل شئ، مستحيل^(١) فيصابون بالفساد الفكرى العام وإذا اختلكت الوسيلة فكذلك النتيجة . وإذا انهار الاساس انهار بلا شك مارع عليه ! ولن نجد ميزانا فكريا لدى هؤلاء الذين يعيشون فى هذا الجو المسحور المجنون المائج بالخوارق والمعجزات والكرامات التى صنعها الشيوخ والصالحون ساخرين من القوانين الطبيعية »

فأعاد ما كرره سابقا ان الايمان بررب فاعمل مختار يفعل ما يشاء على مقتضى حكمته لا على موجب هوس الماديين الطبيعيين وأغلاطم المقيدة لأفهامهم ، وأنه يؤيد رسله بالآيات والخوارق التى تعمى عيون معارضهم ونحير أصحاب الفكر المادى ، فيلجأون إلى البهت والتكذيب بما لم يحيطوا به علما . قرر الكاتب أن هذا كله منافض للعقل مبعد له . الخ ما سمعته من كلامه . ثم مثل ضعف عقولهم بقسوة قلوبهم مطللا لذلك فقال ص ٣٢٥

« وهذا التعليل صحيح على وجه الاجمال كما يبدو لنا كما علل بعض علماء النفس والاجتماع القسوة التى يتصف بها المتدينون ظالما إذا قدروا وأخذهم خصومهم أخذاً خالياً من الشفقة الانسانية - بكثرة ممارستهم صناعة التخويف والتهويل للمعصاة والكافرين وكثرة قراءتهم النصوص التى نصف الأهوال المعدة لأهل الآثام والشهوات فقد صاغوا طباعهم وأنفسهم بطابع الغضب والقسوة والعنف فارتاضوا على ذلك كثيراً حتى أصبحوا وحوشاً تنطق باسم الدين وتفترس على حسابه . ومن ثم فالتنا نعتقد أن هذه الجماعات المنسوبة إلى الدين الناطقة باسمه لو انها استطاعت الوثوب على الحكم ووضعت السلاح فى يدها لحكم البشر

(١) كذا والمبارة مختلفة ولعلها كانت هكذا « وكل شئ غير مستحيل »
ولكن غير الورعين الذين طبع كتابه عندهم حرفوها له كما أنه مررت تحريفات أخرى غيرها ص ٢٩٠ س ٧ وس ٩ فكيف لم يصححها ولا غير المتدينين

عهد من الارهاب يتضائل ازاءه كل إرهاب يستنكره العالم اليوم ^(١). وهذا أمر يجب أن يعرفه أولو الرأي والمقدرة وأن يحسبوا له الحساب قبل فوات الأوان ولن تجد أقسى قلباً ولا أفنك يداً من إنسان يثب على عنقك ومالكه ويقتلك ويسلبك معتقداً أنه يتقرب إلى الله بذلك ويجاهد في سبيله وينفذ أوامره وشرائعه. والسوء لمن ناموا على فوهة البركان قائلين لعله لا ينطلق ^(٢)

ففي هذا الكلام استهزاء بالنصوص الدينية الأخروية في وعيد العصاة والفجرة والكفرة. فاذا ضم مع ماتقدم من التشكيك في الله تعالى

(١) هذا كلام ملقى إلقاء من غير تقدير ولا حساب وإلا فالتعصب ضد أهل الدين هو وحده الذي يزين لمثل هذا الرجل أن أهل الدين يكونون في الحكم أقسى على خصومهم من أهل الثورة الفرنسية مثلاً في الماضي وأهل الشيوعية في الحاضر (غ)

(٢) وفي حاشية ص ١٨٠ رمى المتدينين بالقسوة والخشونة في معاملة الناس، وعلل ذلك باعتقادهم أن الاتصال بالله والايمان بمظلمته وكامل قوته يستلزم إهانة خلقه الضعفاء فشتهم وإهانتهم كالبرهان على الثقة بالله وعلى أن الضر والنفع منه وحده. اه فهل تعجب من هذا البهتان الذي يفضحه الواقع أو من الحق على الدين وأهله أو من هذه القحة المفضوحة وإن أردت أن تعرف كيف نبث هذا الفرع الأغلاي من أصل غوستافي فاقرأ ما كتبه لوبون في كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ١٤٦

س ٧ « ويتضمن اليقين الديني واليقين العاطفي في الانسان احتياجاً يذو

حل الناس عليهما، فالمرء عند ما يؤانس من نفسه قوة لا يتحمل أن يرى غير يقينه عند الباقيين ولا يتأخر لحظة عن اقرار أشد المظالم والاتيان بأفزع المذامح في هذا السبيل حتى لقد خرب أولو اليقين العالم في كل زمان ومجا يخشى على الأمة أن يقودها هؤلاء... فليوفن رجل ذو قوة كأمبراطور المانيا أن يقتبس قوته من الله ثم ليتوهم أن الله أمره بشهر الحرب على الملاحدة لئرى كيف يقلب أوربا كما قلبت في الماضي بفعل مثل ذلك اليقين » اه

واحتقار المؤمنين بالآخرة ، وتعظيم الفجار والكفار والكفرة بهما، علمت ما ينطوى عليه جناح الكاتب وأهدافه في أغلاله . ثم التشهير بالدين وأهله وزمبهم بالقسوة والغلظة التي لا نظير لها في تاريخ العالم ؛ ثم تحريض أهل القوة والرأى والسياسة على خنق الدين وأهله وكنم أنفاسهم ومحققهم قبل أن يشوروا كالبركان، ثم الهزء بالجهاد في سبيل الله ورعى أهله بالقسوة والوحشية . كنت أعجب كيف جاءت هذه الأفكار الهدامة الفجة الدهرية لمثل هذا المطوع (١) العامى الذى لم يؤت من العلم ما يوازى الشهادة الابتدائية فضلا عما فوقها من فنون العلم والعرفان ؛ وبدايته ونهايته العلمية معروفة لدى عارفه فقط ثم خطر ببالى انه طالع كتب غوستاف لوبون مثل كتابه « الآراء والاعتقادات » « وروح الاجتماع » « وسر تطور الأمم » الخ وأمثاله من الهدامين لجود النصرانية فى العصور المتأخرة ومحاربة سيطرة الكنيسة على أهلها بالعدوان والظلم والجمل

فتغذى هذا الكاتب بهذا القبيح والصديد ونفثه سموماً على دين الاسلام وأهله ولم يعلم - وهو يدعى العلم والفهم - ان الاسلام وأهله وتاريخه غير النصرانية وأهلها وتاريخها أولكن (من لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا) (أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره عشاوة فن يهديه من بعد الله؟ أفلا تذكرون)

(١) المطوع بلغة نجد هو المتشبه بالمتعدين وليس بهم وهم كصنف الفقهاء بمصر الذين يظهرون بمظهر العلماء وملابسهم وليسوا بهم .

أراد الكاتب أول ص ٣٢٦ ان يعتذر عما بصق من قيح وسموم
وأقذار في وجه طهارة الدين ونقاؤه فاعتذر بعذرين (احدهما) ان الدين
«إذا أخذ على غير وجهه وقصده جاء ضاراً ومفسداً لأخلاق الانسان وكل
معانيه الطيبة .. (وثانيهما) أن البشر عاجزون — فيما يبدو لنا حتى اليوم — عن
أخذه وفهمه وتصوره على وجهه النافع المفيد بل هم إما أن يبقوا غير متدينين
أو متدينين تدينا باطلا — كما أثبت هذا جملة تاريخ الانسان ولا بد من استنباط
فترات أو مضات قليلة خافتة » ويظهر أن المبادئ الانسانية العظيمة تأتي
دائماً سابقة لاستعداد الجماهير من البشر فاذا دعوا إليها أو فرضت عليهم — قبل
تمام هذا الاستعداد — أخذوها أخذاً سيئاً ضاراً بهم وبالمبادئ نفسها وذهبوا
يعملون بها على غير وجهها وصوابها ومن هنا تأتي النكبة .. والدين هو أحد
هذه الأمور الجميلة التي عجز الناس عن تصورها تصوراً صحيحاً لأنها جاءت قبل
استيفاء استعدادهم الموقوف، فراحوا ضحايا هذا التصور الباطل »

فالدين في نظر الكاتب لم يفهمه الناس إلى اليوم ، والرسائل تبعث عبثاً
وأتباعهم لا يعرفون الدين حتى يحىء هذا الكاتب ومن تغذى بأفكارهم
فيفهمون الدين فهماً دهرياً ، من أسباب لا تتخلف ، ولا يمكن لله أن يبطلها ،
ولا أن يحول بينها وبين مسبباتها . وكذلك من فهم الله فاعلاً مختاراً يؤيد
رسله بالآيات ويخرق لهم النواميس التي لا تخرق عنده هذا الكاتب وأمثاله .
فقد فهم الله قوة مجنونة أو كالمجنونة فلم يفهم الدين فهماً صحيحاً ، ومن كان
سببياً ناجحاً فلا بد له من الشك في الله وقدرته ، ومن آمن بالله فلن يكون
سببياً ناجحاً له عمل في الحياة متألقاً فيها . أما أنبياء بنى إسرائيل وأنبياء
المتدينين عموماً فكانوا كالإيمان بالله واليوم الآخر نكبة على البشر تأخيراً
للحياة وأهلها . الخ

ويتنبأ الكاتب ص ٣٢٦

بمجيء اليوم الذى يقدر البشر فيه أن يدركوا من حقائق الأديان ما لم يدركوا وأن يفهموها ويفهموا مراميها السامية كما أريد منها وبها وحينئذ — حينئذ فقط ستبلغ بهم السمو المقدر لهم ولها .»

ذلك اليوم الذى يترقبه الكائب فيما رآه نحن هو يوم انتشار الفوضى الأخلاقية والدينية ، يوم يمشى الناس عراة كالبهائم ، ويتسافدون فى الطرقات كالحر ؛ كما أشار إليه الحديث الصحيح « إن الساعة لا تقوم إلا على شرار الناس وعلى لکم بن لکع » ويوم تطلع الشمس من مغربها وحينئذ (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً) (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون) وينطمس معالم الدين حتى لا يقال فى الأرض الله الله . يوم تهب ريح طيبة فتقبض كل نفس مؤمنة ، وتكون حينئذ الدهرية مستحكمة ، والايمان بالطبيعة وجمالها — على حد تعبير الكاتب — قائماً ، أخذاً بزمام الناس ، وحينئذ تكون الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى يفجأهم وضعها ...

﴿ فصل أمامنا وراءنا ﴾ ص ٢٨٧

يريدنا الكاتب فيه أن نكفر بالقرون الفاضلة من العصابة والتابعين
ونرفض القدوة بهم وتعظيمهم ، وأن نكفر بهؤلاء الأئمة ومعارفهم
وفضائلهم ، وما قالوه وعملوه أو تركوه لنا ، ونهكم بمن يدعو إلى الأخذ
بما أخذ به الأولون ، فقرر نظرية النشوء والارتقاء في المادة والجماد والنبات
والحيوان ؛ وحكى ما تخيلوه في كيفية نشوء هذا العالم من مادة سديمية
وكيف تجمعت وتكتلت شمساً وسيارات وأقاراً بكلام غير مفهوم
بلسان العلم اليوم ولا بلسان الدين أمس ، فقال (ص ٢٨٨)

« ثم أخذت هذه النجوم والشموس بالتفاعل نفسه وبالاستعداد والخبوء
فيها للتطور تنقسم على نفسها وتنفصل عنها النجوم والسيارات والتوابع ليكون
لكل شمس من هذه الشموس مجموعة متماسكة من هذه المجموعات التي يدعونها
اليوم المجموعات الشمسية أو المجموعات النجمية التي إحداها مجموعتنا الشمسية
التي نحن إحدى رعاياها .

فأنت ترى في تعبيره هذا أنه لم يقل أو لم يعرف ما قاله العلم اليوم في
تولد الشموس والسيارات وتوابعها ، ولو قرأ كتاب (النجوم في مسالكها)
وكتاب (الكون الغامض) كلاهما للسير جنز الفلكي الانكليزي ، لكان له
تعبير آخر أقرب إلى كلام أهل هذا الفن . ولسنا في صدد حكاية كلامهم ،
فهو مبسوط في محله ، والفرض التنينيه على أن الكاتب وقف على نظرية
لا بلاس في توالد السيارات من الشموس ، وهي اليوم أضعف نظرية في ذلك
وأوهاها ، وقد جدت بعدها نظريات وستجدد غيرها . والعلم الحق عند

خالق الكون وواهب العلم

ثم تدرج الكاتب من ذلك بعد كلام طويل ممل إلى نشوء الانسان في ثلثمائة الف سنة . وعبر بثلاثمائة سنة غلطا في موضعين (ص ٢٩٠ س ٧ و ٩) وقد نقلنا كلامه بنصه فيما مضى (ص ١٤) ثم تدرج من ذلك بسفاهة ووقاحة وبذاءة على زعماء الدين فقال (ص ٢٩٣)

« أما هؤلاء الذين قلدوا الزعامة الدينية واختيروا لقيادة الفكر الاسلامي في أحوال سيئة قاسية ولأسباب ينكرها الدين والعلم قد عصفت بهم نوبة من نوبات الفساد الذهني وموجة من موجات العماية الأصلية واجتاحهم إعصار من أعاصير الجهل التليد البليد فقاموا وهم يترنحون من الغباوة ويتبايلون على أنغام الشيطان ليقعوا على أ كذوبة علمية من أعظم وأشهر الأ كاذب العلمية في التاريخ فقد زعم هؤلاء - بين هتاف الغباء المتواصل - في كل كتاب كتبوه وقول قالوه أن سعادة الانسان وطريق تقدمه وراءه لا أمامه ، وأن عليه أن يتلفت خلفه أبداً وألا يعد بصره بين يديه ابداً وأن يرجع القهقري وينسكص إلى الوراء ما استطاع إلى ذلك سبيلا ليظفر بالسعادة والعلم وبالعدل وبالاخلاق وبالعدالة والنظام الاجتماعي المبرأ من العيوب والنقائص وزعموا أن كل خير هو في أعمال الماضين وكل شر هو في أعمال المتأخرين وأن كل خير في اتباع من سلف وكل شر في اتباع من خلف وإن كل ما يمكن تصوره من الخير فقد مضى ، وكل ما يمكن تصوره من الشر فقد بقي . . . »

إذ قد ادعوا أن الانسان في كل نواحيه العقلية والعلمية والاخلاقية والخلقية والجسمية قد أخذ حظه من الكمال في الزمان الأول ثم عاد يتناقص وراح ينحدر مسرعاً في سلم الرذيلة والجهل والانحطاط والضعف في كل شيء وأنه لا يمكن أن يتوقف عن انحداره حتى يقضى عليه القضاء الأبدى الأخير الخ . وحسبك من شتم هذا الوقح لمن احترم السلف وعظمهم ، واعتقد

فيهم الخير والفضيلة بذاءه وما هذى به من تحقير خير القرون وأزهر عصور الاسلام وحقده الذي لم يقدر على إخفائه على الاسلام وأهله وعلمائه ومُحَمَّاه . أما مسألة تقدم الانسانية أو تأخرها ، وهل هي في ارتقاء أو انحدار ، فستأخذ من أحدث آراء العلم عن لسان استاذ في جامعة من جامعات العلم بأوروبا التي يعبدها الكاتب ويؤمن أنهم هم الناس فضلا عن نصوص الدين كما ترى ، فاذا نشترى : ألد أم البعر ؟

جاء في مجلة الاثنين عدد ٦٧٦ (٢٦ مايو سنة ١٩٤٧) تحت عنوان (يوم القيامة قريب) « يقطع العالم الألماني شيلر الأستاذ بجامعة «بون» أن الانسان سيختفي قريباً عن ظهر الكون ، وأن يوم القيامة أقرب مما يظن الكثيرون ، وهو يضع لحكمه هذا «حيثيات» نوردها فيما يلي :

١ - لم يطرأ أي تحسين على النوع البشرى منذ مدة طويلة من السنين ، وهذا ثابت بالنتائج التشريحية للجسم والمخ

٢ - فان عقل الانسان في القرن العشرين لا يختلف وعقل الانسان منذ فجر التاريخ . وليس أدل على ذلك من أن قدماء المصريين كانوا عباقرة في شئون الهندسة والعمار والكيمياء وفنون الحرب ، والفينيقيين كانوا نوابغ الجغرافيا والملاحة والتجارة . و قدماء الاغريق كانوا أرباب الأدب والشعر والنحت والموسيقى

٣ - وإذا كان الانسان قد توصل إلى عدد من الاكتشافات والاختراعات العظيمة خلال القرنين الأخيرين ، فليس يعنى ذلك أن عقله قد ارتقى أو تطور ، بل مرجع ذلك إلى المصادفة في غالب الأحيان ، وإلى

تراكم المعلومات التي توارثها الإنسان في العصر الحديث عن آباءه وأجداده خلال مئات السنين الماضية

٤- بدأت الجماعات هوى وتنحلّ خلقيا ، والخلق هو رباط المجتمع السليم ، وليس أدل على ذلك من انتشار دور الرقص والملاهي المبتذلة ، وتقشّي الآراء المتطرفة المادية . وفي هذا دليل على ثورة الجنس البشرى على الأوضاع التي فرضتها الأديان (تأمل)

٥- ويقرر شيلر أن حدوث حريين عالميتين في مدى عشرين عاماً دليل على عدم رضا الجنس البشرى عن النواميس الخلقية التي تقيد بها في عصر نهضة الضمير الانسانى ، ودليل على انطلاق غرائزه الحيوانية التي كانت على أشدها منذ آلاف السنين . ومعنى ذلك أن البشر قد وصلوا إلى مرحلة الشيخوخة التي تشابه مرحلة طفولتهم الأولى مع فارق واحد هو أن الطفل مرّجوة التقدم ، والشيخ ينحل ويفنى

ويقول « شيلر » إن في ذلك كله علامات الساعة ، وأن المتدينين قد نون أسعد الناس بهذه النهاية العاجلة «

فليتدبر كاتب الأغلال كلام العالم الألماني لعله ينظف جروحه الصديدية من جرائم الأفكار الغوستافية وميكروبات الدهرية البائنة . ليفهم كلام هذا الأستاذ الجامعى الأوروبى حتى يناقش حيثيات حكمه بالحكمة والعقل والأدب لا بالسفاهة والسباب التي كالهـا لسلفنا والمؤمنين بفضائلهم وبما جاء في ديننا وبما يشهد له الواقع من انحطاط الناس خلقيا وأدياً بل وجسمياً وتدهورهم في ذلك كله عن سلفهم كما يشهد بذلك الواقع

المشاهد في المراسح والمواخير وشواطئ البحار (١) وسنشير إلى شيء مما جاء في القرآن وصحيح الأحاديث بعد ما نفرغ من نقاش بعض آراء الكاتب في هذا الباب

قال الكاتب أول ص ٢٩٤

« وقد حاولوا - والبلاهة تحذو لهم - أن يعزوا هذه الدواوي بروايات وأخبار نسبوها إلى الرسول عليه السلام وإلى أصحابه وإلى الأئمة المقلدين وجدوا في نشر هذه الأخبار والروايات والآراء وفي ترويحها حتى أمكن لهم أن يصيروا من هذه الخرافات ثقافة عامة يلتقي عليها وينضوى إليها أربعائة مليون من الأجناس المختلفة . . وقد استسلم لهذه الثقافة أو لهذه الخرافة كل الطوائف وحتى أصبح اعتقادها والتصديق بصدقها مما يتسامى على الخلاف والجدل وحتى قام عليها من الإجماع بين الخواص والعوام ما لم يبق على قضية أخرى .
ولو أن قائلًا قال انه لم يدر على خاطر انسان الشك فيها وفي صحتها كل هذه القرون لما كان قائلًا باطلا ولو سئلنا عن أكبر غلطة نهض عليها الاجماع الحقيقي أكبر مدة من الزمن لذكرنا هذه القضية في أول ما نذكر

(١) وإن ارتقت صناعاتهم المادية فلهدم مجتمعهم الخلقى والأدبى والدينى ولا سعادة لامة إلا بقيام دينهم وما ينشأ عنه من خلق وأدب . وقال تقولا حداد فى آخر مقال ميلاد عصر الذرة ص ٢٥٦ مقتطف ابريل سنة ١٩٤٦

الأرجح أن هذا الانسان لن يتوب الى الله وأن مدينتنا الحالية شاخت وهرمت وهى تحمل ما بين جوانحها عوامل فناءها هى ابتدعت القنبلة الذرية والقنبلة الذرية ستفنيها وهكذا سينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرض قبله الدينوسور وأصناف الانسان السبعة التى تقدمت - إلى أن قال : هل يمكن أن ينقرض الانسان عن وجه الأرض كما انقرضت أحياء قبله ولكن أين العقل ! العقل بلا أخلاق لا يبقى الانسان من الفناء . ١ هـ

فانظر إلى تكذيب خيار الأمة وخير قرونها، وجلة أئمتها وعلمائها،
ورميهم بالبهتان. ثم رى إجماع الأمة الحقيقي بالخرافة والبطلان؛ ثم رى
الأمة التي شهد الله لها بأنها خير أمة أخرجت للناس - خواصها وعوامها -
بالجهل والكذب والزور والبهتان. وترك اليك أيها المؤمن الحكم والتعليق
قال الكاتب ص ٢٩٥

« كان أقوى ما عززوا به هذه الأغلوطة أنهم قلدوها مصلح البشرية عليه
السلام وصحابته وانهم ذهبوا يجمعون الروايات من هنا وهناك ويزعمونها من
كلامه إلى أن استقرت في الأذهان هذا الاستقرار الذي صار من العسير التشكيك
فيه وزحزحة .

من هذه الروايات الرواية التي أوردناها في مطلع البحث وهي (لا يأتي
زمان الا والذي بعده شر منه)

وقد ردها الكاتب بأمور مضحكة ستسمعها لتضحك معي من فهم
الكاتب وعجمة قلبه وعقله . وهذه الرواية في صحيح البخاري من رواية
سفيان الثوري عن الزبير بن عدي قال : أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه
مانلقى من الحجاج فقال اصبروا .. فمن ذا الذي يريد الكاتب أن يكذبه من
هؤلاء الرواة : أهو سفيان الثوري أو شيخه أو أنس بن مالك ؟

والكاتب يردها كما في ص ٢٩٥ بأمور قال :

(١) انها سب للدهر فتكون مخالفة للرواية الأخرى الصحيحة ولا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر)

فأقول له : من عجمة عقلك وهواك أتيت ، فيبان الحقيقة ليس بسب ،
فمن قال عنك إنك صعيدي كان أبوك أو جدك ممن نكبت بهم نجد فليس

سابقاً ، ومن قال لعنة الله على الصعيدي الملتصق بالقصيم ، لعنة الله على من يلتصق بقوم وهم ينكرونه ولا يعترفون به ، فهذا هو السب ، فالسب المنهى عنه للدهر هو كقولهم يا خيبة الدهر ويا نحس هذه الأيام ، ويا شيؤم تلك الليالي الخ.

وأما قولك : هذه السنة جذب ، وهذه السنون شداد قحط ، وغير ذلك فليس من السب في شيء كما يعرفه كل عربي مستقيم السليقة والفضيلة والعقل والفهم . وشتان بين هذا وذاك

ثم من أين لك صحة الحديث الآخر « لا تسبوا الدهر » والذين روه هم مثل من روى حديث « لا يأتي زمان » الخ . الكل من مشكاة واحدة ، وعن رواية متشابهين وأئمة عدول . فلماذا رددت هذا وقبلت ذاك : أهوى أم العمى ؟ أم نظرية النشوء والارتقاء ؟ أم تسفيه إجماع الأمة المعصومة ؟ أم اتباع غير سبيل المؤمنين ؟

وبيان حقيقة الزمان ليس سباً له كما قدمنا ، وهي بيان لأهله بأسلوب عربي معروف جاء مثله في أبلغ الكلام وأفصحه (واسأل القرية) (وكم أهلكتنا من قرية بطرت معيشتها) (ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة) فقصده الحديث أنه لا يأتي أهل زمان إلا والذين بعدهم شر منهم في الخلق والدين والحشمة والآداب . وهذا هو الواقع حذوك النعل بالنعل (٢) رد الحديث لكونه يدل على أن كل أهل زمان يكونون شرّاً من الذين قبلهم . ثم قال :

« إن هذه دعوى يكذبها الحس والعقل والتاريخ ، والاديان كلها لا تخرج عن

أن تكون بجملتها تكذيباً لهذه الدعوى ، لأنها جاءت لنقل الناس من حالة عامة إلى أخرى مغايرة - وقد نقلتهم - وكان الناس الذين قبلوا الدين هم بلا ريب خيراً من الذين قبلهم ممن كانوا على خلاف الدين فكان الأنبياء والمؤمنون بهم خيراً جداً من الذين قبلهم « الخ . ما قرر . . . »

وأقول له : من عجمة العقل أو من الهوى أثبت . فالحديث يقول « لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه » فيحكم على الزمن المستقبل بعد التكلم به أى بعد زمانه وَاللَّهِ ، كما يدل على ذلك الفعل المضارع المنفي بلا ، كما يعرف ذلك من عرف العريية ذوقاً أو قواعد أو جمع بينهما ، ولم يقل الحديث « كل زمان » حتى يرد به هذه اللوازم التي لا ترد على لفظ الحديث ، والعامى الذى لم تفسد فطرته يذوق الفرق ويميزه بين « لا يأتي زمان » أنه للحكم على الزمن المستقبل ، وبين « كل زمان » أنه تعميم للحكم على كل زمن مضى ويأتي ، وشتان بين الحكمين عند من عقل وأنصف ؛ ولم ينظر إلى ارتفاع الصنائع والمخترعات ، ويعمى عن تأخر الخلق والدين

(٣) رده الكاتب بسفاهة تدل على قلة الفهم والانصاف ، وعلى عدم

معرفة التاريخ فقال ص ٢٩٦

« وفي الرواية قصة هي كوثيقة الجريمة التي تعلق في عنق المتهم قالوا آتى الناس انس بن مالك وشكوا اليه ما يلقون من الحجاج بن يوسف فقال انس اصبروا فانه (لا يأتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم) سمعته من نبيكم . . . وإذن فالرواية سبقت في مقام الامر بالصبر على مظالم الحجاج بحجة أنه لا أمل فيما يطلبون من العدل ومن الحكم الصالح ولا أمل في أن يوجد أحسن من الحجاج ومن خليفته المرخي له في عنانه ليخوض في عدوانه الخ . . . »

إلى آخر ما أطل الكاتب في ترديده لرد الرواية والنهك بها وبرواتها،
ومن آمنوا بها

وأقول : إن ما جعله من القصة كوثيقة الاجرام في عنق المتهم هي
أول دليل على صدق الحديث وصحة القصة التي روى لأجلها

ومن يك ذا فم مريض يجد مرأً به العذب الفراتا
ذلك أن أنس بن مالك رحمه الله وقد استفاد من صحبة النبي وخدمته ،
وما سمع من أحاديث الحضر على الجماعة والنهي عن الفرقة ، والخروج على أئمة
الجماعة ولو جاروا ، وما استفاد من عبر التاريخ ، والواقع من النتائج السيئة
التي حصلت للخارجين على الجماعة ، وما وقع بهم مما يبكي له التاريخ ، ومن
قصة خروج الحسين بن علي سبط النبي وابن الزهراء وسيد شباب أهل
الجنة وابن الخليفة الراشد علي بن أبي طالب : في خروجه على ابن زياد وما
حصل للحسين مما نبك به ونحزن له ، ونتمنى أن يكون الحسين قد سمع
مشورة عقلاء آله وأحبابه عليه كابن عباس وغيره من عدم الخروج على
يزيد وواليه ، وأن يأخذ بأقوال جده في عدم الخروج ، وبسنة أبيه في
رضوخه لأحكام عثمان مع نقده لسياسته الأموية وعصبيتها ، وبسنة أخيه
الحسن بن علي الذي تنازل عن بيعته في الخلافة وحقه في الولاية لخصمه
وخصم أبيه معاوية حقناً للدماء حتى مدحه جده على ذلك مقدماً بقوله
فيه مشيراً إليه « إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين
من المسلمين » فتحققت نبوة النبي ﷺ فيه في هذا التنازل الجامع لكلمة
المسلمين . فلم يخف على أنس هذا كله ، ولا عواقب ما كان من خروج

عائشة وطلحة والزبير على علي رضي الله عنهم أجمعين في وقعة الجمل ، ولا خروج الخوارج عليه في النهروان

فهل يريد الكاتب الجاهل بالدين والتاريخ وعبره أن يشير عليهم أنس بالخروج حتى يكون لهم في التاريخ ما كان لفتنة عبدالرحمن بن الأشعث ومن معه الذين بنى برءوسهم بناء ، وسميت الوقعة بوقعة الجاهل تخليداً لعبرتها التاريخية .

إن كاتبنا حينما شكنا من ظلم ملوك العصر بقوله ص ٢٩٧

« من مظاهر ذلك هذا الذي نشهده في كل الطوائف في البلدان الاسلامية أو الشرقية من الخنوع خلفاء أولئك الجلادين الذين يحاولون اليوم أن يقوموا بتمثيل أدوار أسلافهم من الطغاة وقد رأينا البائسين المحرومين يجدون لذة كبيرة وسعادة نفسية ووجدناهم تشرق من وجوههم الكالحة المغبرة إذا أبصروا هؤلاء الذين أخذوا منهم كل شيء ولم يعطوهم شيئاً يعمرون بهم بل انهم يقفون صفوفاً صفوفاً ليتمتعوا برؤيتهم وليسعدوا بمشهدهم إذا ذهبوا أو جاؤوا بمواكبهم التي يجب أن تملأ النفوس حقداً وغضاضة من غير أن يتألموا من ذلك أو تطرف له أعينهم بل لعلهم يذهبون يدعون لهم من أعماق صدورهم يسألون الله أن يزيدهم مما أعطاهم وأن يرفع من مقامهم فوق رؤوسهم أكثر مما رفع ولا ريب أن هذه الروح التي برئت من الاحقاد النافعة ، ومن الغضب والغيظ لرؤية المظالم والظالمين أثر من آثار هذه الروايات الخ .

فأنت ترى الكاتب مع حقده لهذه المظاهر المملوكية والمواكب لهم لم يستطع أن يتكلم في أهلها إلا بحسرة عجائز الخوارج وتهدات عذارى الفوضويين — هذا وهو في القرن العشرين الذي يعده أرقى بمراحل كثيرة من قرن سائلي أنس ، القرن السابع الميلادي ، فإذا كان وهو بزعمه قد ارتقى

عنهم بتطور ثلاثة عشر قرناً علماً وشجاعة وزعامة وإصلاحاً وبدناً ، لم نسمع منه غير أنات المرضى وآهات المكظومين ، أفلا يعذر أنس فيما أشار عليهم من الحكمة ورعاية مصلحة الجماعة الإسلامية حينئذ ، وليس مراد أنس أن حكم الحجاج لا يأتي ما هو خير منه ، ولكن يريد أن الجماعة الإسلامية في زمنه خير من الجماعة التي تأتي بعده ، فالخروج عليها وتمزيق شملها سفه وطيش ، وعواقبه وخيمة كما سطره التاريخ في دفتاره ، ودلت عليه حكمة أحاديث الحث على الجماعة والتمسك بها ، والبعد عن الفرقة وشروها .

سنعود فيما بعد - قبيل آخر الكتاب - إلى شيء من نفاق الكاتب وجبنه ومناقضاته ومدحه لأقوام يرجو منهم قتات خبزه ، ثم ذمهم تحت ستار من النفاق حفظاً لعيش دنيء . (١)

أطال الكاتب الكلام وكرر في تحليل هذه الفكرة ، فكرة تعظيم الأوائل واحترام القدامى من ص ٢٩٨ - ٣١٨ وأخذ يعدد ما لها من شرور في نظره ، وتحسر ونجح نفسه حزناً للألوف الكثيرة من مؤلفات أهل تلك القرون ، وانها شيء ضار غير نافع ، إلى أن خرج بالنتيجة التي يريد بها ويتمناها « ص ٣٠٨ » فيقول

« يحمد المصلحون اليوم . يعنى نفسه . عناء وإرهاقاً في محاولتهم هدم ما شاده الجهل الأول ويذهب كل ما يبذلونه أو أكثره في هذه المحاولة هباء والمائق الأكبر هو أن هؤلاء الذين يراد إصلاحهم يرون الكمال في أولئك

(١) ومن ذلك طلبه ممن ذمهم بالظلم والغشم أن يشتروا له بيتاً بمصر بيضة آلاف من الجنيهات حتى رمى بسبب ذلك منهم بالجنون والحق . ومن مد رجله لا يمد يده

القدامى الذين يجدون هذه الأباطيل والخرافات في كتبهم فن المستحيل أن يجمعوا بين الكفر بأباطيلهم وبين اعتقاد الكمال المطلق فيهم - والسبيل التي لا سبيل سواها لإخراج هذه الجماعات المنكودة مما هي فيه أن تعلم الكفر بهؤلاء والشك فيهم وإساءة الظن بهم وبعلمهم وأن تعلم أنهم كانوا تحت ظنهم بهم جداً وأنهم أبعد عن الكمال من المعاصرين ومن المتأخرين وأن تعلم كيف تثق بنفسها وببطلها وباستعدادها

إني لا أنظر إلى هذا الميراث الثقيل الباهظ الملقى في طريق المسلمين، وإلى هذه الأسفار التي تروع أعدادها ويعجز تعدادها - وما فيها مما لا يستقيم لأمة أمرها ووجودها معه فأفزع وتذهب الأفكار في كل وجه ثم تزوب مجتمعة في جمعة على أنه لا خلاص إلا إذا استطعنا أن نكفر بهذا الميراث وعلى أنه لا يمكن الكفر به إلا إذا عرفنا كيف نزل مورثينا إياه عن هذه العروش السماوية التي صنعناها لهم على حساب قوانا العقلية والدينية ثم أجلسناهم عليها ثم جثونا تحتهم نسبح بحمدهم وتقديسهم ونزهمهم عن كل ما يخطر بالبال من اثم أو نقص أو ضعف .
فهل من سبيل إلى هذا على أنه لا سبيل سواه ؟

فاجمع بين هذا وبين رى أنبياء بني إسرائيل أنهم نكبة على البشر ؛ ورى المتدينين وأنبياءهم بتأخير الحياة وإطفاء نألقها، وإن الإيمان بالله كان نكبة على البشر ، وانظر ماذا بقي في جمعبته من الخط على الدين وأهله وأنبيائه ، والإيمان بالله واليوم الآخر

ونقول على سبيل التنزل : لا سبيل إلى هذا الكفر والروق ، وهدم تاريخ الإسلام والكفر به وبرجاله وراثته وراثتهم وبالدين كله بهذه السهولة التي يريدونها الكاتب ويريدنا عليها لأجل أن نستبدل بذلك كله حضارة مادية غريبة من كل فضل ، متهتكة ؛ يشكو عقلاؤها من شرورها ،

ويعترفون أن السعادة لم تمر بباب من أبوابهم كما نقله الأستاذ الامام في آخر تفسير سورة «والعصر» عن ما كس نوردو في كتابه المسمى (الأكاذيب العرفية لتمدنتا الحديث) قال الأستاذ الامام رحمه الله تعالى «إن ما يرى في بعض الأمم من ظاهر السعادة ليس إلا لمعان السراب حتى إذا جاءه وحقق أمره لم يجد شيئا»

وقال ما كس أيضا في كتابه المذكور مامعناه : إن الناس كانوا ولم يزالوا يطلبون الحق ، ولم يكونوا في زمن أبعد عنه منهم في هذا الزمان . ثم قال ما ترجمته «إنك لو طرقت أى باب تسأل : هل مرت السعادة بهذا البيت ؟ لأجابتك بحجب : إذا شئت فاطرق بابا آخر ، فإن السعادة لم تمر بيتنا » وهو يقول ذلك بعد أن ذكر ما عليه حال الأمم الأوروبية جميعها ، ونسبته من السعادة والشقاء ، وبعد أن أجمل من وصف أحوالهم والمصائب التي تتوقع لهم ، والآلام الشاغلة لقلوبهم أجمعين ، ما يرجحهم لأجله المقصرون عنهم ، ويزهد الراغبين في مثل حالهم ، ويصرفهم عن اقتفاء آثارهم ، ويبين سبب ذلك وأنه بعدهم عن الحق ؛ ونزوع أنفسهم إلى الباطل ، وفقدانهم الصبر في طلب المال ، وهرولتهم خلف داعي الشهوة لا يعصون له أمرا ، ولا يخالفون له إشارة . ومنشأ ذلك خلو نفوسهم من الركون إلى الإله الواحد خالق الجميع ورازق الأحياء ، ومقدر الأسباب لكسبهم على حسب ما وهبهم من القوى والقدر . اهـ وكما سمعته من كلام أستاذ جامعة بون الألمانية وكما يشهد به الواقع المحسوس

وها هو ذا غوستاف لوبون إمام الكاتب ومقلده ينصح للشرق

يبقائه على دينه وخلقه وأدبه ، وينعى على الغرب ويتوقع له شراً عاجلاً

قال لوبون في كتابه (حضارة العرب) ص ٣٦

« إن ما بين الشرق والغرب من الاختلاف عظيم ، وهو يبلغ في عظمته ما يتعذر معه اعتناق أحدهما لمبادئ الآخر وتفكيره

» وتعالى مجتمعاننا تحولاً بعيد المدى في الوقت الحاضر ، وقد قلبت

مبتكرات العلوم والصناعة كياناتنا المادية والأدبية رأساً على عقب ؛ ويقادى الغرب خلافاً شديداً في مجتمعه ، ويكابد في سبيل معالجة الشرور التي نشأت عن ذلك الخلاف أزمة عامة تسوقه باطراد إلى تبديل نظامه ، ويث من عدم الانسجام بين المشاعر والمعتقدات الجديدة ، ويألم من تصدع مبادئ الأجيال السابقة . وتنال يد التغيير في الغرب الأسرة وحقوق التملك والديانة والأخلاق والمعتقدات ، وتصبح هذه الأمور موضوع جدل ، ولا يقدر أن يتكهن بما يتمخض عنه العلم الحديث .

(قلت) قد أغنى الواقع عن التكهن فلقد ولّد العلم الحديث بما

أعطى الناس من صنائع وغرور بها ، وبما أفقر النفوس من الخلق والدين . — شروراً طار لظاها في حربين عالميتين في أقل من ربع قرن ، حصدتا من النفوس والرجال والنساء والأطفال ما الله به عليم ، وخربت الديار وأعرت الأبدان ؛ وأجاعت البطون ما تقشعر له الأبدان ؛ والحرب الثالثة على الأبواب ربما تأتي على البقية الباقية من الحضارة والعمران

قال لوبون : وقد كلفت الجماهير في الوقت الحاضر بمبادئ سلبية ،

وقد بلغ كلفها بها درجة الحماسة . قال : و حال الشرق غير ذلك ، فالشرق

في طمأنينة وسكون ، ولا عهد له بما عندنا من الانقسات والحياة
الصاخبة ، وقد بلغت شعوبه التي هي أكثرية البشر - درجة ظاهرة من
التسليم الهادي الذي هو عنوان السعادة على الأقل ، وتمتع شعوب الشرق
بما خسرناه من التماسك ، ومعتقدات الشعوب الشرقية قديمة ، وتحافظ
أسرها على استقرارها القديم ، وبقيت مقومات المجتمعات القديمة كالديانة
والأسرة والنظم والتقاليد والعادات - وهي التي أصابها في الغرب من الهدم
مأصباها - مؤثرة في الشرق مهيمنة عليه ، وليس على الشرقيين أن
يفكروا في تبديلها ...

فهذا لوبون الذي يقامه كاتب الاغلال يفرق بين الشرق والغرب ؛
وينعى الغرب ويندبه ويتوقع له ما حققته الايام من الخراب والدمار ، ويمدح
الشرق وينصح له أن لا يغير أوضاعه وخلقه ودينه . فإذا يقول كاتب
الاغلال في كلام إمامه هذا ؟ هل يرميه بالجهل والغباوة أو بالنفاق وسوء
النية ، أو يرجع عما أدى به العقلاء والخلق والدين والآداب ، فيكفر عن
هذا التضليل بالرجم عنه ونصح الناس بما نصحهم العقلاء قديما وحديثا
أنه لا صلاح لهم إلا بدينهم وخلقهم وآدابهم . وإن كنت أستبعد أن
يتركه شيطان الغرور والاعجاب بالنفس أن يراجع الحق ، فذلك ما لا يرجي
منه ولكن القلوب بيد الله تعالى يقبلها كيف يشاء

ونقول للذين يريدون القوة ويتوهمونها من كتاب الاغلال : إن
هذا الكتاب سموم وجراثيم للهلاك ؛ وليس من القوة في شيء ، بل هو
هدم لكل ما بقي فينا من قوة ومن طريق إلى الفلاح والفوز ، وليس بعد

تقويض الدين وآدابه وعقائده ، والكفر باختيار الله والتوكل وإنكار قدره ومشيتته ، والكفر بالآخرة والعمل لها وتحقيق أهلها والمؤمنين بها من غاية في الافساد والشر

وبالجملة فليس ثم إلا دين الله وأنبيائه ورسله والصالحين من خلقه ، ودهرية فرعونية لوبونية تكفر بالله رب العالمين وبملائكته ورسله وآياتهم ونصر الله إياهم وخذل أعدائهم . وأسباب متصلة الحلقات محكمة الارتباط ينفي بها غوستاف ومقلده وقبله «أوغست كنت» وقبلهم فرعون ينفون بها رب العالمين الفاعل المختار ، أو رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، خالق الأسباب والقادر على وقفها وإبطالها ، والفعل بدونها ، وتأيد رسله متى شاء بوقفها أو إبطالها . الخ مما تقوم الديانات ويؤمن الرسل والمؤمنون بهم .

وماك كلمة هندية في قيمة الحضارة الاوربية مدعمة بشهادة أحد أبناء تلك الحضارة . قال السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى في كتابه « ماذا خسر العالم بالمحطات المسلمين » الذى شرح فيه فساد المجتمع العربى والفارسى والروم قبل البعثة المحمدية ، ثم شرح الاصلاح الاسلامى العام للانسانية أجمع ، ثم تكلم على أصل المدينة الاوربية الحالية وبذورها الاغريقية والرومانية وخلوها من الروح والمعنى والخلق ، معزراً أقواله بشهادات حكماء الغرب - إلى أن قال :

قال الاستاذ جود فى كتابه المرشد إلى الشر المعصرى ص ٢٦١ :
يقول دسرايلى : إن المجتمع فى عصره يعتقد أن الحضارة هى الراحة

أما نحن فنعتمد أن الحضارة عبارة عن السرعة ، فالسرعة هي إله الشباب المعصرى ، وأنه يضحي على نُصْبِهِ بالهدوء والراحة والسلام ، والمطف على الآخرين بالقسوة .

ثم قال جود : إن الأوربيين قد فقدوا تعادل القوى والأخلاق ؛ والتوازن بين العلم بظاهر من الحياة الدنيا وبين الدين منذ قرون ، فلم تزل القوة في أوروبا بعد النهضة الجديدة ولم يزل العلم ينمو على حساب الدين والأخلاق ، ولم يزل ذاك في ارتفاع وارتقاء ، وهذان في انخفاض وانحطاط حتى بعدت النسبة بينهما ، ونشأ جيل كأنه ميزان لصقت إحدى كفتيه بالأرض ثقلاً « كفة القوة والعلم » وخفت الثانية « كفة الأخلاق والدين » حتى ارتفعت جداً ، فبينما يترأى هذا الجيل للناظر في خوارقه الصناعية ، وعجائبه الكونية وتسخيره للمدة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه كأنه فوق البشر ، فإذا هو لا يتميز في أخلاقه وأعماله في شرهه وطمعه ، وفي طيشه ونزقه وفي فسوقه وظلمه ، عن البهائم والوحوش . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة إذا هو لا يدري كيف يعيش ؛ وبينما هو قد بلغ الغايات ووراء الغايات في كاليات وفضول الحياة ، إذا هو لم يعرف المبادئ الأولية والبسيطات للحياة الانسانية والمدنية والأخلاق ، فتراه يصعد إلى السماء ويريد أن يناطح الجوزاء ، وهو لم يتقن شؤون الأرض ، ولم يصلح ماتحت قدميه . وقد خولته العلوم الطبيعية قوة قاهرة ولكن لا يحسن استعمالها كطفل صغير أو سفينة مجنون يملك أزمة الامور ، ويؤتي مفاتيح الخزان ، فهو لا يزيد على أن يعبت بالجواهر النالية والنفائس المخزونة ،

ويعيش في دماء الناس ونفوسهم

ثم قال جود الانكليزي : إن العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة
الجديرة بالآلهة ولكننا نستعملها بعقل الاطفال والوحوش . ويقول في
موضع آخر : إن هذا التفاوت بين فتوحاتنا الصناعية المدهشة ، وطفولتنا
الخلقية المخجلة نواجهها على كل منعطف وتمعرج ، ونستطيع أن نتحدث
من وراء البحار ، وركب فوق الارض والبحر وتحتها ، وننصب آلات
الاذاعة في منازلنا ، ونستمع في سيلان إلى دقات ساعة لندن الكبيرة ،
الاطفال يتحدثون على الاسلاك . البرقيات المصورة ، آلات الكتابة
الصامتة . نملأ الاسنان من غير وجع . الثمار تنضج بالكهرباء ، الشوارع
تفرش بالمطاط . أشعة رونتجن نوافذ نطل منها إلى داخل أبداننا . الصور
المتحركة تتكلم وتغني . نكشف عن المجرمين والمفتالين باللاسلكي .
النواصات تذهب إلى القطب الشمالى والطيارات نظير إلى القطب الجنوبي
ومع ذلك كله لا تقدر في وسط مدتنا الكبرى أن نخصص رجة ليلعب
فيها أطفال الفقراء في راحة وسلام ، ونتيجة ذلك أن تقتل منهم ألفين ،
ونجرح منهم تسعين ألفاً سنوياً . قال فيلسوف هندي في انتقاده اللاذع
لإطرائي بعجائب حضارتنا - وكان بعض سائقي السيارات قد نجح في
قطع ٣٠٠ أو ٤٠٠ ميل في ساعة ، أو أن طائرة طارت من موسكو إلى
نيويورك في ٢٠ أو ٥٠ ساعة (لا أحفظ)

قال الفيلسوف : نعم إنكم تقدرون أن تطيروا في الهواء كالطيور ،
تسبحون في الماء كالسماك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون

على الأرض !! ثم قال جود (ص ٢٤٧)

قد استطعنا أن نسافر بسرعة زائدة من مكان إلى مكان ، ولكن
الأمكنة التي نسافر إليها قلما تصلح للسفر . وقد زويت الأرض للرحالين
وتدانت الأمم ؛ ووطئ بعضها عتبة بعض ولكن كان من نتيجة ذلك أن
توترت العلاقات بينها وأصبحت أسوأ مما كانت ، أما المرافق التي استطعنا
أن نتعارف بها إلى جيراننا عادت فحشرت العالم في حرب . اخترعنا آلة
الاذاعة ونحدثنا بها إلى الشعوب والأمم الشقيقة ، فكان عاقبتها أن كل
شعب استنفد موارد الهواء لا يذأ الشعب المجاور ومعاكسته ، فيقنعه
بفضل نظامه السياسى على نظامه

وقال : انظر إلى الطائرة تخلق في السماء فيخيل لك أن صانعيها لعلمهم
ولباقيهم وصناعتهم هم فوق البشر ، وأن من طاروا عليها أولا كانوا في
علوهمهم وجراتهم وعزمهم أبطالاً مغاور ، ولكن انظر الآن إلى المقاصد
التي استعملت فيها الطائرة وتستعمل في المستقبل ، أليس هي قذف
القنابل ومزيق جثث الانسان وخنق الأحياء وإحراق الأجساد ، وإلقاء
الغازات السامة ، ومزيق أبدان الضعفاء من النساء والولدان إرباً إرباً .
فهل هذه إلا مقاصد الحق أو الشياطين ؟

وقال ص ٢٦٢ : ماذا عسى أن يقول المؤرخ كيف كنا نستعمل المعادن
والذهب ؟ يذكر أننا توصلنا إلى معرفة الذهب وأما كنهه باللاسلكى ،
وبعرض صوراً تمثل اللباقة والمهارة التي كان أصحاب المصارف يزنون بها
الذهب أو يعدونه . سيذكر المعجزة البونية التي كنا ننقل بها الذهب من

... إلى عاصمة ، ونقاوم بذلك قانون الجاذبية والثقل . سيستجمل أن
يقول إن أشباه الوجوش الماهرين في فتوحاتهم الصناعية كانوا عاجزين
عن التعاون الدولي الذي كان يقتضيه ضبط الذهب وتقسيمه تقسيماً صحيحاً،
كانوا يُعنون بدفن المعادن بأقصى سرعة ممكنة ؛ كانوا يخرجون الذهب
والماس والمعادن بكل مهارة من بطون أرض أفريقيا، ليدفنوه في ظلمات
مصارف لندن وباريس ونيويورك . اهـ ما أردت نقله مما نقله السيد
الندوى من كلام الأستاذ جود الانكليزي . والأستاذ جود هو رئيس
قسم علوم النفس والفلسفة باحدى كليات جامعة لندن

وقال الأستاذ السيد أبو عبد الأعلى المودودي الهندي في فصل من
فصول كتاب «تنقيحات» تحت عنوان «الأمم المريضة» :

ظهرت الحضارة الغربية في أمة لم يكن عندها معين صاف ، ولا نبغ
عذب للحكمة الالهية . لقد كان فيها قادة الدين ولكن لم يكونوا أصحاب
حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية ، لم يكن عندهم إلا خيال ديني لو حاول أن
يسير بالنوع الانساني على صراط مستقيم في طرق الفكر والعمل لما
استطاع ، ولم يكن له إلا أن يكون حجر عثرة وسدأ في سبيل ارتقاء
العلم والحكمة ، وهكذا كان ، فكان عاقبة ذلك ان الذين كانوا يريدون
الرقى نبذوا الدين بالعراء ، واختاروا طريقاً لم يكن دليلهم فيها إلا المشاهدة
والاختبار والقياس والاستقراء ، ووثقوا بهذه الدلائل التي هي نفسها في
حاجة إلى الهداية والنور ، واجتهدوا بمساعدهتها في طرق الفكر
والنظر والتحقيق والاكتشاف والبناء والتنظيم ، ولكن ضلت خطوتهم

الأولى فى كل مجال وكل جهة ، وانصرفت فتوحهم فى ميادين العلم
والتحقيق ، ومحاولتهم فى سبيل الفكر والنظر إلى غاية لم تكن صحيحة ،
إنهم فضلوا أن يسيروا من نقط الاتحاد والمادية ، ونظروا فى الكون
على أنه ليس له إله . نظروا فى الآفاق والأنفس على أنه لا حقيقة فيها إلا
المشاهد والمحسوس ، وليس وراء هذا النسلاف الظاهرى شيء ، إنهم
أدركوا من نواميس الفطرة بالاختبار والقياس ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى
فطرها ، وجدوا المخلوقات مسخرة فاستخدموها لأغراضهم وجعلوها أنهم
ليسوا سادتها ومديرها ، وإنما هم خلفاء سيدها الحق ؛ فلم يروا أنفسهم
مستولين عنها ولا عليهم تبعات وحساب ؛ فزاع أساس مدينتهم وتهذيبهم
وأنحرفوا عن عبادة الله إلى عبادة أنفسهم ، واتخذوا إلههم هواهم ، وفتنتهم
عبادة إله الهوى ؛ فساروا بهذه العبادة فى كل ميدان من ميادين الفكر
والعمل على طرق شتى وسبل متفرقة خلافة رائعة ، ولكن مصيرها إلى
الهلاك . هذا هو الذى مسح العلوم الطبيعية فصارت آلة لهلاك الإنسان .
ضاعت الاخلاق فى قالب الشهوات والرياء والخلاعة والاباحة ، وتسلط
على العيش شيطان الاثرة والشح والفتك بينى الانسان ، ودس فى عروق
المجتمع وشرائينه سموم عبادة النفس والانانية ، والاخلاد إلى الرفاهية
والتنعم . ولطغ السياسة بنعرة الجنسية والوطنية ، وفروق الالوان
والاجناس وعبدة القوة وتأليبها والتغنى بها ، وجعلها هدف الانسانية
الأكبر . وبالجملة إن البذرة الخبيثة التى أُلقيت فى تربة أوربا وهضمتها
الاخيرة نبتت منها دوحه خبيثة أثمرت ثمرات يانعة سامة ، وأزهرت

أزهاراً بهيجة شائكة فروع خضراء تنفث غازاً ساماً لا يرى لكنه يسم
دم النوع البشرى . وغار . وهذه الشجرة الخبيثة من الغرب قد مقتوها ،
وأمسوا يتدمرون منها ، فقد خلفت في كل ناحية من النواحي مشا كل
وُعقداً عجزوا عن حلها ، وما حلوا عقدة إلا ظهر غيرها ، ولا قطعوا فرعاً
إلا نبتت فروع شائكة أخبت منه ، فهم في معالجة أدوائهم وإصلاح
شؤونهم كمعالج الحمار بالخر ، ومداوى الادماء بالمدامة عليه وكنافش
الشوكة بالشوكة التي تنكسر مع أختها ، عالجوا الرأسمالية الظالمة بالاشتراكية
المتطرفة ، حاولوا استئصال الديمقراطية الزائفة فنبتت الدكتاتورية المستبدة
الخائفة . أرادوا أن يحلوا مشا كل الاجتياح فنبتت حركة تذكير النساء
وحركة منع الولادة . أرادوا تشريع قوانين لاستئصال المفاسد الخلقية
فهاجت حركة العصيان والجنايات . فلا ينتهى شر إلا بولادة شر ولا
فساد إلا إلى فساد أكبر منه . ولا تزال هذه الشجرة تثمر لهم ضرراً
ومصائب حتى صارت الحياة الاوربية جسداً مقروحاً متسماً يشكو كل
عضو منه أوجاعاً وأوصاباً ، وأعياء الداء أطباءه ، واتسع الخرق على الراقع
الامم الغريبه تتامل الماء بقلوب مضطربة وأرواح متعطشة إلى ماء
الحياة ، ولكنها لاتعلم أين معين الحياة ، وأكثرهم لا يزال يتوهم أن مصدر
مصائبهم من فروع هذه الشجرة فتراهم ساعين في قطع البروع ، ونزع
الأغصان ، مضيعين أوقاتهم في ذلك ، ولم يعلموا أن أصل هذا الشر كله
من أصل تلك الشجرة ، فمن الخفاة أن يترقب الانسان فعا صالحاً من
شجرة خبيثة . وقليل من عقلاهم من أدركوا أن أصل حضارتهم فاسد

وشجرتها خبيثة يجب أن تجث من فوق الأرض ؛ ولكنهم لطول عهدهم قرونا عديدة في ظل هذه الشجرة حتى نبت لحمهم ونشز عظمهم من ثمارها لم يعرفوا أصلا آخر غير هذا الأصل يستطيع أن يخرج فروعا وأغصانا وورقا وثمرات طيبة صالحة سليمة نافعة ؛ فهم ومن قبلهم في النتيجة والعاقبة سواء ؛ فهم يتطلبون علاجا يداوى سقمهم ؛ ويرفع عنهم كربهم ؛ ولكنهم لا يعلمون ولا يعملون أين هو ؛ ومن علمه منهم - إن وجد - لا يطلبه ولا يرغب فيه .

انتهى ما أردت نقله من كتاب (ماذا جسر المسلمون) للعلامة السيد على أبو الحسن الندوي أستاذ التفسير بندوق العلماء بلكهنؤ بالهند مما لخصه من كتاب المستر جود الانكليزي رئيس قسم علم النفس والفلسفة باحدى كليات جامعة لندن من كتابه (المرشد إلى الشر المصري) وما لخصه من مقالة « الأم المريضة » من كتاب « تنقيحات » الذي كتبه على شكل مقالات الأستاذ أبو عبد الأعلى المودودي الدهلوي منشئ مجلة « ترجمان القرآن » الأردنية بـلاهور أوسع المجالات الهندية وأكثرها رواجاً وحظوة عند الطبقة المثقفة وهو من كبار علماء السياسة والاقتصاد والفلسفة المصرية مع التضلع من الدين وعلومه ، وهو مؤسس (الجماعة الإسلامية) الواسعة الانتشار بالهند وأقوى جبهاتها الدينية . وللاستاذ المذكور كتاب « الجهاد في الإسلام » وكتاب « الحجاب » و « تفهيمات » في مباحث دينية في الدفاع عن مسائل إسلامية . وكتاب « تنقيحات » في المسائل الناشئة عن اصطدام الحضارة الإسلامية بالحضارة الغربية . الاورينية ؛

واصطراع الفكر الاسلامي والغربي . ورسالة (دينيات) في التوحيد
والمقائد لطلبة الكليات ؛ نقلت إلى الانكليزية . وكتاب (نظام الاسلام
السياسي) نقل إلى الانكليزية أيضا ، إلى غير ذلك

وقصدنا من هذه الكلمة أن يعرف كاتب الأغلال نفسه ، ومقدار
ثقافته المصرية كما وكيفاً ، فلا يعجب بنفسه بما قرأ من أفكار دهرية
مهلهلة ممزقة ، فيذهب بسفاهة وقلة حياءٍ ليدعو إلى آراء بالية ، وجسد
مسم لا روح فيه ولا معنى . فهؤلاء حكماء الغرب والشرق ومنهم هؤلاء
الاقطاب الثلاثة : جود الانكليزي والسيد عبد الأعلى المودودي والسيد
أبو الحسن الندوي ، وغيرهم كثير قد عرفوا شرور المدنية الدهرية الغربية
وحذروا منها ، وأشاروا بالتمسك بقديمنا الذي يعمده كاتب الأغلال أغلالاً
غلّت يداه إلى عنقه وملأ الله فيه تراباً ، وأطفأ شعلته التي يريد بها حرق
ما بقي لنا من تراث فاضل ونجفيف ما بقي في الكيوب من علالة أخلاقية ،
ومن ثمالة دينية .

وإن أنس فلن أنسى ما حدثني السيد أبو الحسن الندوي عن أخيه
السيد عبد العلي الندوي رئيس ندوة العلماء في معرفته بثقافة العصر ونخبره
في جامعة لكهنؤ من كلية الطب الحديث بها ، ثم جمعه بينه وبين الطب
القديم الذي استفاده من حكيم الهندوزعيمها الكبير (أجل خان) ثم تضلعه
من علوم العصر بلغة أهله (الانكليزية) ثم قيامه بإدارة ندوة العلماء وإمامة
مسجد الحى وعلاجه لمرضاه جنديا وروحياً مع الزهد والورع ، والسير
على طريقة الصالحين الأولين ، فلم يطش طيش كاتب الأغلال لتبذ كل

فضيلة بدعوى أنها غل . والكفر بالاسلام وعقائده وآدابه : وروحانيته
وعباداته وملائكته وقدره وثمره الايمان بالله واليوم الآخر والتوكل عليه
والثقة به الخ ما هذى به وما نفثه من سمومه وجراثيمه القاتلة السامة (فإنا
لله وإنا اليه راجعون) (ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من
لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

نقلت مجلة مساحرات الجيب عدد ٩٤ (٢٧ ابريل سنة ١٩٤٧) تحت
عنوان « هل للطبيب أن يقتل المريض ؟ » قالت :

« وفي مدينة بنسلفانيا (أمريكا) عثر على جثث خمسة أطفال ووالدهم
وأبيهم ، وُجد الأطفال في الغابة مغطين بملاءات وعلى مقربة منهم الاب
والام ، وتبين بالبحث أن حالة الاسرة المالية قد ساءت الى حد أصبحت
معه لا تجد قوت يومها ؛ فلما اشتد اليأس بالآب ، وتقطع قلبه لمشاهدة
زوجته وأطفاله يتضورون جوعا ، ويتلوون بالألم وهم يعتصرون بطونهم ،
باع بعض ملابسه واشترى بئمنها مسدساً وبعض رصاصات ، وبعد أن
أنام أطفاله في الغابة وغطاه بالملاءات ، أطلق عليهم الرصاص وأرداهم قتلى
في الحال ثم قتل زوجته ثم قتل نفسه »

يريد منا الكاتب أن نكفر بديننا وتاريخنا لهذه المدينة الوحشية
البغيضة الخليعة الرقيقة فنصبح بهائم ووحوشا كاسرة ، ولا أريد أن
أكثر من الشواهد والامثلة من الواقع وكلام العقلاء على فساد هذه
المدينة وضررها بالناس وإن تزخرت وبرقت لهم بظواهرها الخداع

كسراب الصحارى ، فذلك يطول فيه الوصف

نعم اننا نؤمن أن الدنيا تترقى ، ورقبها محسنون ملموس كهذا الذي
أجاد وأبدى فيه الكاتب لأنه لا يؤمن بغيره ؛ وهذا هو مبلغه من العلم
وأمله من الحياة ؛ وغرضه من الوجود . اما الفضائل المعنوية والأخلاق
ودروح الدين فقد تأخر إلى الورااء مراحل ، والتاريخ والواقع والآيات
والأحاديث وأقوال العقلاء كلها شاهدة بذلك .

وقد قدمنا كلام الاستاذ الجامعى شيلر فى ذلك ونذكر الآن طرفاً
قليلاً من اشارات القرآن وتصريحات الأحاديث وإن كان لا يؤمن بها
للكتاب . لكننا نذكرها للمؤمنين بها لاله . فمن ذلك قوله (١) (أولئك
الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية
ابراهيم واسرائيل ومن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا
سجداً وبكياً . خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ،
فسوف يلقون غيا) وقوله (خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب
ياخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله
ياخذوه) وقوله (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض
تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وقوله (حتى إذا فتحت يأجوج
ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) ويأجوج ومأجوج هما اللذان قال
الله فيهم (إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض) وقال تعالى
(وللسابقون الأولون أولئك المقربون فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين

(١) سورة مريم والشاهد فيها قوله (خلف من بعدهم خلف) الخ

وقليل من الآخرين)

والأحاديث كثيرة شهيرة في دواوين السنن التي يؤمن بها المسلمون ،
فمن ذلك حديث « لتبتعن سنن من قبلكم ذراعاً بذراع حتى لو دخلوا
جحر ضب لدخلتموه وراءهم » وحديث حذيفة الذي رواه البخاري ومسلم
وأبوداود - واللفظ للبخاري - قال حذيفة « كان الناس يسألون عن
الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن يدركني . : فقلت يا رسول الله إنا
كنا في جاهلية وشر حتى أتانا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟
قال نعم . قلت فهل بعد هذا الشر من خير ؟ قال نعم وفيه دخن . قلت : وما
دخنه ؟ قال قوم يهودون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد
ذلك الخير من شر ؟ قال نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه
فيها . قلت يا رسول الله صفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .
قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك الزمن ؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم
قلت فإن لم يكن لهم إمام ولا جماعة ؟ قال فاعزل تلك الفرق كلها ، ولو
أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك » .

وحديث « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على
قصعتها . فقال قائل : أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ،
ولكنكم غناء كغناء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ؛
وليقذفن في قلوبكم الوهن . قال قائل يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب
الدنيا وكرهية الموت » رواه أبوداود من حديث ثوبان

وأحاديث فتنة البغال الكثيرة التي تبلغ حـ سد التواتر المعنوي ،

وأحاديث الدابة وطلوع الشمس من مغربها ، وحديث « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله » وحديث « لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق وعلى كعب بن كعب » وحديث « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وليس المراد ذكرها بألفاظها وأسانيدھا فلھا محل مبسط موفى من دواوين السنن بعنوان « الفتن والملاحم وتغير الزمان » آمن بها المسلمون وإن جحدھا الجاحدون ، وحكمة قيلھا لبيان الواقع من جهة ، وللاحتياط لتأويلھا والعمل على التفادي منه بقدر ما يمكن لا للاحتجاج بها والياس من رحمة الله بسببھا . كلا ثم كلا

إن الكاتب لا يؤمن بها وبما هو أظهر منها من أصول الايمان والاسلام كالایمان بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره على الوجه الذى آمن به المسلمون وصدقہ المؤمنون ؛ ولكن على وجه دهرى إلحادى تلقفه من نفثات سموم غوستاف لوبون وأمثاله

ولكن هل لنا أن نسأله : هل بنایا عصره وراقصاته وخليعاته خير من أمهاته وعماته وخالاته فى القرون الماضيه فى العفة والحشمة حسبما تقرره نظريته الارتقائية مخلقاً وديناً ؟

الأسباب - أو هام الناس فيها * ص ٢٧٢ - ٢٨٦

بدأ الكلام بالتمثيل بالتربة الغنية بالعناصر اللازمة للانبات ، ويذكر البذر فيها ووقته المناسب وسقيه وفاق أصول الرى الصحيحة ، فإذا هو قد نبت حتماً ، ومثل بالتربة الخبيثة وعدم إمكان الانبات فيها وبالخى إذا قطع عنه الهواء أو الطعام والشراب فإنه يموت . كل ذلك دليل على لزوم السبب لسببه وعدم انفكاكه عنه بحال ، وأنه لا يمكن أن تدخل بينهما قوة فتحل ما بينهما من ارتباط ولا أن يتدخل الله تعالى فيلغى السبب أو يوجد بغير سبب وإلا كان قوة مجنونة أو كالمجنونة الحقاء السفهية . وسيأتى له فى باب مشكلة لم تحل إن من يؤمن بالله الفاعل المختار لا يمكن أن يكون سببياً فلا يكون ناجحاً فى الحياة وأن من يؤمن بقدرة الله تعالى على كل شىء فقد آمن أن الكون محكوم بقوة مجنونة أو كالمجنونة ، ونقل نص كلامه فى ص ١٧ والرد عليها من كلام علماء القرن العشرين مشرفه باشا والسير جيمس جينز فى ص ٢٠ فارجع إليه وكن على ذكر منه . وتهكم بالخوارق والمعجزات واستهزأ بالقائلين بها . ثم قال هنا أول ص ٢٧٣

« أساء المسلمون الظن بالأسباب »^١ وأكثروا من القول فى تقليل

(١) أى مسلمين ؟ ان المسلمين الاولين أخذوا بالأسباب كل مأخذ ، والا أمر بالأخذ بالأسباب أمراً ، فإذا كان المسلمون الآن لا يحسنون الأخذ بالأسباب على وجهها لضعف فى التربية بنواحيها فهل معنى ذلك أنهم لا يقولون بالأسباب ؟ وليس السبيل الى تنبيههم هذا الذى كتبه صاحب الاغلال ، فإنه إنما يضلهم السبيل بمحاولة إيهامهم أن التقدم رهن بتركهم الدين ، واتباع سبيل غير المؤمنين (غ)

وأثرها - بل في تجريدها من كل قيمة وأثر ، وملاؤا المنابر والكتب والنوادي والمجالس كتابة وخطابة بأن نحصيل السبب وافيا ليس معناه تحصيل المطلوب ، وأن فقدته ليس معناه فقد المطلوب ، فقد تأخذ بأسباب شيء أحسن أخذ ثم لا تنال غرضك وقد تنال كل ما ترجو بدون أن تأخذ بسبب واحد من أسباب ذلك . وقد زعموا أن القول بذلك قول بعظمة الله وبقدرته الشاملة وتصرفه المطلق

وقال ص ٢٧٨ « ومن أعظم ما جعلهم يسيئون الظن بالأسباب شيئا واحدا - أنهم حسبوا الايمان بقدره الله المطلقة في تصرفها وعملها ينافي الايمان بالأسباب وحسبوا أنهم إذا آمنوا بالسبب فقد قيدوا الله به وألزموه ألا يخرج عنه وأن لا يعمل بدونه والله عندهم غير مقيد في فعل من أفعاله بل هو يفعل ما يشاء بلا قيد ولا سبب ولا إزام^{١)}

وثانيهما - أنهم وجدوا المسببات كثيرا ما تتخلف عن أسبابها ووجدوا أن الانسان قد يؤدي السبب على الوجه الاوفى الاكل فيما يبدو ثم لا يصل به ذلك إلى غرض منشود كما وجدوا أن المرء قد ينال حاجته وغرضه بدون سبب »

هذا الذي يحكيه عنهم عابيا عليهم زاريا مخطئا لهم هو الصحيح يشهد به الواقع ويؤيده الاستقراء ، وتزيده على ذلك انه ربما يعتقد في الشيء زمنا طويلا أنه سبب لكذا أو مسبب عن كذا ثم يظهر بعد ذلك خطأ هذا الاعتقاد والأمثلة في ذلك كثيرة في الطب والكيمياء والطبيعة ، فكم من الأمراض الجرثومية كان يظن الناس أنها من فساد الهواء أو الغذاء

(١) أما عند الكاتب ومن قلده فالله مقيد بسنن صارمة ونواميس طبيعية لا تنفصم أو قل عنه هو هذه السنن وأما الآيات والخوارق والمعجزات والديانات التي أتت بها فارم بها من وراء ظهورك وبهت نقلها ولو توأثروا حتى تكون سببيا ناجحا متألقا في الحياة .

كالسكوليرا والملا里亚 ثم عرفت بعد ذلك جراثيمها، وكم أدوية اعتقد فيها
ثم ظهر بعد ذلك خطأ الاعتقاد وكم من الآيات والخوارق خرقها الله لعباده
كما شحنت بذلك كتب الديانات التي لا يؤمن بها الكتاب وإن آمن بهامن
هم خير منه ديناً وعقلاً - والآيات والخوارق لا يعرف الناس لها سبباً
والأما كانت خوارق، فهذه عصا موسى التي تتحول حية تسمى ماسبها
وكذلك يده البيضاء في جسده الآدم وانفلاق البحر له الخ وهذه نار إبراهيم
التي صارت برداً وسلاماً وإخصابه بالنسل والذرية بعد العقم والشيخوخة
منه ومن زوجه وهذه آيات عيسى بن مريم وهو أول الآيات ولادته من
أنثى بلا ذكر وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص على يديه، وآيات نبينا
محمد ﷺ من تكثير الطعام القليل صاع من شعير يطعم منه مئآت الناس
نحو الألف وكف من ماء يتوضأ منه المئآت، وقربتان من ماء تفتحان
فيستقي منهما الجيش الكثير - أناسيه وإبله والقربتان لم تنقصا شيئاً. ودعاء
مستجاب لشفاء مريض وتزول مطر وكثرة تمر يسد دينا لجابر، ويبقى بعد
ذلك طعام الأسرة سنهم وكان الدائن لا يقبل ذلك التمر في سداد بعض
دينه، وانشقاق القمر والأسراء إلى بيت المقدس، والعروج إلى السماء
والإخبار بالنبوءات المستقبلية الكثيرة، ووقوع كثير منها كما أخبر وسيقع
الباقى حتماً وكرامات الصحابة والتابعين - ومن بعدهم من صالحى هذه الأمة
المدونة فى كتب الثقات الأئمة وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
تعالى طرفاً صالحاً منها فى كتابه (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)
وتكلم عليها علمياً، ورد على منكرها فى رسالته « المعجزات » وكلاهما

منطويح منتشر بين الناس مسائر فيهم مسير الشمس.

يريد منا الكاتب أن نكفر بذلك كله وأن نكفر بقدرة الله تعالى على اخلاف الاسباب وسلبها سببيتها متى شاء وعلى عدم قدرته أن يوجد بلا سبب أو أن يخرق نظام الاسباب والمسببات، بل نوايس صارمة لم تتخلف ولن تنخرم. ومن اعتقد الله قادراً عليها إيجاداً وسلباً وتعطيلاً فقد اعتقده قوة مجنونة أو كالمجنونة؛ وأن الايمان بحتمية الاسباب وتسلسلها لا يمكن معه الايمان بمخالق فاعل مختار؛ فلا بد أن نكفر به سبحانه وتعالى حتى نكون سببيين ناجحين عنده، والا فلا نجاح لنا ولا تألق في الحياة

ثم يريدنا أن نؤمن بقدرة الانسان التي لاتحد ص ٣٧ وأنه

« ترك غير محدود القوى الذهنية وان له أن يشارك الله في عمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنة إلى رحاب الالهية التي تتصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد^١ »

وانه أي الانسان أول ص ٦٩ « ما خلق إلا ليغالب الطبيعة والحياة ولينازع الله^١ في علمه وقوته وقدرته »

ورجاؤه أو خشيته ص ٦٧. وقد تحقق الأيام أي الامرين. الرجاء أو الخشية. أحسن. أن يأتي الزمن الذي يقال فيه : الانسان الصناعي والحيوان الصناعي. وهذا ما لا يزال العلم أمامه حيران عاجزاً ولكنه لم يعترف بالعجز ولم يفكر في

(١) هذا كلام مجنون لا يفقه مايقول ولولا رجاء أخى المثلف في ماضيت في قراءة هذا السخف المزوى عن صاحب الأفعال (غ)

الاستسلام للاخفاق، ومحاولة صنع المادة الحية وإيجاد الحياة^(١) في المادة لا يزال من المعارك الملتحمة التي لم يكتب للعلم حتى اليوم الظفر بها إذ يكاد يكون مهر الحياة من أسرار الطبيعة التي لم يرفع عنها العلم الستار ولا يمكن الإنسان يقول انه انتصر في نضال هو أشد^(٢) من هذا النضال الدائر الحامي من أجل الانتصار على سر الحياة ولغزها . وعلينا نحن أن نلزم الحياد حتى نرى لمن يكتب النصر . وقال في ص ٢٢٩ « أما تخلف المسببات عن الأسباب فهذا ما لا يكون أبداً وإذا تم السبب وجد المسبب لا محالة ولا يقع شيء في هذه الدنيا إلا إذا اجتمعت أسبابه وإذا اجتمعت أسبابه فلا بد من وقوعه على كل حال »

(١) الإنسان لا يستطيع أن يوجد شيئاً مطلقاً مهما تقدم به العلم وكل ما يستطيعه هو استخدام ما أودعه الله في المادة والطاقة من خواص ، حبة كانت المادة أو ميتة ، وقد عبر العلم في الماضي عن يأسه من إيجاد المادة أو إعدامها بقانون محفوظية المادة أو بقاء المادة كما كانوا يسمونه . ثم ظهر أن المادة لا تبقى وانها تنعدم كإدانة بتحويلها إلى طاقة ، وحتى هذا الانعدام قد كشفه العلم من غير أن يكون له فيه يد أو يكون له عليه أدنى سلطان فالعناصر الشعاعية كالراديوم واليورانيوم تتحلل إلى أشعة طبق سنن لا يستطيع العلم لها تغييراً ولا تحويلاً ، فلا هو يستطيع أن يزيد في سرعة التحلل ولا أن ينقص منه بأدنى مقدار مهما اجتهد فإذا كان العلم عاجزاً حتى عن تعويق الانعدام أو تعجيله فهو عن إيجاد المادة فضلاً عن إيجاد الحياة اعجز

فالعلم إنما يكشف عن الموجود كما أوجده الله ، واختراعاته إنما هي تطبيقات للنسب التي فطر الله عليها الأشياء فهو حين يكشف عن قانون لم يوجد هذا القانون وكل ما هنالك أنه بعد أن كان يجهل الموجود صار يعرف بعضه فيخيل إلى الجاهلين أن العلم يخلق ويوجد ، والعلماء أعرف الناس بمعجزهم عن الخلق والإيجاد (غ)
(٢) هذا كلام جاهل بالعلم وتاريخه فليس في أهل العلم من يقول ان الإنسان جل لغز أصعب من لغز الحياة ليوم نفسه أو غيره أن جل لغز الحياة ميسور (غ)

ثم استطرد لذكر آجال الأمم والأفراد وخطأ الذين يقولون إن
للأمم شيخوخة وضعفاً وهرماً . ونقول له ما بال النار التي أوقدها أعداء
إبراهيم لم تحرقه حينما ألقى فيها، بل صارت برداً وسلاماً عليه وما سبب تحول
عصا موسى حية تسعى وكيف ولد عيسى بغير أب ولا تلقيح . وكم أعد من
أسباب تخلفت مسبباتها عنها ومسببات بلا أسباب . ألا فليكشف
القناع كما كشفه إمامه غستاف إذ صرح أن الخوارق والمعجزات أوهام
انخدع بها راؤها ورواتها . ولا نجادله بالتواتر الذي لا ينكره إلا مباغت
ولكن بالقرآن ، فإما إيمان به وكفر بالمادية الدهرية وإما إيمان بها وكفر
بالقرآن المملوء بالآيات . ثم قال ص ٢٨١ :

وهذه الآراء مصدرها كلها هذه الفكرة الباطلة - وهي فكرة إنكار
الأسباب أو التهوين من شأنها أو الاعتقاد بأن الله يفعل بدونها أو يدخل بينها
وبين مسبباتها ويحول بينها وبين نهاياتها .

نعم نؤمن بأن الله يفعل بها وبدونها وله أن يبطئها متى شاء ، ولهم
الأسباب وليسقط عبادها وليسقط النجاح الديوى معها وليسلم لنا ديننا
وإيماننا . وأغرب ما ترى من تحريف الكلم عن مواضعه قوله ص ٢٨٢
وأما قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى
مضاجعهم) فالمعنى فيه أن هنالك أقواماً من أشراف العرب يوجب عليهم شرفهم
ومكانهم من قومهم وفي قومهم وتوجب عليهم سيادتهم ذات الحقوق المعروفة
المرعية وظروفهم القاهرة الحاكمة أن يخرجوا للقتال على أى حال حتى ولو كان
في هذا الخروج الهلاك المحقق إذا ما أهاب بهم داعي المجد وإن لم يدعهم الرسول
وأصحابه إلى ذلك حكم هذى الظروف عليهم المحفوفة بالآخطار وأسباب

الهلاك هو معنى كتب القتال عليهم ومعنى يروزم إلى مضاجعهم ؛ وليس معنى هذا أن هناك قوة خفية تلزم قوماً معينين بالخروج لأنهم مرادون للقتل لأغراض لا تعقل ، ولنعذر فهمنا للأشياء كلها من جديد

يعنى على ظلمات المادية والذهرية فبماذا أتعجب ! من تحريف الآية وتحميل (كتب عليهم القتال) ما لا يحتمله حتى عند بربرة الأعاجم فضلاً عن العرب أم من إنكار القدر والقوة الخفية التى ساقطت من كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم . ولما شعر بسخف ما أتى به فى ذلك أشار إلى أنه تجديد فى الفهم وأنه يطرد هذا السخف فى التجديد (١)

وأسأله عن قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها)

ثم سار فى تقديس مادية الأسباب والاستدلال على ذلك من طبيعة العرب وبلاדם حتى قال آخر ص ٢٨٣

إن العربى هناك ليرى الريح الملقحة بالبخار تهب على سماء الصافية فتتعمد السحابة الثقيلة المتراكفة فلا تلبث أن تهاوى وأبلا مدراراً على أرضه الجذبة اليابسة العابسة فتوجد الحياة . يوجد الأحياء ثم يكرر الجذب والشمس المحرقة على تلك الأرض الخضراء المعشوشبة فاذا كل شيء عابس هامد وهكذا تتكرر العمليات

(١) وأسأله عن قوله تعالى فى أول السياق (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) وقوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله) (إذ يوحى ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب) وما يزيد منه تحريفاً مضحكاً مبكياً كالذى سمعناه فى تحريف (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ويظهر أن الكاتب أراد من شرائع السماء مسخاً دهرها مشوهاً قدراً أو أن يفسد سمومه المادية الدهرية فى عسل الشرائع الإلهية .

أمام بصره وبصيرته- ما بقي -بلا اختلال ولا اختلاف وبلا تدخل قوة من القوى
في هذا فأين ما لا سبب له وأين السبب بدون مسببه ؟
فهل فطنت إلى قوله (بلا تدخل قوة من القوى) في هذا أى في نشأة
السحاب ونشأة الحياة ؟ أليست هذه هي الدهرية ؟ وقوله (فأين ما لا سبب له
وأين السبب بدون مسبب) أليس ذلك هو الكفر بالله وبآياته ومشيتته
وقدرته . ونقول ان سنى الجذب والقحط وجدت أسباب الامطار فيها ولم
توجد الامطار . والشمس وحرارتها والهواء موجودة كلها ولم توجد أمطار .
ويستقى النبي ﷺ لأمته فلا ينزل عن المنبر إلا وتهطل الأمطار كأفواه
القرب ؛ ويمطرون سبتا كاملا (أسبوعا من سبت إلى سبت) حتى
يضجوا إليه ليدعوا برفعها فيدعوا قائلا اللهم حو إلينا ولا علينا ويشير بيده
إلى السحاب فيتمزق تمزق الثوب وينجاب عن المدينة . فأين الأسباب التي
عندها الكاتب ويريدنا على عبادتها من دون الله تعالى ؟

واسمع لونا آخر من ألوان الهزء بالله وقدرته وشرعه والأعمال الصالحة

ص ١٩٧ س ١٠

« ومن الأمثلة السيئة للجهل بسنة الحياة أو بسنة الله^(١) في الحياة أن الناس
يريدون أن يبلغوا جميع أغراضهم المادية والمعنوية بغير وسائلها الطبيعية فهم
يريدون أن ينالوا الثراء الوفير والأولاد والصحة والقوة وأن . . . وأن . . .
بماذا ؟ إنهم يريدون أن يدركوا ذلك كله بالدعاء المجرد تارة وبالبكاء والضراعة
(١) وتفتن إلى هذا المظف التنويى بأو التفسيرية تعرف أن الله في إيمانه
وفلسفته هو سنة الحياة ليس هو رب العالمين خالق الأسباب ومسبباتها القادر
على انتقادها وإبطالها وإخلاق بدونها متى شاء وكيف أراد

تارة وبالصلاة تارات وبالنصيام أخريات وبالايمان حيناً بلا عمل وبالتقوى أحياناً، وبقراءة القرآن أو بترتيب الأذكار والاوراد والاحزاب ، ثم يزعمون أن القرآن والدين قد دلاهم على هذه الحقيقة . والدين والقرآن بريثان بما يزعمون

وذكر ص ٢١٤ الاعلان عن خطبة خطيب في محاضرة عنوانها (الثقة بالله) فذكر خلاصه الخطبة واستحسان الناس لها وعلق عليها هازناً ساخرًا بقوله « انه حينئذ سيهبهم كل شيء وسيهلك لهم أعداءهم وسيقدم لهم صك الاستقلال التام ملفوفاً بحريز مصنوع في السماء تحت إشراف الملائكة »
باللهزء بالله وملائكته. ثم ذكر نجوم السماء المتلألئة التي تملأ الفضاء والتي تواجهك أينما توجهت والتي تزخرف بساطاً من حبات اللؤلؤ ذات الاشماع المتوهج المتوقد الدائم الضوئية ومرور الاحقاب وهي محافظة على نظامها وسيرها ومداراتها بلا اضطراب ولا اختلال ولا فوضى ولا تصادم، وأن الذي يمسكها هو النظام الالهى ثم قال ص ٢٢٦ س ٤

« ثم سل قائلاً : أرأيت لو أن الجن والانس والملائكة وكل الخلائق - أولين وآخرين - وقفوا في صعيد واحد ثم سألوا الله جاهدين أن يفسد هذا النظام أو أن يغيره أو أن يتخلى عنه . أكان من الممكن أن يجيب الله هؤلاء الداعين أو يقبل هذا الدعاء »

والجواب أن هؤلاء المخلوقات من جن وإنس وفيهم الرسل والأنبياء ثم الملائكة ليسوا من البلاءة والجهل بالله وسننه أن يدعوا دعاءً أحق لا فائدة منه وأنهم ان أجمعوا على دعاء كان مستجاباً، ولكن الغرض هو تعجيز الله بما يسميه نواميس ونظاماً، والهزء بالجن والرسل والملائكة أنهم لم يعرفوا ما عرفه الكاتب من مادية الكون وطبيعة نواميسه وقوانينه

وأحيلك على ماقرره علماء الطبيعة في القرن العشرين من انتقاض قانون السببية، وأنه تحول إلى قانون احتمال شبهه مشرفه باشا بحمار جحا المنسى. وقرر جيمس جينز فيما مضى ص ٣٢ بطلان غرور مادي القرن التاسع عشر في تلازم الأسباب والمسببات وبطلان آلية الكون وصرامة نواميسه الطبيعية فارجع إليه إن شئت

ولا نحتاج أن نذكر للكاتب الوقائع التي لا تحصى ولا تعد دعا فيها الداعون ربهم فاستجاب لهم وخرق السنن وهدم الطبيعة ، فدعاء زكريا الشيخ الهرم وامراته العاقر و ابراهيم وزوجه العقيم العجوز ونار ابراهيم وإحياء موني عيسى وولادته بغير لقاح ذكرى ودعاء موسى على فرعون بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم الخ

لا نحتاج إلى شيء من هذا فالكاتب لا يؤمن به ، وإنما نذكر على سبيل الفكاهة وروح النفس ما ذكرته مجلة الدنيا المصورة عدد ٦ سنة ثالثة ابريل سنة ١٩٤٧ من مذكرات متهم بالقتل بجنا من الاعداد بمعجزة هو جون فوجن قضت عليه محكمة تكساس بالولايات المتحدة بالاعدام لاثامه بقتل أحد رجال البوليس وكان القاتل غيره ولما سأله قسيسه حلف له أنه لم يقتله وإنما ارتكب ما ارتكب من النهب والسلب لا طعام امراته وأطفاله الجائعين وكان صادقا فيما قال وقد عرفه قسيسه الابمان بالله العظيم الذي هو أعظم من رئيس الجمهورية الذي كان المتهم لا يعرف أعظم منه فتعرف إليه بعد الكفر به ولجأ إليه ودعاه ولما أخذ إلى الغرفة الخضراء حيث كرسى الاعداد الكهربائي وأخذ الجلاد بيد المجرم ليجلسه على الكرسي

وَجَاءَ خِيَمَ السُّكُونِ عَلَى الْغُرْفَةِ الْخَضْرَاءِ ، وَوَقَفَ الْحَرَكُ الْكَهْرَبَائِيَّ وَحَدَّثَ
الْمُعْجِزَةَ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ إِذْ كَانَ قَدْ وَقَفَ قَبْلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ وَاعْتِيدَ الْمَجْرَمُ إِلَى
غُرْفَتِهِ ، وَقَالَ قَبْلَ إِعَادَتِهِ لِحَاضِرِي التَّنْفِيزِ : أَيُّهَا السَّادَةُ هَلْ جِئْتُمْ هُنَا لِتَشْهَدُوا
جَرِيْمَةً . جَرِيْمَةً قَتَلَ بِرِيءٍ مِنْهُمْ بِالْقَتْلِ تَهْمَةً غَيْرَ صَحِيْحَةٍ ، هَلْ تَأْكُدْتُمْ الْآنَ
بِرَأْيِي . وَقَالَ فِي مَذَكْرَاتِهِ : كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ حِجْرَةَ الْكُرْسِيِّ
الْكَهْرَبَائِيَّ فِي وَلايَةِ تَكْسَاسَ وَخَرَجَ مِنْهَا حَيًّا . وَلَقَدْ أُبَيِّنْتُ حَقًّا إِنْ
هُنَاكَ إِلَهَا يَأْخُذُ بِيَدِ الْمَظْلُومِ فَجُثْتُ عَلَى رُكْبَتِي وَصَلَيْتُ بِحَرَارَةِ

تَأْجِلِ التَّنْفِيزِ أَسْبُوعًا لِيُرْسَلُوا الْحَرَكُ لِاصْلَاحِهِ ، قَالَ الْمَتَّهَمُ لِيُصْلَحُوهُ
وَلِيَفْعَلُوا بِهِ مَا شَاءُوا ، إِنَّهُ لَنْ يَصْعَقَنِي (قَالَ ذَلِكَ لِحَارِسِ اللَّيْلِ) فَسَمِعْتُهُ
يَقُولُ لِحَارِسِ النَّهَارِ : لَقَدْ جُنَّ جُنُونُهُ فَرَاقَبَهُ قَالَ الْمَتَّهَمُ مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ
وَأَنَا مُطْمَئِنٌّ النَّفْسَ وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَتَحَ بَابَ غُرْفَتِي وَنَادَى الْبَشِيرُ : لَقَدْ
صَدَرَ أَمْرُ الْعَفْوِ عَنْكَ يَا جُونُ فَادْهَبْ فَأَنْتَ حُرٌّ لَوْجَهَ اللَّهِ . اهـ

لَعَلَّ الْكَاتِبَ يُوْمَنُ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمَنُ بِمَا جَاءَ فِي الْآيَاتِ
وَالْأَحَادِيثِ فِي إِجَابَةِ دَعَاءِ الدَّاعِينَ وَإِكْرَامِ اللَّهِ تَعَالَى لِرُسُلِهِ وَأَنْبِيَآئِهِ وَعِبَادِهِ
النَّصَالِحِينَ . وَمَا ذَكَرَهُ الْهَيْبَاوِيُّ الَّذِي هُمُ بِاغْتِيَالِ السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ كَامِلٍ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى تَحْتَ عُنْوَانِ « خَمْسَ لَيَالٍ فِي غُرْفَةِ الْإِعْدَامِ » فِي أَحَدِ أَعْدَادِ
مَجَلَّةِ الْإِثْنَيْنِ مِنْ أَنَّهُ لَيْلَةَ صَبِيْحَةِ التَّنْفِيزِ بَاتَ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى وَيَقْرَأُ عِدَّةَ
يَاسِينَ حَتَّى أَخَذَهُ النَّوْمُ الْعَمِيقُ ثُمَّ أَوْقَظَ فَإِذَا بِحُكْمْدَارِ الْقَاهِرَةِ « رَسُلٌ أَوْ
هَارُفِي بَاشَا » وَمَعَاوَنُهُ فَمَا شَكَ أَنَّهُمْ أَخَذُوهُ لِحَبْلِ الْمَشْنَقَةِ ؛ فَقَالَ الْحُكْمْدَارُ
جِئْتُ بِنَفْسِي لِأَبْشُرَكَ بِبُشْرَى إِبْغَاءِ الْحُكْمِ الْإِعْدَائِيِّ وَاسْتِبْدَالِ الْإِشْغَالِ

الشاقة به قال فطار فرحا حتى صار يرقص أمامهم ويستعيدهم بالبشارة
وما ذكر في أحد أعداد المختار من نحو سنتين من انقطاع جبل
المشقة بأحد من أرادوا اعدامه مع أنه جرب في حمل كيس من الرمل
ضعف وزن المجرم قبل ذلك . وكان ذلك مما أبطل التنفيذ الخ

يقول في مسألة رفع الانسان إلى مقام الربوبية وعدم الفرق بين
الخالق والمخلوق والايمان بارتقاء الانسان إلى مراتب الالهية ص ٣٦
« من الواجب المفيد أن تعرف من أين جاء الانسان هذا الكفر بذاته
وانسانيته . . يلوح أنه كفر هذا الكفر لأنه أراد أن يؤمن بالله الايمان الذي
تصوره فقد تصور أن أساس الايمان بالله قائم على التفريق بين الخالق والمخلوق
أو بين الله وعباده فانه يجب أن يعتقد بأنه كامل في كل شيء قوى في كل شيء
والعبد يجب أن يعتقد بأنه ناقص في كل شيء ضعيف في كل شيء »
فهذا الفرق بين الخالق والمخلوق وبين الله وعباده في الكمال والقوة
والعلم هو أساس الديانات كلها أوجبها العقل والفطرة والتجربة وإن أنكره
هذا الكاتب وسماه ص ٣٧ س ١٣ « فلسفة مجنونة مخدولة وتدينا مدخولا »
وهذا بالدليل العقلي الذي يفرق بين الخالق والمخلوق وهما بالديانات التي
تقرر ذلك ، فحكى ذلك حكاية النكر الهازي بقوله آخر ص ٣٦
« ثم البرهان العقلي يقضى ألا يكون المخلوق الحادث مثل القديم الأزل
والا فلا فرق بين القدم والحادث ولكن المسألة كلها قائمة على التفريق بين الحادث
والقدم أو بين القديم والحادث ولولا هذا لما كان هناك عابد ومعبود ولكن
الديانات كلها مبنية على العبودية »

يعترف بأن هذا هو بناء الديانات كلها وأنه حكم البرهان العقلي ثم يحكم عليه بعد عدة أسطر من هذه الصفحة بأنها فلسفة مجنونة مخذولة ودين مدخول ويقرر مع الهزؤ بمن يخالف ذلك بعد أسطر :

إن الانسان ترك - ولا يقول خلق - غير محدود القوى الذهنية وأن له أن يشارك الله في صمله وأن يخرج من نطاق الانسانية الضعيفة الواهنة إلى رحاب الالهية التي تتصرف كيف تشاء وتعلم ما تريد »

وسخّف الخطباء والعلماء والوعاظ وجميع رجال الدين وغير رجال الدين الذين يقولون مؤكدين لنا

« بأن الانسان ما خلق ليكون عالماً ولا ليكون شيئاً كبيراً ولا ليفعال الطبيعة والحياة ولا لينازع الله في علمه وقوته وقدرته آخر ص ٦٨ وأول ص ٦٩ وقال ص ٦٧ « وقد طفق من أجل ذلك ييسارى الطبيعة ويساميهما في كل أفعالها ومعجائبها » ومثل بالبتروول والمطاط واللؤلؤ الطبيعى والصناعى ثم قال « واتنا لنخشى أو نرجوا وقد تحقق الايام أى الامرين أحسن - أن يأتى اليوم الذى يقال فيه الانسان الصناعى والحيوان الصناعى »

أى أنه يصنع الانسان انساناً وحيواناً لا يفترق عن الانسان الحقيقى والحيوان الحقيقى الذى سماه الطبيعى الذى هو صنع الله تعالى ثم ذكر محاولتهم الوصول إلى سر الحياة ومحاولة صنع المادة الحية ورجائهم الوصول إلى ذلك ثم قال فى معرفة الانسان ما كان وما سيكون ص ٥٨ س ١٥

« انه - أى الانسان - راح يُولد هذا الوجود ويشهد تولده وتكونه وتوالده وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد : كيف ولدت مادة الكون (كفذا) ومتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشموس (بالها من دهرية مغرورة) وقال ص ٥٩ « ثم لم يقف

يعمله عند هذا الحد بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبته وذهب يخبرنا بما
بقي من عمر هذا الانسان وغيره من الاحياء ويخبر عن الاحداث والحوادث التي
لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال تترقب »

(ياالتهجم السخيف) ثم حرف قوله تعالى (ما أشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق أنفسهم) وإنه نفي عنهم المشاهدة لا العلم ص ٦٠ وطبق
على الناس وقت نزول القرآن قوله في المشركين (يملكون ظاهراً من الحياة
الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) آخر ص ٦١ وعمها في الجميع ولم يستثن مع
أنها في الكفار الذين لا يعرفون غير الدنيا وهم عن الآخرة غافلون أمثال
من قلدتم الكتاب وارتضى فلسفتهم الدهرية. ثم قال ص ٤٨

« ماذا ترى الآن في هذه الحياة التي تموج بأعمال الانسان والقوى المادية
والفكرية التي أوجدها ^١ هذا المخلوق. كيف استطاع الخروج من تلك الظلمات
الأزلية حتى وصل إلى هذا العصر وكيف استطاع الوصول في سيره المتعثر واستطاع
أن يسدد وقع أقدامه المتحركة في الظلام بدون أن يكون له هاد إلا طبيعته
وصهد الحاجة ونور يبصر به السبيل إلا أمله وبدون أن يكون له قوة دافعة
إلا استعداد المولد للطاقة بعد الطاقة بدون عطل أو توقف »

لا حول ولا قوة إلا بالله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لاتعلمون
شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون) (وما بكم

(١) لقد قلنا من قبل إن الانسان عاجز كل المعجز عن الإعدام فضلاً عن
الإيجاد بل هو في آياته عاجز كل المعجز عن أن يسترد من محصولها ما يكافئ كل
أوجل ما وضع فيها من وقود. إن أهل العلم وحدهم هم الذين يعلمون مبلغ
قصورهم عما ينبغي لأنهم أعلم بما يبذلونه وما يحصلون عليه. أما من عداهم فيظن
فيهم ظن الطفل في أبيه من القدرة على كل شيء (غ)

من نعمة فمن الله) (ولو شاء الله ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء) (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) (وخلق الانسان ضعيفاً)

علق على قول المسيحي الذى جعل فى تأليه المسيح فائدة للنصارى
وتقديماً لهم على المسلمين أول ص ٣٩

« ليس بخاف ما فى هذا القول من محاولة للتسامى بالمواهب الانسانية والحقيقة الانسانية وكم الفرق بين هذه الروح التى أملت هذا الكلام وبين تلك الروح التى أملت قولهم (ما للتراب وللعلوم الخ) لقد عظم الفرق فى التوجيه والاتجاه فعظم الفرق فى النتيجة والغاية » ثم انظر إلى قوله ص ٩٧ فى الممتازين من الناس الذين يهبون الشعوب ما هو فيه من اديان ومعارف وصناعات ومخترعات ومكتشفات ولولا هؤلاء لما استطاعت الانسانية أن تنعم بشيء مما تنعم به اليوم من وجوه هذه الحياة المشرقة الواضحة فلكل هؤلاء الذين أعطونا هذه الحياة وعودونا على التحرر والخطو إلى الامام شكر الانسانية أجمع »

فجعل الأديان كالمعارف والصناعات والمخترعات من هبات الافروام
الممتازين الذين أعطونا هذه الحياة الخ

ثم انظر قبل ذلك بعدة أسطر تحقير الدين وأهله والمتسكين به
بقوله ص ٩٧

« وقد جهلت وهانت تلك الأمة التى تحتاج إزاء الحقائق السافرة المدووسة إلى براهين دينية تقنعها بفائدتها وجواز الأخذ بها وإذا ما رأيت أمة تثير غبار الجدل الدينى أمام ما يمجده من مبتكرات العقل الانسانى - مجوزة أو مانعة محلاة

أو محرمة .. فاعلم أنها أمة فاشلة مريضة بعقلها وتفكيرها ودينها »
هكذا يكون تقليد الملاحدة كلوبون فالرسل والأنبياء والمؤمنون
بهم الذين يقفون عندما شرع الله تعالى حلاً وحرمة حظراً وإباحة فاشلون
مريضون بعقولهم وتفكيرهم ودينهم أيضاً في نظر الكاتب ومن قلده .
فبشرى للإباحية المصرية من رقص وفسق وفجور وعري وتهتك وخلاعة
وذم آخر ص ٩٧

« هذه المخلوقات البشرية التي تأتي مفارقة إلها واعتيادها لأنها إنعاميش
بحواسها المجردة فما رأت وأحست واعتادت فهو الحق - ومالم تحس وتألف فهو
الباطل وشبههم بالعجاوات ثم تناقض ومدحهم في آخر ص ٣٢١ وأول ص ٣٢٢
إذ يقول (وقد أبدع الاغريق والرومان والمصريون القدماء وغيرهم من الشعوب
القديمة لأنهم كانوا يبالغون جداً في حب مظاهر هذه الطبيعة حتى عبدوها
وصيروها كل أملهم ورجائهم المنشود وهوت جميع الأمم التي انصرفت بآمالها
عما ترى وتحس وتجد إلى ما لا تجد ولا تحس ولا ترى . واستشهد بكلام غوستاف
لوبون « إن الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر ولم تستطع الحضارة البشرية
أن تخطو خطواتها الصحيحة القوية إلا في عهود الوثنية وعبادة الأصنام »^(١)

فاذا نصدق وماذا نكذب المدح أو الذم وبأيها يؤمن الكاتب أم هو
التقليد يجمع - ل صاحبه (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له
أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى) لقد فتن
هذا الكاتب بما قرأ من معربات كتب غوستاف لوبون فنقلها نقل تقليد

(١) إن الذي يقرن بين وثنية الاغريق والرومان والمصريين القدماء وبين
تقدمهم ويقرن بين الاسلام وبين تأخر المسلمين الآن إنما هو كذلك الطفل الذي
رأى بقرة بيضاء تجلب فظن أن بياض لبنها من بياض جلدها ! (غ)

بدون فهم لما فيها من تناقض أو بفهم منكوس وصار صدى يرددها بلا عقل حتى أن غوستاف لما استشهد بكلام فيلسوف إنكليزي معاصر له ذكره الكاتب قولاً لنفسه حتى كأنه هو الذي اطلع على كلام هذا الفيلسوف بنفسه، فرحى للتقليد والسرقة والتحلل بثياب الزور. ألا فليذكر لنا الكاتب اسم ذلك الفيلسوف الإنكليزي المعاصر الذي ذكر كلامه آخر ص ٣١٩ إن كان قد وقف بنفسه على كلامه من كتاب له أو محاضرة أو من مجلة أو جريدة، وإلا فهو لص غير شريف، ومصور لأفكار غيره تصويراً مشوهاً مختلاً، ومستق بغير أدب من حياض غوستاف الخجة الوخيمة بدون اعتراف بمصدر تفكيره، ولا سند أقواله، بل يخرج أقوال غيره مخرج المبتكر المخترع المخلع المخترق لها، بلا حياء ولا حشمة ممن يطلعون على ذلك منه

وقال في شرحه لكلام غوستاف: إن الإيمان بالله وحده كان نكبة على البشر. الخ ص ٣٢٢

(يريد بعهود الوثنية تلك العهود التي سادت عبادة الطبيعة ومجاليها الجميلة ويعني بعهود التوحيد تلك العهود التي أعلن فيها الدعوة إلى عبادة الله وحده وإلى العمل للأخرة وحدها والتأميل فيهادون الدنيا كعهود أنبياء بني إسرائيل وأسباطهم) فهل عقل الكاتب قوله « عهود أنبياء بني إسرائيل » وإن منهم موسى وهارون وداود وسليمان ويوسف الذين أسس الله على أيديهم عز هذه الأمة الإسرائيلية وسيادتها وملكها، وما كتب لهم التاريخ من أثر ومن عمل؟ أم هو التقليد الأعمى لما كتب غوستاف

بدون عقل وفهم؟ وهل نسي الكاتب ما كتبه سابقا عن علوم اليهود وفنونهم، وعن حكم سليمان في طلب الغنى، وهم أمة أولئك الأنبياء، أو نسي عز بنى إسرائيل أيام داود وسليمان ومن قبلهما إلى موسى وهارون، وما ناله المصريون من حكمة يوسف وتديره في وزارته أيام خصب بلادهم وجديها وهو من انبياء بنى إسرائيل الذين ذم الكاتب عهودهم الدينية تقليداً لصنمه غوستاف بلا عقل. أو هو الهوس في ذم الدين ورجالهم وقادته من الأنبياء والحكماء والعلماء؟

وقال ص ٢٣١

(وقد ثبت في تاريخ كل الأمم التي أوجدت^(١) التاريخ أنها كانت تذهب هذا المذهب في حب الجمال وتصوره - على درجات متفاوتة - . كما ثبت من جهة أخرى أن الأمم التي لا تكون كذلك تعجز عن أن تبذل في الحياة وعن أن توجد لها بين سطور التاريخ حديثاً يقرأ فيشوق . ومن الواجب أن نعتقد أن الأمم أجمع إنما هي صنع خيالها وأن خيالها إنما هو هبة رجالها الذين استطاعوا أن يسبقوها في التصور والتصوير وأن يحدوا لها على أنغام المثل العليا . . .
يقال له : هل قرأت تاريخ هذه الأمم وتخصصت في كليات هذا التاريخ؟ أم هل للنقل الحرفي أم هو مدح الطبيعة والجمال وإبداع الحياة وهبة رجال الأمم لها؟

(١) لقد أوجدت الأمة العربية في عصر الخلفاء الراشدين التاريخ من غير شك فهل كانت تذهب المذهب الذي يزعم صاحب الأغلال؟ إنه يدعى الدعاوى جزافاً بغير حساب ليثبت مذهبه عن طريقها . وليس من يفعل هذا ممن يقام له وزن ولا حساب (غ)

وقال في مدح الأباحية والانطلاق من حدود الأدب والحشمة ص ١٥٩
(وقد لوحظ ولا يزال يلاحظ وعلم النفس يقرر بمباحته صدق هذه الملاحظة)
— أن الجماعات التي تضيق عليها رغباتها وتحرم من ميولها الطبيعية حرماناً هو
العت والارهاق تجيء أبداً عاجزة في عقلها وقلوبها وعواطفها ومشاعرها عن
اللاحق بالجماعات الأخرى التي أطلقت ميولها من الأغلال والحرمان . هذه حقيقة
يقررها علم النفس والاستقراء والتاريخ)

بشرى لكم أيها الفجار والفساق رجالا ونساءً أفقد أباح لكم الكاتب
حل العقال لتكنوا أقوىاء في العقول والقلوب والعواطف والمشاعر
وتلحقوا بالجماعات الأخرى التي انطلقت ميولها من أغلال الأدب والعفة
والحشمة والدين فتلحقوا بالفسق والفجور ركب الحياة وموكب الانسانية .
وليس العجب من جرأته على علم النفس الذي يحمله تقرير ذلك ولكن
العجب اقتراؤه على الاستقراء والتاريخ ، لا أقول لهذا المباحة اقرا تاريخ
الامبراطورية الرومانية للمؤرخ الانكايزي « جيبون » وأسباب انحلالها
وما كتبه العلماء وسطاره التاريخ عن زوال الدول بسبب الرفاهية والفسوق
والترف . وما أخبار ترف الأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم بخيانة
على من أرادها . وما أصاب الأمم المنقرضة بسبب الفسق والفجور
حروب أوروبا المدمرة بسبب التنازع على الترف والرفاهية من
العقلاء يبيد

وقوانين انكثرتا الصارمة بعد الحرب في منع الترف أو تقليله إلى
جد العدم حتى مانعه ضرورياً في حياتنا اليومية كالدهن والسمن والبيض
واللحم . واقرأ مقال « أستطيع بريطانيا أن تنجح » للكاتب الأمريكي

(فرنسيس وكارين دريك) في مختار يونيه ٩٤٧ نقلا من مجلة اتلانتيك الشهرية تغنى عن نقل الشواهد على ذلك مبدوءاً بقوله : هل تستطيع بريطانيا أن تنجو من الافلاس وهى تماني نقصاً في الأيدى العاملة وقلة الطعام وتلفاً في الآلات » واجمع بين قول الكاتب هنا وما نقلناه عنه في ص ٦٠ تعرف الهاوية التى يريد الكاتب أن نتردى فيها ، ويكنى عقلك وقلبك ودينك في وزن ذلك ونتأججه . ثم اجمع بين مقاله الكاتب الأمريكى في ديون انكلترا الباهظة الفادحة التى تعد بعشرات ألوف الملايين ومئات ألوف الملايين وبين قول الكاتب في الأغلال ص ٢٢٢ س ٢١ في وصف بريطانيا « إنها ذات الثراء الخيف » فمن نصدق ؟ هذا المتطفل على مالا يعرف أم كاتباً المجلة الأمريكية الشهرية اللذان يكتبان ما يعرفان من حقائق واقعية لمساها بأيديهما .

ومثل ذلك مدحه للإنجليز في إسقاطهم تشرشل ص ٣١٣ بقوله : « إذ لاشك في أن الانكليز إنما أسقطوا تشرشل لايمانهم بأن من الممكن أو من المحقق أن من سيخلفه سيجيئهم بأفضل وأعظم مما يجيئهم به واهب النصر لو أبقوه مكانه . . ولا ريب أن شعباً يعتقد هذه العقيدة في تشرشل وفي خلفه شعب يؤمن أشد الايمان بالمستقبل وبالتطور وبأن المستقبل وأهله دائماً أفضل وأكمل من الماضى وأهله ، تقوده هذه الأفكار الجميلة . . لمسير جيداً مباراته وإنزاله عن سلطانه الضخم الواسع »

الخ ما استطرد ورمى به المسلمين أنه لو كان فيهم تشرشل لعبدوه وعبدوا إسقاطه جنونا وخيانة وكفراً بالله وتجهيلاً المسلمين الذين يذكرون سلطهم وأسماءهم الذين هم عند الكاتب لم يفعلوا شيئاً « بل صنعوا ما يستحقون

عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى » لأنهم حفظوا الدين وحافظوا عليه وجاهدوا فيه وله، وهذا مما يستحقون عليه الرجم والتدمير والكفران الأبدى عند الكاتب الذي يفضل الانكليز واستعمارهم على المسلمين حتى على صحابة محمد ﷺ كما صرح بذلك عندما خانه حزمه ونفاقه أمام الكاتب الشهير سيد افندى قطب رئيس لجنة التأليف بوزارة المعارف المصرية

فهل يعجب الانسان من جهل هذا الكاتب بسياسة الانكليز وطرق قيام الحكومات فيهم تبعاً للحزب الفأز في الانتخاب وسقوط حكومة الحزب الفاشل وأن فوز إتلى وسقوط تشرشل كان بسبب فوز حزب العمال وفشل حزب المحافظين. ولهذا أسباب معروفة ذكرها الكتاب السياسيون في الصحف السائرة في حينه خلافاً لما علل به الكتاب واستطرد في مدح الانجليز. أو يعجب لمدح الكاتب للانجليز في تراثهم الخفيف وسياستهم وسلطانهم الضخم الذي يعسر عند الكاتب انزالهم عنه واستعمارهم الذي يفضله الكاتب على عهد الاسلام الزاهر في عصر رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين رضى الله عنهم ومن بعدهم وفتوحاتهم الوضاعة في غرة جبين الدهر. ثم يشيع اليأس في نفوسنا وبرهنا بطش اليهود وقوتهم ويحسن لنا البقاء في احضان الحماية الانكليزية أو الأمريكية ولو قرأ الكاتب ما كتبه السياسيون في اخطاء تشرشل الشنيعة أيام وزارته لكف عن كبل المدح له جزافاً. واقرأ في مختار يوليو مقال « فصل خفي من التاريخ » وفي عدد ١٣٧- (٢ شعبان سنة ١٣٦٦) من جريدة أخبار اليوم. مقال الأستاذ عباس العقاد ومحمد التابعي تفنيني عن نقل

الشواهد - بقوله من ٢٢١ س ١٧

« تؤمل اليوم أن تحميننا بريطانيا وأمريكا من هذا الغزو المحيط الماحق - مع أنهما هما الحصان - إننا نخدع أنفسنا كثيراً ونضلها حينما نظن أن في حولنا - لو تخلت هاتان الدولتان - أن نحمل أنفسنا بقواتنا الخاصة من غزو الصهيونية وأخطارها .

فالصهيونيون مسلحون اليوم بأعظم وأحدث القوى العلمية والصناعية والمالية والفكرية والدولية . أما نحن فنكاد نكون محرومين من كل ذلك «
وإذن فالخرج هل هو أن نبقي تحت حماية بريطانيا ذات الثراء الخفيف والسلطان الضخم الذي لا يقهر أو تحت حماية أمريكا الفتية الناشئة التي فارت قوتها اليوم ؟ أو نعمل على الانصاف بالمناعة الذاتية الداخلية التي نخيلها الكاتب ذراً للرماد في عيون من لا يقرءون ما بين السطور ؛ ولا ينظرون ما وراء الستائر ويفضون الغلف لينفذوا إلى ما بداخلها . إن كان الكاتب يريد بالمناعة الذاتية الداخلية التي يشير بها علينا : المادية الحسية مع ترك الخلق والدين فبنس ما أشار به وأخدع به من غش ، وأكرم بما بقي منا من بقية دينية خلقه ، ولعل الله وزجوا رحمته أن يمن علينا بالرجوع إلى الدين الحق من كتابه وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصحابة وخيار التابعين ، فنصبح خير أمة أخرجت للناس ، ونطفيء شر هذه المادية الدهرية التي قدمها لنا كاتب الأغلال بروح الله وشرعه وقدره وفضله ومعونته .

فسر القدر تفسيراً مادياً على خلاف ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة وكلام سلف الأمة وأئمتها في ذلك ، مخطئاً . فليهما قالوه وذهبوا إليه ، ثم

ابتكر له هذا المعنى فقال أول ص ٢٤٩

« فالتقدير بجملته وجلة استعماله يراد به التقدير أى جعل الشيء ذامقادر معلومة أى يراد به جعل الشيء منظماً فى كنهه وكيفه »

ثم شرح هذا التقدير الكمى والكمينى بكلام طويل ممل ، واستدل بالآية (قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين . . . ذلك تقدير العزيز العليم) إلى أن قال ص ٢٥١

« قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) يراد به القدر الذى ضل فيه الناس وصيروه حامل ركود وانحطاط مع أنه هو القوة والوثوب والنشاط . وختام الآية بقوله « العزيز العليم » هو كالتدليس على أن المقصود بالتقدير وضع الأشياء فى مواضعها وخلقها متناسبة متكافئة والعليم هو الذى يفعل ذلك ويقدر عليه) فهل سمعت فى العجم أو البربر من فسر العليم بالذى يفعل ويقدر ؟

ثم قال فى آخر الصفحة

« وقوله اثتيا طوعاً أو كرها إشارة إلى قائلته وإلى أنه سنة محتومة لا تغير ولا تبدل » إلى أن قال ص ٢٥٣ س ١٧ « إن العالم يشبه إلى حد بعيد صناعة كبيرة فيها ملايين الآلات والعدد الدقيقة وكل هذه العدد والآلات تسير وتدور وتحرك بدو وب لا ينقضى لغاية مقصودة ولا يجاد شيئ متقن عظيم بدون أن تقف هذه العدد وبدون أن تتصادم أو تتعارض أو يصيبها ما يحدث الخلل إن هذه الصناعة لابد أن يكون كل جزء فيها وكل آلة وكل عدة مقدرة بتقدير حكيم دقيق من ناحية حجمها وناحية موضعها وناحية كيفها ؛ ومن كفر بهذا التقدير فى هذه الصناعة الفخمة فقد كفر بعقله ، والايان بهذا التقدير هو الايمان بالصناعة المذكورة والايان بها هو الايمان بصانها وكذلك هذا العالم إيمانظمه ونظم وجوده وبقاؤه وبقاء كل ما فيه بالاقدار المودعة فى أجزائه الصغيرة والكبيرة ولا يمكن للايمان بالله مع الكفر بهذا كما لا يمكن الكفر بالله مع الايمان

بهذه الأقدار إلا أن ينأى المرء عن عقله بعيداً ولكن الكفر بهذه الأقدار هو كفر بالإنسانية العاقلة المفكرة فلا يكفر اذن بالله إلا من كفر بالإنسانية وبمزاياها العقلية والمنطقية »

فبشرى للطبائعين والدهريين الذين يقولون بآلية الكون وحكمه بنواميس طبيعية قائمة بالمادة ، إذ شهد لهم الكتاب انهم بإيمانهم بهذه النواميس التي سماها أقداراً يؤمنون بالله ولا يمكن أن يكونوا كفاراً بالله مع إيمانهم بهذه الآلة العظيمة الدقيقة. ثم ويل للمؤمنين بالله الذين يؤمنون أنه قادر على خرق هذا النظام والتصرف فيه، وكم خرق من عاداته وسننه على أيدي رسله والمصطفين من خلقه — ثم الهبل والشكل لعقلاء القرن العشرين إذ يعترفون بتدخل القدر في إبطال قانون السببية وعدم القطع به بل آل إلى قانون احتمالي جحوى (١) وارجع إلى ما نقلت لك من كلام عميد كلية العلوم وصاحب كتاب « الكون الغامض » وصاحب كتاب « مصير الانسان » آنفاً تستغنى عن تكرار الاعداد

أما معنى القدر فقد شرحه الأئمة والمحدثون بما يملأ قلب الكاتب غيظاً وحقدًا وبغضاً لهم بما هو مبسوط في كتبهم . وأخصر كلمة نقولها هنا حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف عام وأنه خلق (١) نسبة إلى حكاية جحا إذ كان يعد حميره فيفقد منها ما هو راكبه فترك الركوب حتى لا يفقد منها شيئاً والمثل ضربه عميد كلية العلوم على مصطفى مشرفة باشا في محاضرة التي خلصت منها ما يرد على كاتبنا ومن قلدهم من دهرية القرن التاسع عشر وما قبله

القلم فقال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » والحديث الآخر « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » وفي القرآن الكريم « ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير »

وجواب موسى لفرعون عند ما سأله عن القرون الأولى فقال موسى (علمها عند ربّي في كتاب لا يضل ربّي ولا ينسى) (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين) (يضل من يشاء ويهدي من يشاء) (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء) وحديث تهاج آدم وموسى وقول آدم فكيف وجدت أن الله كتب على ذلك قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، فحج آدم موسى فحج آدم موسى « ورد الغالطين في الاحتجاج بالقدر ليس بانكاره ، ولكن بتعليمهم إياه على الوجه الصحيح الذي يرشدكم إلى التوكل على الله ، وعدم الحزن على ما فات ، مما لا يوافق أهواءهم كما جاء في الحديث « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، فإن غلبك شيء فقل قدر الله . وما شاء فعل » ولقد كتب في افتتاحية مجلة الرسالة أحد كتابها الأستاذ عباس العقاد

معتزفاً بالقدر ، مؤمناً به على الوجه الذى يقرره الدين ويوجبه ، وذكر صاحب كتاب « أومن بالانسان » ما معناه : إن علينا أن نسير فى أعمالنا قدماً فان نجحت وإلا علمنا أن للعناية الالهية أغراضاً غير ما نريد وما نحب

قال فى ص ٢١٥

« قال أحد القواد المبقرين ^(١) الذين عركتهم الحروب وعركوها » إذا احترب فريقان كان الله مع أقواهما » ثم أخذ يوجه قول هذا القائد بقوله « وإذا استمعنا إلى قول الله فى كتابه » إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم « استطعنا أن ندرك ما فى قول هذا القائد من حق وصدق فان هذه الآية قد جعلت نصر الله لنا إنما يأتى بعد نصرنا له ونصرنا له تعالى هو نصرنا لأنفسنا ^(٢)

(١) لعله هتلر مؤسس النازية الألمانية ، والكاتب لم يصرح باسمه مدهانة للانكليز يسترضيهم وكلمة زعيم ألمانيا من الخطابات التى يراد بها شجذ الهمم ليست من القواعد العالية ، التى تجوج الكاتب الى تكلف توجيهها بهذه السفافات المضحكة المكية

وقرأت فى بعض الكتب أو الصحف أنه ويلهم غليوم الثانى عاهل ألمانيا قبل الحرب الاول وموقد تلك الحرب الماضية قبل هذه

(٢) ويكون حل الآية وتفسيرها على زعم الكاتب هو إن تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم ، فيا لها من عجة مضحكة لقد ضحك الناس قديماً على الاعجمى الذى فسر قوله تعالى (والسماء ذات الحبيك) اذ قال أما السماء فهى السماء وأما الحبيك فلا نعرفه نحن ولا أنتم. وهنا يؤول معنى الآية على ما فسرها الكاتب ان تنصروا أنفسكم تنصركم أنفسكم ، والمغزى ليس فى الميدان الله ولا الايمان به ولا الثقة به والتوكل عليه ، فياقرة عينك يا لبون عطوى ع نجدى صعيدى يقرر دهريتك من كتاب الله تعالى .

وإذن فالله لا ينصرنا إلا إذا نصرنا أنفسنا ولا يمكن أن ننصر أنفسنا إلا إذا كنا أقوى وأذن فالله مع الناصر لنفسه والناصر لنفسه هو الأقوى وأذن فالله مع أقواما وهذا هو القانون العادل الشامل فن هلك به فقد هلك بالحق والعدل ومن هلك بهما فلا ناصر له »

ونسأل الكاتب الفيلسوف : أين كان الله ومع من في غزوة بدر ؟ ومن كان الأقوى منهما ؟ وما معنى (ولقد نصركم الله ييدر وأنتم أذلة) ؟ ومع من كان الله في جهاد موسى مع فرعون ؟ وقوله (ذروني أقتل موسى وليدع ربه) وما معنى قوله تعالى (وزيد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ، ونمكن لهم في الأرض ، وزري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها)

وقال في ص ٢٢٧

« والقدر هو النظام كله . . . ويجب أن يعلم بأن الخلاف الذي قام بين الأنبياء والمصلحين وبين جميع أصناف المخالفين هو في أمر واحد تحته أمور كثيرة هذا الأمر هو أن الأنبياء والمصلحين كافة انما جاءوا بالنظام والدعوة الى النظام في كل شيء وإلى الايمان بهذا النظام . ثم شرح هذا النظام الى أن قال « ولا انتظار للخوارق والمعجزات التي تطلب من وراء الأسباب ومن وراء القوانين الطبيعية ثم استدلل بقوله تعالى (لن تجد لسنة الله تبدل) ؛ ولن تجد لسنة الله تحويلا) ثم قال :

« فهي لا تغير بل تجري على وتيرة واحدة أزلا وأبداً ولا تصرف عن سبيلها بل تمضي فيه غير مبالية بمن هلك ولا بمن نجا »
وقد قطع بمض الآية عن بقيتها وعن سياقها ، ليتأتى له تحريفها ،

والاستدلال بها على ما ذهب اليه من الباطل .. إن الله لا يخرق السنن الطبيعية ، والنواميس الآلية الميكانيكية جرياً وراء ما ذهب اليه طيبيو القرن التاسع عشر ، وفرره غوستاف في آرائه واعتقاده . ولو جاء بالآية تامة مع سياقها قبلها وأراد أن يفهم الحق الذي دلت عليه لما هوى في تلك الحفرة المادية الدهرية على وجهه

سابق الآية ولاحقها وسياقها هو (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً . استكباراً في الأرض ومكر السيئ ، ولا يحقيق المكر السيئ إلا بأهله ، فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً . أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض ، إنه كان علماً قديراً . ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى ، فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً)

فأنت ترى أن الآية في سياق تهديد قريش لكفرهم ونفورهم من النذير ، واستكبارهم على دعوته ، وأنهم إذا أصروا على كفرهم ومكبرهم فلا بد أن يصيبهم ما أصاب أمثالهم من الأمم الماضية ، فإذا جاءهم ذلك فلن يردده عنهم راد ، ولن يحوله عنهم محول ، وهي كآية (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلاً) وقوله في

ذكر ما أصاب المكذبين من الأمم الماضية (أكفاركم خير من أولئكم؟ أم لكم براءة في الزبر) وانظر إلى ختام السياق بقوله (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) بهذه التأكيدات المتكررة من نفي الشأن مع لام الجحود مع التأكيد بزيادة «من» وتنكير «شيء» في سياق النفي، وتكرير النفي في قوله (ولا في الأرض)

فهل يتصور العاقل أن ينقض آخر الكلام أوله، أو هو الفهم المقلوب؛ أو هو المادية الآلية وتقرير آلية الكون ونفي اختيار الله وخلقه وقدرته الشاملة؛ وتسمية ذلك قوة مجنونة أو كالمجنونة؛ والنعق بحماقات لوبون في آرائه واعتقاداته؛ إذ ادعى أن الخوارق أوهام، وإن نفي تسلسل الأسباب يرجع بنا إلى عصور الأساطير، وإن علم الحياة نقض القول بعلّة العلل — يعنى الله تعالى، وإن الأنبياء والمؤمنين بهم منهوسون، وإن الجنات أمل كاذب، والآخرة وهم باطل الخ يريد الكاتب أن يمزق الدين رقعا فيخيط منها ثوبا مهلهلا يلبسه تلك الفكرة الدهرية التي ضحك منها أهلها وسموها فلسفة أطفال وقوانين جحوية، ونواميس احتمالية.

لو كان لفظ السنة في الآية يفيد ما يريد الكاتب أن يحملها إياه من أن السنن أزلية أبدية لا تتخلف ولا تتبدل ولا تتغير، لناقض ما دل عليه القرآن من آيات الله تعالى التي أيد بها أنبياءه كآيات موسى وعيسى وإبراهيم وصالح والنبي محمد ﷺ، فيكون القرآن على فهم هذا الكاتب ينقض بعضه بعضاً. وهو ما تولى الله سبحانه وتعالى نفيه عن كتابه بقوله (ولو كان

من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكيف ساغ في عقل
الكتاب أن ينفي الله أن تبدل السنن والنواميس أذلا وأبداً في موضع
من كتابه ثم يقول في موضع آخر (قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم)
ويقول (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) ويقول (ويكلم الناس في المهد)
وإذ نخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني
ويبرئ، الأكمة والأبرص باذني، وإذ تخرج الموتى باذني ويقول (إنما أمره
إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكيف تنشق البحر لموسى؟ وكيف
أتى صالحاً الناقة مبصرة؟ وكيف وكيف وكيف؟ الخ ماذا ذكر الله عن
أنبيائه ورسله وآياتهم وخوارقهم. ولكن الأمر كما قال الله (وماتننى الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون) (وكذبوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً)
فهل يثبت القرآن في موضع ما نفاه بتاتاً في موضع آخر؟ أو يهدم
مابناه أو يتعارض ويتضارب فيدل على أنه من عند غير الله؟ تعالى الله
وتبارك كتابه وصدق رسوله وسائر رسله. وكذب الدهريون والماديون
ومن جرى في ركاب بغالهم ليظهر بمظهرهم وإن ضحك منه العقلاء ومن
تعلق بهم وهو فيهم ملصق ليس منهم

ثم فسر القضاء بمعنى الفراغ فقال أول ص ٢٥٨

« فالتضاء إذن المقرون بالقدر يراد به الفراغ والانتفاء فالواجب علينا أن
نؤمن بأن الله قد خلق الخلق ووضع النواميس والسنن ثم فرغ منها بحيث لا يحتاج
إلى تعديل ولا مراجعة ولا تكيل أو إصلاح أو تدارك... وقال في أول ص
٢٥٩ « فالتضاء والقدر معناهما أن الله قد أوجد هذا العالم مقدراً بمقادير
مضبوطة محكوماً بسنن لا تقبل التغير وأنه تعالى قد فرغ من ذلك فراغاً

لا يعقبه تبديل ولا تعديل ولا زيادة ولا نقصان لأن ذلك هو شأن الضعفاء أو الجاهل أو السفهاء - وتعالى الله عن ذلك .

واعجب من تفسير آية (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً) ص ٢٥٧ :
(وفرغ من إنهاء ذلك إلى بني إسرائيل)

هل رأيت أعجباً فسرّها هذا التفسير فضلاً عن عربي كاتب يزعم نفسه مجدداً مصلحاً . واجمع هذا التفسير مع تفسير آية (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) ليكون عندك نموذجان من تحريفات الباطنية القرامطة لكتاب الله ليلبسوا منه رقاعاً مهلهلة تدل على مامنية به عقولهم وأفهامهم من سخف . وياليت القوم كانوا أصرح من ذلك وأعقل وعلموا أن دين الصابئة والمجوس ووثنية اليونان ودهرية القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحماقات غوسناف لوبون في آرائه واعتقاداته مناقضة كل المناقضة للحيفية ملة إبراهيم ومن بعده إلى خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فلم يحاولوا الخلط بين ما لا يختلط ، ولا المزج بين ما لا يمزج ، ولا الجمع بين النقيضين ؛ ولا القبض على المشرق والمغرب ، فأراحوا أنفسهم وأراحوا الناس معهم ، وكشفوا النقاب عن آرائهم ونحلهم ، فن شاء وافقهم وشرب من وردهم بلا غش ولا تمويه ولا مكر ولا خداع ، ولكنهم رأوا أن الناس لا يستجيبون لهم بسهولة إذا كشفوا القناع وصرحوا بما يريدون ، فلجأوا إلى هذه المهازل وتلك المضحكات من التحريف والتسخيف .

وما نحريفات أبي زيد الدمهورى لكتاب الله تعالى من الناس يبعيد
ولكن كاتب الأغلال طم الوادى وأتى إلى الدين من أصله يقلعه بمادية
دهرية حتى يصبح الناس أحياء متألفة ، وكان الأجدر به أن يتمهل ويتأني
حتى ينظر مآل الدهرية الأوريسه ومدنيتهم التي يحطم بعضها بعضا ،
كالنار يأكل بعضها بعضا ، وقد أضمرت على نفسها حزين
طاحتين في ربع قرن ، والشرر يتطاير لاشعال حرب نائلة ، لا يعلم مدى
ضررها وخرابها إلا الله تعالى . كان عليه أن يتمهل حتى يرى عواقب هذه
المدنية المادية وماذا يكتب لها من حياة أو فناء ؟ وهل تقوم من هذه
النكبات التي انصبت عليها : نساء تعرض فروجها لتسد رمق حياتها ،
فتيات يبعن عرضهن بقرص أو قرصين من الخبز الاسود لا يطرده الجوع .
وعصابات مخربة ، ومذاهب هدامة

هذا هو ما يدعونا اليه كاتب الأغلال ليخرجنا من نور ديننا إلى
ظلمات دهرية مادية سببية تنكر الرب واختياره وتكذب رسله وآياته

﴿ التوكل : أخطاء الناس فيه ﴾

نقل الكاتب بمض أخطاء فيه وسمى أشخاصاً ، ونقل كلاماً لهم شهيراً ونهجيناً ثم خلس إلى النتيجة التي يريد بها من صرف الناس عن الله وعن الثقة به والتوكل عليه ، واحتقار من يؤمن به ويعتمد عليه إلى الإيمان بالانسانية التي هي كل شيء عنده فقال ص ٢٦٤

« إن الشعوب التي تلقن أنه لا يصح لها أن تعتمد فيما تحتاج إليه على قواها وسواعدها وتلقن أن هناك قوة عليا مستعدة أبداً للقيام بكل ما يراد منها استقلالاً فاعليها إلا الضعف والاستسلام والانتظار . . .

إن الشعوب التي يقضى عليها بأن تلقن هذه الخرافات والمخالات لى شعوب غير جديرة بالحياة والاستقلال في جانب واحد من جوانبها . . . ولكن الأمم الجديرة بالكرامة وبالحياة هي الأمم التي تلقن منذ تستطيع الفهم أنها إنما وجدت في الأرض مجردة من كل ما يملك الناس مسلحة بكل أسلحة الجهاد والنضال لتوجد هي حياتها بنفسها ولتعمل كل ما يلزم لبقائها وسلامتها وسعادتها وتلقن أن الانسانية بمجموعها هي التي أوجدت هذه الحياة وبنت هذا المجتمع وصخرت كل هذه الطبيعة بعقولها وأهلها دون أن يعينها معين ^{١)} ويشاركها مشارك وأن هذه الانسانية لو أنها انتحت هذا المنحى في الاتكال وراحت تلتمس من تتكل عليه ومن تكل إلى قوته القيام بما تريد وبما لا تستغنى عنه لظلت حتى اليوم — أي من يوم وجودها — منتظرة مرثية ما لا سبيل إلى حصوله ،

(١) فروع متدلّية من قول غوستاف أن علم الحياة نقض مبدأ علة العلل وأن الاله للناس هو الأمل، وأن خيالهم وحرصهم هو الذي أوجد حضارتهم إلى ما نراه مبثوثاً بصريح العبارة في كتابه الآراء والمعتقدات وكتاب حضارة العرب، واءفنى من نقل نصوصه وهذياناته

ولبقيت كاحدى هذه الفصائل الحيوانية أو لا تقرضت كما انقرضت فى سالف الدهور الاحياء التى عجزت عن مغالبة الحياة ومجابهة الطبيعة العاتية .

ثم شبه (ص ٢٦٥) المتوكلين على الله بالطفل الذى يلقن أن حوله قوة غالبية عزيزة لا يمتنع عليها شيء ، وان هذه القوة على استعداد لأن تهبط له كل مايشتهى فى كل وقت ، وفى كل مكان ، ثم خالص بهذا السؤال : هل من الجائز أن يصنع مثل هذا الطفل خيراً ، وأن يقوى على شيء ، ثم صرح أن الرجل المتوكل على الله شر من ذلك الطفل فقال ص ٢٤٥

ثم ليعلم أن شراً منه ذلك الطفل أو الرجل الذى يعلم هذه التعاليم الاتكالية ويلقن كل هذه الملقنات للاستسلام والانتظار

والجواب سهل جداً فان المسألة لا تخلو من أمرين : فاما أن تكون الدهرية الوجودية الطبيعية التى تنفى الخالق وتصرفه وربوبيته صحيحة ، فيصح تبعاً لها هذا التفريع الكلى الذى فرّعه الكتاب وشرحه ، وأعاد فيه وأبدى ، وإما أن يصح دين الرسل كلهم ودين رب العالمين خالق الناس ومربيهم ومرسل رسلهم إليهم ليعلموهم الايمان بالله والاعتماد عليه وانه لا حول لهم ولا قوة عندهم إلا منه سبحانه وتعالى وانه (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) وانه (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) وأنه (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) وأنه (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) إلى ما لا يحصى من الآيات (فابتغوا عند الله الرزق) (إن الله هو الرزاق

ذو القوة المتين) وهذا لا شك صحيح لا يصح إيمان المؤمن بدونه بل هو لب الإيمان وثمره اليقين وملتحق إجماع الرسل والديانات، وحينئذ تبين أن الكاتب يدعو إلى فلسفة دهرية وفكرة إلحادية وشريعة فرعونيه (ما علمت لكم من إله غيري) (أنا ربكم الأعلى) (وما رب العالمين) (لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وعند غرق هذا الرب الجاحد رب العالمين ذهب غروره وكبره وجحوده وطفيلانه واعترف صاغراً (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) ثم فسر الكاتب التوكل ذلك التفسير الذي هو روح كتابه ومحور دعوته، وشرحا مبسطا لحقائق غوستاف وهي الأسباب والأيمان بها مع الكفر بالله وتعجيزه فقال بعد ما ضرب مثلاً بالوكيل الذي رضاه وتعتقد بأن ما سيقوم به من أعمال وأسباب وما سيضع من وسائل أعمال مؤدية للغاية وأسباب موصلة إلى النتائج ثم خلص إلى ما يريد فقال ص ٢٦٧ س ٦

(وهكذا ننظر إلى التوكل على الله فالتوكل الصحيح عليه هو أن تثق ثقة مطلقة في أن ما وضعه لعباده من أسباب ووسائل لتبلغهم غاياتهم هي أسباب مؤدية إلى مسيبتاتها وتنتائجها بلا تخلف . . .)

ومثل بالعلاج الصحيح في أدائه بلا ريب إلى الشفاء والبذر الصحيح في التربة السليمة مؤد ولا ريب إلى الانبات واختلاط الذكورة القادرة على الاختصاص بالأنوثة القادرة كذلك مؤد إلى وجود الولد إلا أن يوجد مانع من الموانع الطبيعية ثم قال

« وهكذا القول فيما يدعى أسباباً ووسائل ، فكلما ازدادت ثقة بهذه الأسباب التي جعلها الله كذلك ازدادت توكلنا عليه وثقة به وبأعماله وتصديقاً بأخباره حينما أخبر بأن الأسباب موصلة إلى غاياتها ، وإذا شككت في الأسباب والطرق التي جعلها الله وجوزت ألا توصل إلى شيء فقد نقص توكلنا على الله وإيمانك بنظامه وأصيب يقينك بأخباره وأصبحت من الشاكين غير المتوكلين . . . »

إلى أن قال ص ٢٦٨ س ٣

« أما غير المتوكلين حقاً فهم أولئك الذين لا يشقون بسنة من سنن الله ولا بناموس من نواميسه ويجوزون عليهما الاختلال والاختلاف »

فبشرى لفرعون إذ كان من المتوكلين حقاً حينما أخذ بالأسباب من جنود وجيش وملاً وركب وسار وراء بني إسرائيل ليردهم إلى حظيرة عبوديته . وأما موسى الأعزل الهارب من بني إسرائيل إلى شاطئ بحر عميق مغرق ، فضرب البحر بعصاه فانفلق ، وانخرقت له سنن الكون وناميس الطبيعة ، فلم يعرف التوكل بالشرح الذي شرحه كاتبنا ، وكذلك سائر الأنبياء إبراهيم وهود وصالح وشعيب ولوط . فأعداء إبراهيم لما أوقدوا النار واثقين بها ليلقوا فيها إبراهيم كانوا عند الكاتب خير العارفين بالتوكل وكانوا سادة المتوكلين العارفين بالله

أما إبراهيم الذي قال حين أُلقي في النار (حسبي الله ونعم الوكيل) فكان مثلاً طيباً - عند الكاتب - للجهل بالله وبالتركل عليه ، وكان الذي قال للنار (كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) عند الكاتب - قوة مجنونة أو كالمجنونة ؛ سفهية فوضوية ، تضع سنناً وتخرفها ؛ وتعارض النواميس الطبيعية التي لا تعارض ولا تحتل أزلاً وأبداً

وكذلك موسى حينما دخل أعزل من كل سلاح مادي إلا إيمانه بالله وتوكله عليه - على فرعون جبار الدنيا في عصره بقوة المادية وملئه وجنوده . وكذلك سيد المتوكلين خاتم الرسل حينما خرج لقريش في قلة من صحابته نحو الثلاثمائة إلى نفيهم العام الذي خرجوا به ليحموا غيرهم حامله أرزاقهم ومادة حياتهم بقضيتهم وقضيتهم وخياهم ورجلهم . الخ (وبعد) فاما أسباب لا تتخلف أزلا وأبدًا ، وما يخالف ذلك فكذب عند الكاتب . وإما رب يفعل ما يشاء بسبب وبغير سبب ، ويجري السبب أو ينقضه أو يبطله كما أخبر بذلك واتفقت عليه رسله وعقلاء الناس وبالجملة فاما دهرية أو إيمان ، واختر لنفسك ما تظمن اليه وما ينتلج له صدرك . وكل ميسر لما خلق له .

قال الكاتب خلافا لاجماع المسلمين بل للتدينين بل العقلاء ص ٢٦٨ « لأن التوكل كما ذكرناه هو الإيمان بالأسباب ، لست أريد أن أقول هو الأخذ بالأسباب مع الاعتقاد بأن الله تعالى قد يفعل من غير الأسباب . فإن هذا هو السفه والفوضى التي لا ضابط لها . . . ولا شك أن الاعتقاد بأن الله يدخل في الأسباب ويدخل بينها وبين الآخذين بها فيجعلها حينا أسبابا ، لأنه راض عن الآخذين بها ويجعلها أحيانا أخرى غير أسباب لأنه قاض على الآخذين بها ويجعلها . . . ويجعلها . . . و . . . و . . . وهكذا يتصرف تقضا وبناء في نواميسه وخلائفه - على حسب رضاه وسخطه وحبه وكراهته على حسب اختلاف الأديان والمذاهب وعلى حسب تغير مشيئته ، نعم إن الاعتقاد بأن الله هكذا يصنع ينافي التوكل على كل احتمال »

وهكذا يلون الكاتب عقيدته و دهرية القرن التاسع عشر أو ما رضعه

من حماقات غوستاف لوبون : بالألوان المختلفة والحقيقة واحدة ، ومحور واحد تدور حوله الرحا دورات متعددة ، ولا تخرج عن هذا المحور مهما تعددت الدورات : دهرية مقنعة بخرق بالية

ثم نزع إلى حديث المفضى عليه حينما قال حسبي الله ونعم الوكيل ، وقول النبي ﷺ « إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » والحديث الآخر « إن الله يلوم على العجز فابذل من نفسك الجهد فان غلبت فقل توكلت على الله » ثم قوله ﷺ « فان غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل » شارحا بقوله ص ٢٧٠

(معناه إذا أعطيت من نفسك المستطاع ثم غلبت وجب عليك أن تعلم أنك إنما غلبت بالحق وبالتقوانين التي لا تفرق بين من يقعون تحت طائلتها ويحتكون إليها وإذا كان ذلك كذلك وجب عليك الرضا بالحكم وإن كان غلبا أو هزيمة لأنه عدل ووجب عليك الثناء على الحاكم القاضى وإن كان قضاؤه عليك لأنه عادل غير محاب ولا أنه عالم غير جاهل ووجب أن تقول حسبي الله ونعم الوكيل) وعلى هذا التفسير فعلى كل مظلوم فى حكم أن يشئ على قاضيه ويرضى بالحكم مهما كان ، إذ أن الرسول ﷺ قد علم المغلوب على أمره أن يقول حسبي الله ونعم الوكيل التى هى بحسب تفسير الكتاب : الرضا بالحكم والثناء على الحاكم ، فياسفاهة الذين وضعوا محاكم الاستئناف والنقض والابرار ، وقضاة فوق قضاة لنظر شكواى من لم يرضوا بالحكم الاول ويروا أنهم مظلومون ، فقد فسر لهم الكتاب ما أمرهم النبي ﷺ أن يقولوه عند الغلب « حسبي الله ونعم الوكيل » بالرضا بالحكم والثناء على

الحاكم، وإذا فلا قضاة ظالمة ولا محكوم عليهم بظلم، وما غلبوا إلا بالقوانين العادلة والقضاء العدل الذي يجب الثناء عليهم وتقييل رءوسهم وأيديهم وأرجلهم من مظلوميتهم. وفي الحديث الصحيح «إنما آتانا بشر أقضى بنحو مما أسمع، فمن قضيت له من أخيه بشيء فأنما هو قطعة من النار فليأخذ أو فليدع» وفي القرآن في قضاء داود في الغنم والحرث قوله تعالى (ففهناها سليمان)

ولكن هذا التحريف المضحك المبكى سببه الانحراف عما يعرف الناس من أوضاع دينهم ومحاولة إطفاء الشمس واستبدال فتيلة بها، بل دعوة الناس إلى ترك شمس الدين وضيائه إلى ظلمات الدهرية المادية، والأسباب والمسببات الصارمة والنواميس الطبيعية المطردة أزلاً وأبداً، ووصف الله بقوة مجنونة أو كالمجنونة سفينة فوضوية إذا تحكم في الأسباب أو أبطلها - عند الكاتب

قال ص ٢٧٠:

(وأما قول صاحب الناقة أطلقها وتوكلت فانه يذهب في هذا القول وهذا العمل إلى أن معنى التوكل هو الاستسلام وترك الحيلة والعقل مؤملاً أن يفعل الله ما يشاء وأن ينزل من أجل ناقتة جبريل وميكائيل في يد أحدهما خطام وفي يد الآخر عقار ليحفظا له الناقة من الضياع والهرب^(١) فرد عليه الرسول هذا قائلاً (أعقلها وتوكل) مبيناً له أن الاتكال معناه الأخذ بالوسائل مع الاعتماد عليها وعلى انجاحها ومبيناً له أن من سلك الطريق لزم أن يطمئن وألا يخشى من وراء

(١) وتأمل ما في الكلام ولا يؤذيك ما فيه من رائحة الهزء بملكين كريمين من خيار ملائكة الله جبريل وميكال وحط من قدرهما وعملهما في ملكوت الله

الاسباب جوراً ولا عدواناً كأن يهاجم ناقته المعقولة روح من الأرواح أو عفريت من العفاريت أو شيء آخر خفي من الأشياء الأخرى الخفية^(١) . . . أو كان يصنع الله بناقته بعض الأشياء التي يزعمون أنه يصنعها خروجاً على السنن والاسباب والمادات بقصد الامتحان أو الابتلاء . . . وهذا ما يشير إليه قوله كل (أى المؤمن وثق بالنتيجة ما أخذت بالحيلة الكاملة)

وختم الباب بهذه النتيجة آخر ص ٢٧٠ وأول ص ٢٧١

(وإذا ما فهم التوكل كهذا الذى ذكرنا كان قوة من أعظم القوى وكان سهماً يسوق الانسانية أعنف سوق إلى العمل وإلى إفراغ الجهد كله ، وكان قاطعاً لداير الكسل والركود والانتكال انتظاراً لما وراء الأسباب ولما فى الغيب مما لن يحىء ومما ليس فى الحسبان والتوكل بهذا المعنى هو روح الانسانية ومتى زایلها فقد حانت وفاتها وهو بهذا المعنى روح الأديان وروح الاسلام)

وقبل أن تتكلم على النتيجة الأخيرة نسألك : هل تنبه فسكرتك إلى ما اقترأه على صاحب الناقة مما لم يدبر بخلد من أمله فى نزول جبريل من السماء بزمام وميكائيل بعقال ليحفظا له ناقته ، ولو حلفت بالله أن هذا الخاطر لم يخطر ببال هذا الاعرابى لرأيت أنى صادق ، ولكن الهزء بعالم الغيب من الله وملائكته عند الكاتب لا حد له ينطلق اليه بمناسبة وبغير مناسبة كما جعله هنا خاطر هذا الاعرابى صاحب الناقة الذى ظن أن التوكل يكفى بدون أسباب - وكثيراً ما كان يكفى عند ما يريد الله

(١) ولعل الكاتب لا يصدق ما حكى الله فى قصة عرش بلقيس (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلوني أأشكر ام أكفر) الآية

خرق سننه لتأييد رسله وكرامة صالحه

وأما أمل الأعرابي في أن الله يفعل ما يشاء في حفظ ناقته مما يعرف
ومما لا يعرف؛ فأمل صحيح، فله أن يلقى السكينة على مشاعر الناقة فلا
تقوم ولا تهرب، والله أن ييسر من خلقه الانس أو الجن من يحفظها
للأعرابي حتى يعود وإن تهكم الكاتب الميادي الدهري بذلك وبالأرواح
الخبفية، وبالأسباب الغيبية، وأفعال الله بأسباب ظاهرة وغير ظاهرة،
وبغير أسباب بالكلية بل بقدرته، فسزجى البحث معه فيها إلى ما بعد
وتفسير الكاتب لقول النبي ﷺ له « اعقلها وتوكل » بقوله
« فاطمتن وثق بالنتيجة إذا ما أخذت بالحيلة » افتراء على مراد سيد
العقلاء وخاتم المرسلين، فكم من صاحب ناقة عقلها ولم تحصل الطمانينة
ولا الثقة بهذا السبب، وكم من النوق تنفك عقلها بنوع من حركتها،
ومحاولات سهلة منها لذلك وتنطلق هاربة، والواقع شاهد عدل، ويتعالى
مراد النبي ﷺ في قوله « وتوكل » عن هذا التهافت الذي يحمله إياه
الكاتب. وإنما النور الظاهر من هذا التعليم النبوي في هذا أن يثق
صاحب الناقة بعد عقلها بالله تعالى القادر أن يجعل هذا العقل مفيداً مؤدياً
ما قصد منه فلا تحاول الناقة الانفلات منه ولا يتسلط عليها مخلوق من
شياطين الانس أو الجن فيحل العقاب؛ وهكذا نشرب الدواء ونعتمد على
الله أن يجعله نافعاً ونبذر البذر مراعين ما يلزم بحسب طاقتنا العلمية والعملية
معتمدين على الله أن يكمل نقصنا وأن يتم ما فاتنا بجهلنا، وأن يدفع الغوائل
والعوائق التي نعلمها والتي لا نعلمها عنه حتى ينبت ويقوم على ساقه ويشمر،

وهكذا في كل شيء له سبب أو لا سبب له نعرفه أو نعرفه معرفة ناقصة ونسأل الكاتب سؤالاً أرجو جوابه بلا بهت ولا مكابرة : هل عرف الناس جميع أسباب الأشياء وجميع عوائقها معرفة قطعية لا خلاف ولا نقص ولا شك فيها ولا انتظار لمزيد عليها ، أم هي اجتهادات وتخمينات يمسك الناس بها أمس وقد يرفضونها اليوم أو غداً ، والكاتب يعترف أنهم لا يزالون يجهلون سر الحياة ويحاولون فهمه . فهل على الناس عيب إذا توكلوا على الله واعتمدوا بقلوبهم عليه بعد أن يعملوا ما يعرفون من الأسباب على قدر طاقتهم ومبلغ علمهم .

ثم نسأله سؤالاً آخر : هؤلاء الفاشلون في نضال الحياة سياسياً أو حريياً أو اقتصادياً ما سبب فشلهم ؟ والأمثلة كثيرة في الناس : نابليون وهتلر وموسليني حتى تشرشل الذي يتغنى الكاتب بعبقريته ، لا يزال يتكشف للناس الغلط تلو الغلط في سياسته ؛ وتشير إلى ذلك صحف أميركا ويلخصها أعداد المختار من حين إلى حين كعدد يولية ١٩٤٧ في مقال (فصل خفي من التاريخ) وكقول محمد التابعي في أخبار اليوم (أول يولية) : « إن روسيا تسيطر الآن وهذا بفضل أخطاء سياسة تشرشل الشنيعة أثناء الحرب على معظم وسط أوروبا وجنوبها الشرقي ، وفي وسط هذا القسم الكبير المهم من أوروبا تقوم اليوم حكومات شيوعية تصدع بأوامر روسيا » .

ما هو سبب فشل هؤلاء الفاشلين وهم لم يألوا جهداً في إنجاح أنفسهم ؟ إن قال : القدر وسلطته الغيبية فهذا هو المطلوب ، وإن قال :

جهلهم بأسباب النجاح وسلوكهم بغير قصد غير طريقة فهو المطلوب أيضا فلا عيب حينئذ على المؤمنين بالله في توكلهم على علام الغيوب بعد بذل الجهد فيما يعرفون ليكمل تقصهم في العلم بالأسباب ؛ ويقوى ضعفهم فيما ضعفوا فيه منها ؛ وبمدد المعون والتوفيق والهداية والالهام ، ويقوى همهم في ذلك .

وسؤال ثالث : لماذا فشل أفراد وأقوام في الحياة وينجح آخرون هم أقل من أولئك علماء وعملا وقوة ومعرفة بأسباب النجاح ؟ فإن أراد أمثلة من الأمم نخذ مصر واليمن وبلاد العرب والشام والعراق وإيران ، ثم ضع القسطاس المستقيم لعلم كل واحدة منها وعملها ومعرفة بأسباب الحياة وطرقها ، ثم علل استقلال المستقل منها وفشل الفاشل عن الاستقلال فيها ، كاليمن وبلاد العرب في جانب ، والآخرى في الجانب الآخر ولا نريد تعليلا سخيلا كتعليل الكاتب فشل على بن أبي طالب وانهيار جيوشه بسبب دينهم ، ونجاح معاوية وجنود الشام بسبب قلة دينهم ، فهذا تعليل سخي لا يسبق الكاتب إليه عاقل فيما نعلم ممن كتبوا التاريخ بعلمه وأسراره ، اللهم إلا إذا كان أمثال غوستاف لوبون وأمثاله أصحاب الفلسفة المادية الآلية الطبيعية التي يضحك منها اليوم عقلاء القرن العشرين ؛ ويعلمون الاعتراف بالقدر وعالم الغيب ، والتصرف الإلهي الذي يسخر الكاتب منه ومن المؤمنين به . والواقع والتاريخ ووقائع قضية عدل وشهود أثبات ونראה لما قلنا .

وسؤال رابع : لماذا فشل الكاتب في الحصول على ثمن يستبصر

بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه ممن طلبه منهم حتى رموه بالجنون والحق : أهو القدر الذى قلوب الخلائق بين أصابع مقدره ؟ أم هو جهله بأساليب الحياة الذى كان يجبره ويكمله استخارة الله قبل الطلب ثم الاعتماد عليه والتوكل والدعاء فى إنجاح الطلب ؟

هذا أم الحرمان من الفسادة والزهد وعدم الرضا بما قسم الله حتى هوى فى حفرة الدل والنسول فأذل نفسه بسؤال ما لم يجيبوه اليه وحقوه فيه واستذلوه ؟ ولقد سأل أقوام دون الكتاب مطالب أكثر مما طلب فنجحوا فيما فشل فيه ، أليس هو القدر الذى أفشله فيما أجيب أمثاله ممن هم دون الكتاب عند نفسه علماً وأدباً وفضلاً ، فلماذا فشل ونجحوا ؟ سأرجى ، البحث فيما ذكر من حب الدنيا وفى الزهد فيها وما موه من آراء وما حرقه من فهم الآيات ، وما شوه به الدين من آراء . إلى فرصة أخرى إذ يحتاج ذلك إلى بسط وتفصيل

وكذلك فى مسألة اختلاط الرجال بالنساء ومدح التبرج والعري ، والاعتذار عن الفسوق والفجور والآراء الهدامة الشاذة كقوله ص ٩٨ (ان النساء شقائق الرجال وأنهما سواء فى هذه الحياة وفى القدرة عليها ، والحاجة اليها ، وفى أعمالها ومطالبها ، وأن مانيهما معاً من أعضاء وغرائز وميول متشابهة متساوية من عقل وفكر وروح وحياة وتكوين عام لينادى بسقوط هذه الفروق المدعاة بينهما ، فان ذلك تفريق بين متساويين متماثلين ، وهذا باطل فى قانون العقل وقانون العدالة العامة بل وفى كل القوانين حتى القوانين الطبيعية الممياء)

ولا أريد أن أردد عليه فيما ادعى من المساواة بين الجنسين وعدم

الفرق بينهما عقلا وقانونا حتى لدى القوانين الطبيعية العياء يقول الله (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (وللرجال عليهن درجة) ولا بأستدلال الرسول على نقصان عقل المرأة بأن شهادة اثنتين منهن بشهادة رجل ، وبعودها عن الصلاة والصيام وقت حيضها ونفاسها - لا أستدل عليه بذلك إذ لا يؤمن به وإن آمن بلفظه حرفه بما رأيت من غرائب التحريف البربرى الأعجمى حتى يحجره على وجهه إلى ما تردى فيه من تهتك وإباحية ؛ وإنما أترك الكلام للواقع والمشاهدة ؛ وعلمى (الفسولوجيا) منافع الأعضاء (والبيولوجيا) علم الحياة ، فهى أعقل من الكتاب وأعرف بخلق الرجل وبدنه وأعضائه وغرائزه ، وبالمرأة ، وكلامهم فى هذا مبسط مبين ؛ وأنا مللت الكتابة والنقل ؛ وسأرجى ، ذلك إلى فرصة أخرى

(وبعد) فهل يحيض الكتاب وينجبل ويُرضع ؛ وهل له مبيضان لتوليد البويضات الجنينية ورحم لنمو الجنين فيه وتديان لإرضاع المولود ؟ وهل يرقص ويتكسر ؟ ولا أسأله عن الطبخ والنسل والخبز ، وسكنى البيت وتديره وتربية الأطفال وغسل ثيابهم وأقذارهم ، وغسل الثياب وكبها . وبالجملة ما تقوم به زوجته فى داره ، وسائر النساء فى دورهن فضلا عما اختصاصن به من أعضاء الحمل والولادة ، فاعمله يقوم بذلك بدل زوجته . وهل زوجته كتبت كتاب أغسلاله واتصلت بدعاة التبرج وجالستهم ؟ لا أظن ذلك فيها ولا أظن قدرتها على ذلك . فضلا عن فقد أعضاء الذكورة وما إليها . فالرجال رجال والنساء نساء مهما تلونت الحياة

وللقارىء أن يحكم على قوله بما يستحقه من وصف التعقل والهدوء أو
النهور وعدم الاتزان : ذلك قوله آخر (ص ١١٠)

(ولعل إزام المرأة البيت للأسباب المذكورة) أى صيانة لمن من الخلطة
بالفجار (لا يقل سخفا عن هذه العملية الوحشية الشنيعة) عملية اخفاء الذكور
الذين يخدمون النساء « للأسباب المذكورة أيضا »

ثم ضع هذه وما معها قبلا وبعداً بل الفصل كله - مع قول الله تعالى
لأطهر نساء العالمين زواجه ﷺ أمهات المؤمنين (يا نساء النبي لستن
كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه
مرض وقلن قولا معروفا . وقرن فى يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية
الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله . إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً) واحكم أيهما أذكى
وأهدى سبيلا وأقوم قبلا وأصدق حديثا : الله أم صاحب الأغلال

لقد كانت ابنة الشاطىء وهى امرأة مثقفة وسيدة مهيبة ، أعقل من
صاحب الأغلال ، وأوسع علماً وحكمة حينما ينشأت فى هلال يونية ١٩٤٧
سخرت نسوية المرأة بالرجل وسفه ذلك فى مقال عنوانه « عدل لاخير فيه »
فى مقال طويل ممتع مملوء بالبراهين الواضحة تقتطف منها ما يأتى . فاتها
بعد أن ذكرت حجج من يدعون نصرة المرأة ثم سألت وأجابت : ماهذه
المساواة الرجوة بينهما : أمساواة فى الخلقة والتكوين ؟ محال . أمساواة
فى الشخصية ؟ مسخ وانحراف . أمساواة فى العمل ؟ خلل واضطراب .
أمساواة فى الأعباء والمسئوليات ؟ ذلك هو قرار قانون الحياة من أول

الزمان . أم مساواة في الحقوق المدنية فهو حاصل وأيده الاسلام حين قرر للمرأة حق التعامل ، واعترف بشخصيتها المدنية ، وجعل لها نصيبها العادل من الحقوق المالية والواجبات (قلت) والموارث

ثم ذكرت أن المساواة بمعناها المطلق لا توجد حتى بين أفراد الرجال أنفسهم - وضربت أمثالا كقبول بعض الطلاب في بعض الكليات العلمية ورفض آخرين لتفاوت نأفه شكلي كمنزلة في مجموع الدرجات أو قيراط في الطول والعرض ، أو سبق ولحق بيوم واحد في العمر والسن فيصبح هذا رئيساً وهذا مرءوساً . بل اختلاف في مواهبهم : هذا صانع وهذا مهندس وهذا قاض - محام - طبيب - تاجر . ولو طالبوا جميعاً بحق المساواة المطلق لاضطرب الأمر واختل النظام

ثم قالت : وهل الأمر بين الرجال والنساء إلا مثل هذا أو شبيه به أو قريب منه : لكل حرفته التي يصلح لها ، وعمله المناسب لشخصيته ومواهبه . ولو خيلنا المرأة - باسم المساواة - تتغلى عن عملها في البيت وتدع حرفة الأمومة لتنتقل في ميادين الرجال صانعة أو مهندسة أو تاجرة أو موظفة بشركة لأنها إنسانة آدمية لكان مثلنا مثل من يوجه الرجال جميعاً نحو ميدان واحد دون نظر في مدى حاجته اليهم أو تقدير حاجة الميادين الأخرى اليهم .

اللهم انى لا أجد فرقاً بين اشتغال النساء بالأمومة واشتغال الرجال بالصناعة والتجارة والسياسة إلا كما بين توزيع الأعمال بين القضاة والعلماء والمهندسين والأطباء والموظفين والصناع . هي مسألة توزيع أعمال وتوزيع

كفايات ، واستثمار مواهب ، واستغلال قُوى ، وانتفاع بمقدورات . ولا ظلم ولا تعسف ولا أثره ولا بنية استعباد كما زعموا

قالت : فان أبوا إلا أن يسموه ظلماً فالمستول الأول . عن هذا الظلم هي الطبيعة الأولى (١) التي فرقت في الخلقة بين الرجل والمرأة بل بين الرجل والرجل ، والمرأة والمرأة . الطبيعة التي جعلت في كيان الأنثى مكان الولد ، وفي ثديها النبع الإلهي لغذائه ، وفي مُخلقها الصبر على تكاليف تربيته وحضائته ، وجعلت في الرجل خشونة المقاتل وقوة المكافح وجلد الصياد . الطبيعة التي لم تخلق قط المساواة المطلقة بين أى اثنين من الناس ولو كانوا توأمين ، ولم تخرج قط من مصنعها مثلين متساويين وإنما وزعت المواهب وفرقت الكفايات ، لتضمن صانعاً لكل حرفة ، وعاملاً لكل عمل ، وبطلاً لكل ميدان . هي المستولة عن هذا الظلم وهي خصمنا الواحد ، فان شئنا أن نطالب بالعدل وتحقيق المساواة بين الجنسين فلن نجد حكماً تختصم إليه لينصفنا من الطبيعية الظالمة ويحكم لنا عليها وهيئات هيهات . فما كانت أحكام الطبيعة بالتى تستأنف أو تنقض أو تعقب . فليصيحوا أن المساواة بين الجنسين عدل وحق ، وليضجوا من ظلم الطبيعة وتفريقها ، فلن يجدى الصياح ولن تنفع الشكوى

(١) تريد الكاتبة بالطبيعة فطرة الله التي فطر عليها خلقه وقدره السأرى فيهم النافذ عليهم وأما وصفها بالظلم ونحوه فتتكلم بلسان الخصوم لتزهمهم الحجة من كلامهم على حد تعبير الخليل في محاجة عباد النجوم للكوكب والقمر والشمس (هذا ربى) من غير اعتقاد لذلك .

هبوا المستحيل قد كان واستطاعت المرأة أن تقوم بهذا العمل أو ذلك مما قام به الرجال فهل ترانا ندخل الرجل إلى البيت ليحترف الرضاعة والحضانة والتربية مما قامت به الأنثى من عهد حواء أم ترانا تترك البيوت معطلة خلاء ؟ أسئلة لا تنتهى وما أحسبها تنتهى فنسأل : أى خير فى ذلك العدل ؟ ولمصلحة من هذا الانقلاب ؟ أمصلحة المرأة وقد كانت بأثوثها من القلب الحبيبة الشائقة ، والملمهة الفاتنة والسيدة الحاكمة ، تمنعها لجباها الملوك وترنو إليها أبصار الفرسان ، ويتخذها الرجل فى بيته حرماً مصوناً لا يمسسه الغبار ولا تجرحه الأعين ، ولا تناله الأيدي ولا تتطاول إليه الأعناق . أم مصلحة الرجل وسيفقد فيها موضع حبه ، ومثار فتنه ، بل سيفقد سره الأكبر الذى يغريه بالكفاح ، ويهون عليه ما يلقى فى موكب الحياة ، ليرى إلى جانبه ذلك المسخ الجديد الذى يثير الرحمة ويبعث على الرثاء ؟ أم هى مصلحة الجماعة وسوف تحرم بهذا الانحراف — إن حصل — بينها السعيد يتكامل فيه الجنسان ويتعاون الزوجان على حمل الأمانة العظمى ، ترى مكان هذا البيت نزلاً كثيباً يأوى إليه رجل مجهد محروم وزميلة له شقية تعسة قد أنهكها جهاد لم تعود وأرهقها عمل لم تنهأ له

ألا إن فى المساواة معنى من العدل لا خير فيه أو هكذا تراها الإنسانية . أما الطبيعة فتراها وهماً من الأوهام . وأما المرأة التى مزقوا حجابها وأخرجوها من بيتها فتراها لونا من الظلم لا مساواة فيه .
(بنت الشاطىء : من الأمانة)

اتمنى ما نقلته ملخصاً من هذا المقال القيم المدعم بالحجج العقلية

المتزعة من طبيعة الوجود وحقيقة الواقع وعلم الفسيولوجيا والبيولوجيا. ولا يسوأنك ما ذكرت الكاتبة مكرراً من لفظ «الطبيعة» وظلمها ونحوها فهي ترد باطل المدافعين عن تبرج النساء بلسانهم وتعبيراتهم لا بلسان الدين وعباراته

ولها كلمة أخرى في آخر مقال «الاسبانيات في المدرسة والبيت» في هلال ديسمبر سنة ١٩٤٧ قالت

«ألا ليت قومي يعلمون أن المرأة الغربية لم تترك بيتها راضية، ولم تحترف عن رغبة وهوى، وإنما أخرجت من البيت تحت ضغط عنيف من ظروف سياسية واقتصادية واجتماعية قاهرة، واحترفت عن حاجة واضطرار، وهي بعد لا تزال نحن إلى البيت الذي حُرمت منه، وترى فيه نعيمها المفقود وحلمها الجميل

«ألا ليتهم يعلمون أن في الغرب مذاهب سياسية واجتماعية نات بالأنوثة عن صخب المعترك السياسى وغبار الطرقات وشذوذ المساواة، وأبقتهما في دنياها موضع العزة وجمال البيت وصانعة الأبناء وأثنى الحياة» اه ولو كان هؤلاء الدعاة إلى الدعارة والفجور واختلاط الجنسين بكفهم قال الله تعالى . قال رسوله ﷺ . قال العلماء — لما احتجنا إلى كل هذه التطويلات من كلام أهل العقل والتجربة ومقررات علم منافع الأعضاء وفي قولها في وصف ابن الأم بأنه النبع الإلهى لغذاء الطفل وكذلك استشهادها بما أقرته الشريعة الإسلامية من حقوق المرأة المدنية، ودفاعها عما قرره الدين والفطرة والعقل من صيانة المرأة وحجابها — دليل إيمان

الكاتب وعقلها ؛ وحبها للفضيلة والخلق الكريم ، على خلاف ما دعا اليه
كتاب الأغلال من تبرج المرأة واختلاطها بالرجال وما يتبع ذلك من فسق
وفجور وانحلال ، غمياً عن آداب الديانات والشرائع وقوانين الفطرة
والحياة والوجود ، ودعائم الأخلاق والحشمة والعفة ، وما جره التبرج
والفجور والاختلاط مما يندى له جبين المروءة والحياء والخلق الكريم
ولقد حدثني وجيه جدة وفاضلها الشيخ محمد نصيف عن سفير
إيطاليا بها أنه قال له : أحب من دينكم أمرين :

(١) تحريم اختلاط الرجال بالنساء (٢) تحريم الربا

وقال السفير : كيف أثق بامرأتى تذهب مع شاب صديق أو خليل
لها في رحلة إلى جبال الإلب عدة أيام أو أسابيع : شاب مكتمل الرجولة
والفتوة والحيوية ؟ ثم مدح تحريم الاسلام للربا وحثه على إقراض المحتاج
وإمهاله بدون قصم ظهر معيشتة بالربا

قال الوجيه : زوج أحد اللوردات بنته فوجدت بكرة فشكرها
أبوها على محافظتها على بكارتها وقدم لها هدية لذلك . فضربت على عجزتها
وقالت له : اشكر هذه فهي سبب حفظ هذا .

وذكر لى أحد المختلطين بالانكليز عنهم أنهم لا يعرفون بكاراة البنت
ويقولون هل تعرف بكاراة للشبان فتعرف بكاراة للفتيات ؟

وذكر أن امرأة سفير فرنسا كانت تعشق سكرتير السفارة
فكانت تخلو به في حجرته فاذا طرق السفير عليهم أجابت ارجع فسأتيك .
تعنى بعد الفراغ من خلوتها بخدينها . فهل هذا ما يدعونا اليه كتاب الأغلال ؟

وتهم الصاوى الكاتب فى أخبار الدنيا تحت عنوان هل صرنا أقل
من الصين ؟ حينما منعت الرقص المزدوج ، فتهكم بغيره الأزواج الذين
يرون زواجهم تنتقل من ذراع خدين إلى ذراع آخر وهن منحورات
بخمرة الهوى وخمر المدامة . فأى إنسانية هذه ؟ أم هى حيوانية المدنية
المادية الدهرية الفاسقة الفاجرة التى انطلقت من كل حياء وحشمة
وخلق إنسانى .

إن تعليم المرأة الكتابة والقراءة والمطالعة فى كتب الدين والأخلاق
وشيثا من قوانين الصحة وتدير المنزل ومبادئ العلوم مع الحشمة وعدم
الاختلاط ، أمر لا يجادل فى حسنه وطلبه ووجوبه عاقل . أما فن الرقص
والفناء والاستحمام المختلط على الشواطىء ، دع زيارة المسارح والسينمات
والمواخير والخلاعة والمجون . فهذا فليتنصح به كاتب الأغلال لمن يحب ،
وعليه أن يبدأ به فى بيته وذويه ليقتدى به المعجبون به وببقرته ونبوغه
كمن ناصرهم فى صحف مصر وأطروا كتابه

وقد أبان معالى عشاوى باشا فى حديثه مع مراسل الأمانة (شعبان
١٣٦٦) حيرة العقلاء فيما وصلت إليه حالة المرأة المتعلمة إذ يقول « أم أنكم
فى مشكلة المرأة المثقفة وقد وقفت عند مفترق الطرق بعد أن تهيأ لها
إعداد مضطرب ارنجلناه بغير غاية معروفة أو رسالة مرسومة »

يريد كاتب الأغلال فى كتابه (ص ١١٩) أن يصور الرسول الكامل
فى جسده وروحه ، فى قواه البدنية والخلقية والروحية إنساناً فأر الجسم

واهى القوى بليد الهمة صوفياً هندوسياً ، أو راهباً نصرانياً ، فيستبعد عليه تفوقه فى القوى الجنسية ويظنها متنافية لما بعث له من جلائل الأعمال . ولعله تأثر فى ذلك بما كتبه المضللون المغرضون من دعاة النصرانية فى رميمهم للنبي الكريم بأنه شهوانى ، ولكن الله الذى أكمل خلق رسوله وخلق جوده وروحه أعلم منهم ومن كاتب الاغلال بما فطر عليه نبيه من التفوق فى كل كمال بدني وروحي إذ يقول (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) فهذه الاباحة للزواج التي لا حد لها من رب النبي وخالقه لا تكون عبثاً ولا لغواً إلا عند من لا يؤمن بالقرآن ولم يعرف الرسول ولا رب الرسول

وعهدنا بالكاتب فى كتابه ذم التجرد والزهد والمعنويات والمرض وتقديس القسوة والمادة والصحة والمافية وما إليها ، فإياه اختار هنا للرسول ما هجنه واستقبحه ، وباعده عما دعا اليه وألف كتابه له ؟ وعقلاء الناس على خلاف الكتاب يرون أن كمال القوة الجنسية والنزعات الجسدية والشهوات البدنية ، لا تتنافى مع سمو الأخلاق وعظمة العظماء ، وبطولة الأبطال . وما هو ذا (جون سيتوارت ميل) الانكليزى يقول فى كتابه « الحرية » تعريب طه السباعي باشا (ص ١٠٢)

« إن الشهوات والنزعات ليست إلا جزءاً متمماً وركناً جوهرياً من

صفات الانسان الكامل شأن الروادع والمعتقدات كحذوك النعل بالنعل .
وليس يخشى من طغيان النزعات إلا عند اختلال توازنها ، أعنى عند
ما تشد طائفة من الميول والأغراض مع بقاء غيرها مما كان يجب أن يجاريها
في القوة ضعيفاً معطلاً . والسبب الحقيقي فيما يقترفه الناس من القبائح
ليس قوة الشهوات ولكنه ضعف الضمائر . وليس هناك تلازم طبيعي بين
قوة الشهوة وضعف الضمير ، بل الأمر على عكس ذلك ، فانك إذا وصفت
امراً بالتفوق على غيره في قوة العواطف وتنوع الشهوات فكأنك تسلم
بأن نصيبه من مواد الفطرة البشرية أوفر وأجزل ، فهو لذلك أقدر ولا
شك على عمل الخير وإن يكن أقدر على ارتكاب الشر ، وما قوة النزعات
إلا اسم آخر للنشاط والهمة وقد تصرف الهمة إلى فاسد الأغراض ؛
ولكن لا مشاحة في أن الطبيعة الموصوفة بالهمة والنشاط هي أبداً أقدر
على جلائل الامور ومحاسن الافعال من الطبيعة الموصوفة بالبلادة والجود
وان توقد الاحساس الذي هو مصدر قوة العواطف وحدة النزعات لهو
أيضاً مصدر أشد ما يعرف من حب الفضيلة وأبلغ ما يوصف من ضبط
النفس . ولن يستطيع المجتمع أن يؤدي فروضه ويصون مصالحه إلا
بتربية قوة الاحساس هذه وإذكاء جريتها

ولا عجب فما هي إلا المادة الخام التي منها تصور طبائع الإبطال
وتصاغ نفوس التوائغ فكيف يوفق المجتمع إلى غرضه إذا نبذ هذه المادة
جهلاً منه بطريقة الاتفاع بها وتصوير الإبطال منها . إن الشخص الذي
تكون شهواته ونزعاته خاصة بنفسه معبرة عن طبيعته جدير أن يكون من

ذوى الاخلاق . أما الذى لا تكون شهواته ونزواته على هذه الصفة من الاستقلال فليس له من الخلق إلا مقدار ما يكون للآلة البخارية . فاذا كانت عواطف المرء قوية فضلا عن كونها مستقلة ثم كانت له إرادة حازمة تتسلط على شهواته وبصيرة ثاقبة تتصرف بعواطفه فهو من ذوى الأخلاق والعزيمة ؛ وكل من يزعم أن استقلال الشهوات والنزوات غير جدير بالتنشيط فانما يقول بأن المجتمع ليس بحاجة إلى قوة الشكيمة ، وشدة المراس ، وأنه لا يستفيد خيرا من ذوى الأخلاق الكبيرة ؛ وأن علو الهمة ليس من الحسنات المنشودة »

اتمى كلام هذا العالم الاجتماعى الأخلاق الانكليزى ، وهو جدير بالاعتبار وهو شهادة عدل على صحة ما جاء فى الاحاديث الصحيحة مما اختص الله سبحانه رسوله ﷺ وهو المثل الكامل من كمال خلقه ومخلقه وقوة عواطفه وسجاياه البدنية والروحية إذ يقول « حُبب إلى من دنياكم الطيب والنساء ، ومُجِلت قرّة عينى فى الصلاة » لجمع له بين كمال البدن والروح . ويقول « لكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنّى فليس منى » وقيامه بحقوق أزواجه وإعفافه لهن وهن يزدن على تسع أمر لا يشك فيه مسلم . وإباحة الله له ما شاء من النساء وما دلت عليه الاحاديث من قوة بدنه وروحه ، وما اختص به من تفوق القوة الجنسية : تكتسح ظلمات الكاتب وما استند اليه من شعر الأخطل وخطله وتجنّبه على علم النفس والاخلاق ، وخوضه فيما لا يحسن سباحته لينتقص ما حبا الله به نبيه ﷺ من كمالات جسدية

وروحية ليتم له ما رى اليه في كتابه من إنكار فضل الله على خلقه واختصاصه من شاء منهم بما يبدد أو هام المادية الدهرية العابدة لخمسة الأسباب ، الجاحدة لآيات الله الخارقة لنظام الطبيعة المرغمة لأنوف عبادها وإن أعجب لهوس الكاتب لتلك الخيالات التي رد بها ما اختص الله به نبيه من قوة البدن والعواطف والتفوق الجنسي ، فمعجى أشد من استدلاله على ذلك بحديث « كان إذا دخل العشر شد المنزر » فهذا هو النبأ أو الهوى : سحب حكم عشر من الدهر على أيام الدهر أو الحكم بثلاث شهر على ١٢ شهراً ، أو رد عدة أحاديث مشتهرة صحيحة عند أهلها بمفهوم خاطيء مخطيء ، لحديث شد المنزر . ثم الوقاحة والسفاهة برى حفاظ الأمة وأمناء الشريعة بالهوس الجنسي . الى آخر ما سمع به أدبه معهم

وهذا الكاتب الاجتماعي الانكليزي - وكاتب الاغلال يطرى الانكليزي في كتابه ويتغنى بفضائلهم - قد قرر ما تقلناه عنه فهل يلحقه في رمية بالهوس الجنسي بمن رماهم به من حفاظ الاسلام ورواة الاحاديث أو يبحن ويتخاذل عن ذلك ؟

أحب أن أسمع مايقول فيه إن كان عنده شجاعة علمية أدبية حتى نعرف أن الكاتب ثائر ناغم على كل حق حيثما كان وأينما وجد . والذي يظهر لنا أنه جن في رد كل ما هو إسلامي ديني ليخيط بدله مزقا دهرية لوبونية طبيعية .

وقد سمعت قرار الفكر الانكليزي في المسألة فاسمع خلاصة أمريكية في ذلك حتى تسمع تأييد الاسلام من شرق الارض وغربها كما قال الله

تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المجرمون)

أما الأمرىكى فهو مؤلف كتاب (الانسان ، ذلك العالم المجهول) وهو حائز جائزة نوبل فى العلوم الطيبة ، وقد لخص المختار مقالته ، وهو أعرف وأوثق معرفة بقوى الانسان ومنافع أعضائه اذ قرر ان إفراز الخصيتين الداخلى فى الدم مما يقوى العقل ؛ وأن العظام من القواد والساسة والحكماء كانوا أقوى فى العاطفة الجنسية من غيرهم ، وأن اثر ضعف الخصيان فى القوى العقلية أمر مشاهد : بخلاف كاتب الاغلال اذ كذب بما لم يحط به علمه ولم يتصوره فهمه ، وكذب الرواة والمحدثين فيما نقلوا من قوة النبي ﷺ (١) وكذب أنسا خادما النبي ﷺ فى روايته طواف النبي ﷺ على نسائه فى ليلة واحدة بغسل واحد (ص ١٢٠) ورمى الحافظ ابن حجر خاتمة الحفاظ بالهوس الجنسى وتلفيق الروايات فى قوة جماعه ﷺ الخ البذاءات التى تليق بأدب هذا الكاتب وتربيته ومنبته وتمرده على المجتمع الاسلامى وليس الحافظ ابن حجر بأعظم من البخارى امام الدنيا فى حفظ حديث رسول الله ومعرفة صحيحه ، فقد رماه الكاتب بالجهل بالحديث ، وأنه يروى

(١) كقوته ﷺ فى سائر المواهب الجسدية والروحية والخلقية فهو الانسان الكامل فى كل المواهب الانسانية حسية ومعنوية ولو عقل الكاتب حكمة إباحة الله له الزوج بعدد لا يحد من النساء لما استبعد وكذب ما جاء من الروايات فيما خصه الله به من القدرة الجنسية التى فاق بها الناس حتى أبيع له من النساء ما لم ينبع لغيره . حكمة تعالى عن العبث والسفه .

الحديث الموضوع - المكذوب - وهو لا يعرف وضعه وكذبه... صرح بهذا شفاهها في دار وجيه نخبة الافندى محمد نصيف بحضور صاحب الدار وولده الأديب حسين افندى نصيف وغيرهم من حاضري المجلس حينما انجر بحثي معه في مسألة سأذكرها بعد إلى الاستدلال بحديث رواه البخارى، فأتاكأ ولا تلثم عن وصف البخارى بما نقلته عنه حرفياً - بل ليس البخارى بأعظم من صحابة النبي ﷺ الذى فضل عليهم الاستعمار الانكليزى بشهادة كاتب شهد عليه بذلك فى داره هو سيد افندى قطب رئيس قلم التأليف بوزارة المعارف المصرية، بل الصحابة ليسوا بأفضل من أنبياء بنى إسرائيل وأنبياء المتدينين عموماً على اختلاف أجناسهم إذ رماهم بتأخير الانسانية وعرقلة سير الحياة الخ. بله أن الايمان بالله الذى جعله نكبة على البشر والايمان بالآخرة الذى جعله مؤخراً للمؤمنين بهاعن اللهاق بركب الحياة وهذا كله كان غريباً قبل أن نعرف اهدافه ومراميه التى كشف عنها كتابه (الأغلال) من مادية لا روح فيها ودهرية لا خالق لها، ونواميس صارمة لا آيات ولا خوارق ولا معجزات ولا قدرة خالق ولا اختيار له فيها. والديانات التى تقول بغير هذا أغلال تؤخر سير الحياة وتعرقل ركب الأحياء عند الكاتب .

وبالجملة تلخيص مشوه أو مبسط لا لحاد لوبون وأضرابه من مادى القرن التاسع عشر وما قبله ثم تمزيق دين الاسلام خرقاً ورقاعاً لتلبسه تلك الفلسفة العفنة التى عافها الناس واستمجنوها وعدوها آراء صبيانىة أطفالية. وسأحاول اختصار تلك الكلمة العجلى التى شغلتنى عن أعمالى زهاء أسبوعين

فليس من غرضي استيعاب الكتاب الطويل المل قد كشفت عن
أساسه ودعائه، وعمده وأركانه التي تتلخص في هاتين الحكایتين - ومن
أعطاك مقاييس دار فقد أمكنك من معرفة ما فيها :

(١) ذهب أديب لمواعدة صديق امريكي مسافر بطائرة فكان
في الوداع أن قال له : تصحبك السلامة بأذن الله ومعونته ، فقال الأمريكى :
الله ماله شغل فى هذا !! قال المواعد : يحفظ الطائرة من السقوط ومن
المواصف مثلاً . قال الأمريكى إن سقطت فن هذا المغفل - وأشار إلى
سائقها - الله ماله شغل فى هذا . فكتاب الأغلال تبسيط وشرح لهذه
الحكاية الأمريكية .

(٢) ذهب جحا (١) لشراء حمار من السوق فستل أين تذهب ؟ قال
أشترى حماراً من السوق قيل له قل ان شاء الله قال له ولماذا أقول ذلك ؟
الحمار فى السوق والتمن فى جيبي . ولما دخل السوق رزىء بلص سرق
نقوده فلما رجع قيل له أين الحمار ؟ قال إن شاء الله ضاعت النقود ، قيل له
كان ذلك من أول . وضحك الناس عليه .

وفلسفة كتاب الأغلال هى فكرة جحا وهو ذاهب لشراء الحمار
ولكن جحا انتبه إلى الحق بعد ضياع دراهمه فهل يرجع صاحب الأغلال
ولو بعد خراب مالطة وبعد ما أفسد ما أفسد من أفكار قراء كتابه ؟

(١) جحا اسم الشخصية هزلية مجونية تنسب إليها حكايات مضحكة لها
مغزى أدبى خلقى واختلف الناس فيه هل شخصيته خرافية أو له وجود تاريخى
وفى سوق الوراقين تباع كتب باسم نوادر جحا ..

الله أعلم بشؤون خلقه والله في خلقه واضلالهم حكم كحكمه في خلق إبليس وإنظاره لاضلال خلقه .

فات أحد كبار الانكليز شئ عزم عليه فقيل له لو قلت إن شاء الله لحصل ، فكان يقول إن شاء الله حتى فيما مضى فيقول عملت كذا أمس إن شاء الله تعالى ، وأظنه المستر كوكس مهندس خزان أسوان الشهير بمصر أقول سأختصر الكلمة بذكر فرع من فروع مادية الكاتب وهو إنكار تمثيل الجن وتصورهم بصور ، وقد جرى بيني وبينه بحث في ذلك نلخصه في كتابه ص ٢٠١ س ٢٩

« ومنذ شهور قليلة قام بيني وبين انسان عالم نزاع في هذا وقد زعم هو بأن العفاريت يتصرفون في هذه الدنيا وأنه يعرف إنسانا كانوا يخدمونه ويحضرون نه العما كة من بلاد أخرى في أوقات تفقد فيها القوا كه وأنهم - أي العفاريت - نقلوا له البراميل من بلدة إلى أخرى »

أقول : أنا ذلك الانسان العالم الذي عناه ، والذي قام بيني وبينه ذلك البحث الذي رواه مشوهاً ، ولم يذكر ما استدلت به من آيات وأحاديث منها حديث البخاري « إن شيطاناً تقلت على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته فأمسكه الرسول وخنقه حتى أحس برد لسانه وهم يربطه في سارية المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة ، فذكر دعوة أخيه سليمان (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) فأطلقه » فما كان من الكاتب إلا أن رمى البخاري بالجهل بالأحاديث ، وأنه يروى في صحيحه الحديث الموضوع وهو لا يعرف أنه موضوع . وانفصل الحديث عند هذا الحد إذ لم نكن

ندرى ما وراء الأكمة وما يخفيه الكتاب فى أغلاله من الكفر بالله واليوم الآخر والملائكة والجن والرسول والديانات كلها حتى أعلنه فى كتابه الأغلال . وسواء آمن بتمثل الجن وتصورهم أو لم يؤمن ، وصدق ما أخبر الله عنهم فى عصر سليمان وغيره ، وإن منهم البنائين والغواصين والمقرنين فى الأصفاد ، ومن عرض على سليمان نقل عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين أو لم يصدق . وسواء صدق الأحاديث فى ذلك أو لم يصدق ، وما توارثه الناس قديماً وحديثاً مما بلغ مبلغ التواتر الذى لا ينكره إلا مكابر مباغت حتى فى عصر المادة هذا يوجد فى عقلائه من يروى ما وقع من غرائب الحوادث التى لا يعقلها من لم يؤمن بعالم الغيب ويصدقها المؤمنون به

ولقد كان عقلاء الماديين أعقل من كاتب الأغلال وأبعد عن السخف فاذا رأوا شيئاً لا يفهمونه ؛ أو صحت عندهم رواية لا تنطبق على قواعدهم المادية : قالوا : هذا شيء لم نعرف وجهه ، ولم يكذبوا به ولا بروايته ، واستحيوا من العناد والمكابرة والبهت وإغماض العين لانكار ضوء النهار ولك أن تطلع على ما يختاره « المختار » من حين إلى آخر ، آخرها مقال « قصة شبح » فى عدد يوليو (سنة ١٩٤٧) وراويته عن نفسه رجل من عظماء الانكليز معتمد الحكومة الانكليزية فى فرنسا . فصدقه أو كذبه . وقبلها فى عدد مارس (سنة ١٩٤٧) من مجلة المختار بعنوان (رأيت ملك الجحيم) فيها تمثيل الشياطين فى غابة من غابات التبت .

وكل ذلك فرع المسألة الأصلية : الايمان بالغيب ، بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر ، جنته وناره وحشره ونشره ، وقضاء الله وقدره على

الوجه الذى آمن به المؤمنون الأولون : الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان إلى يوم القيامة . أم الكفر بذلك وتفسيره تفسيراً مادياً دهرىاً لوبونياً طبيعياً وجودياً على ظلمات فلسفة القرن التاسع عشر ، وإن ظن أنه يخدع الناس بذكر الاسماء الدينية وينزلها على مراده الذى اخترعه وحرفه من دين الملة والطبيعة والكون الآلى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

قال آخر (ص ٢٠٥)

« وليعلم بمد هذا أننا ممن يؤمنون بالأرواح وبالجان ، وبكل ما جاء عن الله ورسوله ، ولكننا ننكر الفوضى وننكر أن يكون الله قد ترك خلقه بلا نظام وبلا قانون يلزمهم الحدود ويربهم السبيل ، أو أن يكون قد تخلى عنهم للفوضى والطغيان »

فرحى لهذا الاعتراف ، إذاً فليؤمن أن الشياطين سخرت لسلطان (كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد) (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك .. قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءى الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بئىء منكم إني أرى مالا تزون إني أخاف الله والله شديد العقاب) تمثل الشيطان بسراقة بن مالك الجعشمى يوم بدر وقال لهم ما حكى الله عنه فلما رأى الملائكة مدداً يزعمهم جبريل ولى هارباً فلما نادوا ياسراقة كيف نفر وتمزق أجابهم الشيطان متمثلاً بسراقة إني أرى مالا تزون .

وحدث تفلت الشيطان على النبي ﷺ ليفسد عليه صلاته وتمكنه منه وخنقه حتى أحس ﷺ برد لسانه وهم يربطه في سارية من سواري المسجد لولا تذكره دعوة أخيه سليمان (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) وسارق تمر أبي هريرة مراراً وأعلمه النبي أنه شيطان. ولشيخ الاسلام ابن تيمية رسالة في أحوال الجن وعلاج من يصيبونه بمرض ونحوه، وكيفية اتقاء شرهم مفعمة بالأحاديث في ذلك طبعها الشيخ منير الدمشقي بمطبعته المنيرية سماها (إيضاح الدلالة في عموم الرسالة) وقد ساق البخاري في كتاب بدء الخلق من صحيحه أحاديث على شرطه فيما جاء في الجن وأحوالهم، وفي القرآن سورة الجن وفيها وفي الأحقاف استماعهم لقراءة الرسول القرآن في صلاته الفجر حينما كان ذاهباً إلى عكاظ بنخلة اليمانية (قرية بطريق الطائف) وأحاديث إسلام طائفة منهم وسكنام المدينة. وتمثلهم في صورة حيات وقتلهم لمن قتل منهم حية. والحديث بذلك في صحيح مسلم وأبي داود وغيرهما

وفي تمرد الجن وطيشهم وعشهم من الفوائد ما لا يقل عن نظيره من تمرد المتمردين من بني آدم من تعليمنا كيف نصارعهم ولا نخافهم، وتنازلهم ولا نهيبهم، وزداد إيماننا بقدرة الله على خلق مخلوقات لا تدرى ثم ترى ونوعاً حياً عاقلاً على أسلوب غير أسلوبنا في الحياة والمعيشة، فإذا تمردوا على ما ألزموه من النظام قاومناهم بما فطرنا الله من قوة، وما هداانا إليه من عقل وتديير مع الاستعانة به وازددنا علماء بما وراء المحسوس فوق ما تعلمه من المخلوقات التي نحسها، وأن هناك أحياء غـيـير ما نعرف من

الحيوانات ؛ وأن وراء ما نبصر أمم نجيا وتميش بطراز غير ما نعرف من طرز الحياة التي ألفناها رغم أنف الدهريين والماديين ، وإن كان في الناس من يجبن عن مصاولة هذه المخلوقات الضعيفة من الجن وهو أرقى منهم عقلا وحولا وطولا ؛ فهناك من يخاف الفأر والهرة فضلا عن النمر والأسد مع أنه أقوى منها حيلة وفكراً ومعرفة بطرق اتقائها بل صيدها وحبسها في أقفاصه . فليس في وجود هؤلاء الجبناء من الناس وعبت الجن بهم أحيانا قليلة للعبرة ما يتخذش حكمة إقدار الجن على التمثل والتصور ، ولا فيه فوضى ولا خلل ، ولا ترك الله خلقه وتخليه عنهم كما تصوره الكاتب أنا أو من بتمثل الجن وتصورهم ، وأصدق الصادقين ممن يحكى شيئا من تلك الأحوال الغريبة التي تصدقها القرائن ولوائح الأحوال وشواهد الصدق ومع هذا لا أهاب الجن في خلاء وظلام ووحدة ولا تشوشت على حالة من حالات معيشتي ولا جرى على فوضى ولا طغيان وأصدق من يحكى أنه رأى أو قاومهم وانتصر عليهم وفروا منه هارين كسفهاء لصوص بنى آدم .

ومن شاء باهلته على ذلك أن ينزل الله لعنته على الكاذبين .
وليس في تمثل الجن وترائيهم للناس فوضى ولا طغيان مطلق ولا ترك الله خلقه وتخليه عنهم كما زعم الكاتب ، وفي تردد المتربين من الانسي والجن وخروجهم على النظام والقانون بحكم وفوائد كثيرة من التوجه لمقاومتهم والهداية إلى قمعهم وعقوبتهم والزامهم النظام والقانون ، وتعلم طرق اتقاء شرهم وفضح حيلهم وأطرهم على الحق والنظام والشرع .

وهل هناك من فائدة لنظام البوليس والادارة ولقانون الجنایات
ومحاكمها وقضاها لولا وجود الاشرار العابثون بالقانون والنظام من بنى آدم
والعجب لكاتب الاغلال أن يظن فيما جاء فى النصوص الدينية من
قتل الجن وظهورهم بأعمال تهويشية أو عبث ومجون : فوضى أو تخلل الله
عن خلقه أو نحو ذلك من التوبيهات التى يرد بها ما جاء فى كتب أنبياء الله
تعالى ، وما تواتر فى أخبار الناس عن ذلك . وهل فات الكاتب أن الحياة
كلها كفاح وجلاد وصراع ؟ فهذه الوحوش تفترس ، وهذه تدافع أو
تهرب أو تقع فريسة ، وهذه الجراثيم المرضية تهاجم جسام الحيوان
والانسان وهذه تدافعها . والغلب لهذه تارة وتلك أخرى . وفى هذا
الكفاح من علوم الحياة ومن التجارب ، ورقى العلوم والصنائع ما يعرفه
أهلها . وقد ذكرنا ما فى عصابات اللصوص وقطاع الطريق ومقاومة
القائمين على حفظ النظام والقانون لهم من حكم وفوائد . فهل يعد الكاتب
ذلك كله فوضى وتشويش وتخلياً لله عن خلقه ، وفساداً للنظام ؟ أو الجأ
والاجتهاد فى رد نصوص الدين بأوهام وسفسطات وبهرج من القول ،
وجزى وراء المادة المنكرة لما وراء المحسوس والطبيعة ؟

إذا فليبك الكاتب على عقله ودينه

ونسأل الكاتب الفاضل إذا كان يؤمن بما أخبر به القرآن من إرسال
الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً ومن نزغ الشيطان للانسان ، ومن إنظار
الشيطان إلى يوم الوقت المعلوم لا غواء بنى آدم : هل فى ذلك كله فوضى
وأن فيه ترك الله لخلقه بلانظام ولا قانون يلزمهم الحدود ؟

إن كان يؤمن بذلك وأنه لا فوزى فيه ولا تخلى لله عن خلقه ولا تشويش ولا طغيان فليصف إليه تمثلهم أحيانا وعيهم ، بما فيه مصالح لبنى آدم مما ذكرنا بعض فوائده ، وإلا فليعلم أن شياطين دين المادية والناعتين بإنكار ما لا يحسونه بحواسهم المقيدة المحدودة لما نقض مذهبهم بمشاهدات الناس لحوادث الجن ، ومشاهدة الانبياء والرسل للملائكة وتمثل ما وراء المحسوس من عالم الغيب من الملائكة والجن بصور تُرى وتسمع وتحس ، باهتوا التاريخ والتواتر والوقائع ليقوم لهم مذهبهم الحيوانى فى إنكار ما وراء ما يعرفون - وما أقل ما يعرفون - من الوجود ظاهره فضلا عن خفيه وغيبه . وجاء كاتب الأغلال يهرف بما لا يعرف جهلا أو غباء أو انخداعا بهذه الدهرية المادية التى تكذب بما لم تحط به علما ولما يأتها تأويله وإنا نرجو اليوم الذى ترق فيه مشاعرنا وجواسنا وتتقدم الصناعة والاختراع حتى يرق ما بين المحسوس وغير المحسوس من حجاب ، يبرى هؤلاء العمى من الماديين ما لم يكونوا يرونه قبل ذلك . ولسنا نطمع حينئذ فى إيمانهم لأنه بيد الله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم آية ليؤمنن بها . قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون . ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون . ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون)

ومن فروع الأصول المادية الدهرية التى اعتنقها الكاتب وفسر بها

ما جاء في الدين ، مسألة إنكار العين وتأثيرها فقد قال (ص ٢٠٦)
« وما يتصل بمسألة الأرواح الممتدية مسألة الاصابة بالعين أو النظرة أو
ما يسمى عند العامة بالحسد فان الحاسد عندهم إنما يصيب بروحه الخبيثة ومسألة
الاصابة مسألة ذات ذبول طويلة وحواش ضافية ولاعتقادها أثر جسيم في حياة
الكثيرين وفي عقولهم وأفكارهم وتصرفهم العام ولها فعل سحرى في قوتهم
العصبية والارادية والعقلية ... »

ثم سرد ماهو منتشر بين الناس في تأثير العين من حق وباطل وما هو
مبالغ فيه أو أوهام ، وهزأ بكل ذلك وبالروايات فيه صحيحها وسقيمها ،
ومن ذلك رواية الموطأ والطلب من العائن أن يغتسل للمعين فقال ص ٢٠٧
وذكروا انه عليه السلام أمر أن تغسل عورة العائن والمواضع القذرة من
بدنه ثم تجمع الغدالة ثم تصب على الممين ويسقاها

وقد كذب على الرواية بذكر عورة العائن تشنيعاً لها وتشويهاً وإنما
الرواية في غسل أعضاء الوضوء من العائن : وجهه ويديه وداخله إزاره ،
وفسروها بطرفه الملفوف على وسطه أو بحقوقه الذين يلف عليهما الإزار .
خرفها الكتّاب إلى عورة العائن إمعاناً في التشنيع على الحديث ، وخيانة في
النقل ، لأنه يكتب لقوم فتنوا بالخوف مما يسمونه الجرائم والمكروبات
حتى أورثهم هذا الهوس جبناً فاقوا فيه النساء والأطفال ؛ وهلمّا خلع
قلوبهم فقدوا به شجاعة الرجال ؛ فضلاً عن الأبطال ، وجنّوا بما
يسمونه النظافة والوقاية من الأمراض ، حتى أن الواحد منهم يتقذر من
فم جليسه وصديقه الذي قد يكون أصح منه وأنظف فلا يشرب من كوبه
فضلاً عن خلطته به في طعامه ، بل يتقذرون أصابعهم الطاهرة

فأراد الكاتب أن يظهر لهم الدين هذا المظهر القذر المحقر تنفيراً وتقييماً ، فزعم أن الرواية جاءت بنفسل عورة العائن ، والله حسيبه فيما كذب واقتري على الرواية ، ولو جاءت بهذا اللفظ لكان في حمله على أحسن محامله الأدب معها ، فالعورة عند الفقهاء ما نحت السرة وفوق الركبة ، وليست خاصة بالقبل والدبر ، أو السواتين

اعترف الكاتب بما جاء في بعض الروايات ثم أخذ يحرفها حتى تطابق أصوله المادية فقال ص ٢٠٨ :

نعم جاء في الأحاديث التي رواها المحدثون الثقات « أن العين حق وأنه لو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين » ولكن هل هذه الأحاديث في سبيل من جهل هؤلاء الجاهلين وفي صدد مما قالوا واعتقدوا كلا فان كلام النبوة أضخم وأسمى معنى وهدفا وغاية مما يتوهمون فالعين حق فان الانسان الشرير يرى بعينه فيحقد ويحسد بقلبه ثم يضيب بأعماله وكيدته ، والعين حق أيضا فان في كثير من العيون قوة آمرة ناهية بل قاتلة آسرة وان الرجل الموهوب هذه القوة لينظر أحيانا إلى من حوله فيخضعهم بمجرد النظر ويسلس لنظرته وعينه أشمس خلق وأعصى طبع ويبلغ من أنقسه أقصى ما يريد وأبعد ما يرجو ، فيصبحون طوع مشيئة ورهن إشارته فيصبح بينهم الأمر الناهي المتصرف ويصير فيهم الرعيم المعبود أو الشيخ المعبود أو الأستاذ المعبود ، القول قوله ، والتفكير تفكيره والهوى هواه والدنيا دنياه . . .

ثم ذكر عجبه من استعباد شخص لأمة ، وعبادة أمة لشخص وفسره بسرّ عينيه . وضرب مثل ذلك الشيخ الجاهل السفیه الوقح في كل جانب من جوانبه - كأنه يعني محمود خطاب السبكي رئيس ومؤسس جماعة السبكية المتسمين بالسنية - ونجاحه في أتباعه ، وتصرفه فيهم تصرف

الراعى فى قطعان غنمه ، أو كأنهم مخلوقات خلقهم هو وصاغهم فى القالب الذى يريده منهم ؛ أو كأنهم أموات بين يديه ، لا يتحرك منهم عضو حتى يحركه ، وفرض عليهم أن يخشعوا بين يديه خشوع العابدين فى صلاتهم ، أو ذلة المشركين أمام أصنامهم ؛ وألزمهم أن يدخلوه بينهم وبين الله فى أقرب موقف يقفونه منه تعالى ، وألزمهم أن يضعوا خياله وصورته بينهم وبين الله وبين القبلة حين الصلاة ، وفرض عليهم أكثر مما فرض الله على عبده ، وكتب لهم هذه الفروض فى كتاب من كتبه « يعنى العهد الوثيق » زورتها يده ثم أمرهم أن يتعلموا هذه الفرائض وأن يستذكروها حفظاً ليعملوا بها أينما كانوا

وفسر الكاتب نجاح هذا الشيخ الجاهل السفیه الوقح بسر عينيه . ثم فسر حقية العين أيضاً بأنها مفتاح شخصية صاحبها ومجتمع قواه ومعانيه المختلفة ، ففيها يتجلى الحب والبغض والعداوة والصداقة ؛ والرحمة والقسوة ، والذكاء والغباء ، والقوة والضعف والحزن والسرور ، والصحة والمرض والهدوء والقلق . الخ

وأقول للكاتب الفاضل : ما ذكرت من الأمثلة والشواهد والاستنتاج صحيح ولكنه ليس مراد حديث « العين حق » بدليل بقية الحديث « ولو كان شيء سابقا القدر سبقته العين » وبدليل الأحاديث المتواترة المعنى . المملوءة بها كتب الثقات من المحدثين الذين وثقت بروايتهم لحديث « العين حق » التى تدل على تأثير العين التأثير الذى تنكره أنت وتهزأ به ، كحديث « استرقوا آل جعفر فانهم تصيبهم السفعة » وحديث رقية

الحسن والحسين « أعينكما بالله من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة »
وكحديث الموطأ في العين الذي لبط حينما قال له العائن « مارأيت ولا جلد
مخبة قبل اليوم » ولما اغتسل له العائن فكانما نشط من عقال .

والأحاديث في هذا كثيرة يؤمن بها المؤمنون ويحدها الماديون .
وآية (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) فيها إشارة إلى تأثير
العين ، ونصيحة يعقوب لبنيه أن يدخلوا مصر من أبواب متفرقة ، ولا
يدخلوا من باب واحد كذلك

ونسأل الكاتب عن معنى ما اعترف به من بقية حديث « العين حق »
وهو « ولو كان شيء سابقا القدر لسبقته العين » ما معناه ؟ وهل عنده
تحريف له حتى يتفق والمادية التي اعتنقها الكاتب ؟

ولعله خافه حذرده حينما ساقه معترفا به ثم حصر عن تحريفه فسكت
عنه فلم يضحكنا بما عودنا من تحريف وتسخير

وليس اعتقاد الناس في تأثير العين اتباعا للأحاديث الصحيحة المروية
في ذلك بمخذل لهم ولا عائق عن سبل النجاح كما زعم الكاتب (ص ٢٠٧)
ولا مما يفسد الهيئة الاجتماعية ، ولا مما ينشر الفوضى والخيال المضطرب
القاتل كما زعم (ص ٢١٠) وإن وجد إنسان هستيري المزاج كالذي عرفه
الكاتب (ص ٢٠٨) أكلته الأوهام والظنون من هذه الناحية ، بحسب
عيون الناس سهاما مصوبة اليه ؛ فتخاذل وتمارض ليدفع عنه العيون
المصوبة اليه ، فليس هذا المهستر هو كل الناس ، ولا هو القياس الصحيح
لجميعهم . فالناس سارون على جواد أعمالهم ، جادون في مهماتهم ، بلا تلكؤ

ولا تخاذل ولا توقف ، فان ظنوا في أحد تأثيراً عينياً تعوذوا بالله منه ،
وتحصنوا بالتحصينات الالهية والرقى النبوية التي لا يصدقها الكتاب ولا
يؤمن بها . فاذا بضرم إيمانهم هذا ؟ بل لقد أقادهم الايمان بالله واللجأ اليه
والاحتماء بحماه مما يكفر به الكتاب ويسفهه ، ويريد بكتابه أن يقلعه من
قلوب الناس ليستبدلوا به مادية قاحلة مجذبة مميتة قاتلة مبعدة عن الله كافرة
به، منزلة في أحوال المادة

ماذا يبقى للناس إذا فقدوا في وسط محيط الحياة المضطرب وأواجه
المصطفقة تقهم بالله وإيمانهم به وسفينه رحمته بهم ، وفلك حنانه وشفقته
عليهم — إلا الحيرة القاتلة ونار اليأس المحرقة ، والقلق والاضطراب الذي
أودى بذلك الحيران الذي أغرق نفسه في شاطئ بحر الاسكندرية ،
ووجد في جيوبه اعترافه أنه لمجد زنديق لا يستحق أن يدفن في مدافن
المسلمين ، وأظنه اسمه « على آدم »

في إحدى افتتاحيات مجلة الثقافة للكتاب الشهير الأستاذ أحمد أمين
مقال قيم فيما فقدته الناس من الايمان ولم يعوضوا خلفاً عنه ، وما أصابهم
من جراء ذلك من مصائب نفسية ومادية الخ

والعجب أن كاتب الأغلال يذكر تأثير العين بالمعنى الذي يعرفه سائر
المسلمين ، ثم يحتج لها تأثيراً يضرب له الأمثال بتأثير بعض الزعماء على
الدهماء بما أوتوا من نجاح في التأثير عليهم بسبب دعايات أو إقناع ديني أو
سياسي أو مذهبي ونحو ذلك . وإذا كان للعين ما ادعاه الكتاب من هذا
التأثير في الجماعات ، فما الذي يكفره من تأثيرها الآخر الذي جاءت به الشرائع

وما الفرق؟ اللهم إلا الاغراق في المادية والكفر بما جاءت به الشرائع من أسرار وحقائق تبجدها المادية .

**

يَهْمُ الكَاتِبُ بثقة المسلمين بدينهم مع أنهم لا يعملون به الآن
فيقول آخر (ص ٢١٠)

وهناك مسألة كبرى نشأت أيضا من الجهل بسنة الله وسنة الحياة ومن
الاعتقاد بأن العالم ليس محكوما بالنواميس
ذلك أن الناس ظلوا مئات السنين يمتقدون أن المسلمين لن يُطلبوا، لأن
دينهم حق، والحق يجب أن يكون أهل منتصرين أبدا وإن قصروا وأهملوا
ونسوا أنفسهم وأن الاسلام لن يهزم أمام الأديان الأخرى لأنه الدين المرضي لله
والله لن يترك ما يرضاه للخذلان والهزيمة، وقد عملوا على أن يصححوا هذه
الأغلوطة بالاستدلال بآيات قرآنية مطلقة بجملة نسوا قيودها وشرائطها، فأمعنوا
ضربا في متاهات الأوهام واستماتوا بأضغاث الاحلام، وظلوا سادرين حتى لجأهم
العالم فانتبهوا مذعورين لا يدرون من أين ولا كيف . وقاموا يتلصسون الطريق
وقنا معهم ولكننا وجدنا بعد هذه النومة الطويلة والأحلام الثقيلة أن أعلام
الطريق قد غفت أو كادت، وأن الرقاد الطويل الثقيل الذي هنتنا به قد باعد بيننا
وبين الأمام اليقظي التي لم يغمض لها جفن فكيف ومتى اللحاق؟ .

أقول : إن اعتقاد المسلمين أن دينهم حق، وأن الله تعالى ارتضاه،
وأنه لن يُغلب ولن يهزم، كل هذا حق أيده الآيات القرآنية، والشواهد
التاريخية، والتجارب الواقعية الكثيرة . وإلا فإذا يقول الكاتب في
فتوحات الاسلام شرقا إلى حدود الصين، وغربا إلى المحيط الأطلسي في
عهد خلفائه الراشدين وعهود بني أمية وبني العباس وبني ع — ثمان، وفي

الابتصارات الصليبية في عهد محمود زنكى وصلاح الدين الأيوبي وفي فتوح
أوروبا من غربها في الأندلس ، ومن شرقها في العهد العثماني إلى أواسطها
حيث أسوار فينا ؛ كل هذا ما كان إلا بدينهم والعلم به والعمل به ، فكانوا
بذلك سادة الدنيا قوة وغلباً ونصراً وفتحاً

ثم لما صار الدين عندهم اسماً بلا معنى ؛ وعصبية جنسية ، بلا علم
ولا عمل ، وناموا كما قال الكاتب نومة ثقيلة أضاعوا فيها دينهم وديانهم ،
واستيقظ الغرب بفضل ما استفاد منهم باحتكاكه بهم غرباً في الأندلس
ومدارسه وعلومه وصناعاته ، وشرقاً في الحروب الصليبية ، استفاد من
المسلمين حرية الرأي والبحث الحر ، وتقويم الحكام وإرشادهم ، ورد
أهوائهم وباطلهم ، والقيام عليهم للصالح العام ، إلى غير ذلك من أصول
الإصلاح والخير ، ورجع إلى بلاده فبذر بذور الإصلاح فيها بالجمعيات
العلمية والسرية ، وبالنشر والدعاية ، والصبر على الأذى والاضطهاد ، والقتل
والصلاب في سبيلها حتى أثمرت مدينة أوروبا الحالية التي خطف بريقها بصر
الكاتب وأصمت رعوها آذانه ، فلم يعد يرى ولا يسمع غيرها

لقد أبدع الكاتب القدير سمادة عبدالرحمن عزام باشا في رسالته
« الخالدة » في بيان محاسن الدين الإسلامي وعرضه على عقلاء الناس عرضاً
فاتحاً لانتشال المجتمع الإنساني من شرور المدنية الأوربية وأوجاعها
وأوجزارها ، والخفر العميقة التي تردت فيها وأردت الناس معهم ممن اقتنى
أثرهم . ثم قال وأمل في رحمة الله :

ويعد فهل يكتب لسكان الشرق من المسلمين والمسيحيين الذين

تتعلق نفوسهم دائماً برحمة الله ، وترقب هده إذا اشتدت الكروب والظلمات ، أن ينهضوا مرة أخرى بميراثهم السامى الذى يقوم من عوج التزاغ الفكرى والاقتصادى والعنصرى ؛ ويلطف من حدة المزاج الغربى حتى يؤمن بالأخوة الانسانية ، ويعمل لخدمة السلام العام باخلاص نية ؛ وحسن توجه بما مكن الله له فى الأرض . ذلك ما نسأل الله رب العالمين أن يجعل بهيئة أسبابه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم

وفد كتب المستشرق النمساوى «ليوبولد فايس» المسمى محمد أسد الله رسالة سماها (الاسلام على مفترق الطرق) وصف حال الاسلام ، ومهاجرة المدينة الغربية له من كل النواحي ، وماذا يجب على المسلمين للنجاة من شرو هذه المدينة المادية ، وماذا يلزمهم منها وماذا يضرهم ، بحجج واضحة ، وغيره صحيحة ونصائح نافعة ، فافراها فانها مفيدة قيمة تدل على تفكير عميق وتحقيق صاف رائق ونصح خالص عن تجربة وبصيرة .

وليس اعتقاد المسلمين فى دينهم الحق وأنه لا يغلب ولا يهزم ، بوم قاتل ، ولا فضحه الواقع كما زعمه الكاتب (ص ٢١١) ولكن الوم القاتل هو الجهل بهذا الدين والإعراض عنه ؛ وابتغاء العزة فى غيره من مادية القرن التاسع عشر التى أفست على الناس أديانهم وإن كانت أفادتنا - على حد المثل - «رُب ضارة نافعة» أن تراجع ديننا وأن نمحو منه ما لصق به من بدع وخرافات ، وأن نفهمه على وجهه الصحيح ؛ ونعمل على الوجه الذى يريد الله وبرضاه ، فنجنى منه ما جنى منه المسلمون الأولون من عز وقوة ، وغلب ونصر ؛ ونضرب للعالم المثل العالى فى أن الدين نور وقوة هداية

وعمل حياة روحية ومادية .

والزمن كنفيل أن يظهر لنا إن كان تألم الكاتب من انتشار الجمعيات الدينية الكثيرة التي تنادى بعز الاسلام ومجده الذي سماه الكاتب أغلوطة تاريخية كبرى (ص ٢١١) هل سببه الغيرة على الاسلام أو ألمه من الاسلام وخادميه والساعين في إعزازة ونصره لاعتقاده فيه تأخير له لاهله عن ركب الحياة وموكب الجماعة

أما تعليله لنجاح هذا الخبول الذي يهذى بالمستحيلات الناعب بالآمال الناعق للجماهير المضللة حتى أخذ برقاب آلاف أو مئات آلاف أو ملايين من هذه القطعان البشرية يقودها كما يشاء « يريد به فضيلة الأستاذ حسن البنا رئيس جماعة الاخوان المسلمين ، تلك الجماهير المضللة والقطعان البشرية عند الكاتب » بأنه قد هاجم أضعف جانب فيهم وهو جانب الرجاء والامل ، فانتصر عليهم بدون عناء فلا يعد نجاحه دليلا على أن له قيمة كشأن أمثاله من المخادعين المستولين على الجماعات بالتلويح لهم بالآمال (ص ٢١٢) فنترك الحكم على صحة هذا التعليل لتلك الجماعات من الاخوان المسلمين وفيهم الكتاب الأذكياء والتعلمون النباه

وأما تمكهم بقول الحافظ ابن كثير « إن مدينة دمشق لا سبيل للأعداء من الكفرة عليها لأنها المحلة التي أخبر الرسول عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم وبها ينزل عيسى ابن مريم » تمكهم عليه بقوله (ص ٢١٥) ولا نعرف ماذا يقول لو عاش بعد أن كتب هذا فرأى الجيوش الفرنسية ثم الانجليزية تدخل هذه المدينة الاسلامية الجميلة فازية منتصرة أترأه يستطيع أن

يقول إن الاسلام أعطى هذا الضمان الجليل أم تراه يدعى ان ما أورده هنا في كتابه يصلح أن يكون برهاناً على وجود هذا الصك الالهى المسمى المزعوم. لا ريب في أن الذى جعل مثل هذا الشيخ الجليل الحافظ بهم هذا اليوم هو الغفلة عن سنن الله الصارمة التى لا نجاة فيها ولا فوضى ولا عسوية.

أقول : لقد أخزى الله شمانة الكاتب بهذا الامام الحافظ الوائق بما روى عن النبي ﷺ وبمعز الاسلام ، فهذه دمشق الآن تتمتع على مرأى الكاتب وسمعه بحكومة وطنية تنفيذية وتشريعية بوزراء وبرلمان ، وبحيش وطنى من أبنائها ، وطرد الله عنها ما كان أديها به من جيوش أجنبية : فرنسية أو انجليزية تأديباً عارضاً مؤقتاً كسحابة صيف . فإذا يقول الكاتب الآن وقد رأى وسمع ، هل يعترف بفضل الاسلام ويعود إلى حظيره ، ويؤمن بما جاء عن نبيه من أخبار الغيب ويحترم العلماء المحدثين الذين رووا ذلك وآمنوا به ؟ أو يبقى مصراً على النواميس الصارمة والمادية الدهرية التى عجز الله تعالى بسببها ، وكذب رسله وآياته لأجلها ، ومشى وراء صنمه غوستاف لوبون الذى يتبجح بانكار الله وآياته وخوارق العادات التى أيد بها رسله وأنبياءه الداعين إلى طراطه المستقيم ؛ ودينه القويم ، إذ قال فى كتابه (الآراء والمعتقدات) ص ٢٩ « ومع أن علم الحياة الحديث أصاب فى تقصه مبدأ علة العلل (يعنى واجب الوجود : الله) فإتينا بزى سلسلة الأشياء تبدو كأنها خاضعة لهذا المبدأ ؛ يؤيد ذلك كون الشروح العقلية التى أتى بها العلماء لم تقدر على حل كثير من الأمور الغامضة فى الكون - إلى أن قال : ولا نأسف على ذلك لأن كشف

المصير يجعل الحياة شقية، فالبقر لا يرعى الكلاً مطمئناً إذا علم أن مصيره إلى الذبح، وأكثر الموجودات تتقهقر جزعاً لو اطلعت على نصيبها »
وقال ص ١٤٨ « لعل أهم ثورة ظهرت في عالم الفكر هي الثورة التي أدى إليها العلم بأبوابه إن الحوادث تصدر عن نوااميس مهيمنة لا عن أهواء الآلهة » إلى أن قال « فلو أن الحادثات التي يخبر بها أولو الكرامات في الوقت الحاضر ممكنة لتقهقر العلم طائفاً إلى قرون الأساطير الخ - إلى أن قال : وإن كان البحث الدقيق في خوارق ما بعد الطبيعة يدلنا على أن هذه الخوارق عبارة عن أوهام تكونت في نفوسنا »

**

اغتر الكاتب بما يُذكر في الأوراق والكتب من آراء تقال رهن التحييص والبحث ، فظنها حقائق راهنة وقطعيات لا تتبدل ولا تتحور ، فقرأه يقول (ص ٢١٠)

وقد استطاع العلم الانساني أن يصعد إلى الشمس وإلى المجرات يمددها ويقدرها ويعلم ما هنالك ...

وأهل العلم بذلك لم يفتروا هذا الغرور فهذا نقولاً حداد وهو من المفرقين في المادية يقول في كتابه «هندسة الكون بحسب ناموس النسبية»
آخر ص ١٥٦

﴿ حاشية ﴾ نلفت نظر القارئ إلى أن هذا البحث وأمثاله من المباحث التي يطمح فيها العقل البشري إلى استكناه أسرار الوجود لا تعتبر في حكم المؤكد لأن المعلومات العلمية والأرصاد والاكتشافات التي بنيت

عليها ليست حقائق راهنة بل هي تقريبية، أو ربما تيسر لأهل العلم أن يؤكدوها أو ينقحوها أو ينقضوها بنظريات أوضح منها بما يستجد عند من معلومات أقرب إلى الحقيقة وفوق كل ذي علم عليم. اهـ

وذكر مشرفه باشا في رسالته النسبية الخاصة بعد ما ذكر قضاء نظرية النسبية على المذهب المادى ص ٤٤ - ٥٠ قال : والذين يقولون بالنسبية لا يرتكبون الخطأ الذى ارتكبه علماء القرن الماضى وهو خطأ الجزم باستحالة الخلق والفناء بل بالعكس فهم أبعد ما يكون عن الجزم بشئ، أو القول باستحالة شئ، وإن كان هناك صفة يتصف بها فلاسفة النسبية فهي البعد عن إلقاء أى قول فصل فى أية مسألة من المسائل التى يتعرضون لبحثها، وهناك صفة أخرى ظاهرة فى أبحاثهم وأقوالهم، ألا وهى الاعتراف بمحدود المباحث التى يتعرضون لها. فالسير ارثر دائجتون مثلاً وهو من زعماء فلاسفة النسبية يذكر فى كتابه عن « كنه العالم الطبيعى » إن العلوم الطبيعية محدودة فى دائرة من دوائر المعرفة البشرية لا تخرج عنها ويترك الباب مفتوحاً إلى المعرفة من غير طريق العلم. اهـ. ص ٥٠

يقول الكاتب ص ٥٨

انه راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتولده، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت وكيف ظلت تتفاعل وتتطور ثم كيف أخذت تتوالد ثم كيف ولدت هذه الشمس وغيرها من الشمس ثم كيف راحت هذه الشمس نفسها تلد الاتباع والبنين ليحيطوا بها . .
أما كاتب مجلة المقتطف - وهو من نعرف اشتغالا بهذه المسائل -

فيقول في عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ (ج ٣ مجلد ٩٣) في هذه المسألة :
موضوع عمر الكون يختلف في أركانه عن موضوع حجمه وسعته . وتم
طرق لتقدير هذا العمر ليس بينها طريقة يصح الاعتماد عليها كل الاعتماد
وهي تفضي إلى نتائج متضاربة ؛ والمسألة تدور على قدرتنا على النفوذ
بأساليب علمية إلى ما كان عليه الكون في الماضي السحيق ، ولا عجب إن
قلت دقتنا كلما تغلغلنا في الماضي ا هـ

ثم ذكر الطرق التي بحثوا بها المسألة من قياس سرعة النور والمدة التي
قضاها حتى وصل إلينا من أبعد المجرات والسدم . وتحليل الصخور المحتوية
على مواد مشعة - كالراديوم ونحوه - ونظرية النسبية وتمدد العوالم الكونية
وتباعدها ومبدأ توزيع الطاقة المتبادل بين الذرات في الغاز أو بين النجوم
ثم ختم المقال بقوله : لم يكن تصور رحاب الكون بالأمر السهل
وأشق من ذلك تصور سعة الزمن الفلكي .

بخلاف كاتب الأغلال الذي جعل المسألة موضع الجزم والمشاهدة بقوله
« راح يولد هذا الوجود ويشهد تكونه وتوالده » وذهب يتحدث حديث
الحاضر المشاهد الخ

وأهل العلم بذلك يقولون عن طرفهم ليس بينها طريقة يصح الاعتماد
عليها كل الاعتماد ، وهي تفضي إلى نتائج متضاربة ؛ ويعترفون بقلة دقتهم
في هذه المسائل ، بخلاف صاحب الأغلال الذي يطالع هذه المسائل مطالعة
سطحية ويجزم فيها بالآراء الظنية عند أهلها

« ثم لم يقف عند هذا الحد بل ذهب مسرعا يسابق الوجود فيسبقيه، وذهب يخبرنا عما بقي من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذي سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكونه وعما بقي من عمر هذا الإنسان وغيره من الأحياء ويخبر عن الأحداث والحوادث التي لا تزال في طريق الوجود والتي لا تزال تترقب لتنب ونبتها .

ويقول السير جيمس حنز في كتابه «النجوم في مسالكها ص ١٠٦»
(الترجمة العربية) الطبعة الأولى :

فالذرات للمدخرة في الشمس في الوقت الحاضر تكفيها ١٥ مليون مليون سنة على المعدل الذي تتناقص الآن لكنها قبل أن تأتي على آخر ذرة فيها بزمان طويل لا بد أن تكون قد وصلت إلى حالة النجوم الأضعف الأصفر حجبا ..

« وإذا أدخلنا في حساباتنا اعتبارات من هذا النوع ترجح فيما يظهر أن يكون لمعظم النجوم مئات من ملايين الملايين السنين ترجح أن تعيشها قبل أن يخيم عليها الظلام آخر الأمر - وسواء استتببت هذه التقديرات في النهاية أم لم تستتب فهناك شيء واحد يبدو لنا مؤكدا - هو أن الأعمار البشرية تتلاشى تلاحشا تماما إذا قيست بالزمن الفلكي - لقد رأينا أن الأرض ليست إلا هباءة في الفضاء والآن نرى أن أعمارنا بل وناريخ البشر كله ليس إلا هباءة في الزمن » اهـ

فترى جنز العالم الفلكي الطبيعي أحد أعضاء الجمع العلمي البريطاني يقول ترجح فيما يظهر - سواء استتببت هذه التقديرات في النهاية أم لم

نستتب - شيء واحد يبدو لنا .

بخلاف كاتب الأغلال الذى جعل العالم : ماضيه وباقيه ، عند الإنسان كميناء ساعة ، يخبر عما مضى خبر حاضر مشاهد ، وعما بقى من عمر هذا العالم وعمر هذه الحياة وهذا الوجود ، خبر خالقه وصانعه ، لان الانسان - عنده - مُخلق لينازع الله فى علمه وقوته وقدرته

وقال السير جيسس جنز فى كتابه المذكور فى ختامه تحت عنوان (عمر العالم) «لا نستطيع أن نقول شيئاً موثقاً من صحته عن عمر العالم حتى نعلم الحق عن التباعدات الظاهرية للسدائم ، فاذا تبين أنها واقعية كان من الضروري أن نجمع الحوادث الفلكية كلها بطريقة من الطرق فى ماض طوله بعض آلاف الملايين من السنين

أما الآن فالشواهد الفلكية العامة تبدو كلها كأنها تصيح احتجاجاً على أن يكون الماضى قصيراً إلى هذا الحد ، إنه لا يكاد يكون من الممكن تبليغ الترتيب الحالى للنجوم إذا كانت أعمارها بهذا القصر . لهذا أرى من الراجح جداً أن التباعدات الظاهرية للسدائم سيثبت أنها زائفة ، وفى هذه الحالة يدل ترتيب النجوم على أن ماضيهما يمتد إلى ملايين الملايين من السنين ، كما يمتد مستقبلها إلى نحو ذلك أو إلى ما هو أطول منه . أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جداً بل متناقضة ، ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم .

« ومهما يكن رأى الذى يكتب له النصر فإن الكون إذا حكمنا عليه بمقاييسنا البشرية للزمن قديم جداً تتلاشى بجانبه أعمار الناس والامم ، بل

كل تاريخ البشر فقد كانت النجوم قريبة جداً مما هي عليه الآن قبل أن يظهر الإنسان على الأرض ، وستكون على الراجع قريبة جداً مما هي عليه الآن حين يغادر آخر إنسان . إن تاريخ الجنس البشرى كله ليس إلا طرفة عين إذا قيس بأعمار النجوم . اهـ

فتأمل قوله (لأنستطيع أن نقول شيئاً موثقاً بصحته) (لهذا أرى من الراجع) (أما الآن فالشواهد على ما يظهر مضطربة جداً بل متناقضة ونحن بعيدون عن أن نستطيع الوصول إلى قرار حاسم) الخ - مع قول كاتب الأغلال : إنه راح يولدهذا الوجود ويشهد تكونه وتولده ، وذهب يحدث حديث الحاضر الشاهد كيف ولدت مادة الكون ومتى ولدت - بل ذهب مسرعاً يسابق الوجود فيسبقه ، وذهب يخبرنا عما بقى من عمر هذا الكون وعمر هذه الحياة وهذا الوجود الذى سبق أن ولده وأن شهد نشوءه وتكونه ، وعما بقى من عمر هذا الإنسان وغيره من الأحياء . الخ قل لى بربك : أليس هذا هو الثرور الصبيانى ، والجرأة السفهية الحقاء ، وقفوا ما لا علم به .

وفى مدأبة لطيفة وحوار فكه نسأل الكاتب : هل درس شيئاً من العلوم الرياضية المتوسطة كهندسة إقليدس وحساب المثلثات المستوية والكروية ، وحساب اللورغارثمات الطبيعية والعادية ، والجبر الابتدائى والعالى والفلك العلمى والعملى . وكلها ماعدا اللورغارثمات من علوم الأوائل الذين يحقرهم ، فضلاً عما توسع فيه المتأخرون من علوم الرياضة العالية ، وحسابات النسبية .

المسألة اليهودية

مضى كاتب الاغلال بالمسألة اليهودية في أغلاله عناية خاصة تسترعى الانتباه والحذر ، فكتب فيها عشر صفحات (٢١٦ - ٢٢٥) وساق فيها من الآراء والاحتمالات ما يسدل الاشتباه والحيرة على غرضه الذى يرى اليه : أهو نصيح محض وإيقاظ وتحذير من مستقبل الصهيونية وشرورها ووطنها القومى الذى تسعى له سعياً حثيثاً متواصلاً فى فلسطين ، فساق الانذار تلو الانذار كأنه النذير العريان يقول : صبحكم مساءكم ، إن العدو بأسفل الوادى يريد أن يغير عليكم فيصبحكم - أو هى دعوة صهيونية مستأجرة لتفتير العزائم وتوهين القوى ينشر بأس الصهيونية وذكائها ، وعلمها وخبرتها وصناعتها وعالميتها ، على حد قول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) ومن ذلك تحريف الآيات فى ضرب الدلة على اليهود ؛ وإطفاء نارهم ، وبعث الذين يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وتقطيعهم فى الارض أمماً (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله)

سأترك الحكم على غرضه وما انطوت عليه دخيلة نفسه ، وذات صدره حتى تظهره الايام أجلى ظهور ، وحينئذ يكون الحكم للايام وللعقلاء وللقضاة العدل . وإنما المناقشة معه للفهم المقلوب ، والتحريف الشاذ لمدلولات آيات كتاب الله ودفع معانيها الظاهرة فى الصدور والاعجاز وقلب مفهومها رأساً على عقب ، فهذا ما أخوضه .

قال الكاتب ص ٢١٦

هذا ما كان يقوله المسلمون في المعصور الخالية في سيادة النصارى عليهم .
أما اليوم فقد حل محل هذا الوهم وهم آخر ، وصاروا يقولون هذا القول ويهيمون
مثل هذا الوهم في خطر اليهود وفي ملكهم ومحاولتهم إعادة وطن قومي لهم . . .
فقد أكثروا من الادعاء بأن اليهود لا خطر لهم ذاتي، وأنه لا يخشى منهم منفردين
على المسلمين ولا على الأوطان الإسلامية لا على فلسطين ولا غيرها . ثم زعموا
كما زعموا منذ ٥٠٠ سنة بأن الله قد دفع إليهم إهمـد مكتوب بأن اليهود لن
يكون لهم ملك ولن يكون لهم وطن خاص . ثم اتهموا كتاب الله بوجود
هذا العهد فيه وراحوا يتلون الآيات منزليها في غير مواضعها .

والآيات التي استدلو بها هي قوله في سورة البقرة (ضربت عليهم الذلة
والمسكنة) ثم قوله من آل عمران (ضربت عليهم الذلة أينما تنفقوا إلا بحبل من
الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة) ثم قوله من
سورة المائدة (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) ثم قوله في الأعراف (واذ
تأذن ربك ليعنن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع
العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الأرض أما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك)
وقد حسبوا أن هذه الآيات قواطع في أن اليهود لن تقوم لهم دولة؛ ولن
تكون لهم صولة . ولكن هذا غير صحيح لا بالنظر إلى سنة الله ولا بالنظر إلى
كتاب الله . أما سنة الله فانها قد علمتنا بأن من أخذ بأسباب الملك ناله واليهود
من أعمل الناس اليوم لهذا الغرض ومن آخذهم بالأسباب

ونقول للكاتب : إن السنن وحدها ليست كافية في نوال المطلوب
إلا على قاعدته المادية الدهرية ، فلسفة القرب التاسع عشر وما قبله من
آلية الكون وحكمه بالنواميس الطبيعية ، مع إنكار القدر والاختيار
الالهي ، وقد قدمنا الرد على ذلك من كلام أساطين القرن العشرين وما

وصفوا به الفلسفة الآلية المادية أنها أفكار أطفال وصبيان ، وارجع إلى
مانقلت سابقاً من كلام مشرفة باشا عميد كلية العلوم ، وكلام السير جيمس
جز العالم الأنكليزي من كتابه « الكون الغامض »

ونقول لكاتب الاغلال : إن ألمانيا وإيطاليا واليابان لم يدخروا
وسعاً في الأخذ بأسباب السيادة على العالم من قوة عسكرية وحرية
وصناعية ، فهل نالوا ما أخذوا بأسبابه ، أم هو القدر الذي جمع عليهم
مالم يكن في حسابهم ؟

وأيضاً: فهل الأسباب التي أخذت بها مصر والعراق أقل مما هي في
اليمن وبلاد العرب وسوريا حتى استقلت هذه وفشلت الأوليان ؟ إن
القدر الذي آمن به طييعيو القرن العشرين وأدخلوه في تفكيرهم العلمي
لا يؤمن به الكاتب ، ويعد الايمان به عجزاً وغلا يعوق التقدم والرقى .
لذلك يعد الكاتب أخذ اليهود بالسنة التي يظنونها تصل بهم إلى أهداف
الملك والوطن الصهيوني منيلاً لهم ماسعوا اليه وإن خالقت النصوص
القرآنية . ألا فلينتظر الكاتب نتائج أخذ اليهود بسنهم فإننا مع جهادهم
وإعداد العدة لصدوم وإذلالهم ، مع التصديق بما أخبر الله عنهم منتظرون .
ولا يخيفنا ما ذكر عنهم من ذكاء وغنى وخبرة وصناعة وعلم ، وهما هي
المسألة قد دخلت في طورها العملي (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون
من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

قال الكاتب ص ٢١٦

« وأما كتاب الله فان هذه الآيات ليست صريحة في صدق هذه الدعوى أما

(ضربت عليهم الذلة) في الآيات كلها فان الذلة عند أكثر المفسرين هي الجزية فيكون تفسير هذه اللفظة أن الجزية قد فرضت وقت نزول القرآن على اليهود وفرضها عليهم في وقت من الاوقات لا يلزمه أن تكون مفروضة عليهم كل الأوقات بدليل أنها الآن مرفوعة عنهم مع صدق القرآن بأنها قد ضربت عليهم وإذا قدر بأن المراد بالذلة في الآيات هو المعنى الأول السابق إلى الافهام لم يلزم منه صدق هذا الوهم، ذلك لان أخبار القرآن بأن اليهود أذلة في وقت نزوله لا يقتضى أن يبقوا أبد الآبدين كذلك . وما من أمة من الأمم إلا قد مرت بها عصور ذلة وضعف معها كانت اليوم عزيزة منيعة وفي الكتاب (لقد نصركم الله بيدروا أذلة) وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبة على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه ولا يمكن لا يمكن الزعم بأنهم سيبقون أذلة أبدا . . وأما المسكنة عند أشهر المفسرين فهي الفقر والمراد هنا الفقر القلبي لشدة حبههم المال وقيل المسكنة هي ضرب الجزية وقيل الخراج وكل هذه التفسيرات لا تنافى أن يكون لهم ملك وأن يكونوا يوما ما خطرا مرهوبا .

أقول : في هذا ألوان من غرائب التلاعب بفهم كتاب الله وتحريفه بقلة حياء (منها) كذبه على أكثر المفسرين أنهم فسروا الذلة بضرب الجزية . والمفسرون يعلمون أن أكثر يهود العالم حتى الذين في الحجاز حول المدينة لم تؤخذ منهم الجزية وقت نزول هذه الآيات ، فكيف يفسرونها بما لا يؤيده الواقع ، والجزية نزلت في سورة التوبة في السنة الثامنة من الهجرة بعد إجلاء يهود المدينة عنها بله يهود العالم كله . ومن فسرها بالجزية فقد فسرنا باللازم .

والذلة والصغار والحقارة والمهانة والمسكنة وعدم العزة والأنفة ؛ كلها معانٍ متقاربة لا تنفك بحال اليهود أيما كانوا وحيثما قطعوا ، سبوا

بأوربا أو بأمريكا أو بغيرهما. وأما المعنى الثانى الذى وهنه الكاتب بقوله « وإذا قدر أن المراد بالذلة هو المعنى السابق للأفهام » مما ذكرناه من حال اليهود — فهو المعنى الحق، وهو صادق على اليهود وإن كذبه الكاتب وعدّه وهماً. فالآيات لفظها « ضربت » الذى يدل على الإلزام وعدم الانفكاك من ضرب السكة والنقش على وجهها ما تلزمه ولا يزول عنها. ثم أكدت ذلك بعبارة (أينما ثقفوا) المستلزم للعموم الأمكنة ومن لازمه عموم الأزمنة ثم أكدته تأكيداً آخر بالاستثناء الذى هو من أدوات العموم فيما عدا المستثنى بقوله (إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وفسر الحبل بالعهد والبناق، فهم أذلاء صاغرون أينما كانوا وأيان وجدوا إلا تحت حماية عهد إلهى ومخالفة من الناس، لا بقوتهم الذاتية التى يخيفنا منها الكاتب فدعوى الكاتب على القرآن إخباره بذلة اليهود وقت نزوله فقط — كذب على القرآن الذى وصمهم بضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وقد عرفت معنى الضرب والعموم فى (أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس)

وذكره أن أمماً مرت عليهم عصور ذلة ثم عزت بعد ذلك، لا يفيد شيئاً فى دعواه، فالمسألة فى إخبار الله أنهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، لا مرور عصور ذلة على أمم بعدها عزة. وشتان بين المسألتين (الأولى) خبر الله القطعى بضرب الذلة على اليهود أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس (والثانية) مرور عصور مختلفة على أمم. فأين هذا من هذا؟ ثم استشهاديه على ذلك

بقول الله تعالى (لقد نصركم الله بيدرو وأنتم أذلة) مما يدل على أن معرفته بالعمية تفسدت إلى حد العجمة الشائنة أو هو الهوى وفساد النية فقول الله (وأنتم أذلة) جملة حالية والأحوال تتجدد وتزول (ودوام الحال من المحال) وأما (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) وبأدوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة (فخير جزم عام لا يتخلف حتى تزول السموات والأرض ولو تبعج ترومان رئيس أمريكا وهدد بنصره لليهود تزلزالهم لا تتخابه رئيسا أصليا فيما يرجوه في الدورة الانتخابية فستكذبه الأيام ونحوه الأماي (وليغلبن مغالب الغلاب) وقول الكاتب (وكل الناس يعلمون اليوم أن الذلة مضروبه على المسلمين على أوسع نطاق وأحكمه) فخذ أملاء عليه بغضه للإسلام حتى لم يعد يفرق بين الذلة والضعف . نعم في المسلمين اليوم ضعف لا ذلة حتى المحكومين بالأجانب منهم فيهم عزة بقدر ما فيهم من دين وفيهم ذلة بقدر ما تركوا من دينهم ألا فليخبرنا الكاتب عن الذلة بمعناها الصحيح أين هي في اليمن وبلاد العرب ومصر والشام والعراق على تفاوت بينهم في الضعف والقوة بقدر تمسكهم بالدين ، أما الذلة المضروبة على اليهود أيام دول النصرانية من عهد قسطنطين وما جرى عليهم من تشريد وقتل أفاقوا منه في العصر الإسلامي قليلا مع ذلة يستلزمها خبثهم وماضيهم وما قدموا ، ثم جاء العهد العثماني وما صبه عليهم وإنا لتتوقع لهم تكرار التاريخ عليهم إذا لم يقلعوا عن خبثهم ونواياهم الشريرة (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم

عباداً لنا أولى بأس شديد نجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم
رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى
ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

وتسأل الكاتب متى احترم المفسرين وأخذ بأقوالهم حتى يأخذوها
عنهم أن الذلة هي الجزية ويمزوه إلى قول أكثرهم كذبا أو قلة فهم لما
قالوه أو هوى وسوء نية ليعبر من ذلك على ما يناقض خبر القرآن ووعيده
للهود فيقر بذلك عين اليهود وينال منهم ما ينبغي؟ قال الكاتب ص ٢١٧
وأما قوله (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) فالمراد أن دسائسهم
ومكائدهم التي حاكوها باحكام واستمرار للقضاء على الرسول ودعوته قد أخذها
الفشل من كل جانب وأنهم هيزموا في كل حروبهم التي شبوها مريردين . القضاء
على لاسلام وهذا لا ينبغي أن يكونوا خطرا في المستقبل .

وأول الآية (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما
قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل
إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة
كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا
يحب المفسدين)

فأنت ترى أن الآية في وصف اليهود أينما كانوا وحيثما تقفوا ليست
خاصة بما فعلوه مع النبي ﷺ فأحبطه الله وأطفأه كما قيده الكاتب بذلك من

عندهم ليتوصل بذلك إلى ما يريد من تهديدنا بهم . والعموم في الآية ظاهر من قوله وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ومن لفظ كلما الذى يسور به المناطقه قضايام الكاية الموجبة، فمن أين جاء للكاتب هذا التخصيص الذى استنتج منه أن يكونوا خطرا فى المستقبل .

وتنبه إلى عبارته فى مكائدهم وفسائسهم : أخذها الفشل وأثمهم هزموا . والله يقول : أطفأها الله ، فكأن الكاتب يعادى اسم الله ويتنفر من نسبة فعل إلى الله تعالى ولو نسب الله لنفسه حتى لا ينخرم تلازم أسبابه ومسبباته وحتى لا يؤمن بقدر إلهى فوق الأسباب والنواميس أو يهدم ما بناء من مادىة القرن التاسع عشر وآلية الكون وصرامة النواميس

قال الكاتب ص ٢١٧ س ١٦

وأما بعث الله عليهم من يعذبهم إلى يوم القيامة فانه لا ينافى الملك أيضا لأنه إذا كانت لهم دولة وبقيت الحروب بينهم وبين الآخرين مستعرة فان فى هذا أشد أنواع العذاب وأشد سوم لهم بالعذاب ولا ريب أن المتحارين كل منهم يسوم الآخر ويصلية العذاب .

وهذا من جنس ما قبله تحريفا وتمويهها ، فالآية وعيد من الله تعالى وإخبار منه أنه يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ، وسومهم سوء العذاب فسرهم نظيره مما سامهم إياه آل فرعون فى قوله (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) فسوم سوء العذاب الذى جرى لهم فى عهد آل فرعون هو الذى أخبر الله عنه أنه يبعث عليهم إلى يوم القيامة من يفعل بهم نظيره ، وبعثه عليهم من يفعل بهم ذلك هو نظيره ما يبعث عليهم

من عباده الكلدانيين والآشوريين في تاريخهم الماضي (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبداً لنا أولى بأس شديداً فحاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً) (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبرأوا ما علوا تتبيرا) فهذا البعث هو نظيره ما أخبر الله أنه سيفعله بهم إلى يوم القيامة فمن أين تأتيتهم الدولة ويكون لهم الملك مع هذا حتى يتوقعه الكاتب لهم ويشبهه بما يكون بين المتحاربين مع أن المتحاربين لا يقال فيهم عرفا ولغة أنهم يسومون بعضهم بعضا سوء العذاب إلا للمتصمر منهم على المخدول المدال عليه ثم في قول الله (عليهم) ما يدل على الاستعلاء والتحكم والاذلال لمن يذوق طعم الأسلوب العربي، ثم الغاية بقوله (إلى يوم القيامة) تعود لغواً على ما توقعه الكاتب لهم من قيام دولة وملك لهم وبمسي هذا الخبر لغواً وذلك مما لا يعز على الكاتب ولا يستغربه ، لأن دينه الذي يقده واستبدله بالاسلام هو مادة القرب التاسع عشر وما قبله من كون آلى لا اختيار خالقه ولا قدر بل نواميس طبيعية صارمة إن تخلفت بقدرة خالقها وإرادته دل ذلك عند الكاتب على أن الخالق قوة مجنونه أو كالمجنونة تقف في سبيلها ، وأنى لها ذلك كالتى نقضت غزوها من بعد قوة أنكاثا . سبحان الله وتعالى عما يقول الكاتب فيه علواً كبيراً

قال الكاتب (ص ٢١٧)

فالقرآن لم يقدم لنا صكا بالضمان من خطر هذا الشعب الذكى الغنى الماكر بل قدم إلينا الأوامر الصارمة الصريحة بأن نحذر ونستيقظ ونقف وقولنا بئنا

الأحاديث الصحاح بأن حروبا عظيمة ستضطرم بين المسلمين واليهود وقد يكون في هذا ما يعطى بأن اليهود قد تكون لهم دولة وجيوش يحاربون بها ودفاعا عنها . فليهنأ يهود صهيون فقد مزق لهم الكتاب وعيدت القرآن فيهم من ضرب الذلة والمسكنة عليهم أينما تقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس ومن الخبر الأكيد من بعث من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة مستعليا عليهم ومن إطفاء حروبهم التي يوقدونها لأغراضهم كعادة ملك داود الخ وتوقع لهم ملكا ودولة يحاربون بها المسلمين ، فيأفروا عين الصهيونية بهذه الدعاية السافرة لهم .

وإذا كان الكتاب يؤمن بما جاء في الأحاديث الصحاح الواردة في ذلك ففيها أن المسلمين ينتصرون عليهم حتى يختبئوا وراء الأشجار والأحجار وحتى يقول الحجر يا مسلم : هذا يهودى ورأى . وتخبر بهم الأشجار إلا شجر الفردق فإنه من أشجارهم . وفيها نزول عيسى بن مريم ولا يقبل من أحد إلا الاسلام سواء من اليهود أو النصارى وهذا هو أحد الوجوه في تفسير الآية (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) أى أن أهل الكتاب وقت نزول عيسى يؤمنون به كلهم قبل موت عيسى عليه السلام . والوجه الآخر في معنى الآية أن كل كتابي سواء في وقت عيسى أو قبله يؤمن بعيسى وقت احتضار الكتابي تعرض عليه حقيقة الأمر في مسألة عيسى فيؤمن بالحق فيه سواء كان يهوديا أو نصرانيا والمحتضر تختصر له صفحات حياته اختصارا بلذا سينلنا

قال الكاتب ص ٢١٨

ومما يجب الالتفات إليه أنه لا يحسن منا أن نحكم بأن القرآن قد جهر بأن اليهود لن يكون لهم ملك في عصر من العصور فالتنا لو حكمنا هذا الحكم ثم أبطلت الأيام حكمنا هذا لحسينا أن يكون في ذلك شيء من توجيه الاهتمام إلى القرآن ونصوصه وقضاياه .

ونقول للكاتب : إذا حكم القرآن بحكم قطعي جزمنا به ، وأنه لا تنقضه الأيام والليالي ، ولا تبطله الأعوام والعصور ، لأننا نعلم علماً لا شك فيه أنه من عند علام الغيوب (الذي يعلم السر في السموات والأرض انه كان حليماً غفوراً)

بقي : هل حكم القرآن على اليهود هذا الحكم أنه لن يكون لهم ملك في عصر من العصور ؟ فقد رأيت النصوص التي حرفها الكاتب ومزقها شر ممزق ، ليخرج منها بهذه النتيجة التي يقر بها أعين اليهود وينال بها حظوتهم ، وإن كان يُظهر بذلك الغيرة على صدق القرآن ، ويزعج إبعاد الاهتمام لنصوصه وقضاياه ، وستظهر الأيام حسن فهم المسلمين لكتابهم وصوابه ، وإن ارتاب المبطلون ، وتشكك المتشككون (قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) (إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً) (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)

ونصيحة الكاتب لنا بقوله (ص ٢١٨)

وأن أشد ما يفرعنا وأشد ما حملنا على أن كتبنا هذا الذي كتبنا في هذه المسألة هو أننا نحاف أن نبقى متروكين أنفسنا وبلادنا بمنجاة من هذا الخطر

الخفيف الفاجر فاه اليوم كما كنا نظن أننا بمنجاة من الخطر المسيحي حتى قضى
إلْقضاء وحينئذ لا يجدى الندم كما لم يجدى فيما فرغ . . . وقد لاحظنا أن هذا
الغرور - وهو خليق بأن يسمى غرورا - مستول على تفكير إخواننا المقصودين
بهذا الخطر الذى يكاد يحاط بهم (يعنى العرب فى جزيرتهم) فهم يزعمون أنهم
لو خلى بينهم وبين اليهود جامعة اليهود ما جمعت من الأموال والقوات ومن العلم
والمكر والدهاء لكنت لهم الغلبة ، وإن فقدوا كل شيء من هذه الأمور التى
من ملكها فهو المنتصر ومن قاتته فلا شيء له .

وقوله ص ٢١٩ س ٦

ولهذه النتيجة - فتح فلسطين لليهود - نتيجة أخرى ، هى أشد هولا
وأشد لفزا لمن يفكر فيها ويدربها هى الامتداد المسكرى والاقتصادى والثقافى
الذى سيكون أثره محتوما لاحتشاد القوى اليهودية المخيفة فى ساحة ضيقة مثل
فلسطين ومن المعلوم أن هذا الامتداد لن يكون إلا فى بلاد العرب (قلت
ومصر والعراق والشام ولبنان حتى اليمن) وبمعنى هذا أن الآلة اليهودية لا محالة
من أن تتحدى الآلة العربية وتضطدم بها ، ولا ندرى كيف تتسكفا الآلتان مع
ما بينهما من الفروق العظيمة ، والقول بأن العزة للسكر قول كان يصدق أحيانا
لما كانت الأمم والجماعات يتنازعون ويتقاتلون بالأكف والحجارة والسهام والنبال ،
وأمثال ذلك . ولكنه لا يجب أن يصدق فى الزمان الذى يكون العلم فيه هو
الفاصل والحكم والمعدة .

وقوله ص ٢٢٠ س ٢٢

وأما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهى عاجزة عن الامرين : عن تدمير
اللعوص الواغين أو إجلائهم وعن منافستهم تجاريا أو صناعيا أو زراعيا ، فما
أطيبهم إذن مغنا وما أسعد من ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب ، ومن السهل
عليك أن تبسط يدك آمنا مطمئنا فتجذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها

لتقدم لك على مائدتك طعاما شهيا سائغا - يريد أن هذا مثلنا مع اليهود -
ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعين الأسود معنى هذا أن بعض
الشعوب فيها مناعة ذاتية تقيها الفناء والمدوان وبعضها ليست فيها هذه المناعة
فهي محتاجة إلى حماية خارجية والا ذهبت في الهالكين واليهود يعلمون أننا
فاقدون لهذه المناعة ولهذا فانهم لا يخشون وغولهم علينا ولا غزوم إيانا . لن
يهاجم اللصوص منزلك وأنت موجود فيه يقظان إلامتى وثقوا من ضحكك وهوانك
ثم نصح (ص ٢٢١) لفلسطين وغيرها من البلدان العربية لنجاتها
من جميع الغزاة والدخلاء بتعلم كيفية إيجاد هذه المناعة الذاتية التي تكون في
استطاعتها تدمير الغازين ومنافستهم منافسة تمنعهم من أن يتلبسوا
لاقدامهم يبننا موضعنا ثم قال

أما ما لم توجد فينا هذه المناعة فنستظل عرضة لضروب الغزوات وصنوف
الغازين ولن يمنعنا من ذلك صراخ ولا احتجاج ولا شيء مما نصنعه من هذا القبيل .
ولم يشرح لنا تلك المناعة الذاتية هل يريد بها إصلاح خلقنا وديننا
وبالتبع له دنيانا أو هو رفض ذلك كله والاستبدال به مادية طبيعية لا روح
ولا خلق ولا دين فيها كما أعاده وكرره في كتابه

وقال ص ٢١٩ س ١٤

وأما الاحتمال الآخر الذي يرضينا معشر العرب والذي نعمل له والذي هو
أقصى أمانينا - أعنى إيراد الأبواب كلها في سبيل كل يهودي يريد دخول
فلسطين - فهذا الاحتمال - على أنه أفضل احتمال - ليس في استطاعته أن
يورد عنا الخطر الصهيوني الذي أنشأ أنيابه حقيقة في جانب من جوانب هذا
الوطن العربي وذلك أن اليهود حينئذ - وهم أهل الذكاء والحيلة والتصميم
والتعصب القوي المعجب - سيجأون إلى وسائل كثيرة هينة عليهم وعلى من

لم مثلهم ثقافة وعلم ونشاطا ومالا وشأنا دوليا ملحوظا . من هذه الوسائل تنظيم عمليات التهريب برا وبحرا وجوا والتحايل على الوصول إلى مازمموه وطنهم الذى لن تثنيهم عن دخوله قوة من القوى ومنها محاولة تكثير مواليدهم وتوالدهم بطرق فنية مبتكرة مفزعة . وهكذا حتى يصيروا عددا جسيما فى هذه البلاد وحينئذ ينطلقون فى سبيل تحقيق أغراضهم الكبرى التى أرصدوا لها أضخم الدهنيات العالمية يمددها ذلك الخيال اليهودى الذى ألهبته عبر التاريخ القاسية الطويلة ومعارف هذا العصر الفذ ، ثم تلك الشهية المتيدة التى شهر بالفتح بها حفدة شيلوك وقارون إزاء المال والحياة وإزاء المنافسة فى تحصيلهما ، وإذن فالخطر اليهودى قد صار حقيقة واقعة على كل الاحتمالات والحالات فلو ظفرنا بأجل ما يلعب بآمالنا - وهو وقف الهجرة الصهيونية نهائيا - لما كان فى ذلك شئ من الضمان إلا عند من اعتادوا أن يناموا تحت مطارق الأقدار ، فكيف الخلاص إذن .

(ثم تسأل) لماذا يحاول اليهود أن يتركوا أوروبا مهبط النشاط الإنسانى الرائع ومجلى العبقرية البشرية وأن يتخذوا كل صعب وذلول ليتجمعوا فى هذا الوطن الشرقى العربى الذى يكاد يكون من الناحية الزراعيه والصناعية والعلمية قطريا بدائيا والذى لا قيمة لموارده الطبيعية بالنسبة للبلاد التى يفرون منها . ثم نرى عنهم أن يكونوا قد خدعوا فاعتقدوا أن مجال العمل والنشاط والحياة فى فلسطين أعظم منه فى الأوطان التى تركوها كما أنه من غير الممكن أن يكون المبدأ الدينى قد خالط رهوسهم فاختاروا هذا المكان من الدنيا انقيادا لمأطفة دينية وطاعة لنص وجدوه فى كتبهم المقدسة . كل هذا لا يمكن أن يكون - وإن جوزوه على الجماهير المضللة ولكن الرهوس التى نظمت هذا الغزو وأوفت به على الغاية ليس من الممكن أن يكون قد ألم بها هذا الخيال أو الخيال فالأمر إذن غير ذلك فما هو ؟

ثم افترض أن بريطانيا وأمريكا - أقوى قوتين تحكمان العالم اليوم - طلبتا إلى اليهود أن يختاروا لهم أغنى وأفضل منطقة في ألمانيا أو اليابان أو إيطاليا ليصيروها وطناً قومياً بقوة السلاح فهل من الممكن أن يرضى لليهود بهذا الوطن المفروض المعروض وأن يقدموا على تجربته؟
أجاب بالنفي البات ثم سأل ولكن لماذا لا يفعلون
ثم أجاب بقوله ص ٢٢٦ س ١٨ .

بالجواب عن هذا نعرف لماذا اختاروا بلداً عربياً وهان عليهم تحدى أهله وتحدى جيرانهم وإخوانهم أنهم لا يقبلون مثل هذا الوطن لأنهم يعلمون أن أهله سيدمروهم في يوم من الأيام أو يحلونهم على الأقل لا محالة هذا من جهة ولأنهم يعلمون من جهة أخرى أن هذه الشعوب ليست هيئة المنافسة ولا سهلة القضم والبلع أما فلسطين وسواها من البلاد العربية فهي طاجرة عن الأمرين معا عن تدمير اللصوص والواغين وإجلائهم وعن منافستهم تجارياً وصناعياً وزراعياً فإطليبهم إذن مغنا وما أسعد ما ظفروا بهم ودخلوا عليهم الأبواب من السهل عليك أن تبسط يدك آمناً مطمئناً فتجتذب الطيور المسالمة الضعيفة من أوكارها لتقدم لك على مائدتك طعاماً شهياً سائفاً ولكن من الصعب عليك أن تفعل ذلك بعين الأسد .

ثم حضنا على المناعة الذاتية ولم يبينها لنا بما عودنا من بيانه المسهب الطويل المكرر فلماذا؟ آجيز وهو الشجاع المغوار الذي هاجم المسلمين في صميم دينهم أم ماذا وراء الأكمة؟ وليس في غم الكاتب ماء فلماذا لم ينطق .
أطنبت في نقل ما وصف به الكاتب اليهود وما وصفنا والأمثلة التي ضربها لنا ولهم من الطيور الشهية المأكلة السائغة المضغ والبلع ومن خلونا من

علوم العصر وصفاته ومكره ودهائه وغناه وماله بجانب تفوق اليهود
 حفنة شيلوك وقارون في الذكاء والدهاء والشأن العالمى ليتفكر في ذلك
 ناسه العرب وزعمائهم وقوادحها وحكمائهم وإن كان للتفكير موضع من
 عنايتهم في ذلك حتى يبرهنوا أنهم أهل للحياة في العصر عصر العلم والآلة
 والصناعة وحتى يكرنوا جزءاً من قافلة الجماعة وركب الحياة وأتينا نهيب
 بهم كما أهاب بهم الكتائب مع فارق جوهرى يبتنا وبينه إذ هو يلغى
 الدين ونحن نعدده كما يعدده سائر العقلاء أساس النهضة وعمود الحياة التى لا
 تقوم إلا عليه ، الدين الذى يقوم على حياة الروح والجسد على المعنى والمادة
 على الخلق والخلق ، على الزهد والفنى ، على الفناعة والسعى والكسب ، على
 الايمان بقدر الله واختياره مع الاخذ بالاسباب ، على جريان الاسباب فى
 وديانها ما لم تر العناية الالهية تحويلا لحكمة عالية قد نعلمها وقد لانعلمها .
 لقد كان من شهوة كثير من الناس انتصار المحور ، وتدمير الحلفاء تدميرا
 عسكريا - وإن كان رأسهم قد تدمر معنويا واقتصاديا - ولكن
 العناية الالهية لها من الأغراض والحكم ما هو فوق هوى الكثير (ولو
 اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) (وعسى أن تكرهوا
 شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم)

وختم الكاتب مقاله بقوله ص ٢٢٥ س ١٤

والذى نريد أن نقوله هنا هو أنه لا عناية ولا نسب بين الله وبين أحد من
 خلقه وقد وضع نوااميس وسبلنا وقوانين تحكم هذا العالم على وفق حكمته العليا
 وعبدله الشامل . فن وفق لاستخدام هذه النوااميس والسبل والقوانين وسار
 معها بلا اصطدام ولا خروج فقد نال ما يبغي ومن تخانده هذه النوااميس والقوانين

وحاول الخروج عنها فقد هلك ولا محالة، ولن ينفعه أن يقول انه مسلم وأنه يصلي ويصوم ويكثر من ذكر الله بلسانه كما أن هذه الأقوال والدعاوى لن تجدى من ذهب يتحدى سنة الله فترك الطعام والشراب والمحافظة على الصحة والحياة زاعما أنه مسلم مؤمن وزاعما أن المسلم المؤمن معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية .

ونحن مع الكاتب نقول إن الأقوال بلا أعمال لا تفيد ولا تجدى ولا قيمة لها عند الله ولا عند خلقه، ولكن نقول ان المسلم حقا الذي يعرف الاسلام من كتاب ربه وسنة نبيه وسيرة راشدين من خلفائه وسيرة صاحب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم ومن تبعهم على أثرهم في فهم الاسلام والعمل عليه والسير على صراطه فهذا معصوم محفوظ منظور من قبل العناية الالهية: لا تعارضه السنن والنواميس بل تخدمه بمعونة العناية الربانية وبالهداية الالهية وبالتوفيق السماوي ورحمة أرحم الراحمين والشواهد من الواقع والتاريخ أعظم البراهين .

فما غزا الرسول ﷺ غزوة ولا انتصر على عدو ولا فتح الصحابة شرق الأرض وغربها وصاروا سادة العالم ويدهم صولجان العز والسيادة إلا بالإيمان الصحيح والاسلام الحق الذي كان نور هدايتهم وشمس سيرهم وبه تقدموا علماء وعملا وسياسة وسيادة . ان خالدا بن الوليد بطل الاسلام وسيوف الله الذي لم يعمد فاتح العراقين وبطل الشام ما شرب السم سم الساعة الذي كان مع مفاوضه الفارسي فلم يغره إلا بقوة الايمان والاسلام . وذلك اليماني - وأظنه أبا خالد الدالاني - الذي ألقى في النار فلم تحرقه وفرح به عمر بن الخطاب حينما رآه وقال ما معناه : الحمد لله الذي أرباني في أمة محمد

من صارت عليه النار بردا وسلاما كإبراهيم ما أطفئت عنه النار إلا بقوة الإيمان وصدق الاسلام . وهذا شيخ الاسلام ابن تيمية من أعرف الناس بالمعقول والمنقول ما تحدى شيخ الرفاعية في زمانه بدخول النار وإياه ليتبين الصادق من الكاذب في دعوى الولاية والكرامة إلا بالإيمان الحق والاسلام الصحيح .

وختاما هل كان الكاتب جادا حينما مدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه بالنجاح ومعرفة الحياة ثم وصف أتباعه الذين نجح فيهم ص ١٤ « بأنهم يعدون بين الشعوب نموذجا رائعا للهوان والضعف والجهل والمسكنة » وعناهم بقوله ص ٧٦ « وكلنا يعلم أن بلدا إسلاميا مستقلا لا يزال اليوم يعيش على هامش الحياة وعلى الفطرة الأولى يعني أنهم بكونهم على هامش الحياة ليسوا فيها حقيقة بل هم إلى الموت أقرب من الحياة وكذلك مدح جلالة الملك ابن السعود - وهو أهل للمدح ثم قال ص ٧٨ بعد ما وصف بعض قادة الأمم وأن كثيرا منهم كانوا يعملون على أن يحولوا بين شعوبهم وبين العلم ويحرمونه عليهم لأنهم يخافون امتناعهم عليهم وعسر طاعتهم لهم إذا تعلموا، ثم قال : « وحتى في هذا العصر لا يزال يوجد فريق من هؤلاء القادة الذين يخشون العلم . ومما يؤلم أنه يوجد اليوم في إحدى البلاد العزيزة علينا من لا يكاثفون المعلمين إلا بالسجن والعذاب والمطاردة » فن يعني الكاتب بهذا وهل يظن الناس لا يفهمون مغامره ولماذا هذا الاتهام والتستر بالغلائل التي لا تستر والرمي من وراء جدران الجبن؟

وقف القلم هنا ليعود في فرصة أخرى والحمد لله أولا وآخرا

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
السنة النبوية الغرورية
الفهرس

مقدمة للأستاذ الغرأوى أبان فيها غرور صاحب الأغلال ، وكيف تطور
وأسباب انقلابه من اليمين إلى الشمال ، وحكى أمثلة من تحريفاته وتأويلاته
للآيات والأحاديث ، وأظهر ما فى كتابه من سوء الفهم والقصد
كلمة قيمة للكاتب القدير سيد قطب ، أراح فيها السائر عن محاولات القسيمي
معه ومع غيره كى يؤيدوا كتابه ؛ ولكن الكاتب هم فى حديث القسيمي
معه رائحة غير نظيفة

- ١ مقدمة المؤلف
- ٢ زعم صاحب الأغلال أن النبى كان دائماً يحتضن الطبيعة ويحنو عليها
- ٣ تحريفه لغرض النبى من زيارة البقيع ولقوله ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى »
- ٤ تأييده لنظرية دارون
- ٦ كلام العلم الحديث فى نقض هذه النظرية
- ١٥ زعم القسيمي أن الإيمان بقضاء الله وقدره والتوكل عليه يوهن المسلمين
- ١٦ إنكاره لفائدة الدعاء وتسميته لمشيئة الله المطلقة : سفهاً وفوضى
- ١٨ استمداد القسيمي لأرائه من غوستاف لوبون
- ٣٨ نهكه بالمتدينين - بلا تفريق
- ٤٤ زعم القسيمي أن النجاح والتقدم لا يكون الا لغير المتدينين
- ٤٥ أسئلة من المؤلف إلى القسيمي تقضى على مزاعمه
- ٤٦ زعم الاغلال أن المتدينين يفقدون الميزان الفكرى
- ٤٨ زعم الاغلال أن فى المتدينين وحشية نتيجة لممارستهم نصوص القرآن التى
نصف الاهوال التى أعدت للعصاة والمجرمين
- ٥١ زعم القسيمي أن الناس لم يفهموا الدين لا فى الماضى ولا فى الحاضر
- ٥٤ سبه وتحقيره لمن احترم السلف وعظمهم
- ٥٥ علماء التشريح ينكرون تقدم العقل البشرى عما كان عليه عند أمد بعيد

- ٥٨ رده لأحاديث صحيحة وقبوله لمثلها بدون تحليل معقول
- ٦١ استدلاله بدليل هو عليه لا له
- ٦٤ التجرد من الدين لا يجلب لصاحبه السعادة
- ٦٩ مفاسد الحضارة الغربية
- ٧٨ الترقى في أمور الدنيا يكون وبالاً إذا كان دون الترقى في الدين والفضائل
- ٨٠ سؤال مفخم من الناقذ إلى القصيمي
- ٨١ افتراء القصيمي على المسلمين في مسألة الاسباب
- ٨٣ الخوارق تبطل دعواه في الاسباب
- ٨٤ زعمه أن الانسان خلق ليغالب الطبيعة وينازع الله في علمه وقدرته
- ٨٥ تأليه الاسباب ، والرد عليه وأنها تتخلف إذا شاء الله
- ٨٧ تحريف شنيع لآية (قل لو كنتم في ييوتكم لبرز الدين) الخ
- ٨٨ تقديسه للاسباب ولا شيء غير الاسباب
- ٩٠ حوادث واقعية في فائدة الدعاء
- ٩٢ سخفه وزعمه أن الانسان يمكن أن يترقى إلى درجة الالهية
- ٩٥ مدحه لمن قال بتأليه المسيح وزعمه أن النواحي يهبون للامم الاديان والفنون
- ٩٦ تقريره ان الايمان بالله وحده كان نكبة على البشر ، وان الحضارة القوية لم توجد الا في عهود الوثنية
- ٩٩ دعايته للانطلاق وراء الشهوات وأن الامة التي تكون كذلك تكون قوية
- ١٠٢ تفسيره للقدر تفسيراً يخالف النصوص
- ١٠٦ تحريف شنيع لآية (إن تنصروا الله ينصركم)
- ١٠٧ تحريفه لقول الله (ولن تجد لسنة الله تبديلاً) وبيان معناها الصحيح
- ١١٠ تفسيره للقضاء بمعنى الفراغ
- ١١١ تحريف جديد لآية (وقضينا الى بنى إسرائيل)
- ١١٢ زعم القصيمي أن التوكل على الله خرافة ويورث أهله الفل . أما الامة العزيزة فهي التي تفهم أن عليها أن تعمل (دون أن يعينها معين)

- ١١٧ تفسير غريب للتوكل
١١٨ تحريف شنيع للنصوص
١٢٢ أسئلة قاصمة من الناقد
١٢٤ دعوى صاحب الاغلال المساواة بين الرجل والمرأة
١٢٦ ابنة الشاطئ ترد على ذلك
١٢٢ إنكار الاغلال لما ثبت من قوة الرسول ﷺ الجسدية
١٣٧ اثبات أن قوة الميل الى النساء تدل على قوة العقل
١٣٨ زعم صاحب الاغلال أن البخاري كان لا يعرف الفرق بين الموضوع وغيره
١٤٠ مناقشة الناقد لصاحب الاغلال مشافهة في الحجاز
١٤٧ إنكار الاغلال لتأثير العين المعروف واعترافه بتأثير آخر
١٥٢ تم-كم الاغلال بالاسلام وأهله
١٥٧ تقريره لآراء حديثه لم يؤكد لها أهلها بعد
١٦٤ دفاع الاغلال عن اليهود وتحريف النصوص الواردة في ذلهم
١٧٤ مبالغته في قوى اليهود في فلسطين وضعف المسلمين